المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير وعلوم القرآن

كشف الاتجاه الرافضي في تفسير الطبرسي

الموسوم بمجمع البيان لعلوم القرآن

رسالة مقدمة لنيل الشهادة العالمية "الماجستير"

إعداد :

الطالب/ أحمد طاهر أويس

إشراف :

الدكتور/ عبد العزيز محمد عثمان

عام : ١٤٠٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(*)

=((شكـــــــر وتقدّيـــــــر))=

أحمد الله سبحانه وتعالى على ما أسدى اليّ من عون وتوفيـــــــــق لاكمـال هـذا البحـــث ، فلله الحمد والشكر ملئ السموات ومـــلئ الأرض ومـلئ ما شاء من شـيئ بعـد .

وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم :" لا يشكر الله من لا يشكر النـــاس"[1].

أتقـدم بخالص الشكر والتقدير لفضيلة أستـــاذى الكريـــم :

=(الدكتور/ عبد العزيـز محمـد عثمـــان)=

الذى أشرف على هذه الرسالة بجد واخلاص ، والذى لولا الله ، ثـــم لولاه لما جاءت الرسالة على قدرها في هذا المظهـــر .

وأشكر أيضا أستـاذى الفاضـــــل :

=(الدكتـور/ عبد العـزيز عبد الفتاح القـــارى)=

الذى أشار بصلاحية هذا الموضوع ، وتولى الاشراف على هذا البحـــث في عامـه الأول .

وأشكر كل من أسدى اليّ نصحا أو قدم اليّ مساعدة ، سواء من الأساتـذة الأفاضل والزملاء الطـــلاب .

وأخيرا أشكر القائمين على الجامعة الاسلامية ، التى تغل لأبناء المسلمين ما لا تغل لهم أى جامعة سواها ، وفي مقدمتهم رئيس الجامعة ورئيس قسم الدراسات العليا ، وأسأل الله أن يسدد خطاهم ويعظم أجرهم ويكرم مثواهم في العاجلة والآجلـة .

---

(١) رواه الامام أحمد . انظر المسند ٢/٢٩٥ .

المقدمة

=((بسم الله الرحمن الرحيم))=

=(المقدمة)=

انّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصلى اللهم على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

أما بعد :

فان الله جلت قدرته بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - على حين فترة من الرسل ، وكانت البشرية آنذاك على جرف منهار ، حيث عمهم الضلال والشرك ، فمقت الله عز وجل عربهم وعجمهم الاّ بقايا من أهل الكتاب .

بعثه الله في وقت اختلط الحق بالباطل والتبس النور بالظلام . فقد حرفت الكتب السماوية وغير التوحيد الخالص ، وأصبح أهل الكتاب من اليهود والنصارى أقرب الى الشرك منهم الى التوحيد ، فهدى الله به الخلق ، وأقام به الملّة العوجاء .

وقد أنزل على هذا النبي الأمي - صلى الله عليه وسلم - كتابا عربيا مبينا ، ليكون معجزته الخالدة الى يوم الدين :" انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "[1] ففتح به آذانا صما وقلوبا غلفا .

وقد تعهد الله سبحانه بحفظ ذلك القرآن من الضياع ومن التعرض

---

(١) سورة يوسف الآية (٣) .

للتحريف والتبديل الذى أصاب الكتب السابقة :" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " .(١)

ووعد نبيه بأن يحفظه القرآن ويفهمه معانيه :" ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه"(٢) . " سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله " .(٣)

وأمر الله سبحانه نبيه الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يبين القرآن للناس ويشرح لهم ويفهمهم معانيه :" وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم " .(٤)

وفرض الله عز وجل على الناس قبول بيانه صلى الله عليه وسلم ، جملة وتفصيلا :" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"(٥) . وحذرهم تعالى ذكره من مخالفة أمره وبيانه :" فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " .(٦)

وقد عقل الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ عن الله عز وجل وعن رسوله الكريم ، فكانوا يرجعون فيما أشكل عليهم من القرآن الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى وكل بيانه اليه ، وكانوا يقفون عند بيانه ولا يتقدمون بين يدى الله ورسوله ، امتثالا لقوله تعالى : يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ".(٧)

---

(١) سورة الحجر الآية (٩) .
(٢) سورة القيامة الآية (٩) .
(٣) سورة الأعلى الآيتين (٦ ، ٧) .
(٤) سورة النحل الآية (٤٤) .
(٥) سورة الحشر الآية (٧) .
(٦) سورة النور الآية (٦٣) .
(٧) سورة الحجرات الآية (١) .

وكذلك فهم التابعون ذلك المنهج السوى في فهم كتاب الله ، فكانوا يرجعون الى الصحابة الذين شهدوا نزوله وأحواله في فهم معاني الكتاب .

وأصبح بعد ذلك المنتسبون الى الاسلام في تفسير القرآن ، وفهم معانيه فرقتين: فرقة أهل السنة والحق ، وفرقة أهل البدع والأهواء .

فأما فرقة أهل السنة والحق . فقد نهجوا نهج الصحابة والتابعين لهم باحسان ، في تفسير القرآن وفهمه . فقد وضعوا أصولا وقواعد تصون القرآن عن تلاعب المتلاعبين وتأويلات المغرضين . فقالوا : انه يجب أن يرجع في تفسير القرآن ، وفهم معانيه الى الكتاب نفسه أولا ، فما أجمله في موضع فصله في مكان آخر ، ثم يرجع الى السنة التى هي مبينة لكتاب الله ، ثم يرجع في ذلك الى أقوال الصحابة الذين شهدوا نزوله وأحواله ، ثم يستأنس بأقوال التابعين الذين تلقوا التفسير عن الصحابة ، ثم يؤخذ بمطلق اللغة مع مراعاة قواعد الشرع [1] وصدق عليهم قوله تعالى :" والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا " . [2]

وأما أهل البدع والأهواء فقد خالفوا هذا النهج القويم واتخذوه وراءهم ظهريا . فخاضوا في كتاب الله بآرائهم وعقولهم الفاسدة بدون حجة نيّرة ، وأولوه تأويلات باطلة ليتفق مع أهوائهم ومبادئهم المنحرفة ، وصدق عليهم قوله تعالى :" فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله " . [3]

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٩٣ - ١٠٤ .
وانظر البرهان للزركشي ٢/١٥٦ - ١٦٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية (٧) .

(٣) السورة والآية نفسها .

وأشد الفرق خوضا في كتاب الله وتحريف معانيه هم الرافضة ، الذين هم أكذب الفرق وأقلهم حياء ، وأجهلهم بالمعقول والمنقول ، وهم الذين غيّروا معالم الاسلام ، أصوله وفروعه .

فرأس الاسلام التوحيد ، واخلاص العبودية لله وحده ، ونبذ الأنداد والكفر بالطواغيت ، والايمان بالله وحده ، ولكن الرافضة استبدلوا بذلك تأليه أئمتهم والغلو فيهم ، واتخاذهم أربابا يعبدونهم من دون الله ، ووصفهم بما لا يجوز أن يوصف به الاّ الله تعالى .

وحث كتاب الله وسنة رسوله على تحرى الصدق ونهيا عن الكذب والنفاق ، ولكن الرافضة أشربوا في قلوبهم الكذب والنفاق تحت شعار : "التقية والمداراة" .

وجاء كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باحترام الصحابة الكرام ، الذين سبقونا بالايمان ، والاستغفار لهم والترحم عليهم ، وذكرهم بالجميل اللائق بهم .

قال تعالى :" والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ... ".(١)

وقال صلى الله عليه وسلم :" لا تسبوا أصحابي ".(٢)

ولكن الرافضة عكسوا هذه الأوامر ، فسبوا الصحابة وفسقوهم وكفروهم وألصقوهم بكل نقيصة ، وجردوهم من كل فضيلة ، وملئوا قلوبهم غلا لخيار أولياء الله ، بعد الأنبياء والمرسلين ، وهم الصحابة (رضي الله عنهم) .

وحث كتاب الله على العفة وحفظ الفرج الاّ ما أباحه الله من الأزواج وما

---

(١) سورة الحشر الآية (١٠) .

(٢) رواه البخارى ومسلم . صحيح البخارى مع الفتح ٢١/٧ ، ومسلم٤ /١٩٦٨ .

ملكت اليمين : " والذين هم لفروجهم حافظون الاّ على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم " . (١)

ولكن الرافضة ما امتثلوا بأمر الله في ذلك ، حيث ابتغوا وراء ما أباحه الله ، من المتعة ، واتيان النساء في غير ما أمر الله به من المواضع (٢) ، واعارة الجاريات (٣) .

وقد قام علماء السنة قديما وحديثا بالرد على هؤلاء الروافض ، ودحض شبهاتهم ، وكشف عوارهم ، وكانوا يحذرون الناس من مآربهم الخبيثة التى هي هدم الاسلام .

فألفوا في ردهم المؤلفات وأصدروا في شأنهم الفتاوى كي لا تكون العامة فريسة لمكائدهم .

سبب اختيارى هذا الموضوع :

ولكي أساهم في الذب عن كتاب الله تعالي من انتحال المبطلين وتحريف الغالين ، أحببت أن يكون موضوع بحثي في نيل درجة العالمية " الماجستير " في كشف المزالق التى اشتمل عليها أحد تفاسير الشيعة الامامية .

وذلك أن الامامية الرافضة مجدّة في نشر مذهبها الخطير في صفوف الأجيال الصاعدة ، مستخدمة في ذلك كل الوسائل المتاحة لهم ، وكان من بين تلك الوسائل نشر تراثهم وبثه في الأمة ، وكان التفسير من أهم الوسائل التى بواسطتها يتمكنون من بث سمومهم ، مستغلين جهل الناشئين لأصول عقيدة أهل السنة ، وأصول مذهب الامامية الروافض .

---

(١) سورة المؤمنون الآيتين (٥ ، ٦) .

(٢) أنظر الفروع من الكافى ٥/٥٤٠ ، فقد أورد روايات تبيح إتيان النساء فى أدبارهن

(٣) أنظر الأنوار الوضية فى العقائد الرضوية ص ١٨٨ .

وكان من تفاسيرهم : " **تفسير الطبرسي** " الذى قد وصفه بعض أهل السنة في هذا العصر بالاعتدال ، بل ان دار التقريب بين المذاهب التى كانت بالقاهرة ، تبنّت نشر هذا التفسير ، وقد سجل شيخ الجامع الأزهر ، ووكيل جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية آنذاك كلمة مدح فيها تفسير الطبرسي وقرّظه فيها بدون استثناء .(١)

وقد ركن بعض الناس الى تفسير الطبرسي ، بسبب تلك التزكيات ، مع أن صاحبه ينتصر لمبادئ الامامية الرافضة في كل مباحثه في التفسير .

ولما كان الأمر كذلك أحببت أن أتعرض لكشف تلك المزالق الموجودة في هذا التفسير ، فجعلت عنوان بحثي :

" كشف الاتجاه الرافضي في تفسير الطبرسي الموسوم بمجمع البيان لعلوم القرآن "

فاخترت ذلك الموضوع بهذه الرغبة من نفسي وباشارة من أستاذى الفاضل :

=((**الدكتور / عبد العزيز عبد الفتاح القارى**))=

ودراسة مثل هذا الموضوع جديرة بالاهتمام ، ولا سيما في هذا الزمن الذى جنّ جنون الرافضة ، واستفحل أمرهم وعظم خطرهم ، واستطار شرهم ، حيث نشروا الشبهات والشكوك في أوساط الناس ، وأوقدوا نيرانا للحرب لا تطفأ الاّ ان يشاء الله .

ولكن حجج الرافضة داحضة وأمرهم ذهب مضمحل ، وجيوشهم مخذولة مرذولة . وقديما قال علماء السلف : " ان الرافضة لا دين لهم ولا عقل ولا دولة تنصرهم" ، وليكن كما قالوا باذن الله .(٢)

---

(١) انظر صورة نص كلام شيخ جامع الأزهر ، وصورة غلاف تفسير الطبرسي الذى نشرته دار التقريب (في نهاية هذه المقدمة) .

(٢) أنظر المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٤٦

منهجي في البحث :

١- قرأت أولا تفسير الطبرسي - من أوله الى آخره - قبل أن أشرع في الكتابة عنه ، وسجلت التشيعات الموجودة في ثناياه في بطاقات ، ثم صنفت تلك البطاقات حسب مواضيعها ، ثم شرعت في دراستها .

٢- حينما أتكلم عن موضوع من مسائل الرفض الموجودة في تفسير الطبرسي، أدرس قبل ذلك وجهة نظر الشيعة في ذلك الموضوع ، وأعمل موازنة بينهم وبين أهل السنة في الموضوع .

٣- رجعت الى كتب الامامية أنفسهم في تقرير مذهبهم في جلّ المسائل .

٤- ناقشت الطبرسي في استدلاله ببعض الآيات القرآنية والأحاديث والآثار ، على ترويج عقيدته الزائفة ، ناقشته على ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف وأقوال علماء السنة وعلى ما فتح الله عليّ به من الملاحظات.

٥- نبهت على الآيات القرآنية التي وردت في البحث بأن ذكرت السورة ورقم الآية منها .

٦- عزوت الأحاديث والآثار التي احتججت بها في بحثي الى مصادرها، وأغلب الأحاديث التي استدللت بها من : صحيحي البخاري ومسلم، وقد استشهدت بأحاديث السنن الأربعة والمسند وسنن الدارقطني .

٧- قد أكرر بعض الأمثلة من تفسير الطبرسي ، وبعض الأحاديث في مناسبات مختلفة ، لضرورة يقتضيها المقام .

٨- ترجمت لبعض أعيان الشيعة ، ولم أترجم لأعيان أهل السنة ، الا النادر منهم لشهرتهم ، وانما اكتفيت باثبات أسماء المؤلفين وكناهم وأنسابهم وألقابهم وأعوام وفياتهم عند اثبات المصادر والمراجع .

خطـــة البحـــــث :

يتكون البحث من مقدمة وقسمين وخاتمـــــة .

أما المقدمة فقد تكلمت فيها عن بعد الرافضة عن المنهج القويم فـــي تفسير القرآن ، وفهم معانيه ، وأن مبادئهم تناقض أصول الاسلام وفروعـــه .

وتكلمت فيها أيضا عن سبب اختيارى لهذا الموضوع ، وتناولت فيها منهجي في البحث والخطة التى سرت عليها فيـــه .

وأما القسم الأول فهو يشتمل على بابـــين :

الباب الأول : الشيعة والتشيع فرق وعقائد :

تعرضت في هذا الباب لتعريف التشيع لغة واصطلاحا وتشأته وتطـــوره وأهدافه ، وأثر النحل القديمة فيـــه ، وتكلمت في هذا الباب عن أمهات فـــرق الشيعة الرئيسة وعقائدهـــم وآرائهم ، وسبب اختلافهم الى فرق متعـــددة .

الباب الثاني : الطبرسي ومنهجه في التفسير:

تناولت في هذا الباب ترجمة الطبرسي من ذكر اسمه ، وكنيته ، ولقبـــه ، ونسبتـــه ، ومولده ، ووفاته ، ومكانته العلمية ، وثناء علماء طائفته عليـــــه ، وتلامذتـــه ، وشيوخـــه ، ومؤلفاتـــه .

وتكلمت أيضا تحت هذا الباب عن منهج الطبرسي في تفسيره . فبينـــت طريقة تأليف تفسيره ، وكيفية عرضه لتفسير الآيات والسور ، وبينت هدفه وغايتـــه من تأليف تفسيره ، وذكرت بعض مصادره في التفسير من كتب السنة والشيعـــة ، وتعرضت للكلام عن أصول التفسير عنده ، وبينت أن أهم أصوله الـــرأى واللغـــة ، والأقوال المنسوبة الى أئمة أهل البيـــت .

وتكلمت أيضا في هذا الباب عن موقفه من تفسير القرآن بالسنة ، وموقفه من التفسير الباطني ، وتعرضت للكلام عن مكانة تفسير الطبرسي العلمية عند السنة والشيعة .

أما القسم الثاني وهو: " كشف الاتجاه الرافضي في تفسير الطبرسي " :

فانه يشتمل على بابين واسعين :

الباب الأول : إبراز مدى تمسك الطبرسي بعقائد الامامية الاثنى عشرية .

فقد تعرضت في هذا الباب للكلام عن أبرز تعاليم الامامية الاثنى عشرية ، ومبادئهم . وهي :

"الامامة ، والعصمة ، والرجعة ، والتقية ، والقول بتحريف القرآن ، وزيادته ونقصانه ، والطعن في الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) ، وأرغم أنوف الطاعنين فيهم .

ثم بينت بعد الحديث عن كل من تلك المبادئ ، موقف الطبرسي منها ، وضربت أمثلة كثيرة من تفسيره التي تدل على موقفه منها ، وناقشته في استدلاله ببعض الآيات ، على صحة تلك المبادئ الرافضية .

الباب الثاني : ابراز مدى تمسك الطبرسي بفقه الشيعة الامامية وآراء المعتزلة .

تعرضت في هذا الباب لتقديم فكرة موجزة عن أصول فقه الشيعة الامامية ، الذي يختلف عن أصول فقه أهل السنة من حيث الشكل والمضمون ، وبينت موقف الطبرسي من ذلك .

ثم تعرضت للكلام عن بعض الفروع الفقهية التي وافق الطبرسي فيها الامامية ، وخالف فيها صريح القرآن والسنة ، وناقشته في ذلك ، وبينت أن الحق في كل ذلك مع أهل السنة ، وليس مع الامامية .

ومن تلك الفروع : نكاح المتعة ، مسح الرجلين في الوضوء ، ميراث الأنبياء ، اتيان النساء في أدبارهنّ ، انكار العول والارث بالتعصيب وغير ذلك .

وتعرضت في هذا الباب أيضا ، لبيان أصول المعتزلة وتأثر الامامية المتأخرين بها ، ثم كشفت موافقة الطبرسي المعتزلة في أصولهم وآرائهم الزائفة ، حيث استشهد بكثير من الآيات على صحة تلك الآراء التى قلد فيها المعتزلة ، وناقشته في ذلك فبينت زيف تلك الآراء وعدم دلالة القرآن عليها وأن الحق في ذلك كله مع أهل السنة وليس مع المعتزلة ولا الرافضة المقلدين لهم .

ومن تلك المسائل التى وافق فيها المعتزلة : القدر وأفعال العباد ، الهدى والضلال ، الارادة ، التحسين والتقبيح العقليين ، نفي الصفات، انكار رؤية الله ، وانكارحجية خبر الواحد العدل .

أما الخاتمة فقد تكلمت فيها عن الصعوبات التى واجهتني في بحثي وعن النتائج التى توصلت اليها من خلال بحثي وعن المقترحات والنصائح التى أدليت بها .

وذيّلت البحث بفهرستين اثنتين : فهرس ثبت المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

* * *

٢١٢,٥٥
ط م

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية
القاهرة

مجمع البيان
لعلوم القرآن

الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة
مكتبة قسم الدراسات العليا
الرقم العام ١٤٦١٤
الرقم الخاص

ألفه
الإمام السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسي
من كبار علماء الإمامية المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية

الجزء الأول
من اثني عشر جزءاً

١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م

مكتب شيخ الجامع الأزهر

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الهداة الراشدين .

اما بعد فان كتاب " مجمع البيان لعلوم القرآن " الذى الفه الشيخ العلامه ثقة الاسلام ابو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى من علماء القرن السادس الهجرى . هو كتاب جليل الشأن . غزير العلم كثير الفوائد . حسن الترتيب . لا احسبنى مبالغا اذا قلت انه فى مقدمة كتب التفسير التى تعد مراجع لعلومه وبحوثه .

ولقد قرأت فى هذا الكتاب كثيرا . ورجعت اليه فى مواطن عدة . فوجدته حلال معضلات . كشاف مبهمات . ووجدت صاحبه - رحمه الله - عميق التفكر . عظيم التدبر . متمكنا من علمه . قويا فى اسلوبه وتعبيره شديد الحرص على ان يجلى للناس كثيرا من المسائل التى يفيدهم علمها

فاذا قامت اليوم . جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية " - ولى شرف المساهمة فى تأسيسها واعمالها - باحياء هذا التفسير الجليل . فانه لعمل من الباقيات الصالحات آمل ان يثيبنا الله عليه . ويثيب كل معين على اتمامه . ثوابا حسنا " والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير امـلا "

القاهره (٤ من ذى القعدة سنة ١٣٧١
(٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢

شيخ الجامع الازهر
ووكيل جماعة التقريب بين المذاهب
الاسلامية

عبد المجيد سليم

صورة كتاب المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر إلى دار التقريب بين المذاهب الإسلامية مشيراً بإحياء هذا الكتاب

=((القســـــــــم الأول))=

وفيـــــه بابـــان :

البـــاب الأول : الشيعـــة والتشيع . فـــرق وعقائـــد .

البـــاب الثاني : الطـــبرســـي ومنهجـــه في التفســـير .

الباب الأول

الشيعة والتشيع . فرق وعقائد

وفيه فصلان :

الفصل الأول : نشأة التشيع وتطوره وأهدافه .

الفصل الثاني : فرق الشيعة ومعتقداتهم .

الفصل الأول
نشأة التشيع وتطوره وأهدافه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأة التشيع وظهوره .

المبحث الثاني : تطور الفكر الشيعي وتفاوت الشيعة في تشيعهم .

المبحث الثالث : الهدف من وراء التشيع وأثر الدخل القديمة فيه .

المبحث الأول
نشأة التشيع وظهوره

تمهيد :

بعث الله عز وجل رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - في الأميين العرب، وهم متنافرون متناحرون ، مشتتوا الشمل ، دأبهم الفوضى والاختلاف والفرقة ، فلم تكن لهم دولة تجمع شملهم ، ولا شريعة تضبطهم ، فكانوا يرون الطاعة ذلة ومهانة ، والشقاق مكرمة ومفخرة ، ويمثل ذلك الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي بقوله :

" وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا "[1].

وقد استولت العصبية العمياء على قلوبهم ، فكان الشخص منهم يوالي قبيلته مؤلاة عمياء ، يستقيم مع قبيلته اذا استقامت ، وينحرف معها اذا انحرفت ويجور معها اذا جارت ، يمثل ذلك قول دريد بن الصمة :

" وما أنا الا امرؤمن غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد "[2].

فجاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم في تلك الحالة ، فدعاهم الى عبادة الله وحده ، وأمرهم أن يتحلوا بمكارم الأخلاق من العدل والاحسان والطاعة ، ونصرة المظلوم ، وصلة الأرحام والبر والتقوى ، ورباهم على الطاعة والنظام ووحدة الكلمة ، وحذرهم من الشقاق والفرقة وشق عصا الطاعة .

والآيات القرآنية والأحاديث ، تؤكد هذا المعني . قال تعالى :" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٢٣ .

(٢) الاصمعيات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي ، بتحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ص ١٠٧ .

قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانـــا " .[1]

وقال صلى الله عليه وسلم :" ان أمر عليكم عبد مجدّع أسود ، يقودكم بكتاب الله ، فاسمعوا له وأطيعـــوا ".[2]

فما لبث أن هاجر الى المدينة حتى أقام صلى الله عليه وسلم دولة الاسلام بعد ما آخى بين المهاجرين والأنصار لتتم الألفة والوحدة والطاعة بينهم .

ولم يلتحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، الاّ بعد أن دانـــت له الجزيرة ودخل أهلها فى الاسلام .

وكان صلى الله عليه وسلم ، لا يسمح أن تتسرب النعرات الجاهلية الـــى صفوف أتباعه المؤمنين ، بل كان يحسم دابرة الشقاق قبل أن يتفاقم ويستشـــرى فساده ، فكان يقتل الفتنة فى مهدها ،وكان يقول كلما أحسّ باثارةالعصبيات : " ما بال دعوى جاهلية ... دعوها فانها منتنـــة " .[3]

وقد عقل المسلمون منه ذلك ، فكانوا متحابين متناصرين متعاضديـــن متطاوعين ، فلم يحدث فى حياته بين المسلمين أى شقاق .

فلما التحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، بقيت الأمة على مـــا عهدهم به صلى الله عليه وسلم ، من التماسك والتناصر ، ولم يحدث بين الأمـــة ـ اثر وفاته ـ أى خلاف ، الا ما كان فى مكان دفنه ، وفيمن يلى الخلافة بعـده ، فلم يلبث أن حسم هذا الخلاف ، فدفن صلى الله عليه وسلم فى بيته حيث قبـض فيه ، واتفقت كلمة المهاجرين والأنصار على اختيار أبي بكر الصديق ـ رضي الله[4]

---

(١) سورة آل عمـــران الآيـــة ١٠٣ .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الامارة ١٤٦٨/٣ ، نسخة محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) صحيح البخارى ، مع الفتح ،٦٤٨/٨ حـ ٤٩٠٥ .

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ٦٦٣/٢ .

عنه - للخلافة ، لكونه أفضل الصحابة وأقدمهم سلما وأعلمهم بالكتاب والسنة ، فقام بأمر الدين أتم قيام وحارب المرتدين حتى فاءوا الى أمر الله ، (١) ثم عهد بالخلافة الى عمر الفاروق ، فقام عمر بأمر الدين حتى ضرب بجرانه ، ولم يحدث في عهد الشيخين أي شقاق يهدد وحدة المسلمين وجمع كلمتهم . (٢)

ثم تولى الخلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وكان في الصدر الأول من خلافته ، اليمن والبركة ، حيث اتسعت رقعة الاسلام ، وعامل الناس بالتسامح ولين الجانب ، ثم حصلت في آخر خلافته فتن ، كقطع الليل ، دبرها أعداء الاسلام والمسلمين ، لوقف المد الاسلامي ، فقتل عثمان - رضي الله عنه - في تلك الفتن مظلوما ، وكسر باب الفتنة على الأمة وسل عليهم السيف . (٣)

ثم بويع عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالخلافة في هذه الظروف الحرجة ، التي صاحبت مقتل عثمان ، والنفوس هائجة ثائرة ، فلم يستقم له الأمر ، واختلف الناس فيه ، فمنهم من بايعه وناصره ، ومن توقف عن نصرته وتأييده ، ومنهم من حاربه واتهمه بايواء قتلة عثمان ، كأهل الشام من معاوية وأنصاره. وقد بعث علي رضي الله عنه كتابا إلى معاوية يطلب منه أن يبايعه ، ولكن معاوية رضي الله عنه اعتذر عن مبايعة علي حتى يقتل قتلة عثمان رضي الله عنه أو يسلم اليه قتلة عثمان ، واعتذر علي عن ذلك ، بأنه لا يستطيع ذلك حتى تهدأ الفتن وتقوى شوكته (٤) ثم حصلت معركة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وجاءت إثرها حادثة التحكيم.

وتمخضت من هذه الأحداث كلها ، ظهور فرقتين غاليتين ، وهما الخوارج والشيعة السبئية ، وهما في طرفي نقيض في الافراط والتفريط ، وكلا الفريقين ظهر من جيش عليّ (رضي الله عنه) .

---

(١) انظر: مقالات الاسلاميين للأشعري ١ / ٤٢ .

(٢) انظر: المصدر نفسه ١ / ٤٧ .

(٣) انظر: المصدر نفسه ١ / ٤٩ .

(٤) انظر: البداية والنهاية ٧ / ٢٦٥

فأما الخوارج : فنابذوا عليّا وكفّروه وحاربوه هو وسائر الأمة ، وقد كفّروا عليّا بحجة أنه حكم الرجال ، ولا حكم الاّ لله ، وابتدعوا عقائد وتعاليم غريبة على الاسلام التى لا مستند لها من الكتاب والسنة .(١)

وأما الشيعة السبئية : فقد غلوا فى عليّ - رضي الله عنه - حتى ألّهوه ، ثم انهم أظهروا طعن الصحابة وسبهم ، وعلى رأسهم الشيخان أبوبكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وابتدعوا عقائد جديدة ، لا تمت الى الاسلام بصلة كعقيدة الرجعة والوصاية .

وكان مع كل من على ومعاوية رضى الله عنهما من ينصره ويشيعه فى حروبه ولكن لم يكن بينهم اختلاف فى العقائد والمبادئ ، بل كان الخلاف بينهم فى أمور اجتهادية : وهى تسليم قتلة عثمان أولا كما هو طلب معاوية . ورأى على أن القصاص لا يمكن إلا بعد أن تهدأ ثائرة الفتنة ، فلا بد من البيعة أولا . وكلهم ماجورون فى ذلك : للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد .

وقد كان يطلق على هؤلاء شيعة على وأنصاره ، كما كان قد يطلق على أولئك شيعة معاوية وأنصاره . ولكن اطلاق كلمة الشيعة على أهل الصدر الأول من الصحابة وخيار التابعين - إن حصل - لا يراد به إلا على معناها اللغوى الاصلى الذى هو بمعنى الاتباع والانصار .

معنى الشيعة لغة واصطلاحا :

والشيعة فى اللغة : أتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها شيّع ، وأصل الكلمة من المشايعة ، وهي المطاوعة .(٢)

وقال الزبيدى - صاحب تاج العروس - : " كل قوم قد اجتمعوا على أمر ، فهم الشيعة ، ومن عاون انسانا وتحزب له ، فهو شيعة له ، وأصله من المشايعة ، وهي المطاوعة والمتابعة " .(٣)

---

(١) انظر : المقالات للأشعرى ١ / ٥٤ - ٦٤ .

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور الافريقي ، مادة "شيع" ٨ / ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) تاج العروس للزبيدى ٥ / ٤٠٥ .

وقال الفيروزآبادى :" شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث " .(١)

من هذا نفهم أن كلمة الشيعة تأتى بمعنى الأنصار والأتباع والفرقة ، والكلمة لا تدل فى حد ذاتها مدحا ولا ذما ، فان كانت المطاوعة والمتابعة على حق فنعمت ، وان كانت على باطل فبئست المطاوعة والمتابعة .

وبذلك نعلم عدم دقة الطبرسي ومجازفته فى تعريف الشيعة لغويا ، حيث قال :" والتشيع هو الاتباع على وجه التدين "(٢) ، وهذا غير صحيح ، لأن المشايعة قد تكون على وجه التدين ، وقد لا تكون ، كالمشايعة على العصبية . والطبرسي ما كان يجهل معنى هذه الكلمة ، غير أنه يريد أن يكسو الكلمة قداسة دينية .

معنى الشيعة اصطلاحا :

قد عرّفت الكلمة اصطلاحا بعدة تعاريف ، بعضها أعم من بعض وأكثر أداء للمعنى المراد من الكلمة .

قال ابن الأثير :" وأصل الشيعة الفرقة من الناس ... وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى عليا وأهل بيته ، حتى صار اسما خاصا لهم "(٣) .

وقال الأشعرى :" وانما قيل لهم الشيعة ، لأنهم شايعوا عليا - رضوان الله عليه ، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -"(٤) .

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادى ٣ / ٤٩ .

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ٣١٥ .

(٣) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ٥١٩ .

(٤) مقالات الاسلاميين للأشعرى ١ / ٦٥ .

وهذان التعريفان عامان حيث يشملان الشيعة التفضيلية كالزيدية والشيعة السبئية كالروافض.

وقد عرّف الشهرستاني الشيعة تعريفا أخصّ ، حيث قال : " الشيعة هم الذين شايعوا عليّا - رضي الله عنه - على الخصوص ، وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية ، اما جليا واما خفيا ، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من ولده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو تقية من عنده " . (١) وهذا التعريف ينطبق على الشيعة الذين أخذوا تعاليم عبد الله بن سبأ كالروافض.

وقوام المذهب الشيعي - كما قال ابن خلدون - : " أن الامامة ليست من المصالح العامة ، التي تفوض الى نظر الأمة ، ويتعين القائم بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ، ولا يجوز لنبي اغفاله ، ولا تفويضه الى الأمة ، بل يجب تعيين الامام لهم ، ويكون معصوما من الكبائر ، وأن عليا هو الذى عينه صلوات الله وسلامه عليه ... " . (٢)

هذا هو المعنى الاصطلاحى لهذه الكلمة ، غير أن إطلاق الشيعة على أهل الصدر الأول من أنصار علي ومعاديه الذين لم يتبنوا عقائد تخالف عقائد أهل السنة ، لم يتجاوز المعنى اللغوى الذى هو بمعنى الأنصار والأتباع .

متى وأين ظهر التشيع ؟ :

اختلفت الآراء والأقوال فى تحديد بداية ظهور التشيع اختلافا لا مثيل له بالنسبة للفرق الأخرى ، وذلك أن عقائد الفرق الأخرى ظهرت وثيقة الاتصال بالأحداث التاريخية ، كفرقة الخوارج التى ظهرت اثر حادثة التحكيم بعد معركة صفين ، والجهمية التى ظهرت على يد جهم بن صفوان ، وكفرقة المعتزلة التى يرجع جذورها الى اختلاف واصل بن عطاء مع شيخه الحسن البصرى فى حكم مرتكب

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٤٦ .

(٢) المقدمة لابن خلدون ١٧٥ .

الكبيرة ، ثم اعتزل مجلس البصرى ، فسمي من تبع واصل بن عطاء على فكرتـــه : المعـتزلة .

أما التشيع ، فقد كانت عدة حوادث تاريخية كان لها أثر بالغ فى تطـــور المذهب الشيعي وظهوره ، ولهذا اختلف الباحثون فى تحديد ظهور التشيّع.

وقبل أن تستعرض الأقوال فى تحديد وتعيين ظهور التشيع ، نريـــد أن نلفت الأنظار الى قول شاذ سخيف ،تبناه بعض علماء الشيعة الاماميـــة ولا سيما المعاصرون منهم ، وهو ارجاع جذور التشيع الى عهد الرسول ـ صلـى الله عليه وسلم ـ .

ويزعم هؤلاء : أن التشيع بدأ مع بداية الرسالة ، وترعرع فى أحضانهـــا ، ونادى بها صاحب الرسالـــة .

ونفهم هذه الفكرة من كلام النوبختى الشيعي ، حيث قال :" فأول الفـرق الشيعة ،وهم فرقة عليّ بن أبى طالب ـعليه‌السلام ـ المسمون شيعة عليّ فـــى زمان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المعروفون بانقطاعهم اليه والقول بامامته"(١).

ويقول محمد الحسين آل الكاشف الغطاء ـأحد علمائهم ـفى هذا العصر: " ان أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام ، هو نفس صاحب الشريعـــة الاسلامية ،يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام ، جنبا الى جنـــب، وسواء بسواء ، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى والعناية ، حتى نمـــت وازدهرت فى حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته ".(٢)

ويوافقه على هذا البهتان شيعى آخر وهو محمد جواد مغنيـــة ، حيـث قال :" ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى بعث عقيدة التشيع وأوجدها ، ودعا الى حب عليّ وولائه ، وأول من أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومريديـــه ،

---

(١) فـــرق الشيعة للنوبختى ص ١٧ .

(٢) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٨٢ .

ولولاه لم يكن للشيعة والتشيع عين ولا أثـــر " .[١]

وهذا الكلام باطل ، يعلم بطلانه بضرورة العقل والدين ، فكيف يتصـــور أن يدعو النبي - صلى الله عليه وسلم - الى التفرق والتحزب ، وهو يتلو قولـــه تعالى :" ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ " .[٢]

وعلماء الشيعة انما لجأوا الى هذا الزعم لنقض دعوى خصومهم القائمة علـى رد اعتقادات الشيعة الى أصول أجنبية ، كاليهودية أو ديانة الفرس القديمة .

ونشأة الفـرق دائما وليدة أحداث تاريخية وسياسية تتباين مواقـــــف المسلمين تجاهها ، أما فى عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم تحـــــدث خلافات تؤدى الى ظهور الفرق .[٣]

يقول الأستاذ احسان الهي ظهير - رحمه الله - فى رد فكرة ارجاح التشيع الى عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -:" ولا يخفى ما فيه من المجازفة بالقـول والغلو ، لأن معناه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يدع الى الاســـلام والى وحدانية الله عز وجل ، والاقرار برسالته وطاعته ، والى الاتحاد والتآلـــف والمحبة والمودة ، بل كان يدعو الى التحزب والتفرق والتشيع لعلـيّ دون غيره ..."[٤]

واذا استبعدنا هذا الرأى الجائر - الذى يزعم أن التشيع ظهر فى عهـد النبي - صلى الله عليه وسلم - فهناك عدّة أقوال فى تحديد ظهور التشيع :

القـــول الأول :

ذهب فريق من الباحثين الى أن التشيع ظهر اثر وفاة النبي - صلى اللـــه

---

(١) الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنّية ص ١٧ .
(٢) سورة الأنعـــام الآيـة ١٥٩ .
(٣) انظر : نظرية الامامة ص ٢١ .
(٤) الشيعة والتشيع فرق وتاريخ للأستاذ الشهيد احسان الهي ظهيرص ٢٠ .

عليه وسلم - وما أعقبها من خلافات حول اختيار الامام . فالأنصار رأوا أنهم أحق بالخلافة من غيرهم ، لأنهم آووا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونصروه. والمهاجرون كذلك رأوا أن الأئمة منهم ، لحديث : " الأئمة من قريش" . وهناك من بنى عبد مناف من كان يقدم عليّا للامامة عصبية ، كالعباس وأبى سفيان .

وهذا الرأى يفهم من كلام النويختى ، حيث قال : " قبض النبي - صلى الله عليه وسلم - فى شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة ... الى أن قال : " .... فافترقت الأمة ثلاث فرق . - فرقة منها - سميت الشيعة ، وهم شيعة عليّ بن أبى طالب - عليه السلام - ومنهم افترقت صنوف الشيعة ، (وفرقة منهم) ادعت الامرة والسلطان ، وهم الأنصار ، ودعوا الى عقد الأمر لسعد بن عبادة الخزرجي . (وفرقة منهم " مالت الى بيعة أبى بكر بن أبي قحافة ، وتأولت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم ينص خليفة بعينه ، وأنه جعل الأمر الى الأمة تختار لأنفسها من رضيته ... " .[1]

ويميل أحمد أمين الى مثل هذا الرأى . فيقول : " كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا - بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه ، وأولى أهل البيت العباس - عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وعليّ ابن عمه ، وعليّ أولى من العباس ."[2]

وهذا كلام غير صحيح ، لأنه لم يوجد بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - من يزعم أن عليّا أولى الناس بالخلافة ، وأنه أفضل الصحابة ، ولكن هناك من كان يميل الى عليّ ، ويرغب فى أن يتولى الخلافة ، كالعباس بن عبد المطلب ، وأبي سفيان بن صخر .

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى ص ٢ ، ٣ .

(٢) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٦٦ .

القـــول الثانـــي :

ويرى فريق آخر من الباحثين من أصحاب الفرق والمقالات ، ومن المؤرخـين ، أن التشيع ظهر فى أواخر عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - اثر الفتن التى قام بها عدو المسلمين والاسلام : عبد الله بن سبأ .

فالملطـي فى كتابه " التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع " يجعـــل السبئية على رأس فرق الامامية ، ونسب اليهم نشأة التشيع". (١)

القـــول الثالـــث :

ذهب فريق من الباحثين - أيضا - الى ارجاع تاريخ التشيع الى وقعة الجمل ، وفى مقدمة هؤلاء : ابن النديم الشيعي ، حيث قال : " ولما خالف طلحة والزبير ، على عليّ - رضي الله عنه - وأبيا الاّ الطلب بدم عثمان ، وقصدهما عليّ - عليـه السلام - ليقاتلهما حتى يفيئا الى أمر الله ، تسمى من اتبعه على ذلك باســم الشيعـــة ". (٢)

القـــول الرابـــع :

ويذهب فريق رابع من الباحثين ، الى ربط بداية التشيع بفاجعة كربـــلاء ، والتى انتهت بمقتل الحسين بن علي - رضي الله عنه - ويقول أصحاب هـــذا الرأى :" ان استشهاد الحسين فى كربلاء يمثل نقطة تحول هام فى التاريـــخ الفكرى والعقائدى للشيعة . وأهمية هذه الحادثة لا تعود الى أنها أذكت حماس الشيعة ، ووحدت صفوفهم ، بل تعود أهميتها الى أن التشيع بعدها تحول من مجرد رأى سياسي الى عقيدة راسخة فى نفوس الشيعة ". (٣)

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص ٢٥ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٣٣ .

(٣) انظر: دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة للدكتور أحمد محمد أحمد جلى ص ٩٧ .

والذى يترجح لدينا من هذه الأقوال أن التشيع ظهر فى أواخر عهد عثمان - رضي الله عنه - على يد عبد الله بن سبأ ، ولكن لم يصلب عوده الا بعد معركة صفين ، ثم شهد تطورا ملموسا بعد مقتل الحسين ، ثم اكتملت مراحله واتضحت معالمه فى عهد الصادق علىٰ أيدى تلامذته كهشام بن الحكم.(١)

وهذا هو قول ابن حزم بعينه الذى نص فيه على ظهور التشيع متأخرًا : فقال « فإن الروافض ليسوا من المسلمين ، وانما هي فرقة حدثت أولها بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - بخمس وعشرين سنة ".(٢)

والتشيع انما ظهر فى أول أمره فى مصر فى أواخر عهد عثمان - رضي الله عنه - بسبب دعوة عبد الله بن سبأ ، فقد وجد مصر أرضا خصبة لدعوته ، وعمت العراق وخصوصا الكوفة ، واتخذت لها مستقرا ومقاما .

وسبب كون العراق مقاما للشيعة :

أولا : كون علىّ بن أبي طالب أقام بها مدة خلافته ، والتقى فيها بالناس.

ثانيا : كون العراق ملتقى حضارات قديمة ، ففيه علوم الفرس ، وعلوم الكلدان ، وبقايا حضارات الأمم ، وقد امتزجت هذه الحضارات ، وتلك الأفكار فى العراق ، فكان المنبت الذى نبت فيه أكثر الفرق الاسلامية .

فالعراق كان مزدحم الأراء والمعتقدات من قديم ، فكان لابد أن تنشأ فيه المذاهب السياسية ، والمذاهب الاعتقادية ، فلا غرابة أن تنمو الأفكار الشيعية فى بيئته .(٣)

---

(١) هو أبومحمد الشيباني من أهل الكوفة ، سكن بغداد ، وكان من كبار الرافضة ومشاهيرهم ، وكان مجسما يزعم أن ربه طوله سبعة أشبار ، بشبر نفسه ويزعم أن الله محدث ، وكان من أصحاب جعفر الصادق ، ومات بعد نكبة البرامكة بمدة مستترا ، ويقال عاش الى خلافة المأمون .
لسان الميزان لابن حجر ٦ / ١٩٤ .

(٢) الفصل لابن حزم ٢ / ٢١٣ .

(٣) المذاهب الاسلامية لمحمد أبوزهرة مع التصرف فى النص ص ٥٥ ، ٥٦ .

المبحث الثاني
تطور الفكر الشيعي وتفاوت الشيعة في تشيعاتهم

قد مر بنا قريبا اختلاف الباحثين في تحديد ظهور التشيع ، وهذا الاختلاف يرجع الى كثرة الأحداث التي كان لها أثر بالغ في تكوين التشيع وتطويره ، كما يرجع هذا الاختلاف أيضا الى تفاوت الشيعة في تشيعاتهم .

فمن الشيعة من اقتصد في تشيعه ، فعرف لعلي حقه ، ولم يرفعه فوق منزلته ، ولم ينقص من قدر الصحابة ، بل ولم يفضله على الشيخين ، بل كانوا يقدمون الشيخين عليه ، ولكنهم ربما كانوا يفضلون عليا على عثمان رضي الله عنهما.

ويمثل موقف هؤلاء : شريك بن عبد الله الكوفي النخعي التابعي ، فانه كان يفضل أبابكر وعمر على عليّ ، فقيل له أنت من شيعة عليّ ، وأنت تفضل أبابكر وعمر؟ . فقال : " كل شيعة عليّ على هذا ، هو يقول على أعواد هذا المنبر - يعني عليا - : خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ، أفكنا نكذب عليه والله ماكان كذابا " .(١)

ومن الشيعة أيضا من لم يبالغ في تشيعه ولم يتجاوز الحد ، فاقتصر على تفضيل عليّ على سائر الصحابة - بما فيهم الشيخان - ، ولكنهم لم يتعرضوا لسبهم ولا شرعوا في طعنهم ولا في تفسيقهم ، فضلا عن تكفيرهم ، وهؤلاء يسمون الشيعة التفضيلية ، كأبي الأسود الدؤلي ، وكتلميذه أبي سعيد يحي بن يعمر ، وكعبد الرزاق ، صاحب المصنف ، وكزيد بن علي بن الحسين .(٢)

ومن الشيعة من غلا في تشيعه وطعن في الصحابة وفسقهم وكفرهم وتبرأ منهم الا النزر اليسير ، وهؤلاء هم السبئية .(٣)

---

(١) كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٣٢ .
(٢) انظر: مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٥ .
(٣) المصدر نفسه ص ٦ .

ومنهم من تجاوز حدود العقل والشرع فى تشيعه ، وبلغ به الغلو أن ألّهو عليا ، واتخذوه الها يعبد من دون الله [١] - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - .

من هنا نفهم أن التشيع مر بمراحل ، فبدأ أولا بمشايعة عليّ ونصرته على من نازعه ، كأمثال معاوية من غير سب للصحابة ، أو تكفيرهم ، ولم يكن بين شيعة عليّ المخلصين وبين أنصار معاوية وشيعته اختلاف فى الاعتقاد وانما كان الخلاف بينهم فى أمور اجتهادية كما سبقت الاشارة اليها قريبا.

وبعد ذلك تطور التشيع وتغيرت الشيعة ، وتأثروا بأفكار يهودية ومجوسية ونصرانية ، وعقائد مدسوسة مدخولة ، وبلغ التشيع ذروته على أيدى تلامذة الصادق المتكلمين ، ومن أبرزهم هشام بن الحكم (المتوفي سنة ١٩٠هـ) ، وهو الذى يقول عنه ابن النديم الشيعي : " أنه ممن فتق الكلام فى الامامة ، وهذّب المذهب والنظر ، وألف فى هذا المقام كتاب : " الامامة " ، وكتاب الرد على من قال بامامة المفضول ، وكتاب الرد على من أنكرها " [٢] .

ويقول الحافظ الذهبي (المتوفي سنة ٧٤٨هـ) : " ان الشيعي الغالي فى زمان السلف ، هو من يتكلم فى عثمان ، والزبير وطلحة ومعاوية ، وطائفة ممن حارب عليّا وتعرض لسبهم ، والغالى فى زماننا وعرفنا هو الذى يكفر هؤلاء السادة ، وتبرأ من الشيخين أيضا " [٣] .

وفى هذا العصر تطور التشيع حتى قرر بعض علماء الشيعة فى هذه العصور أن ما كان يعد غلوا فى السابق أصبح الآن من ضروريات المذهب" [٤] .

---

(١) انظر: مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٩ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٦ .

(٤) انظر: المنتقى لابن تيمية ، بتحقيق محب الدين الخطيب (الهامش) ص ١٩٣ .

فسب الصحابة وتكفيرهم والغلو فى الأئمة وتأليههـــم ، أصبح من ضروريـات مذهب الشيعة الروافض اليوم .

قال المامقانـي ـ صاحب تنقيح المقال الرافضي ـ : " ان جملة كثيرة ممـــا نعتقده فى حق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأئمة اليوم كان يرمى المعتقـــد به فى سالف الزمان بالارتفـاع والغلـــو " .(١)

* * *

* *

*

---

(١) تنقيح المقال للمامقانى ١/٢٠٨ .

المبحث الثالث
الهدف من التشيع وأثر النحل القديمة فيه

لم يقتصر التشيع على مدلوله اللغوى ، الذى هو بمعنى المناصرة والمتابعة ، بل أصبح التشيع - كما قال أحمد أمين - : " مأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الاسلام ، لحقد أو عداوة ، ومن كان يريد ادخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية ، وزردشتية (١) ، وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده . (٢)

ولم يكن هدف كل من انتظم فى سلك التشيع ، نصرة علىّ وأولاده ، بل كان لأكثر من تشيع مآرب خبيثة ، ما كانوا ببالغيها الاّ باظهار التشيع والتمسح بحب آل البيت ونصرتهم ، وهذا الهدف هو هدم الاسلام من الداخل .

وسبب ذلك أنه لما امتد الاسلام وكثرت الفتوحات وبسط الاسلام رواقه على مملكة فارس والروم - فى عهد الخلفاء الثلاثة - نقم بعض أهل تلك البلاد المفتوحة الذين لم يدخل الايمان فى قلوبهم ، على الاسلام ، وضاقوا بالمسلمين ذرعا ، ووغرت صدورهم بغضا للاسلام وأهله ، وفى مقدمتهم الشيخان وسائر الصحابة ، ورأوا أن الفاتحين انما أتوا لازالة ملكهم واذهاب سلطانهم ، وكانوا ينشدون بأمجاد دولتهم الفرس والروم ، آملين عودتها ، ولكن هيهات أن يعود ملك كسرى الذى مزقه الله شر ممزق ، استجابة لدعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم . (٣)

---

(١) نحلة أحدثها قبل الاسلام فى الفرس رجل يسمى زردشت ، وادعى أنه نبي مرسل أرسله مزدا (أى الاله الذى كانت تعتقده الفرس) .
ومن عقائد الزردشتيه : الصراع بين الروحين : روح الخير وروح الشر . النور والظلمة أصلان متضادان : انبثق عن امتزاج النور مع الظلمة : الخير والشر . وهم يقدسون النار الى درجة أنهم لا يغسلون به وجوههم . انظر : " وجاء دور المجوس" لعبد الله محمد الغريب ص٢٢ ، ٢٣ .
(٢) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٧٦ .
(٣) انظر: صحيح البخارى مع الفتح ١/١٥٤ حـ ٦٤ .

وأيقن هؤلاء أنهم لا يستطيعون محاربة أهل الاسلام بالسيف ، فعمدوا الى حيلة أخرى فى محاربة الاسلام ، وهذه الحيلة هي افساد عقائد المسلمين التى هي مصدر قوتهم ، وعمدوا أيضا الى تفريق المسلمين وصدع صفوفهم وتمزيق وحدتهم ، وأزمعوا الرأى فى أن يتظاهروا بالاسلام ويبطنوا الكفر والكيد له . ورأوا أن أنجع الوسائل فى تحقيق هدفهم هو التظاهر بحب أهل البيت ونصرتهم .

وكأنهم اختاروا لتنفيذ هذا المخطط الاجرامي شخصية خبيثة من منبت سوء ، ألا وهو عبدالله بن سبأ اليهودى ، فمثله فى الاسلام كمثل بولص فى النصرانية ، فهذا دخل النصرانية ليفسد على النصارى دينهم ، حيث أحدث لهم عقيدة التثليث وبنوة عيسى لله ، وذاك دخل الاسلام ليفسد على المسلمين دينهم ، ولكن لم يتأت لابن سبأ ما تأتى لبولص ، لضعف دين النصارى وعقلهم ، وقوة أهل الاسلام فى دينهم ورجاحة عقولهم وعمق ايمانهم ودقة فقههم لدينهم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :" ذكر غير واحد منهم - أى من أهل العلم - أن أول من ابتدع الرفض ، والقول بالنص على عليّ وعصمته ، كان منافقا زنديقا أراد افساد دين الاسلام ، وأراد أن يصنع بالمسلمين ما صنع بولص بالنصارى ، لكن لم يتأت ما تأتى لبولص لضعف دين النصارى وعقلهم ، فان المسيح - صلى الله عليه وسلم - رفع ولم يتبعه خلق كثير يعلمون دينه ويقومون به علما وعملا ، فلما ابتدع بولص ما ابتدعه من الغلو فى المسيح ، اتبعه على ذلك طوائف ، وأحبوا الغلو فى المسيح ... وهذه الأمة ولله الحمد لا تزال فيها طائفة ظاهرة على الحق ، فلا يتمكن ملحد ولا مبتدع من افساده بغلو أو انتصار على الحق ، ولكن يضل من يتبعه على ضلاله ". (١)

ويقصد شيخ الاسلام بذلك المبتدع الزنديق عبدالله بن سبأ ، فهو الذى

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٣ / ٢٦٢ .

أحدث القول بالوصية والرجعة ، وهو الذى زعم أن عليّا لم يقتل ، وأن فيه جزءا الهيا ، وأنه هو يجئ فى السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه لابد أن ينزل الى الأرض ، فيملأها عدلا كما ملئت جورا " .(١)

ويقول الطبرى فى ابن سبأ :" كان عبدالله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل فى بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم ، فقال لهم فيما يقول :" العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل :" ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد"(٢) ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ، فقبل ذلك منه ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك :" انه كان ألف نبي ، ولكل نبى وصي ، وكان على وصى محمد ، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء " .(٣)

وتلك العقائد التى ابتدعها ابن السوداء(☆) ، هي دعائم عقائد الشيعة حتى الآن ، مما يؤكد أن عقيدة الشيعة وليدة اليهودية .

وقد قام بعض علماء الشيعة فى هذا العصر بمحاولة فاشلة ، وهي التشكيك فى وجود شخصية عبدالله بن سبأ ، حيث زعموا : " أن عبدالله بن سبأ ، ومجنون ليلى بن عامر ، وأبا هلال ، وأمثال هؤلاء الرجال أو الأبطال أحاديث خرافة وضعها القصاصون وأرباب السمر " .(٤)

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم ٥/٣٦ وانظر رجال الكشى ص ١٧

(٢) سورة القصص الآية ٨٥ .

(٣) تاريخ الامم والملوك للطبرى ٤/٣٤٠ .

(٤) أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٣٥ .

☆ ابن السوداء: هو عبدالله بن سبأ

وما حمل علماء الشيعة المعاصرين على انكار وجود ابن السوداء الا التهرب من العار الذى طالما طعن به الرافضة ، من أن دينهم مأخود من اليهودية ولا يمت الى الاسلام بصلة .

ولكن انكارهم لوجود شخصية ابن السوداء لا يستند الى دليل ، بل هو مكابرة ، وقلب للحقائق ، وانكار للأحداث التاريخية المقطوع بوقوعها، فالتشكيك فى وجود ابن سبأ وانكار دوره فى احداث الفتن كانكار الشمس فى رابعة النهار.

وليس يصح فى الأذهان شئ اذا احتاج النهار الى دليل .

ويتفق مشاهير العلماء من المؤرخين وأصحاب المقالات والفرق ، من السنة والشيعة ، وعلماء الرجال ، على ذكر عبد الله بن سبأ ، وأنه شخصية خبيثة ظهرت فى المجتمع الاسلامي ، ليضل المسلمين عن دينهم تحت ستار التشيع والتمسح بحب آل البيت والتباكي لهم . (١)

ومن الغريب أن جلّ من انتظم فى سلك التشيع أهل فارس ، وكان من وراء تشيعهم عدة أمور :

الأول :

الكيد للاسلام وأهله والانتقام منهم بافساد عقائدهم وزرع البلبلة فى صفوفهم وذلك بعد ما مزق المسلمون ملكهم وشتتوا شملهم .

قال ابن حزم :" والأصل فى خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم ، وجلالة الخطر فى أنفسهم ، حتى أنهم كانوا يسمون الأحرار والأبناء ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا ، تعاظمهم الأمر

---

(١) انظر: على سبيل المثال ، ميزان الاعتدال للذهبي ، فقد قال فيه : "عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ، ضال مضل " . ميزان الاعتدال ٢/٤٢٦ وانظر: رجال الكشي ص ١٠٦ ، فقد ذكر ابن سبأ .

وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراء مواكيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، ففى كل ذلك يظهر الله تعالى الحق ... فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستساغ ظلم علىّ - رضي الله عنه - ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى ، حتى أخرجوهم عن الاسلام ".(١)

الثانى :

أن الفرس استساغوا عقيدة التشيع ومالت اليها أنفسهم لموافقتها على ما ألفوه من تقديس الأسرة الحاكمة والبيت الملكي ، وذلك أن الفرس يدينون بالملك وبالوراثة فى البيت المالك ، ولا يعرفون معنى لانتخاب خليفة ، بخلاف العرب الذين يدينون بالحرية ، وقد مات صلى الله عليه وسلم ولم يترك ولدا ، فأولى الناس بعده - حسب نظرة الفرس - ابن عمه علىّ بن أبى طالب ، فمن أخذ الخلافة بعده كأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، والأمويين ، فقد اغتصبها من مستحقها ، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا الى الملك نظرة فيها معنى التقديس ، فنظروا هذا النظر نفسه الى علىّ وذريته ، وقالوا : " ان طاعة الامام أول واجب وطاعته طاعة الله تعالى .(٢)

الثالث :

أن هناك اتفاقية ومصادفة عجيبة رغبت أهل فارس فى التشيع والتعصب لنسل الحسين والتشبث بهم دون نسل الحسن - رضي الله عنهما - وهي أن ابنة يزدجرد ملك فارس " شهربانو" ، التى جاءت مع أسرى الفرس تزوجها الحسين بن علىّ - رضي الله عنه - ، وأنجبت له علىّ بن الحسين ، الملقب :

---

(١) الفصل فى الملل والنحل والأهواء لابن حزم ٢/٢٧٣ .

(٢) انظر: فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٧٧ ، والمذاهب الاسلامية لأبي زهرة ص ٥٩ .

بزين العابدين ، فرأوا أن الدم الذى يجرى فى عروق زين العابدين ، وفى أولاده دم فارس من قبل أمه ، ابنة يزدجرد ملك ايران من سلالة الساسانيين المقدسين عندهم (١) .

من كل ذلك نفهم أن التشيع امتزج بالنحل القديمة من اليهودية والنصرانية والمجوسية ، حتى أصبح أقرب الى هذه النحل منه الى الاسلام ، كما أن لأكثر المتشيعين أهدافا خبيثة من رواء تشيعاتهم .

* * * * * * * * * * *

---

(١) أنظر الشيعة والسنة للاستاذ النصير إحسان الهرظهير ص ٥٥ ، ٥٦
قلت : هذا الرأى استنتاج منه واقع الإمامية الروافض ، ولكنهم يستدلون فى حصر الامامة فى ولد الحسين بقوله تعالى ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ . وحرموا الإمامة ولد الحسن عقوبة له لمصالحته مع معاوية حسب زعمهم ، فإن الرافضة قالوا الحسن رضى الله عنه لما صالح معاوية ﴿ يا مسود وجوه المؤمنين ﴾ فحرموا الامامة ولده لأجل ذلك .
والرافضة يذمون الحسن رضى الله عنه فى هذه المصالحة مع أن الرسول صلى الله مدحه تنبأ بهذا الصنيع الذى سيقوم به

الفصل الثاني
فرق الشيعة وعقائدها

وفيه : تمهيد وأربعة مباحث :

التمهيد : تصنيف فرق الشيعة الى أمهات رئيسة .

المبحث الأول : الغلاة .

المبحث الثاني : الكيسانية .

المبحث الثالث : الزيدية .

المبحث الرابع : الامامية .

التمهيـــــــد

تصديف فرق الشيعة الى أمهات رئيسة

كلمة الشيعة - كما ذكرنا سابقا - تجمع جميع الفرق التى تقول باما مـــــة عليّ نصا ووصاية ، وانتقالها الى ولده بعده ، ولكنهم مع ذلك اختلفوا وافترقوا حتى أصبح لكل فرقة منهم عقائد ومذاهب تباين عقائد الآخرين .

والسبب فى اختلافهم وتفرقهم الى فرق أمـــــران :

أولا : الاختلاف فى المبادئ والتعاليم ، فمن الشيعة الغالى ، الذى ينظر الى الأيمة نظرة فيها معنى التقديس والتأليه ، ويبالغ فى طعن الصحابة عامة ، والخلفاء الثلاثة خاصة ، حتى وصل به الأمر الى تكفيرهم وتفسيقهم ، ومنهم من توسط فى تشيعه ، وينظر الى الأئمة نظرة فيها الاعتدال ، فلم يؤلهوهم ، ولم يطعنوا فى الصحابة .

ثانيا : اختلافهم فى كيفية ثبوت الامامة لعليّ ، هل ثبتت امامته بالنـــص ، أو بالاشارة ؟ ، وكذلك اختلافهم فى سوق الامامة بعد عليّ وابنيه الحســـن والحسين (رضي الله عنهم جميعا) .

فمنهم من يقول ان الامامة ثبتت لعليّ بالنص ، ومن قائل بالوصـــــف ، ومن قائل : ان الامام بعد الحسين محمد بن الحنفية ، ومن قائل ان الامام بعد الحسين ابنه زين العابدين ، ومنهم من قال : ان كل فاطمـــــي عادل عالم شجاع يستحق أن يكون اماما[1] .

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ١٧٦ ، ١٧٧ .

قال الشهرستاني : " ولهم فى تعدية الامام كلام وخلاف كثير . وعند كل تعدية وتوقف مقالة ، ومذهب ، وخبط " .(١)

وقد تباينت طرق أصحاب الفرق والمقالات فى تصنيف فرق الشيعة الرئيسة . فالأشعرى قسم الشيعة الى ثلاث فرق رئيسة : الغلاة ، الروافض ، الزيدية ،(٢) وقسمهم الشهرستاني الى خمس فرق . وهم : كيسانية ، وزيدية ، وامامية ، وغلاة و إسماعيلية .(٣)

أما البغدادى فقد قسمهم الى أربع فرق . وهم : زيدية ، امامية ، كيسانية ، غلاة . وأطلق على جميعهم اسم الرافضة .(٤)

قلت : وإطلاق البغدادي لقب الرافضة على جميع فرق الشيعة بما فيهم الزيدية ليس بصحيح ، فإن الزيدية الأقحاح لا ينطبق عليهم لقب الرافضة .

وأرى أن تقسيم كبرى فرق الشيعة الى أربعة أقسام هو الأنسب ، وذلك أن الاسماعيلية التى عدّها الشهرستاني فرقة مستقلة يمكن ارجاعها الى الامامية ، وأن الكيسانية التى جعلها الأشعرى ضمن الروافض الامامية ، يمكن جعلها فرقة مستقلة ، لأن لها مميزات تميزها عن الشيعة الأخرى ، ولا سيما فى سوق الامامة .

لذا نجعل أمهات الفرق الشيعية أربعة :

١ - غلاة ٢ - كيسانية ٣ - زيدية ٤ - امامية .

فلكل من تلك الفرق سمات معينة وتعاليم خاصة تميزهم عن باقى الفرق الأخرى .

وسنتكلم بالتفصيل عن هذه الفرق الأربعة فى المباحث التالية :

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٤٧ .
(٢) انظر : مقالات الاسلاميين للأشعرى ١ / ٦٥ .
(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٤٧ .
(٤) انظر : الفرق بين الفرق ٢١ .

المبحث الأول
الغلاة

هناك من الشيعة طوائف يسمون الغلاة ، تجاوزوا حد العقل والايمان فى القول بألوهية هؤلاء الأئمة ، اما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الاله حلّ فى ذاته البشرية ، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى فى عيسى (صلوات الله عليه) .(١)

ويشير الشهرستاني الى أن الغلاة قالوا هذه المقالة النكراء من أجل تأثرهم بمذاهب الحلولية ، ومذاهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى ، اذ اليهود شبّهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبّهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الالهية فى حق بعض الأئمة ".(٢)

فالشيعة الغلاة ألّهوا عليا والأئمة ، وقد قال بعضهم أمام عليّ: أنت أنت يعنى الاله ثم حرقهم ، وقد كان لهؤلاء الغلاة فى التاريخ الاسلامي دور خطير فى محاربة الاسلام وأهله وزرع البلبلة بين صفوف المسلمين وتمزيق وحدتهم ، والتظاهر على المسلمين مع أعدائهم .

وتتلخص آراء الغلاة فيما يلي :

أولا : القول بألوهية الأئمة أو نبوتهم ، وقد ادعى بعض أصحاب حركات الغلاة أحد هذين المقامين ، أى الألوهية والنبوة .

ثانيا : القول بالتشبيه والتجسيم والاتحاد والحلول .

ثالثا : القول بتناسخ الأرواح .

---

(١) المقدمة لابن خلدون ١٧٧ .

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٧٣ .

رابعا : انكار البعث والنشور وما يتبعه من نعيم أو عقـــاب .

خامسا : التحلل من الشريعة وعدم الالتزام بأوامرها ونواهيها ، فقد استحلوا المحارم كلها ، من الخمر والميسر والزنا ، وشهادة الزور ونكاح المحـارم ، وأسقطوا عن أنفسهم وأتباعهم التكاليـف .

سادسا: ليّ عنق الآيات وتأويلها تأويلا فاسدا ، بحيث يفسرون النصوص الشرعية تفسيرا غنوصيـا [1] ، أى يفسرون الاسلام تفسيرا فلسفيا .

ولنذكر الآن بعض فرق الغلاة وشيئا من مبادئهم وعقائدهم يايجـاز :

١- **السبئيـــة** :

ومن الغلاة فرقةالسبئيـــة ، وهم أتباع عبدالله بن سبأ ، رأس الفتنة ، وهو أول من أحدث بدعة الرفض منا لرجعة والوصية ، وهو الذى قال لعلي : " أنت أنت - يعنى الاله - فنفاه الى المدائن . [2] وهو أصل الغلو .

وقد زعم أن عليّا لم يمت ، وأنه يرجع الى الدنيا قبل يوم القيامة ، فيمـــلأ الأرض عدلا كما ملئت جـــورا .

وكان السيد الحميرى [3] يقول برجعة الأموات التى أحدثتها السبئيـــــة ، وفى ذلك يقول :

" الى يوم يؤوب الناس فيهـــم الى دنياهم قبل الحســـــاب [4] " .

---

(١) الغنوصية : نزعة فكرية ترمي الى مزج الفلسفة بالدين . انظر : المعجم الوسيط ٦٦٤ .

(٢) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٧٤ . وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٢٢

(٣) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة السيد الحميرى ، الشاعر المغلق ، يكنى : أباهاشم ، وكان رافضيا خبيثا . قال أبوالفرج : كان شاعـــــرا مطبوعا مكثرا ، انما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لافراطه فى ســـــب بعض الصحابة ، وافحاشه فى شتمهم والطعن عليهم . مات فى خلافـــة الرشيد . لسان الميزان لابن حجر ١ / ٤٣٦ .

(٤) انظر : مقالات الاسلاميـــين ١ / ٨٦ .

٢- العلبائية (أو الذميـــة) :

وهم أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي أو الأسدى ، وهؤلاء يزعمـــون ، أن عليّا هو اللّه ، ويكذّبون النبي - صلى الله عليه وسلم - ويشتمونه ويزعمـــون أن محمدا بعث ليدعوا الى عليّ فدعا الأمر الى نفسه .(١)

ومن العلبائية من قال بالالهية لجملة أشخاص أصحاب الكساء : محمـــد وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وقالوا : " خمستهم شئ واحد ، والـــروح حالة فيهم بالسوية ، لا فضل لواحد منهم على الآخر ، وكرهوا أن يقولوا فاطمـة بالتأنيث ، بل قالوا : فاطم بلا هاء . وفي ذلك يقول بعض شعرائهم :

" توليت بعد الله فى الدين خمسة نبيا وسبطيه وشيخا وفاطمـــا "(٢) .

٣- الغرابيـــــة :

وهم القائلون بأن عليّا كان أشبه بمحمد من الغراب بالغراب ، والذبـاب بالذباب ، وأن اللّه تعالى بعث جبريل الى عليّ ، فغلط ، وأدى الرسالة الـى محمد لمشابهته به . وقد قال شاعرهم : " غلط الأمين فجازها عن حيـــدرا " .

وزعموا : أن عليّا كان الرسول وأولاده بعده هم الرســـل .(٣)

وكلامهم ساقط يدلك على قلّة معرفتهم بشمائل الرسول وصفاته الخلقيـــة ، فان عليّا ما كان يشبه النبي - صلى الله عليه وسلم - فى صفاته الخلقية ، كما أنـه لم يكن بينهما تقارب فى السن وقت نزول الوحي ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان فى سن الأربعين ، وكان على لم يبلغ فى ذلك الوقت ، فكيف يغلط بـــين صبي وبين رجل اكتملت رجولتـــه .

---

(١) انظر : مقالات الاسلاميين ٨٣/١ ، والملل ١ / ١٧٥ ، والفرق بين الفرق ص ٢٥١ .

(٢) الملل والنحل ١ / ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٥٠ ، ومختصر التحفة ص ١٣ .

٤- المغيريـــــة :

ومن فرق الغلاة المغيرية ، أصحاب المغيرة بن سعد العجلى ، وقـــد ادعى المغيرة الامامة لنفسه ، ثم ادعى النبوة ، واستحل المحارم كلها ، وغـلا فى علىّ غلوا كبيرا ، وزاد على ذلك القول بالتجسيم والتشبيه .(١)

وقال المغيرة :" ان معبود هم رجل من نور على رأسه تاج ، وله مـــن الأعضاء والخلق مثل ما للرجل ، وله جوف وقلب ، تنبع منه الحكمة ، وأن حـرف " أبى جاد " على عدد أعضائه ،قال : والألف موضع قدمه لاعوجاجها ، وذكـــر الهاء فقال : " لو رأيتم موضعـها منه لرأيتم أمرا عظيما ، يعرض لهم بالعورة ، وبأنه قد رآه ـ لعنه الله ـ ، وزعم أنه يحى الموتى باسم الله الأعظم ، فبلغ خـــبره خالد بن عبد الله القسرى فقتلـه .(٢)

٥- الخطابيـــــة :

ومن الشيعة الغلاة الخطابية ، أصحاب أبى الخطاب ، محمد بن أبى زينب الأسدى الأجدع ، مولى بنى أسـد .(٣)

ويقول عنه النعمان بن محمد القاضي ،الشيعي الفاطمي :" كان أبو الخطاب فى عصر جعفر بن محمد ، من أجل دعاته ،فأصابه ما أصاب المغيرة ، فكفـــر وادعى أيضا النبوة ، وزعم أن جعفر بن محمد الـه ، تعالى الله عن قولـــه ، واستحل المحارم ، ورخّص فيها . وكان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة أتوه ، وقالوا : " يا أبا الخطاب خفف علينا ، فيأمرهم بتركها ،حتى تركوا جميع الفرائـض واستحلوا جميع المحارم ، وارتكبوا المحظورات ، وأباح لهم أن يشهد بعضهـم

---

(١) انظر: الملل والنحل ١/١٧٦، ١٧٧ .

(٢) مقالات الاسلاميين ١/٧٢ .

(٣) انظر: الملل ١/١٧٩ .

لبعض بالـــزور ، وقال من عرف الامام فقد حل له كل شئ كان قد حرم عليـــــه ، فبلغ أمره جعفر بن محمد ، فلم يغد ر عليه بأكثر من أن لعنه وتبرأ منـه ". (١)

٦- الجناحيـــــة :

ومن غلاة الشيعة ، فرقة الجناحية ، أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر ذى الجناحين ، يزعمـون أن الأرواح تتناسخ ، وأن روح الاله تعالى كانت فى آدم ، ثم فى شيـث ، ثم صارت الى الأنبياء والأئمة ، حتى انتهـت الى علىّ وأولاده الثلاثة من بعده ، ثم صارت الى عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفـــر .

قال الأشعرى :" وهم يكفرون بالقيامة ويدّعون أن الدنيا لا تفنى ، ويستحلون الميتـة والخمر وغيرها من المحارم . (٢)

فتلك نبـذة مختصـرة عن الفـرق الغلاة وعن عقائدهـم المنحرفـة .

* * *

* *

*

---

(١) دعائم الاسلام للنعمان بن محمد القاضي ، الشيعي الفاطمي ١/ ٤٩ ، نقلا عن كتاب " دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين الخوارج والشيعـــة ص ١٠٤ .

(٢) مقالات الاسلاميين للأشعرى ١/ ٦٧ .

المبحث الثاني
الكيسانية

الفرقة الثانية من كبرى فرق الشيعة : الكيسانية ، وسموا كيسانية نسبة الى كيسان ، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذى خرج لطلب دم الحسين والثأر له ، ودعا الى امامة محمد بن الحنفية .

وقيل ان كيسان اسم لمولى لعلي بن أبى طالب - رضي الله عنه[1] - والراجح أن كيسان هو مختار الكذاب ، لأنه أول من دعا الى محمد بن الحنفية ، وهو حرى بهذا اللقب ، فان كيسان فى اللغة ، اسم للغدر .[2]

والمختار هو الذى تنبأ به الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله : ان فى ثقيف كذابا ومبيرا " ، قالت أسماء بنت أبى بكر ، امام الحجاج : أما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا اخالك الا اياه " .[3]

ومحمد بن الحنفية الذى احتضنته الكيسانية ، هو محمد بن علي بن أبى طالب ، المعروف بابن الحنفية ، وكانت أمه سندية من بنى حنيفة اسمها خولة ، وولد فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكان من سادات قريش ، ومن الشجعان المشهورين ، ومن الأقوياء المذكورين .[4]

والكيسانية بجميع فرقهم يقولون بامامة محمد بن الحنفية ، كما يقولون بالبداء[5]

---

(١) انظر : المقالات للأشعرى ١ / ٩١ .

(٢) انظر: معجم الوسيط ص ٨٠٧

(٣) انظر: صحيح مسلم ٤ / ١٩٧٣ حـ ٢٥٤٥ .

(٤) انظر: البداية والنهاية ٩ / ٤٠ .

(٥) البداء : ظهور الرأى بعد أن لم يكن ، ولا تصح نسبته الى الله تعالى الذى يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن أن لوكان كيف يكون .

على الله ، واختلفوا فى متى صارت اليه الامامة ، فزعم بعضهم أنه كان اماما بعد أبيه عليّ بن أبى طالب ، واستدل على ذلك بأن عليّا دفع اليه الراية يوم الجمل . وقال له :

" اطعنهم طعن أبيك تحمد لا خير فى الحرب اذا لم تزبد ".

وقال آخرون منهم : ان الامامة كانت بعد عليّ لابنه الحسن ، ثم للحسين ، ثم صارت الى محمد بن الحنفية بعد أخيه الحسين بوصية من أخيه الحسين اليه ، حين هرب الى مكة بعد أن طولب بالبيعة ليزيد بن معاوية .

واختلفت الكيسانية فى موت محمد بن الحنفية ، فزعم قوم منهم أنه حيّ لم يمت ، وأنه فى جبل رضوى (١) ، وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منها رزقه ، وعن يمينه أسد ، وعن يساره نمر ، يحفظانه من أعدائه الى وقت خروجه ، وهوالمهدى المنتظر ، وذهب الباقون من الكيسانية الى الاقرار بموت محمد بن الحنفية .

واختلفت الكيسانية فى الامام بعده ، فمنهم من زعم أن الامامة بعده رجعت الى ابن أخيه عليّ بن الحسين زين العابدين ، ومنهم من قال برجوعها بعده الى أبى هاشم عبدالله بن محمد الحنفية . (٢)

وكان كثيّر عزة على مذهب الكيسانية الذين ادعوا حياة محمد بن الحنفية ، ولذا قال فى قصيدته :

" ألا ان الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء " . (٣)

---

(١) رضوى : جبل قرب ينبع ، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية . قال ياقوت : ورأيته من ينبع أخضر ، وهو الجبل الذى يزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية به مقيم حي يرزق . معجم البلدان ٣ / ٥١ .

(٢) ملخص من الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٩ - ٤٤ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٤١ .

وكان كثير رافضيا قبيحا ، يبغض الخلفاء الثلاثة ، أبابكر ، وعمر ، وعثمان - رضي الله عنهم - . فقال فى رفضياته :

" برئت الى الاله من ابن أروى ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق غداة دعا أمير المؤمنينا "(١).

قبحه اللّه ما أسمجه من كلام .

وكما ذكرنا آنفا كان أول من قام بدعوة الكيسانية ، وأظهرها : المختار الكذاب ، وكان رجلا كثير التقلب لا يستقر على مبدأ ، فكان فى أول أمره ناصبياً(٢) بغيضا الى الشيعة ، وذلك أنه لما بويع الحسن بن عليّ - رضي الله عنهما - وهو ذاهب الى الشام بأهل العراق ، لجأ الى المدائن ، فأشار المختار على عمه سعد بن مسعود ، - وهو نائب بالمدائن - بأن يقبض على الحسن ويبعثه الى معاوية ، فيتخذ بذلك عنده اليد البيضاء ، فامتنع عم المختار من ذلك ، فأبغضته الشيعة بسبب ذلك . ثم انضم بعد ذلك فى صفوف الدعاة الى الحسين ، وسجنه ابن زياد ، فشفع فيه عبد الله بن عمر ، وكانت أخت المختار تحته ، ثم بايع ابن الزبير ، وكان من كبار الأمراء عنده ، ثم ان المختار نقم على ابن الزبير فى بعض الأمور ولقى منه جفوة . فخرج من الحجاز الى الكوفة .(٢)

فلما دخل الكوفة بعث رسله الى شيعة الكوفة ونواحيها الى المدائن ، ودعاهم الى البيعة له ، ووعدهم أنه يخرج طالبا بثأر الحسين بن عليّ - رضيّ الله عنه - ودعاهم الى محمد بن الحنفية ، وزعم أن ابن الحنفية قد استخلفه وأمرهم بطاعته .

ثم قاتل المختار والى ابن الزبير على الكوفة ، ووقعت الهزيمة على الزبيرية

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٤٢ .

(٢) ملخص من البداية والنهاية لابن كثير ٨/٢٥٢ .

(٢) (ايضا كان يبغض عليا وأهل البيت) والنواصب هم الذين ينتقصون عليا رضى الله عنه . انظر لسان العرب ٧٦٢/١

واستولى المختار على الكوفة ونواحيها ، وقتل كل من كان بالكوفة من الذين قاتلوا الحسين بن على بكربلاء ، ثم قاتل عبيد الله بن زياد ، وهو بالموصل ، فانهزم جند ابن زياد . فلما تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والعراقين الى حدود أرمينية تكهن بعد ذلك ، وسجع كأسجاع الكهنة ، وادعى نزول الوحي عليه .

ثم رفع خبر المختار الى محمد بن الحنفية ، وخاف من جهة الفتنة فى الدين ، فأراد قدوم العراق ليصير اليه الذين اعتقدوا امامته ، وسمع المختار ذلك ، فخاف من قدومه العراق ذهاب رئاسته وولايته ، فقال لجنده : " أنا على بيعة المهدى ، **ولكن للمهدى** علامة ، وهو أن يضرب بالسيف ضربة ، فان لم يقطع السيف جلده ، فهو المهدى ، وانتهى قوله هذا الى ابن الحنفية ، فأقام بمكة خوفا من أن يقتله المختار بالكوفة ، ثم خدعت السبئية المختار فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان وحملوه على دعوى النبوة .

ثم ان أهل الكوفة خرجوا عليه لما تكهّن ، واجتمعت السبئية اليه مع عبيد أهل الكوفة ، وقاتل بهم الخارجين فظفر بهم ، وقتل منهم الكثير ، وأسر جماعة منهم ، وكان فى الأسرى رجل يقال له : سراقة بن مرداس البارقي ، فقدم الى المختار ، وخاف البارقي أن يأمر بقتله ، فقال للذين أسروه وقدموه الى المختار : " ما أنتم أسرتمونا ولا أنتم هزمتمونا بعدتكم ، وانما هزمتنا الملائكة الذين رأيناهم على الخيل البلق فوق عسكركم ، فأعجب المختار قوله هذا فأطلق سراحه ، فلحق بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وكتب منها الى المختار هذه الأبيات :

" ألا أبلغ أبا اسحاق أنى ... رأيت البلق دهما مصمتات

أرى عينى مالم تنظراه ... كلانا عالم بالترهات

كفرت بوحيكم وجعلت نذرا ... علىّ قتالكم حتى الممات" .

وابتدع المختار القول بالبداء على الله -عز وجل - ، وسبب ذلك أنه لما تكهّن وادعى نزول الوحى كان يعد جنوده بالنصر المؤزر ، فلما انهزم جيشه قال : " ان الله تعالى وعدنى بالنصر ولكنه بدا له ، واستدل بقوله : " يمحو الله ما يشاء ويثبت " .

ثم قتل الله المختار على يد مصعب بن الزبير وأراح الله عباده من شره ودجله .(١)

* * * *

* * *

* *

*

---

(١) ملخص من الفرق بين الفرق من ص ٤٤ ٥٢ .

المبحث الثالث
الزيدية

وهم أتباع زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب ـ رضي الله عنهم ـ وكان زيد قد خرج على الأمويين فى خلافة هشام بن عبد الملك بعد ما بايعه أهل الكوفة وتأهب لقتالهم ، وكان أمير الكوفة يوسف بن عمر الثقفي ، فبلغه خبر زيد وخروجه ، فخرج يوسف بن عمر يتطلب زيدا ويلح فى طلبه .

فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن على فقالوا له :" ما قولك ـ يرحمك الله ـ فى أبى بكر وعمر ؟ . فقال :" غفر الله لهما ، ما سمعت أحدا من أهل بيتى تبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيهما الاّ خيرا . فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته ، فلهذا سموا الرافضة من يومئذ ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية .

ثم قاتل بمن بقي معه جيش الأمويين ، الذى كان يقوده يوسف بن عمر الثقفي ، واقتتل الفريقان قتالا شديدا ، حتى كان جنح الليل ، فرمى زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فوصل الى دماغه ، وجئ بطبيب فانتزع ذلك السهم من جبهته ، فما غدا أن انتزعه حتى مات من ساعته (رحمه الله) .(١)

والزيدية ساقوا الامامة فى أولاد فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ولم يجيزوها فى غيرهم ، الاّ أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالامامة ، أن يكون اماما واجب الطاعة ، سواء كان من أولاد الحسن ، أو من أولاد الحسين (رضي الله عنهما) .(٢)

وقد تتلمذ زيد فى الأصول على واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، فاقتبس

---

(١) ملخص من البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
(٢) الملل والنحل ١/ ١٥٤ .

منه الاعتزال ، وصار أصحابه كلهم معتزلة .[1]

قال الشهرستاني :" وكان من مذهبه - أى زيد - جواز امامة المفضول مع قيام الأفضل . فقال :" كان عليّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - أفضل الصحابة ، الاّ أن الخلافة فوضت الى أبى بكر ، لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها ، من تسكين ثائرة الفتنة ، وتطييب قلوب العامة ... " .[2]

وكلام زيد هذا الذى يقرر فيه أفضلية عليّ على أبى بكر وعمر ، باطل ، وهو مخالف لما ثبت عن جده عليّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - من أن خير هذه الأمة - بعد نبيها - أبوبكر وعمر " .[3] ، وان كان كلامه أهون بكثير من مقالة الرافضة الذين يقعون فى الصحابة (رضي الله عنهم) .

ومع أن مذهب **زيد فيه اعتدال** الاّ أن جل الزيدية ما استقاموا على منهجه فيما بعد فمال أكثرهم - كما يقول الشهرستاني - عن القول بامامة المفضول وطعنوا فى الصحابة طعن الامامية ".[4]

وهم ثلاثة أصناف : جارودية ، وسليمانية ، وبترية أوالصالحية .

١- الجارودية :

وهم أصحاب أبى الجارود[5] ، وانما سموا جارودية لأنهم يقولون بقوله .

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه " " .

(٣) كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٣٢ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٥٧ .

(٥) هوزياد بن المنذر الهمداني ، أبوالجارود الأعمي الكوفي . قال أبوحاتم ابن حبان :" كان رافضيا يضع الحديث فى مثالب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويروى فى فضائل أهل البيت أشياء مالها أصول . وقال ابن حجر : وهومن المعدودين من أهل الكوفة الغالين . قال : وذكره البخارى فى فصل من مات من الخمسين ومائة الى الستين . انظرتهذيب التهذيب ٣/ ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

ويزعمون أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نص على عليّ بن أبى طالب بالوصف ، لا بالتسمية ، فكان هو الامام من بعده ، وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم الحسن من بعد عليّ هو الامام ، ثم الحسين هوالامام من بعد الحسن .(١)

فالجارودية غلاة الزيدية ، وقد خالفوا زيدا فى موقفه من الصحابة وانتهجوا منهج الرافضة فى سب الصحابة وتفسيقهم وتكفيرهم ، والستطيع أن أقول: إن عد الجارودية من فرق الزيدية أمر مشكل، لأنهم فى حقيقة أمرهم روافض .

قال البغدادى: فمن قول الجارودية : وتكفيرهم واجب لتكفيرهم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام .

٢- **السلمانية :**

والفرقة الثانية من الزيدية : السلمانية ، أصحاب سليمان بن جرير الزيدى .

ويزعمون أن الامامة شورى ، وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وأنها قد تصلح فى المفضول ، وان كان الفاضل أفضل فى كل حال ، ويثبتون امامة الشيخين أبي بكر ، وعمر .

وحكي عن سليمان بن جرير ، أنه كان يزعم أن بيعة أبى بكر وعمر خطأ لا يستحقان عليها اسم الفسق من قبل التأويل ، وأن الأمة قد تركت الأصلح فى بيعتهم اياهما .

وكان سليمان بن جرير يقدم على عثمان ويكفره عند الأحداث التى نقمت عليه.(٣)

قال البغدادى :" وأهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر

---

(١) مقالات الاسلاميين للأشعرى ١٤١/١ . انظر : الملل ١٥٧/١ .
(٢) الفرق بين الفرق ٣٢ .
(٣) مقالات الاسلاميين ١٤٣/١ .

عثمـــان (رضي الله عنه) .[1]

٣- **البتريـــــــة :**

والفرقة الثالية من فرق الزيدية : البترية ، وهم أتباع رجلين ، أحدهما : الحسن بن حي[2] ، والأخير : كثير ، الملقب : بالأبتر ،[3] وقولهم كقول سليمان ابن جرير فى هذا الباب ، غير أنهم توقفوا فى عثمان ولم يقدموا على ذمـــــه ولا مدحه ، فهؤلاء أحسن حالا عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير.[4]

والبترية كما يقول الأشعرى : ينكرون رجعة الأموات الى الدنيا ولا يـــرون لعلىّ كرم الله وجهه ،امامة الآحين بويع .[5]

والبترية والسليمانية يكفرون الجارودية على تكفير أبى بكر وعمر ، والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهما تكفير أبى بكر وعمـــر .[6]

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ٣٣ .

(٢) هو الحسن بن صالح بن حى بن حيان بن شفى بن هنى بن رافع الهمداني الثورى . قال البخارى :"يقال : حى لقب . وقال العجلى فيه :" كان ثقـــة ، ثبتا متعبدا ، وكان يتشيع الاّ أن ابن المبارك يحمل عليه بعض الحمل لتشيعه . وقال ابن سعد :"كان ناسكا عابدا فقيها حجة ،صحيح الحديث كثيره وكان متشيعا ،يروى عنه مسلم والأربعة ،مات وهو مختف من القوم سنة تسعوستين ومائة .انظر: تهذيب التهذيب ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٩ . وانظر: الخلاصـــة للخرزجي ١ / ٢١٤ .

(٣) هو كثير بن اسماعيل . ويقال ابن نافع النواء ،أبواسماعيل التيمى ، مولـــى بنى تيم الله الكوفي . قال ابن عدى :" كان غاليا فى التشيع مفرطا فيـــه وقال ابن حجر:" وروى عن محمد بن بشر العبدى أنه قال : لم يمت كثـــير النواء حتى رجع عن التشيع . تهذيب التهذيب ٨ / ٤١١ .

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) مقالات الاسلاميين للأشعرى ١/١٤٤

(٦) الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٤ .

والزيدية جميعا يتبعون مذهب الاعتزال فى الأصول ، وأما فى الفروع فهم أقرب الى مذهب أبى حنيفة .

قال الشهرستاني : أما فى الأصول فيرون رأى المعتزلة ، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت ، وأما فى الفروع فهم على مذهب أبى حنيفة ، الاّ فى مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي (رحمه الله) والشيعة(١).

وجميع فرقهم يقولون بتخليد أهل الكبائر فى النار ، ووافقوا القدرية (المعتزلة) فى هذا المعنى ، ووافقوا الخوارج فى أن فساق الملة كفار يخلدون فى النار مع الكفار ."(٢)

وبالجملة . فالزيدية الذين التزموا منهج زيد ، أعدل الشيعة وخيارهم ، وأقربهم الى السنة ، ولكن جلّ فرق الزيدية انحرفت عن نهج زيد فيما بعد ، وخالفوا مقالته ، وأخذوا مقالة الرافضة ، ووافقوهم فى اعتقاداتهم المنحرفة من طعن الصحابة وتكفيرهم وغير ذلك من الاعتقادات الباطلة .

ويقول الاستاذ محمد أبوزهرة : " ان الزيدية قسمان : المتقدمين منهم ، -وهم لا يعدون رافضة ويعتزفون بامامة الشيخين -، والمتأخرون - وهم يرفضونها ويعدون رافضة .

والمذهب الزيدى قائم باليمن الآن ، وهو أقرب الى المذهب الزيدى عند المتقدمين .(٣)

---

(١) الملل والنحل ١ / ١٦٢ .

(٢) التبصير في الدين للاسفرايني ص ١٧ .

(٣) المذاهب الاسلامية لمحمد أبي زهرة ص ٧٨ .

المبحث الرابع
الامامية : الروافض

الرابعة من كبرى فرق الشيعة : الامامية

وأطلق عليهم هذا الاسم لقولهم : " بامامة عليّ - رضي الله عنه - بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - نصا ظاهرا وتعيينا صادقا ، من غير تعريض بالوصف ، بل اشارة اليه بالعين ، وقالوا : وما كان في الدين والاسلام أمر أهم من تعيين الامام ، حتى تكون مفارقته للدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة ، فانه انما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ، ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ، ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافقه في ذلك غيره ، بل يجب أن يعيّن شخصا هو المرجوع اليه ، وينص على واحد هو الموثوق به ، وقد عيّن عليّا - رضي الله عنه - في مواضع تعريضا ، وفي مواضع تصريحا . (١)

ويستدلون على ذلك اما بنصوص موضوعة مكذوبة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، واما بنصوص صحيحة ولكنها لا تدل على مرادهم .

يقول الأشعري في بيان مقالتهم عن الامامة : " وهم مجمعون على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نص على استخلاف عليّ بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والامامة لا تكون الاّ بنص وتوقيف ، وأنها قرابة ، وأنها جائزة للامام في حال التقية أن يقول انه ليس بامام " . (٢)

والامامية يسمّون أيضا : الرافضة ، لرفضهم امامة أبي بكر ، وعمر ، وهم متفقون على أن الامام بعد عليّ ابنه الحسن بن عليّ ، ثم الحسين بن عليّ ، ثم

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦٢ .
(٢) مقالات الاسلاميين ١/ ٨٩ .

ابنه عليّ بن الحسين ـ الملقب : بزين العابدين ـ ، ثم ابنه محمد بن علـــيّ ابن الحسين ـ الملقب : بالباقر ـ ، ثم ابنه جعفر بن محمد ـ الملقب : بالصادق ـ.

ثم اختلفوا فى سوق الامامة بعد جعفر ، فمنهم من قال ان الامام بعـد جعفر الصادق ابنه الأكبر اسماعيل ، وهم الاسماعيلية ، و منهم من قـــال ان الامام بعد جعفر ابنه موسى الكاظم ، كالاثنى عشرية .

قال الشهرستاني :" وهم ـ أى الامامية ـ متفقون فى الامامة وسوقهـا الى جعفر بـــن محمـــد الصادق ، مختلفون فى المنصوص بعده مـــن أولاده ."(١)

وأشهر فرق الامامية : الاسماعيلية ، والاثنا عشريـــة .

الاسماعيليـــة :

وهم القائلون بأن الامام بعد جعفر الصادق ابنه الأكبر اسماعيـــل ، ويقولون : ان جعفر الصادق نص على امامة اسماعيل ، ولكنهم اختلفوا فى موته فى حال حياة أبيه؟ . فقال بعضهم لم يمت فى حال حياة أبيه ، الاّ أنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس ، وأنه عقد محضرا ، واشهـد عليه عامـــل المنصور بالمدينـــة .

ومنهم من قال : موته صحيح ، والنص لا يرجع قهقرى ، والفائدة فى النص بقاء الامامة فى أولاد المنصوص عليه دون غيرهم .

فالامام بعد اسماعيل : محمد بن اسماعيل ، وهؤلاء يقال لهم المباركية ، ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعته بعد غيبته . ومنهم مـــن ساق الامامة فى المستورين منهم ، ثم فى الظاهرين القائمين من بعدهـــم ، وهم الباطنيـــة .(٢)

---

(١) الشهرستاني ١ / ١٦٥ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ١ / ١٦٧ ، ١٦٨ .

وهؤلاء الاسماعيلية الباطنية يقولون : ان الامام بعد اسماعيل :ابنه محمد بن اسماعيل السابع التام ، وانما تم دور السبعة به ، ثم ابتدى منه بالأئمة المستورين ، وقالوا : " ولن تخلوا الأرض من امام حي قائم ، اما ظاهر مكشوف ، واما باطن مستور ، فاذا كان الامام ظاهرا ،جاز أن يكون حجته مستورا ، واذا كان الامام مستورا فلابد وأن يكون حجته ودعاته ظاهرين .(١)

وهؤلاء سمو باطنية لقولهم بأن الامام قد يكون مستورا كما سبق ،ولقولهم أيضا :" ان للشريعة ظاهرا وباطنا ، وأن الناس يعلمون علم الظاهر، وعند الامام علم الباطن ، بل ان عنده علم باطن الباطن ، وأوّلوا على هذه ألفاظ القرآن تأويلات بعيدة .(٢)

والاسماعيلية ملجأ يلجأ اليها كل الفرق الباطنية ، لذا لزمهم لقب الباطنية .

قال الشهرستاني :" وأشهر ألقابهم الباطنية ،وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم: فبالعراق : يسمون الباطنية ،والقرامطة ، والمزدكية ، وبخراسان : التعليمية والملحدة .(٣)

وحركة الاسماعيلية الباطنية امتداد لحركة الغلاة من الشيعة كالخطابية الذين خرجوا عن الدين الاسلامي بادعائهم الألوهية والنبوة واستحلالهم المحرمات واسقاطهم التكاليف الشرعية ، وذلك أن الاسماعيلية تربوا تحت أحضان الخطابية ، وفى مقدمتهم اسماعيل بن جعفر الذى يقولون بامامته وعقائدهم وتعاليمهم نفس عقائد الخطابية .(٤)

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٩٢ .

(٢) انظر: المذاهب الاسلامية لمحمد أبى زهرة ٩٢ وانظر فضائح الباطنية للغزالي

(٣) الملل والنحل ١/ ١٩٢ .

(٤) انظر: الاسماعيلية فرق وعقائد للاستاذ احسان الهي ظهير (رحمه الله ص٤ ٥)

" والاسماعيلية منبثة في أقاليم متفرقة من البلاد الاسلامية ، فبعضها في جنوب أفريقيا ووسطها ، وكثيرمنها في الهند ، وبعضها في الباكستان .

وكانت لحركات الاسماعيلية الباطنية دور خطير في التاريخ الاسلامي حيث ظهرت لهم دويلات في عدة مناطق كمصر ، واليمن ، والبحرين .(١) ومنهم حركة القرامطة بالبحرين ، وهم الذين أغاروا على الحجاج يوم التروية فنهبوا أموالهم وقتلوهم في رحاب مكة واقتلعوا الحجر الأسود ، ومكث عندهم ثنتين وعشرين سنة .(٢)

الاثنا عشرية :

وهذه الطائفة يطلق عليها الشيعة الامامية ، وهم غالبية الشيعة القائمة الآن في العالم الاسلامي في ايران والعراق وما وراءها من باكستان وغيرها ، من البلاد الاسلامية(٣) والدولة القائمة الآن في ايران هي للاثني عشرية .

والاثنا عشرية ساقوا الامامة في اثني عشر اماما ، من عليّ بن أبي طالب الى مهديهم المزعوم الذي سموه محمد بن الحسن العسكري .

مسميات الاثني عشرية :

ولهذه الطائفة عدة مسميات أطلق عليها منها :

١- الاثنا عشرية ، وأطلق عليهم هذا الاسم ، لأنهم يحصرون أنفسهم في اثني عشر اماما .

وهذا الاسم انما حدث بعد موت الحسن العسكري ، وبعد ادعائهم غيبة المهدي محمد بن الحسن العسكري ، وليس هناك ما يستدعي قبل الثاني عشر هذه التسمية ، لأن عدد أئمتهم لم يبلغ بعد الى هذا العدد .

---

(١) انظر: المذاهب الاسلامية لمحمد أبوزهرة ٩٢ .
(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١١ / ١٦٠ ، ١٦١ .
(٣) انظر: المذاهب الاسلامية لمحمد أبوزهرة ٧٩ .

لذا فان اطلاق اسم الاثنى عشرية على هذه الفرقة ، انما جاء متأخرا على لسان متأخرى الشيعة بعد غياب امامهم الثاني عشر على حد زعمهم .

٢- ومن مسمياتهم القطعية : سموا بهذا الاسم ، لأنهم قطعوا بموت موسى بن جعفر ، وعدوا الامامة الى ابنه على بن موسى .(١)

٣- ومن مسمياتهم الرافضة ، وسموا بهذا الاسم لرفضهم امامة أبى بكر ، وعمر ، وسبهم اياهما ، واسم الرافضة يشمل معهم الاسماعيلية ، غير أنه يكثر اطلاقه على الاثنى عشرية ، ويغلب على الاسماعيلية اطلاق اسم الباطنية كما ذكرنا .

وعلماء السنة اذا أطلقوا اسم الرافضة فانهم فى الغالب يعنون الاثنى عشرية ، وهذا واضح من اطلاقات ابن تيمية والرازى وغيرهما .(٢)

٤- ومن مسمياتهم "الجعفرية" نسبة الى جعفر الصادق ، لأنهم يدعون أنهم يتلقون قواعد فقههم وأصول مذهبهم منه .

٥- ويطلق عليهم اسم الامامية ، لغلوهم فى الامامة والأئمة ، قال ابن خلدون : " وأما الاثنا عشرية فربما خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم ".(٣)

كيفية سوق الاثنى عشرية الامامة واثباتها :

وللاثنى عشرية طريقة خاصة فى سوق الامامة وترتيبها واثباتها ، فهم يسوقون الامامة فى اثنى عشر اماما ، من علىّ بن أبى طالب ، الى المهدى المزعوم محمد بن الحسن العسكرى الامام الثاني عشر عندهم ، ويدعون أن النبي

---

(١) مقالات الاسلاميين ١ / ٩٠ .

(٢) انظر على سبيل المثال : منهاج السنة لابن تيمية ١ / ٦ . وانظر: التفسير الكبير للرازى ٤ / ٤٥ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٨٠ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى نص على هؤلاء الأئمة جميعا على الترتيب الذى ابتدعوه ، كما أن كل سابق نص على اللاحق .

فقد ترجم صاحب الكافي : " باب ما جاء فى الاثنى عشر والنص عليهم "[1] ، ثم أورد نصوصا مكذوبة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتى تقول: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نص على هؤلاء الأئمة كلهم . على هذا الترتيب.

وهذا هو أحد علمائهم يبيّن لنا عدد أئمتهم وترتيبهم وكيفية ثبوت الامامة لهم . فيقول محمد رضا المظفر :

" ونعتقد أن الأئمة الذين لهم صفة الامامة الحقة ، هم مرجعنا فى الأحكام الشرعية المنصوص عليهم بالامامة اثنى عشر اماما ، نص عليهم النبي ـ صلى الله عليه وآله جميعا بأسمائهم ، ثم نص المتقدم منهم على من بعده على النحو الآتى :

١ـ أبوالحسن على بن أبى طالب (المرتضى) المتولد سنة ٢٣ قبل الهجرة والمقتول سنة ٤٠ بعدها .
٢ـ أبومحمد الحسن بن علي (الزكى) (٢ ـ ٥٠) هـ .
٣ـ أبوعبد الله الحسين بن علي (سيد الشهداء) (٣ ـ ٦١) هـ .
٤ـ أبومحمد علي بن الحسين (زين العابدين) (٣٨ ـ ٩٥) هـ .
٥ـ أبوجعفر محمد بن علي (الباقر) (٥٧ ـ ١١٤) هـ .
٦ـ أبوعبد الله جعفر بن محمد (الصادق) (٨٣ ـ ١٤٨) هـ .
٧ـ أبوابراهيم موسى بن جعفر (الكاظم) (١٢٨ ـ ١٨٣) هـ .
٨ـ أبوالحسن على بن موسى (الرضا) (١٤٨ ـ ٢٠٣) هـ .
٩ـ أبوجعفر محمد بن على (الجواد) (١٩٥ ـ ٢٢٠) هـ .
١٠ـ أبوالحسن على بن محمد (الهادى) (٢١٢ ـ ٢٥٤) هـ .
١١ـ أبومحمد الحسن بن على (العسكرى) (٢٣٢ ـ ٢٦٠) هـ .
١٢ـ أبوالقاسم محمد بن الحسن (المهدى) (٢٥٦ ـ ٠٠٠) هـ .

وهو الحجة فى عصرنا الغائب المنتظر ، عجل الله فرجه وسهل مخرجه

---

(١) الكافي فى الأصول ١ / ٥٢٥ .

ليملأ الأرض عدلا وقسطا بعد ما ملئت ظلما وجورا " .[1]

والامامة عند الاثنى عشرية ليست بالقضية السهلة ، ولا هي بالأمر الهين ، بل يعتقدون أنها ركن من أركان دينهم ، وأنها منصب الهي كالنبوة[2] ، كما أن منزلة الامام عندهم عظيمة وخطيرة ، فهو كالنبي فى أن أقواله حجة يجب المصير اليها ، وله الحق فى تخصيص العام وتقييد المطلق . فيقولون إن لله فى كل واقعة حكما ، حتى أرش الخدش ، وقد استودع الله سبحانه تلك الأحكام عند خاتم الأنبياء ، ثم ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما بلّغ كل أحكام الله تعالى ، بل بقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي والبواعث لبيانها ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أودعها ـ أى الأحكام التى لم يبلغها كافة الناس ـ عند أوصيائه ، كل وصي يعهد الى الآخر لنشره فى الوقت المناسب له حسب الحكمة ، من عام مخصص، أو مطلق مقيد ، أو مجمل مبين الى أمثال ذلك .[3]

وهذا كلام باطل ، لأنه يتهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه ما بلغ الرسالة كاملة ، وأن الدين لم يكمل ، وهذا مخالف لقوله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم "[4] .

كما أن هذا الكلام يجعل للأئمة حق التشريع ، وهذا باطل ، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المبلغ والموقع عن الله دون غيره .

عقائد الامامية الاثنى عشرية : وللاثنى عشرية عقائد وتعاليم منها :

١ - القول بوجوب الامامة ووجوب النص على الامام .
٢ - القول بعصمة الأئمة عصمة مطلقة .
٣ - القول بالرجعة .
٤ - القول بالتقية .
٥ - سب الصحابة وتكفيرهم وتفسيقهم .
٦ - القول بتحريف القرآن وتبديله .

ونرجئ الكلام فى عقائدهم هذه وسنتكلم عنها فى القسم الثاني عند الكلام عن موقف الطبرسى من عقائد الامامية ، وذلك كي تسهل المقارنة ، ويسهل ربط عقيدته بعقائدهم .

---

(١) عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٦٢ ، ٦٣ .
(٢) انظر : أصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ٧٨
(٣) ملخص من المصدر نفسه ص ٧٨ .
(٤) سورة المائدة اية ٣ .

الباب الثاني
الطبرسي ومنهجه في التفسير

وفيه فصلان :

الفصل الأول : **ترجمة الطبرسي .**

الفصل الثاني : **منهج الطبرسي في تفسيره .**

الفصل الأول
ترجمة الطبرسي

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حياته العامة .

المبحث الثاني : حياته العلمية .

المبحث الأول
حياته العامة

١ - اسمه وكنيته ولقبه :

هو الفضل بن الحسن بن الفضل أمين الدين أبوعلى الطبرسي .

فاسمه الفضل ، ويكنى أبا على ، ويلقب بأمين الدين ،أو أمين الاسلام.

يقول البغدادى فى هدية العارفين فى التعريف بالطبرسي :" الفضل ابن الحسن بن الفضل المشهدى أمين الدين أبوعلى الطبرسي الشيعى ، من علماء الامامية ".(١)

ويقول محسن الأمين - صاحب أعيان الشيعة - فى التعريف به : " أمين الدين - أو أمين الاسلام - أبوعلى الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى السبزوارى الرضوى أو المشهدى ".(٢)

٢- نسبته :

نسبته الطبرسي ، بالطاء المهملة والباء الموحدة المفتوحتين والراء ساكنة بعدها مهملة ، نسبة الى طبرستان بفتح الطاء والباء وكسر الراء.(٣)

قال صاحب أعيان الشيعة : " وعن رياض العلماء هي بلاد مازندان بعينها وقد يعم بلاد جيلان لاشتراكهم فى حمل الطبر ".(٤)

وفى معجم البلدان :" الطبر بالتحريك ، هو الذى يشقق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس ، واستانا لموضع أو الناحية كأنه يقول ناحية الطبر، ثم

---

(١) هدية العارفين للبغدادى ١/ ٨١٩ .

(٢) أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٨/ ٣٩٨ .

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموى ٤/ ١٣، ١٤ .

(٤) أعيان الشيعة ٨/ ٤٠٠ .

ذكر سبب تسميتها بذلك فقال : سببه أن أكثر أهل تلك الجبال كثيروا الحروب، وأكثر أسلحتهم ، بل كلها ، من الأطبار ، حتى انك قلّ أن ترى صعلوكا أو غنيا الاّ وبيده الطبر ، صغيرهم وكبيرهم ، فكأنها لكثرتها فيهم سميت بذلك . ومعنى طبرستان من غير تعريب : موضع الأطبار . والله أعلم" .(١)

والرضوى والمشهدى نسبة الى مشهد الرضا ، لأنه سكن فيه ، ثم ان الطبرسي ،حيث يطلق ينصرف الى صاحب الترجمة ، وان كان يطلق أيضا على أبى منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسي ، مصنف كتاب: "الاحتجاج" وكذلك يطلق على تلميذ صاحب الترجمة الشيخ محمد بن على بن شهراشوب ويطلق أيضا على ولد صاحب الترجمة رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي .(٢)

٣- مولده ووفاته ومدفنه :

ولد الطبرسي فى نيف وستين وأربعمائة ،(٣) ويرجح صاحب أعيان الشيعة ، أن تكون ولادته سنة اثنتين وستين وأربعمائة .(٤)

واختلف فى وفاته . فقيل انه توفى سنة اثنتين وخمسمائة ،(٥) والصحيح أنه توفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، قال ذلك البغدادى ،(٦) والما مقانى فى تنقيح المقال .(٧)

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموى ٤/ ١٣ ، ١٤ .

(٢) أعيان الشيعة ٨ / ٤٠٠ ، وانظر: روضات الجنات للخوانسارى ٥/ ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٣) روضات الجنات لميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى ٥ / ٣٥٩ .

(٤) انظر: أعيان الشيعة ٨ / ٤٠٠ .

(٥) روضات الجنات ٥ / ٣٥٩ ، أعيان الشيعة ٨ / ٤٠٠ .

(٦) انظر: هدية العارفين للبغدادى ١ / ٨١٩ .

(٧) تنقيح المقال للمامقانى ٢ / ٧ .

قال صاحب جامع الرواة محمد على الأردبيلى الشيعي : " انتقل الى دار الخلود سنة ثمان وأربعين وخمسمائة " .(١)

وقد مات الطبرسي ، وهو فى سبزوار ، ثم حمل نعشه الى المشهد الرضوى ودفن فيها .

يقول صاحب روضات الجنات الخوانسارى : " وكانت وفاته فى ليلة النحر من السنة المذكورة (٥٤٨) ، ثم نقل نعشه الى المشهد المقدس ، وقبره الآن أيضا بها معروف فى موضع يقال : " قتلكاه" لما وقع فيه من القتل العام باشارة عبد الله خان أفغان فى أواخر دولة الصفوية ".(٢)

٤- نشأته وأخلاقه حسب ماجاء فى كتب طائفته

نشأ الطبرسي فى أسرة معروفة بالعلم والتدين والأخلاق ، حيث كان ولده ، وحفيده وسائر أقربائه من أفاضل علماء الامامية وأكابرهم .

فقد قال صاحب رياض العلماء فى ترجمته : " كان قدس الله سره ، وولده رضي الدين أبونصر حسن بن الفضل ، صاحب مكارم الأخلاق ، وسبطه أبوالفضل على بن الحسن ، صاحب مشكاة الأنوار ، وسائر سلسلته وأقربائه من أكابر العلماء " .(٣)

* * *

---

(١) جامع الرواة لمحمد على الأردبيلى ٢ / ٤ .
(٢) روضات الجنات ٥ / ٣٥٩ .
(٣) أعيان الشيعة ٨ / ٣٩٨ .

المبحث الثاني
حياته العلمية

١- عقيدته :

الطبرسي شيعي امامي يعتقد ما تعتقده الامامية الاثنى عشرية من : الامامة ، والعصمة ، والتقية ، والرجعه ، ولا يحيد عن تعاليم الرافضة قيد أنملة ، ومن اطلع على تفسيره " مجمع البيان" وكتابه "اعلام الورى " وقف على مخبره .

٢- مكانته العلمية وثناء علماء طائفته عليه :

للطبرسي مكانة علمية لم ينكرها أحد من العلماء ، سواء من علماء طائفته أو من علماء غيرهم ، فهو مفسر لغوى فقيه ، وله باع فى علم الكلام والجدل ، وله مشاركة جيدة فى شتى الفنون ، ومن اطلع على تفسيره شهد له بسعة الاطلاع .

وقد امتدح الطبرسي علماء طائفته وأغدقوا الثناء عليه ، وأشادوا بفضله وعلمه وتدينّه ، ونوهوا بمكانته العلمية ، وعدّوه من جملة مجتهديهم ، ومن أجلّ علماء طائفتهم .

فقد قال فيه تلميذه : منتجب الدين : " الشيخ الامام أمين الدين أبوعلى الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، ثقة فاضل دينّ ، له تصانيف منها : " مجمع البيان " .(١)

وقال فيه صاحب نقد الرجال الأمير مصطفى التفريشي(٢) : " ثقة فاضل دينّ من أجلاء هذه الطائفة " .(٣)

---

(١) أمل الآمل للشيخ حسين بن الحسن الحر العاملي ٢ / ١٦ .
وانظر : تنقيح المقال للمامقاني ٢ / ٧ / .

(٢) مصطفى بن الحسين التفريشي له كتاب (نقد الرجال) قال المامقاني : والعجب من عدم ذكر تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته . تنقيح المقال ٣/٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه ٣ / ٧ .

وقال الخوانساري في ترجمته :" الشيخ الشهيد السعيد ، والحبر الفقيه الفريد ، أمين الاسلام أبوعلي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل ، صاحب كتاب" مجمع البيان لعلوم القرآن" .(١)

ونقل محسن الأمين - صاحب أعيان الشيعة - عن مجالس المؤمنين ما ترجمته : " ان عمدة المفسرين أمين الدين ، ثقة الاسلام ، أبوعلي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي ، كان من نحارير علماء التفسير ، وتفسيره الكبير الموسوم " بمجمع البيان " بيان ودليل واف لجامعيته لفنون الفضل والكمال " .(٢)

وقال فيه صاحب الكنى والألقاب : عباس محمد القمي :" فخر العلماء الأعلام أمين الملّة والاسلام ، أبوعلي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، ابن الفضل أبوه ، والمذعن بفضله أعداؤه ومحبوه ، الفقيه النبيه ، الثقة الوجيه العالم الكامل ، المفسر العظيم الشأن صاحب كتاب"مجمع البيان " ، الذى قال في حقه الشيخ الشهيد : هو كتاب لم يعمل مثله في التفسير".(٣)

فمن تلك الأقوال التى ذكرناها نفهم أن للرجل مكانة عند قومه ، فهو عندهم جليل القدر ،عظيم الشأن ،رفيع المكانة ، معدود من أجلّ علمائهم ومجتهديهم .

وهذا يدل على أنه رافضي امامي قح متعصب لمذهبه ، موافق لهم

---

(١) روضات الجنات للخوانساري ٥/ ٣٥٧ .

(٢) أعيان الشيعة لحسن الأمين ٨/ ٣٩٨ .

(٣) الكنى والألقاب لعباس محمد القمي ٢/ ٤٤٤ ، قوله :" لم يعمل مثله في التفسير " ان قصد أن أحدا من علماء الامامية لم يعمل مثله في التفسير فهو مسلم ، وان قصد العموم فهو باطل ، لأنه ألف أحسن منه ،الذى لا يقارن به كتفسير ابن جرير وغيره مما ألفه علماء السنة .

ظاهرا وباطنا فى كل ما يدينون به ، ولو لم يكن كذلك لما حظي بهذا الثناء ولما ظفر بهذا الاجلال من علماء طائفتـه .

٣- **رحلاتـــــه** :

لم تتحدث المصادر التى اطلعت عليها عن رحلات قام بها الطبرســـي ، سواء كانت رحلات علمية أو غيرها ، غير أن هذه المصادر ذكرت أنه انتقـــل من المشهد الرضوى الى سيزوار عام ثلاثة وعشرين وخمسمائة ، وأنه توفى وهـو فى سيزوار ، ثم نقل نعشه الى المشهد الرضوى .(١)

٤- **شيوخـــــه** :

تلقى الطبرسي العلم عن عديد من علماء طائفته المشهورين بالعلـــم ، والذين انتهت اليهم مشيخة الطائفة ، وقد ذكر طائفة منهم صاحب أعيان الشيعة وهـــم :

١- الشيخ أبوعلى ابن الشيخ الطوســـي .

٢- الشيخ أبوالوفاء عبد الجبار بن على المقرى الرازى .

٣- الشيخ الأجلّ الحسن بن الحسين بن الحسن بن باويه القمـــــي الرازى ، جد تلميذه منتجب الدين صاحب الفهرســت .

٤- الشيخ الامام موفق الدين ابن الفتح **الواعظ** البكرابادى .

٥- والسيد أبوطالب محمد بن الحسن القصبي الجرجاني .

٦- الشيخ الامام السعيد الزاهد أبوالفتح عبد الله بن عبد الكريـــــم ابن هوازن القشيرى ، روى عنه صحيفة الرضا المعروفة عند الامامية .

٧- الشيخ أبوالحسن عبيد الله محمد بن الحسين البيهقي ، الذى قـال فى حقه صاحب رياض العلماء على ما حكي عنه : انه فاضل ، عالـــم

---

(١) انظر : روضات الجنات ٥ / ٣٥٩ .

محدث من كبار الامامية ، يروى عنه الشيخ أبوعلى الطبرسي ، على ما يظهر من تفسير سورة طه في مجمع البيان .

٨- والشيخ أبوجعفر الدورستى الذى هو من تلامذة المفيد .[1]

٥- تلامذته :

كان الطبرسي مشتغلا بنشر العلم ، سواء عن طريق التعليم أو التأليف ، لذا تتلمذ عليه طائفة من أكابر علماء الامامية . فمن تلامذته :

١- ابنه رضي الدين أبونصر حسن بن الفضل ، صاحب كتاب مكارم الأخلاق .

٢- رشيد الدين ، أبوجعفر محمد بن على بن شهراشوب ، فقد قال في باب الكنى من كتابه معالم العلماء : شيخي أبوعلى الطبرسي .

٣- والشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست ، وهو من تلامذته أيضا قال في فهرسته : " شاهدته وقرأت تفقها عليه .

٤- القطب الروانـدى .

٥- والسيد فضل الله الرواندى صاحب كتاب " الخرائج والجرائح " .

٦- والسيد أبوالحمد مهدى بن نزار الحسينى القاينى .

٧- والسيد شرفشاه بن محمد بن زياد الأفطسي .

٨- والشيخ عبدالله بن جعفر الدوريستى .

٩- شاذان بن ابراهيم القمي .

١٠- برهان الدين بن محمد بن على القزوينى الهمداني .[2]

---

(١) أعيان الشيعة ٨/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ . وانظر : روضات الجنات ٥/ ٣٥٨ .

(٢) أعيان الشيعة ٨/ ٣٩٩ ، وانظر: روضات الجنات ٥/ ٣٥٨ . وانظر: تنقيح المقال للمامقاني ٢/ ٧/ .

٦- آثاره ومؤلفاته :

لقد خلّف الطبرسي مؤلفات جمّة استحسنتها طائفته وتلقوها بالقبول والترحيب ونوهوا بها لحسنها ونفاستها وسلاسة أسلوبها وحسن ترتيبها وتنميقها .

قال صاحب أعيان الشيعة : " وفي المقابيس : له مؤلفات فائقة رائقة "[1].

وقال السيد مصطفى التفريشي : " له مصنفات حسنة "[2] .

ومن مؤلفاته :

١- مجمع البيان في تفسير القرآن ، وهو الذي نحن بصدد الكلام عنه ، وهو أشهر مؤلفاته وأنفسها (مطبوع) .

٢- التفسير المسمي : "جمع الجوامع" ، أو " جامع الجوامع" صنفه بعد اطلاعه على الكشاف ، لأنه صنف مجمع البيان قبل أن يطلع على الكشاف ، فلما اطلع عليه صنف : " جامع الجوامع" ليكون جامعا بين فوائد الكتابين بوجه الاختصار[3] ، وهو مطبوع كما صرح به خير الدين الزركلي في الأعلام[4].

٣- الوسيط في التفسير (أربعة مجلدات) .

٤- الوجيز في التفسير (مجلدة) .

٥- اعلام الورى بأعلام الهدى في فضائل الأئمة - عليهم السلام - (مطبوع) .

٦- رسالة الآداب الدينية للخزانة المعينية .

٧- عدة السفر وعمدة الحضر .

٨- غنية العابد ومنية الزاهد .

٩- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل .

١٠- رسالة حقائق الأمور .

١١- تاج المواليد .

١٢- العمدة في أصول الدين والفرائض والنوافل بالفارسية .

١٣- نثر اللآلي[5] .

---

(١) أعيان الشيعة ٨ / ٣٩٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الاعلام للزركلي ٥ / ١٤٨ .

(٥) انظر : مؤلفات الطبرسي من الكتب التالية : هدية العارفين للبغدادي ١/ ٨١٩ ، أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٨ / ٣٩٩ ، روضات الجنات للخوانساري ٥ / ٣٥٨ ، الاعلام لخير الدين الزركلي ٥ / ١٤٧ ، تنقيح المقال للمامقاني ٢ / ٧ .

الفصل الثاني
منهج الطبرسي في تفسيره

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تحقيق اسم الكتاب ونسبته الى الطبرسي .

المبحث الثاني : مراجع الطبرسي في تفسيره .

المبحث الثالث : طريقة الطبرسي في عرض تفسير السور والآيات.

المبحث الرابع : أصول التفسير عند الطبرسي .

المبحث الخامس : موقف الطبرسي من بعض القضايا التي لها علاقة بالتفسير .

المبحث السادس : المكانة العلمية لتفسير الطبرسي عند الشيعة والسنة .

المبحث السابع : هدف الطبرسي وغايته من تأليف تفسيره .

المبحث الثامن : وسيلة الطبرسي في وصول غايته ، وطريقة عرضه لمسائل الرفض .

المبحث الأول
تحقيق اسم الكتاب ونسبته الى الطبرسي

يطلق على تفسير الطبرسي اسم : " مجمع البيان فى تفسير القرآن". أطلق عليه هذا الاسم كثيرون ممن ترجم للطبرسي ، وفى مقدمتهم تلميذه : منتجب الدين ، حيث قال : " له تصانيف منها : " مجمع البيان فى تفسير القرآن"[١]، وكذلك أطلق عليه هذا الاسم حاجى خليفة فى كشف الظنون .[٢]

ويسمى بعض من ترجم للطبرسي تفسيره : " مجمع البيان فى معاني القرآن"، ومن هؤلاء تلميذه الآخر : ابن شهراشوب ، حيث قال : " شيخي أبوعلى الطبرسي له مجمع البيان فى معاني القرآن".[٣]

وأطلق آخرون على تفسير الطبرسي اسم : " مجمع البيان لعلوم القرآن" قال المامقاني : " وفى الوسائل : كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن تأليف الشيخ الثقة الصدوق أمين الاسلام : أبى على الفضل بن الحسن الطبرسي".[٤]

وقد بيّن الطبرسي فى مقدمة تفسيره أنه سمى تفسيره باسم : " مجمع البيان لعلوم القرآن".[٥]

اذا الأولى والأفضل أن يطلق على الكتاب الاسم الذى سماه مؤلفه ، وهو : " مجمع البيان لعلوم القرآن".

وأما نسبة الكتاب اليه فهو واضح كالشمس ، فقد نسب اليه أقرب الناس اليه وهم تلامذته ، كابن منتجب الدين ، وابن شهراشوب كما بينا قريبا ، ونسبه اليه من ترجم له ، ومن هؤلاء الذين نسبوا اليه هذا التفسير : حاجي خليفة والبغدادى وخير الدين الزركلي وعمر رضا كحالة الذين يعنون بتوثيق نسبة المؤلفات الى مؤلفيها.[٦]

---

(١) أمل الآمل للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ٢ / ٢١٦ .
(٢) انظر : كشف الظنون ٢ ١٦٠٢ .
(٣) تنقيح المقال للمامقاني ٢ / ٧ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) انظر : مجمع البيان للطبرسي ١ / ١١ .
(٦) انظر : كشف الظنون حاجي خليفة ٢ ١٦٠٢ ، وهدية العارفين للبغدادى ١/ ٨١٩ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ٨ / ٦٦ ، والأعلام لخير الدين الزركلي ٥ / ١٤٨ .

المبحث الثاني
مراجع الطبرسي في تفسيره

رجع الطبرسي في تفسيره الى مصادر كثيرة ، يستوى فيها المصادر السنية والشيعية ، غير أنه لا يذكر غالبا أسماء هذه الكتب التى يرجع اليها وينقل عنها فى تفسيره . لكننا قد نتمكن من معرفة بعض مراجعه بالاستقراء والتتبع.

أ - مراجعه من التفاسير السنية :

يرجع الطبرسي الى أقوال المفسرين من الصحابة - رضي الله عنهم- كابن عباس ، وعلي بن أبى طالب ، وأبيّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعمر ابن الخطاب ، وأبى سعيد الخدرى ، وجابر بن عبد الله . وغيرهم .

ويرجع الى أقوال المفسرين من التابعين وأتباع التابعين ، كسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، والحسن البصرى ، وعكرمة ، وكعب الأحبار ، وابن جريج ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعطاء ، والضحاك ، وأبى العالية ، والسدى ، وغيرهم من المشهورين بالتفسير ، وهوينقل تفاسيرهم بدون اسناد ، وينقلها للاعتضاد **ولغيره لا للاعتماد** .(١)

ولعله يرجع فى أقوال هؤلاء الصحابة والتابعين فى التفسير الى المراجع التى عنيت بجمع التفسير المأثور ، كتفسير محمد بن جرير الطبرى (٢) ، وتفسير ابن أبى حاتم ، وتفسير ابن مردويه ، وتفسير ابن ماجه ، وتفسير سفيان الثورى ، وغيرها .

---

(١) انظرعلى سبيل المثال : تفسير الطبرسي ٥ / ٤١٥ . وانظر أيضا : ٣ / ٦٠. وانظر أيضا : ٢ / ٢٠٨ ، حيث نقل أقوال الصحابة والتابعين فيمن وصف بقوله : " فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه"المائدة" . ولم يعتمد على أقوالهم .

(٢) انظر: تفسير الطبرسي ٣ / ٥١١ ، حيث نقل عن ابن جرير الطبرى .

ويرجع بصفة خاصة الى تفسير الثعلبي[1] ، ويعتمد عليه من بين سائر كتب تفاسير أهل السنة ، لما فى كتاب الثعلبي من الأخبار الواهية والأباطيل التى تساعد الطبرسي على ترويج بدعة الروافض، لأن الثعلبي حاطب ليل جمع فى تفسيره الغث والسمين والسقيم والصحيح .

ب - **تفاسير المعتزلة :**

يرجع الطبرسي أيضا فى التفسير الى مؤلفات المعتزلة وأقوالهم فى التفسير، وخاصة : فيما يتعلق بمذاهبهم . فيرجع كثيرا الى كتاب أبى على الجبائي ، فى التفسير ، وكذلك يرجع الى تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم[2] .

جـ - **مراجعه من كتب الشيعة من التفسير وغيرها :**

يرجع الطبرسي الى مؤلفات الشيعة من التفسير وغيرها ، وهي : عمدته التى يعول عليها ، ومن مراجعه الشيعية :

١- تفسير التبيان للطوسي[3] ، وهو مرجعه الرئيس ، وينقل عنه حرفيا ، وكأن تفسير الطبرسي نسخة من التبيان ، غير أنه زاد فيه بعض الأشياء ، وحذف منه أشياء ، وقدم وأخر ورتبه ونظمه وهذب به .

---

(١) انظر: مجمع البيان ٢ / ٣٢ ، ٢ / ٢١٠ .

(٢) الطبرسي ينقل عن أبى على الجبائي أقوالا كثيرة فى التفسير ولم يذكر اسم تفسيره ، ولكن شيخ الاسلام وضح فى مقدمة أصول التفسير أن له كتابا فى التفسير. انظر مقدمة أصول التفسير ص ٨٢ . وانظر على سبيل المثال : تفسير الطبرسي ٣ / ٥٠٨ ، ٥ / ٤١٥ ، حيث ينقل عن الجبائي والأصم .

(٣) قارن بين مجمع البيان ١ / ٢٨ ، وبين التبيان للطوسي ١ / ٤٢ ، فى تفسير (اهدنا الصراط المستقيم) . والطوسي : هو محمد بن الحسن بن على الطوسي أبوجعفر شيخ الطائفة الامامية ، صاحب تفسير التبيان . مات سنة ٤٦٠ هـ . تنقيح المقال ٣ / ١٠٤ .

٢- تفسير القمى لعلي بن ابراهيم القمي[١] ، وهو من أقدم تفاسير الشيعة . وينقل عنه ما يسمون بتفسير أهل البيت ، والتى يروونها غالبا عن محمد الباقر وجعفر الصادق ، وجل ما يسمونه بتفسير أهل البيت من أكاذيب الرافضة وأباطيلهم .

٣- تفسير العياشي[٢] : وهو أيضا ينقل عنه الأباطيل التى يسمونها بتفسير أهل البيت .

٤- كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبى القاسم الحسكاني[٣] ، ينقل منه الأباطيل والخزعبلات التى تسمر بها الرافضة ، وغيرها من كتب الرافضة .

د) مراجعه من كتب الحديث :

يرجع الطبرسي الى كتب الحديث . منها :

١- صحيح مسلم ، وهو ينقل عنه كثيرا .[٤]

٢- صحيح البخارى ،[٥]

٣- جامع الترمذى .

٤- دلائل النبوة للبيهقي .[٦]

٥- سنن أبى داود[٧] ... وغير ذلك .

---

(١) انظر: مجمع البيان ٢ / ١٥٩ ، والقمي : هو على بن ابراهيم بن هاشم أبوالحسن القمي ، له كتاب التفسير ، وهو من غلاة الرافضة ، وتفسيره ملئ بالأباطيل ، وهو ممن يقول بأن القرآن حرف وبدل. انظر: تنقيح المقال ٢ / ٢٦٠ .

(٢) انظر: مجمع البيان ٣ / ١٤٦ .

(٣) انظر: المصدر نفسه ٢ / ٤٢٣ ، ٥ / ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) انظر: المصدر نفسه ١ / ١٧ ، ٥ / ٥٦٩ .

(٥) انظر: المصدر نفسه ٥ / ١٢١ .

(٦) انظر: المصدر نفسه ٥ / ١٠٨ ، ٥ / ١٣٤ .

(٧) المصدر نفسه ٤ / ٦٧ .

هـ) مراجعه في اللغة والأعراب :

يرجع الطبرسي في اللغة الى دواوين الشعر المشهورة ، سواء دواوين الشعر الجاهلي ، أو دواوين صدر الاسلام ، أو العصر الأموى والعباسي ، فهو يرجع مثلا : الى ديوان امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، وعنتره ، ومعلقة عمرو بن كلثوم ، وديوان الأعشى ، ولبيد ، وعلقمة ، والنابغة ، وحسان بن ثابت ، وجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وذى الرمة ، والحطيئة ، والكميت ، والربيع ، وغير ذلك من دواوين الشعر ، وهو يكثر من الاستشهاد بالشعر.

ويرجع فى شرح المفردات وبيان اشتقاقها والاعراب ، الى أقوال أئمة اللغة ومؤلفاتهم ، كالخليل ، وسيبويه ، والكسائي ، والأصمعي ، والزجاج ، وأبى عبيدة وابن الأنبارى .[1]

* * *

* *

*

---

(١) انظر على سبيل المثال : مجمع البيان ٥/١٠٣ ، ١/١٩ ، ١/٢٠ .

المبحث الثالث
طريقة الطبرسي في عرض تفسير السور والآيات

قد سلك الطبرسي في عرض تفسير الآيات والسور طريقة فريدة . فقد تفوق في حسن الترتيب وحسن الأسلوب وحسن العرض .

فقبل أن يشرع في التفسير بدأ ببعض المقدمات التي تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير .

وهذه المقدمات تتكون من فنون سبعة ، كما بينه الطبرسي ، حيث قال: " وقبل أن نشرع في تفسير الآيات والسور ، فنحن نصدّر الكتاب بذكر مقدمات ، لابد من معرفتها لمن أراد الخوض في علومه ، تجمعها فنون سبعة : [1]

الفن الأول : في تعداد آي القرآن والفائدة من معرفتها . [2]

الفن الثاني : في ذكر أسامي القراء المشهورين في الأمصار ورواتهم . [3]

الفن الثالث : في ذكر التفسير والتأويل ، وتحرير جملة موجزة ، اليها ينساق أكثر الكلام فيما يأتي من الكتاب . [4]

(تكلم في هذا الفن عن أصوله في التفسير) .

الفن الرابع : في ذكر أسامي القرآن ومعانيها . [5]

الفن الخامس : في أشياء من علوم القرآن يحال شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب المؤلفة فيها . [6]

(تكلم تحت هذا الفن عن اعجاز القرآن ، وعن زيادة القرآن ونقصانه . وقال بعدم زيادة القرآن ونقصانه . وسنتكلم عن موقف الطبرسي من ذلك في : القسم الثاني (ان شاء الله) .

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ١ / ١١ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه ١ / ١٣ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ١٤ .
(٦) المصدر نفسه ١ / ١٥ .

الفن السادس : في ذكر بعض ما جاء من الأخبار المشهورة في فضل القرآن وأهله .(١)

الفن السابع : في ذكر ما يستحب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن .(٢)

ثم شرع الطبرسي في تفسير الفاتحة ، فتكلم عن كونها مكية أو مدنية ، واستوفى الأقوال الواردة في ذلك ، ثم تكلم عن ما ورد في فضلها ، ثم ذكر الاستعاذة وصيغها المختلفة ، ثم شرع في شرح مفردات الاستعاذة واشتقاقاتها ثم تكلم عن معناها .

ثم ذكر البسملة ، وتكلم عن الخلاف في : هل هي آية من القرآن، أو آية من الفاتحة ، أم آية من كل سورة ؟ . ثم ذكر ما ورد في البسملة من الفضائل ، ثم ذكر اللغة التي في البسملة واشتقاقات مفرداتها ، ثم تكلم عن اعرابها ، ثم ذكر معناها الاجمالي .

ثم شرع في تفسير الحمد لله ، فتكلم عن القراءات الواردة فيها ، ثم تكلم عن اعرابها ، ثم عن معناها العام .

وعلى كل فطريقة الطبرسي في عرض السورة أنه يتكلم أولا عن كونها مكية أو مدنية ، ثم يذكر الاختلاف في عدد آياتها ، ثم يذكر الأخبار التي وردت في فضل تلك السورة ، علما بأن بضاعته في الحديث مزجاة . لذا يذكر الأحاديث التي رويت في فضائل سور القرآن سورة سورة ، من أول القرآن الى آخره ، وأغلبها لا يثبت .(٢)

وأما طريقته في عرض الآيات ، فانه يذكر الآية أو الآيات التي تجمعها

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ١/١٥ .
(٢) المصدر نفسه ١/١٦ .
(٣) فمثلا : أورد في فضل سورة الرحمن خبرا أسنده الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لكل شئ عروس ، وعروس القرآن سورة الرحمن ". انظر : مجمع البيان ٥/١٩٥ ، وهو خبر لا يصح ولا يثبت . قال الألباني في هذا الخبر : منكر . انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للالباني ٣/٥٢٦ حديث ١٣٥٠ .

وحدة موضوعيـــــة .

ثم يعقد بعد ذكر الآية عدة عناوين يتكلم تحت كل عنوان ما يناسبـــــه ، فهو يعقد أولا " القراءة" . فيذكر القراءات الواردة فيها ، ويذكر القـــراءات العشرة المتواترة ، كما يذكر القراءات الشواذ الأربعة ، بل ويورد القـــراءات الضعيفة والموضوعة التى لا مستند لها ، كالقراءات التى وضعتهاالروافـــض على أهل البيت ، مثل : " واجعل لنا من المتقين اماما "[1] بدل قوله تعالى : " واجعلنا للمتقين امامـــا "[2] .

ثم يعقد عنوانا آخر فيقول : " الحجـــة " . يتكلم فيه عن توجيه القراءات الواردة فى الآية . فيذكر وجوهها وعللهـــا .

ثم يعقد عنوانا آخر فيقول "اللغة " يبين تحت هذا العنوان معانـــي المفردات التى فى الآية ويتكلم عن مشتقاتها .

ثم يعنون "الاعـــراب" . يبين تحته ما أشكل من اعراب الآية ،ثم يذكر سبب نزول الآية أو الآيات ـ اذا كان هناك سبب نزلت فيه ـ ويذكر القصـــة ـ اذا كانت الآية أو الآيات لها تعلق بقصـــة .

ثم يعقد عنوانا آخر . فيقول" المعنى" . يتكلم تحته عن المعنى الاجمالى للآية ،ويتكلم تحت هذا العنوان عن ما يراه مناسبا من الأحكام والعقائـــد والجدل والأخلاق والترغيب والترهيب .

---

(١) مجمع البيـــان ٤ / ١٨٠ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٤ .

ثم يتكلم أخيرا عن المناسبات بين الآيات تحت عنوان" الانتظـــــام".

والطبرسي في كل هذه العناوين يكثر من الاستشهاد بالشعر ، حتى انك لا تمر بصفحة من تفسيره الاّ وفيها عدة أبيات من الشعر .

وقد بين الطبرسي طريقته هذه في عرض السور والآيات في مقدمة تفسيره ، حيث قال : " وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها ، ثم ذكر الاختلاف في عد آياتها ، ثم ذكر فضل تلاوتها .

ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات ، ثم ذكر العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات ، ثم ذكر الاعراب والمشكلات ، ثم ذكر الأسباب والنزولات، ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات والقصص والجهات ، ثم ذكر انتظام الآيات. على أني قد جمعت في عربيّته كل غرة لائحة ، وفي اعرابه كل حجة واضحة. وفي معانيه كل قول متين . وفي مشكلاته كل برهان مبين ".(١)

والحق يقال : ان تفسير الطبرسي قد تميز بحسن الترتيب والأسلوب والعرض .

* * *

* *

*

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ١ / ١١ .

المبحث الرابع
أصول التفسير عند الطبرسي

تناول الطبرسي في مقدمته الأصول التي يعتمد عليها في تفسيره ، والتي يرى أنها أصل عام ، يجب على كل مفسر أن يرجع اليها ويعول عليها ويعتبر به وجوه التفسير ، وما اختلف فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني والأحكام.(١)

وتتلخص أصول التفسير عنده في ثلاثة :

الأصل الأول : الاعتماد على الاستنباط من الكتاب واعمال الرأى فيه والأخذ منه مباشرة :

قلّل الطبرسي من قيمة التفسير بالمأثور ، وأنكر بشدة الاقتصار عليه والوقوف عنده ، وأشاد بدور الاستنباط من القرآن نفسه واعمال الرأى والعقل فيه والتدبر فيه ، والأخذ من القرآن مباشرة .

فهو يرى أن القرآن هو الحجة ، ومفروض عليه ، وأن ما عداه من الأصول ليست بحجة على علاتها ، ولا يجب قبولها كلية بما فيها سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ، بل يجب أن يعرض على القرآن ، فان وافقت السنة القرآن قبلت والاّ ردت ، وضرب بها عرض الحائط ، وتعلق في ذلك بحديث : "اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط " .(٢)

وهذا الحديث الذى استدل به ، حديث باطل لا يصح بيّن ذلك الامام السخاوى في المقاصد ، حيث استقصى طرقه ورواياته المختلفة ، قال السخاوى: " والحديث منكر جدا استنكره العقيلي وقال : " انه ليس له اسناد صحيح " .(٣)

---

(١) انظر: مجمع البيان ١/١٤ .
(٢) المصدر نفسه ١/١٣ .
(٣) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ السخاوى ص ٣٦ .

ثم ساق رواية قريبة من الرواية التى احتج بها الطبرسي . ثم قـــال : " وقد سئل شيخنا عن هذا الحديث - ولعله يقصد الحافظ ابن حجر العسقلاني- فقال : " انه جاء من طرق لا تخلو من مقـال " .(١)

وغرض الطبرسي من ايراد هذا الخبر الباطل والاحتجاج به ، هوالتخلص من تفسير القرآن بالسنة ، كي يعمل رأيه فى تفسير القرآن بكل جرأة .

والسنة وحى مثل القرآن - كما بينه صلى الله عليه وسلم -:" ألا إنـــى أوتيت القرآن ومثلـه معه " .(٢) ويجب قبولها اذا صحت عن رسول الله - صلـــى الله عليه وسلم - لقوله تعالى :" وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا".(٣) والسنة لا تعارض القرآن ، بل هي شارحة ومبيّنة المراد منه . لقوله تعالـى : " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم " .(٤)

بين الطبرسي منهجه هذا فى مقدمة تفسيره بكل صراحة ، حيث قـــال: " واعلم أن الخبر قد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الأئمة القائمين مقامه - رضي الله عنهم - أن تفسير القرآن لا يجوز الا بالأثر الصحيح ، والنـــص الصريح ، وروت العامة(*) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :" من فسـر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ" .(٥) قالوا : وكره جماعة من التابعين القول فى القرآن بالرأى ، كسعيد بن المسيب ، وعبيدة السلماني ، ونافع ، وسالـــم

---

(١) المقاصد الحسنة . للحافظ السخاوى ص ٣٧ .

(٢) رواه أبوداود ٥ / ١٠ حـ ٤٦٠٤ . وروى الترمذى قريبا منه وقال :" حديث حسن غريب من هذا الوجه . انظر: سنن الترمذى ٥ / ٣٨ حـ ٢٦٦٤ .

(٣) سورة الحشـر الآية ٧ .

(٤) سورة النحـل الآية ٤٤ .

(٥) رواه الترمذى بلفظ:" من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" وفـى سنده سهيل بن أبى حزم . قال الترمذى :" وقد تكلم بعض أهل الحديث فى سهيل بن أبى حزم .
انظر: سنن الترمذى ٥ / ٢٠٠ حـ ٢٩٥٢ .

(*)- يعني بالعامة أهل السنة

ابن عبد الله وغيرهم ، ثم قال الطبرسي معقبا على ذلك :" والقول فى ذلك : "ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط وأوضح السبيل اليه ، ومدح أقواما عليه فقال :" لعلمه الذين يستنبطونه منهم "[1] ، وذم آخرين على تركك تدبره والاضراب عن التفكر فيه فقال :" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها "[2] . وذكر أن القرآن منزل بلسان العرب فقال :" انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "[3] . وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط " . فبين أن الكتاب حجة ومعروض عليه ، وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى .

فهذا وأمثاله يدل على أن الخبر متروك الظاهر ، فيكون معناه ان صح أن من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل . وقد روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :"القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه "[4] .

وهذا الخبر الذى استدلّ به الطبرسي على تفسير القرآن بالرأى ليس بصحيح ، بل هو ضعيف جدا ـ كما قاله الشيخ ناصر الدين فى سلسلته[5] .

ويفهم من كلام الطبرسي أنه مولع باعمال الرأى فى القرآن ، كما يفهم من كلامه أيضا أنه يقدم العقل والرأى على التفسير بالسنة . يدل على ذلك

---

(١) سورة النساء الآية ٨٣ .

(٢) سورة محمد الآية ٢٤ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٣ .

(٤) مجمع البيان ١/١٣ .

(٥) هذا الحديث رواه الدارقطني . انظر: سننه ٤/١٤٥ ، وقال فيه الألباني : " ضعيف جدا . انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٣/١٢٧ :ح١٠٣٦ .

الخبران الضعيفان اللذان استدل بهما على اعمال الرأى فى تفسير القـــرآن وهما : " اذا جاءكم عنى حديث فاعرضو عا القرآن ... " . " القـــــرآن ذلـــول ذو وجـــوه ... " .

ولا ننكر على الطبرسي أن يستنبط معاني القرآن بالاجتهاد اذا صحبتها الشواهد التى تدل على صحة هذا المعنى ولم يعارض هذه الشواهد نـــص صريح ، ولكن ننكر على الطبرسي اسرافه فى استجازة تفسير القرآن بالـــرأى وعدم الوقوف عند بيان من نزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم ، وعند تفسـير من شهد نزوله وأحواله ، وهم الصحابة رضي الله عنهـــم .

والطبرسي طبق منهج تفسير القرآن بالرأى فى تفسيره أيما تطبيـــــق ، حيث يحمل الآيات على الوجه الذى يراه هو حسنا ، وان كان هو عين الباطل الذى لا يجيزه الكتاب والسنة ، وفهم خيرة هذه الأمة ، وهم الصحابة الكرام ، رضي الله عنهم .

والطبرسي باستدلاله بحديث : " القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه علـــى أحسن الوجوه" على جواز تفسير القرآن بالرأى ، يوهم القارئ بأن كل الآيات التى سيفسرها على مقتضى مذهبه وهواه هو ، من حمل القرآن على أحســـن الوجـــوه . فأحسن الوجـــوه عنده من قوله تعالى : " وأولى الأمر منكـــــم"[1] أن أولى الأمر هم الأئمة المعصومـــون .[2]

وأحسن الوجوه عنده من قوله تعالى : " يا ءايهـا الذين آمنوا ادخلوا فى السلم[3] " . هو الدخول فى ولاية علـــيّ .[4]

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٢) انظر : مجمع البيان للطبرسي ٢ / ٦٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠٨ .

(٤) انظر : مجمع البيان ١ / ٣٠٢ .

الأصل الثاني : الاعتماد على اللغة والاعراب :

أعطى الطبرسي اللغة والاعراب ـ أى النحو ـ أهمية كبرى فى فهم القرآن وتفسيره ، والاستنباط منه . فهو يرى أن كل من عرف العربية والاعراب يعرف مراد الله من القرآن قطعا اذا كان غير مجمل يحتاج الى بيان .

يقول الطبرسي فى ذلك : " وأقول ان الاعراب أجل علوم القرآن ، فان اليه يفتقر كل بيان ، وهو الذى يفتح من الألفاظ الأغلاق ، ويستخرج من فحواه الأعلاق [1] ، اذ الأغراض كامنة فيها ، فيكون هو المنير لها ، والباعث عليها ، والمشير اليها ، وهو معيار الكلام الذى لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ، ومقياسه الذى لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه ، وقد روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه " [2] .

واذا كان ظاهر القرآن طبقا لمعناه ، فكل من عرف العربية والاعراب عرف فحواه ويعلم مراد الله به قطعا ، هذا اذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج الى بيان ولا يحتمل لمعنيين أو معان ... " [3] .

ونلاحظ عليه أنه بالغ فى دور اللغة والاعراب فى فهم القرآن وتفسيره ، حتى وصل به الأمر الى القول بأن من يعرف اللغة والاعراب ، يفهم مراد الله من القرآن قطعا ، ولو من غير أن يأتى بيان من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة الذين شهدوا أحواله ونزوله . وهذه جرأة متناهية .

---

(١) جمع علق : وهو النفيس من كل شئ ، يتعلق به القلب . المعجم الوسيط ص ٦٢٢ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة فى المصنف ١٢ / ٥٧ ، وقال الألباني فى الحديث : " ضعيف جدا " . انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعه ٣ / ٥٢٢ ح ١٣٤٥ .

(٣) مجمع البيان للطبرسي ١ / ١٣ .

واللغة والاعراب، وان كانا عاملين ضرورين فى فهم القرآن وتذوق معانيه، الآ أنه لا ينبغي أن يبالغ فيهما حتى يجعلا قوام التفسير بمفرد هما .

فهناك أصول أخرى تحتل الصدارة وتتقدم بين يديها كبيان النبي - صلى الله عليه وسلم - وتفسير الصحابة الذين شهدوا نزول القرآن وأحواله، ولا سيما علم أسباب النزول الذى يعين على فهم المراد من كلام الله عز وجل .

والطبرسي باشادته بدور اللغة والاعراب فى تفسير القرآن ، يوهم القارئ بأن كل ما يستدل به من الآيات على صحة تعاليم الامامية يقتضيه المدلول اللغوى ، وليس خارجا عن اللغة التى نزل بها القرآن . وهذا ايهام خطير جدا .

والطبرسي لم يلتزم بهذا الأصل ، بل فسر بعض الآيات تفسيرا لا تقتضيه اللغة والاعراب أصلا ، والآ فخبرنى بربك ؟ أى لغة تقتضى عدم دخول أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فى قوله : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت "[1] . وأى لغة تفهم من الآية على عصمة عليّ وفاطمة، والحسن والحسين وامامتهم رضي الله عنهم[2] .

الأصل الثالث : قول الامام المعصوم :

تفسير الامام المعصوم على حد زعم الشيعة حجة عند الطبرسي يجب قبوله والمصير اليه .

وقول الامام عموما ، وفى التفسير والتأويل خاصة ، ليس بالأمر الهين عند الامامية . فعلم القرآن كله عند الامام[3] ، وقد أعطى الأئمة تفسير القرآن

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

(٢) انظر: مجمع البيان للطبرسي ٤ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٣) تفسير الصافى للكاشاني ١ / ١٤ .

وتأويله على حد زعمهم .[1]

روى العياشي عن مرزام قال :" سمعت أبا عبد الله يقول :" انا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله الى آخره ، وان عندنا من حلاله وحرامه ما يسعنا من كتمانه ما نستطيع أن نحدث به أحدا" .[2]

ويزعمون أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أودع تفسير القرآن وتأويله كله عند عليّ ، وهو أودعه عند الأئمة الباقين .[3]

وحكى القمي عن عليّ بن أبي طالب أنه قال :" ألا ان العلم الذى هبط به آدم صلى الله عليه وسلم - من السماء الى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون الى خاتم النبيين عندى وعند عترة خاتم النبيين فأين يتاه بكم بل أين تذهبون".[4]

والامام عند الشيعة الامامية ، كالنبي - صلى الله عليه وسلم - فى عصمته وصفاته وعلمه . وهم يشيرون الى القرآن والى الامام بقولهم ذلك القرآن الصامت وهذا القرآن الناطق .

فالامام فى رأيهم هو القرآن الناطق ، والقرآن هو الصامت . ودور الناطق بالنسبة للقرآن الصامت كدور النبي - صلى الله عليه وسلم سواء بسواء .

وما دام القرآن الكريم صامتا ، فلابد من الرجوع الى القرآن الناطق - أى الامام - حتى يوضح مراد الله تعالى منه ".[5]

---

(١) انظر: بصائر ذوى الدرجات الكبرى فى فضائل آل محمد ، لأبى جعفر محمد بن الحسن الصفار ص ٢١٤ .

(٢) تفسير العياشي ١ / ١٦ .

(٣) انظر: المصدر نفسه ١ / ١٤ .

(٤) تفسير القمي (المقدمة) ١ / ٤ .

(٥) أثر الامامة فى الفقة الجعفرى وأصوله مع التصرف ص ١٣٩ .
وانظر: الامام ابن تيمية وموقفه من التأويل لمحمد السيد الجليند ص ٢٨٩ .

وانطلاقا من ذلك كله يرى الطبرسي حجية تفسير الامام وقوله ، وأنه أصل وأيما أصل يجب الرجوع اليه ، ولا سيما في المجمل واللفظ المشترك بين معان كثيرة ، وقول الامام عنده بمثابة قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك الأئمة يقومون مقام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

بين الطبرسي ذلك في مقدمة تفسيره ، حيث قال : " وان كان اللفظ مشتركا بين معنيين أو أكثر ، ويمكن أن يكون كل واحد من ذلك مرادا ، فلا ينبغي أن يقدم عليه بجسارة . فيقال : ان المراد به كذا قطعا ، الاّ بقول نبي أو امام مقطوع على صدقه ".(١)

والواقع أن علماء الشيعة بما فيهم الطبرسي ، لا يعولون على التفسير الذي ثبت عن علماء أهل البيت بطرق صحيحة ، لأن ذلك لا يختلف عن تفاسير أهل السنة .

وانما الذي يعتمدون عليه : أباطيلهم التي وضعوها على ألسنة أهل البيت ونسبوها اليهم كذبا وزورا ، وهم برآء من هذه الأباطيل براءة الذئب من لحم يوسف (عليه السلام) .

والطبرسي التزم بهذا الأصل الذي يسميه تفسير الامام المعصوم ، ففسر كثيرا من الآيات على ضوء تلك الأقوال المنسوبة الى أئمة أهل البيت ، مع مخالفتها في كثير من الأحيان لصريح الكتاب والسنة .

* * *

---

(١) مجمع البيان ١ / ١٤ .

المبحث الخامس
موقف الطبرسي من بعض القضايا التي لها علاقة بالتفسير

أ ـ موقف الطبرسي من تفسير القرآن بالسنة وأقوال الصحابة :

لم يحتفل الطبرسي بتفسير القرآن بالسنة ولم يعطها الأهمية التي تستحقها ، بل ان موقفه من الاحتجاج بالسنة والعمل بها والمصير اليها موقف متخاذل وكثيراما يرد الأحاديث الصحيحة التي تفسر القرآن بحجة أنها تخالف ظاهر القرآن ، أو أنها تخالف المقاصد العامة للشريعة .

وينطلق من هذا الأثر الذي لا يثبت :" اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوه بعرض الحائط " .

فهو يضرب السنة بعرض الحائط كلما خالفت هواه وعقائد طائفته . فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى :" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها "[1]، وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : لا يجوز تفسير شئ من القرآن الا بخبر وسمع ، وفيه تنبيه أيضا على فساد قول من يقول : ان الحديث ينبغي أن يروى على ما جاء وان كان مخالفا للديانات في المعنى ، لأنه سبحانه دعا الى التفكر وذلك مناف للتعامي والتجاهل .[2]

والطبرسي يريد بهذه الجعجعة أن يقلل من شأن السنة ومكانتها ، وهكذا دائما تراه يستنكف عن الالتزام بالسنة في تفسير القرآن وغيره ، ويتهم السنة بأنها قد تكون مخالفة لما جاء في القرآن ، وهذا زعم باطل ، لأن السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تكون معارضة للقرآن ، بل هي مفسرة له ومبينة المراد منه ، كما أن السنة اذا صحت تشريع يجب قبولها ،

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤ .

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٥ / ١٠٤ .

والانقياد لها والمصير اليهـــا .

وقد ردّ الطبرسي أثناء تفسيره لبعض الآيات الكثير من الأحاديـــث الثابتة في الصحيح والتي تفسر تلك الآيات وتبين المراد منها ، لأنهـــا خالفت هوى في نفسه ونفوس الامامية .

فقد ردّ حديث عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - المتفق عليه[1] ، الـذي ورد فـــي تحريم متعة النكاح ونسخ اباحتها ، ولم يقل الطبرسي بموجـــب هذا الحديث الذي رواه عليّ ، الذي يعتقدون أنه امام معصوم ، لأن هـــذا الحديث يخالف مذهب الرافضة الذي يبيح المتعة ، بل يعدها من أفضـــل الأعمال .

وردّ أيضا حديث أبي بكر - رضي الله عنه - الذي أخرجه البخاري بلفظ " لا نورث ما تركنـــا صدقـــة "[2] .

ردّ الطبرسي مقتضى هذا الحديث وزعم أن الأنبياء يورثون كغيرهم مـــن النـــاس[3] .

وردّ أيضا الأحاديث الصحيحة الواردة في وجوب غسل الرجلين اذا لـــم يكن عليهما خف وأنه لا يجزئ المسح. من ذلك ما رواه البخاري من حديث ابـــن عمر - رضي الله عنهما - قال : " تخلف عنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفرة سافرناها ، فأدركنا ، وقد أرهقنا العصر فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوتـــه : " ويل للأعقاب من النار" مرتين أو ثلاثا "[4] .

---

(١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح ٩/١٦٧ حـ ٥١١٥ ، ومسلم ، ٢/١٠٢٧ جـ ١٤٠٧ ، ولفظه عند البخاري : " أن عليا رضي الله عنه قال لابن عباس: ان النبي - صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهليـــة زمن خيـــبر " .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٢/٥ حـ ٦٧٢٥ .

(٣) مجمع البيـــان ٣/٥٠٣ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ١/٢٦٥ حـ ١٦٣ .

أنكر الطبرسي مثل هذه الأحاديث الصحيحة وأبطل حكمها وزعم أن فرض الرجلين في الوضوء المسح مقلدا في ذلك أصحابه ، فقال في هذه الأحاديث :" فأما ما روى في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال :" ويل للعراقيب من النار " وغير ذلك من الأخبار التي رووها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه توضأ وغسل رجليه ، فالكلام في ذلك أنه لا يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الأخبار الذي لا يوجب علما وانما يقتضي الظن " .(١)

والخلاصة : أن منهج الطبرسي في الحديث ، هو ان وافق هواه وعقيدة طائفته تعلق به ، وان خالف مذهبهم تخلص منه بأي طريقة وضرب به عرض الحائط .

وأما موقفه من تفسير الصحابي . فهو أبعد ، فلم يذكر في مقدمة تفسيره قيمة لتفسير الصحابي - ما عدا أهل البيت منهم - ولا عدّه أصلا من أصول التفسير بل ولم يعده عاملا مساعدا في فهم معاني القرآن .

والطبرسي يورد أقوال الصحابة في التفسير من خلال تفسيره لبعض الآيات ، لكنه كما ذكرنا سابقا يورده للاعتضاد لا للاعتماد . فهو لا يقيم لها وزنا اذا خالفت هواه ومذهبه .

ب - **موقف الطبرسي من الأخبار الموضوعة والمرويات الباطلة** :

ذكر الطبرسي في مقدمة تفسيره : أن تفسيره سيكون محجة للمحدّث ولكن مخبر تفسيره يكذب هذا الخبر ، لأنه قد أودعه الكثير الكثير من الأحاديث الموضوعة على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والمرويات المنحولة على سائر أهل البيت ، كما شحنه الكثير من الأباطيل والخرافات التي يأباها

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٦٦ .

العقـل والشـرع .

وغالب هذه الأحاديث الموضوعة والمرويات الباطلة في ترويج مذهـب الرافضة وتدعيمه والغلو في أهل البيت . واليك بعض الأمثلـة :

١- فعند تفسير الطبرسي لقوله تعالى : " يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك" .(١) قال : " وروى العياشي في تفسيره باسناده عن أبي عمـير عن أبن أذينة ، عن الكلبي ،عن أبي صالح ،عن ابن عباس ، وجابـر ابن عبد الله قالا :" أمر الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - أن ينصّب عليّا - رضي الله عنه - للناس ،فيخبرهم بولايته ، فتخوف رسول اللـه - صلى الله عليه وسلم - أن يقولوا :" حابى ابن عمه ، وأن يطعنـوا عليه ، فأوحى اللـه هذه الآية ، فقام بولايته يوم غدير خم .(٢)(٣) قلت : سبحانك هذا بهتان عظيم على الله عز وجل ، وعلى رسوله - صلى اللـه عليه وسلم .

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى :" ن والقلم وما يسطرون ... " الى قوله : " ... ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين".(٤) أورد الطبرسي في سبب نزول الآية خبرا رواه بسنده عن الضحاك بن مزاحم قال : " لما رأت قريش تقديم النبي - صلى الله عليه وسلم عليّا - رضي الله عنـه - واعظامه له نالوا من عليّ وقالوا : قد افتتن به محمد ، فأنزل الله تعالى: " ن والقلم وما يسطرون " . قسم أقسم الله به :" ما أنت بنعمة ربـك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم " - يعني القرآن . الى قوله :" بمن ضل

---

(١) سورة المائـدة الآيـة ٦٧ .

(٢) غدير خم : وهو موضع بين مكة والمدينة ، وبينه وبين الجحفة ميلان . انظر: معجم البلدان ٤/١٨٨ .

(٣) مجمع البيان للطبرسي ٢/٢٢٣ .

(٤) سورة القلم الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) .

عن سبيله ". وهم النفر الذين قالوا ما قالوا :" وهم أعلم بالمهتدين" عليّ بن أبي طالب عليه السلام .(١)

ولا يخفى بطلان هذا الخبر وتعارضه مع سياق القرآن ، فان السياق يتعلق بتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - وتثبيته لما قالت الجهلة من كفار قريش: انه مجنون . وليس في هذا السياق القرآني بعليّ بن أبي طالب أي تعلق .

ويلاحظ أن الرافضة يقصدون باطلاق كلمة قريش المهاجرين وفي مقدمتهم الشيخان : أبوبكر ، وعمر (رضي الله عنهما) .

فنفهم من ذلك أن الطبرسي يحكم على المهاجرين بأنهم ضلوا - أعاذهم الله من ذلك - وعامل الرافضة بما يستحقون .

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى :" قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى" .(٢) روى الطبرسي بسنده عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني الى أبي امامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" ان الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى ، وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة ، فأنا أصلها وعليّ فرعها ، وفاطمة لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها ، وأشياعنا أوراقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاغ عنها هوى ، ولو أن عبدا عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ، ثم ألف عام ، ثم ألف عام ، حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخره في النار ، ثم تلا :" قل لا أسئلكم عليه أجرا الاّ المودة في القربى " .(٣)

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٥/٢٣٣ ، ٣٣٤ .

(٢) سورة الشورى الآية ٢٣ .

(٣) مجمع البيان للطبرسي ٥/٢٨ ، ٢٩ .

٤- وعند تفسيره لقوله : " وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم "[1]

قال الطبرسي : " روى أبوالقاسم الحسكاني باسناده ، رفعه الى الاصبغ بن نباتة[2] قال : " كنت جالسا عند علي عليه السلام ، فأتاه ابن الكوّاء . فسأله عن هذه الآية . فقال : ويحك يا ابن الكواء، نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار ، فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة ، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار "[3] .

معاذ الله أن يصدر من عليّ بن أبي طالب مثل هذا الهذيان وهذا الشرك بالله تعالى .

فالله سبحانه هو الذي يدخل من شاء من عباده المؤمنين الجنة ، ومن شاء من عباده الفجار النار ، وليس له شريك في ذلك . فنسأل الله الجنة ونعوذ به من النار .

٥- وعند قوله تعالى : " فما بكت عليهم السماء والأرض "[4] . قال الطبرسي : " وقال السدي : " لما قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بكت السماء ، وبكاؤها حمرة أطرافها . وروى زرارة بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : " بكت السماء على يحي بن زكريا وعلى الحسين بن عليّ عليه السلام ، أربعين صباحا ، لم تبك الاّ عليهما ، قلت : وما بكاؤها : قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء "[5] .

أقول :

فمابال السماء لم تحمر لوفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين وسيد ولد آدم واحمرت للحسين - رضي الله عنه . وهذا الذي أورده

---

(١) سورة الأعراف الآية ٤٦ .

(٢) الاصبغ بن نباته الحنظلي المجاشعي الكوفي ، تابعي ، يروى عن علي وعمار ، وهو كذاب متروك بين الضعف ، وكان يقول بالرجعة ، فتن بحب علي فأتي بالطامات (انظر : ميزان الاعتدال ١ / ٢٧١) .

(٣) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ٤٢٣ .

(٤) سورة الدخان الآية ٢٩ .

(٥) مجمع البيان للطبرسي ٥ / ٦٥ .

الطبرسي يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم ، حينما توفى ابنه ابراهيم وقال الناس :" كسفت الشمس لموت ابراهيم" : " ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولكنهما آيتان من آيات الله ، فاذا رأيتموهما فقوموا فصلوا " .(١)

٦- وعند تفسير قوله تعالى :" من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون " .(٢) أورد الطبرسي بسنده ، عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" يا عليّ لو أن أمتى صاموا حتى صاروا كالأوتاد ، وصلوا حتى صاروا كالحنايا ، ثم أبغضوك لأكبهم الله على مناخرهم فى النار " .(٣)

أورد الطبرسي هذا الأثر بعد ما فسر الحسنة بأنها حب عليّ وأهل بيته ، وأن السيئة :بغضهم ، ليؤيد به هذا التفسير .

وهذا الذى أوردناه غيض من فيض مما فى تفسيره من الروايات الباطلة المكذوبة المختلقة ، وهو غالبا يروى هذه الروايات بأسانيد رافضية هي سلسلة من الكذابين الوضّاعين .

جـ - **التفسير الباطنى**(٤) :

لم يوضح الطبرسي فى مقدمة تفسيره رأيه فى التفسير الباطنى ، ولم يتعرض له ، مع أن جلّ فرق الشيعة يقولون بالباطن ويدينون به ، فمنهم من وصل بهم الغلو الى الالحاد فى شرائع الله كالاسماعيلية الباطنية ، ومنهم دون ذلك ، والشيعة بجميع طوائفهم يسلكون مسالك مختلفة فى تأويل القرآن

---

(١) صحيح البخارى ، مع الفتح ٢/٥٤٦ حـ ١٠٤١ .

(٢) سورة النمل الآية ٨٩ . (٣) مجمع البيان ٤/٢٣٧

(٤) هناك آثار جاءت عن طريق أهل السنة والتى تنص على أن لكل حرف من القرآن ظهر وبطن ، ولكن ليس المقصود من الباطن ماتفعله الشيعة والصوفية وغيرهم من العبث بدلالات الكتاب والسنة وإنما المقصود منه التفسير الدقيق الذى يدركه العلماء الراسخون بالاستنباط والفقه ، بشرط صحته على مقتضى الظاهر وأن يكون له شاهد يشهد لصحته . انظر تفسير الطبرى ١/٧٠ بتحقيق أحمد شاكر

تأويلا باطنيا ما بين غلاة ورافضة .[1]

والامامية الاثنا عشرية من القائلين بالباطن ، اذ لا يمكن لهم أن يدللوا على مبادئهم من الكتاب الاّ على التأويل الباطني .

فقد أسندوا كدأبهم الى أهل البيت روايات كثيرة تنص على أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأن علم ذلك عند الامام .

روى جابر الجعفي عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال : " يا جابر ان للقرآن بطنا وللبطن ظهرا ، ثم قال : يا جابر وليس شئ أبعد من عقول الرجال منه ، ان الآية لتنزل أولها في شئ وأوسطها في شئ وآخرها في شئ ، وهو كلام متصل ينصرف على وجوه " .[2]

ورووا عن الفضل بن يسار قال : سألت أباجعفر عن هذه الرواية : " ما في القرآن آية الاّ ولها ظهر وبطن ، وما فيه حرف الاّ وله حد ، ولكل حد مطلع " . ما يعني بقوله لها ظهر وبطن ؟ . قال : ظهره تنزيله وبطنه تأويله ، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما تجري الشمس والقمر ، كلما جاء منه شئ وقع . قال الله تعالى : " وما يعلم تأويله الاّ الله والراسخون في العلم " .[3] .. نحن نعلمه .[4]

وكأن الطبرسي سكت عن الكلام عن الباطن عمدا كي يبعد نفسه عن تهمة القول بالباطن التي طالما عيب على أصحابه ، ولا نستطيع أن نفسر سكوته عنه بأنه لا يعتقد ذلك ولا يعتد به لأمرين :

---

(١) انظر : الامام ابن تيمية وموقفة من قضية التأويل لمحمد السيد الجليند ص ٢٩٠ .

(٢) تفسير البحراني ١ / ٢٠ .

(٣) آل عمران الآية ٧ .

(٤) تفسير البحراني ١ / ١٠ .

أولهـــا : ان عدم الاعتداد بالتفسير الباطنى يلزم منه عدم الاعتداد بتعاليم الامامية ومبادئهم كلها التى لا يمكن أن يستدل عليها من القـــــرآن الاّ عن طريق التأويل الباطنى ، والطبرسي ألف تفسيره للدفاع عن مذهب الامامية والتدليل على صحته فى العقائد والأحكام ـ كما سبق أن أشرنا .

الثاني : اذا تصفحنا تفسير الطبرسي واستقريناه ، يتبين لنا أنه يؤمن بالباطن ويقول به ، حيث فسر كثيرا من الآيات تفسيرا باطنيا محضا لا يتفق مـــع ظاهر القـــرآن .

وهو يعرض بعض الأحيان هذه التفاسير الباطنية على صيغة الجـــزم ، ويرجحها ويدافع عنها ، ويعرضها أحيانا على صيغة التمريض بلفظ قيل .

وهذا لا يبرئ ساحته ، لأنه مادام لم يفنده ، دلّ على رضاه عنـــه وارتياحه له ، لأن المفسرين جرت عادتهم على أن يستبعدوا الأقـــوال الباطلة ويتركوها كلية ، أو أن يذكروها لتفنيدها وابطالها ، أمـــا أن يورد الأقوال الباطلة بدون تفنيدها وابطالها ، فان ذلك يكسبها نوعا من الاعتداد بها .

ومرات أخرى يزعم أن المعنى الباطنى يدخل فى عموم الآية القرآنية .

ومن هنا نستطيع أن نقول ان الطبرسي يرى التفسير الباطنى ويقـول به ، لأنه حمل كثيرا من الآيات على معان باطنية التى لا تتفق مع مبادئ القرآن والتى تشمل الغلو فى أهل البيت والترويج لمبادئ الشيعة الامامية ، والأمثلة من تفسيره كثيرة جدا . نذكر قسطا منها باذن الله تعالى . :

١- فعند تفسيره لقوله تعالى : " وأتوا البيوت من أبوابها "[1] . قال الطبرسي : " قال أبوجعفر : آل محمد أبواب الله وسبله والدعاة الى الجنة والقـادة

---

(١) سورة البقـــرة الآيـــة ١٨٩ .

اليها ، والأدلاء عليها الى يوم القيامـــــة " .[١]

٢- وعند تفسير قوله تعالى : " فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفـــروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعـــون " .[٢]

قال الطبرسي -بعد ما فسر الآية على ما هو المشهور عنـــــد المفسرين - : " وروى الحاكم أبوالقاسم الحسكاني بالأسانيد الصحيحة عن الأعمش ، قال : " لما رأوا لعلي بن أبي طالب عند الله من الزلفـــى سيئت وجوه الذين كفروا ، وعن أبى جعفر عليه السلام . فلما رأوا مكـان علي -عليه السلام - من النبي -صلى الله عليه وسلم - سيئت وجـــوه الذين كفروا يعنى الذين كذبوا بفضلـه .[٣]

فهو ذكر هذه السخافات تحت تفسير الآية ، ولم ينتقدها ، مما يدل على أنه يرى صحة هذا المعنى الباطنى ، الذى هو تحريف لكتاب الله عزّ وجل .

٣- وعند تفسير قوله تعالى : " فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله علـــى الظالمين "[٤] . قال الطبرسي -بعد ما فسر الآية على ظاهرها -:"وروى عن أبى الحسن الرضا -عليه السلام - أنه قال : " المؤذن أمير المؤمنـين عليّ -عليه السلام - ذكره عليّ بن ابراهيم فى تفسيره ،... ورواه الحاكم أبوالقاسم الحسكاني باسناده عن محمد بن الحنفية ، عن عليّ -عليـــه السلام - أنه قال :" أنا ذلك المؤذن " . وباسناده عن أبى صالـــح عن ابن عباس ان لعلي -عليه السلام -فى كتاب الله أسماء لا يعرفهـا الناس منها قوله : فأذن مؤذن بينهم " . فهو المؤذن بينهم . يقول :

---

(١) مجمع البيـــان ١/ ٢٨٤ .
(٢) سورة الملك الآية ٢٧ .
(٣) مجمع البيـــان ٥/ ٣٣٠ .
(٤) سورة الأعراف الآية ٤٤ .

" ألا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي ".[1]

٤- وعند تفسير قوله تعالى :" وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ".[2] قال الطبرسي - بعد ما فسر الآية على مقتضاها - : " وقال أبوجعفر : " هم آل محمد - عليهم السلام - لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه ... ثم قال الطبرسي :" ويؤيده ما رواه عمر بن أبي شيبة وغيره ، أن عليا - عليه السلام - قسيم الجنة والنار . ورواه أيضا باسناده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :" كأني بك يوم القيامة وبيدك عصا عوسج تسوق قوما الى الجنة ، وآخرين الى النار".[3]

يسوق الطبرسي كل هذه الروايات المكذوبة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ليؤيد المعنى الباطني الذي فسر به الآية .

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى :" يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا".[4]

قال الطبرسي :" وذلك النور هو القرآن عن مجاهد ، وقتادة ، وقيل النور ولاية عليّ عن أبي عبد الله (عليهما السلام) .

٦- وعند تفسير قوله تعالى :" فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم. . ".[5]

قال الطبرسي :" وأنفسنا " يعني : عليّا خاصة ، ولا يجوز أن يكون

---

(١) مجمع البيان ٢/٤٢٢ .
(٢) سورة الأعراف ٤٦ .
(٣) مجمع البيان ٢/٤٢٣ .
(٤) سورة النساء ١٧٤ .
(٥) آل عمران ٦١ .

المعنى به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه هو الداعى ولا يجوز أن يدعو الانسان نفسه ، وانما يصح أن يدعو غيره ، واذا كان قوله : " وأنفسنا " لابد أن يكون اشارة الى غير الرسول ، وجب أن يكون اشارة الى عليّ ، لأنه لا أحد يدعى دخول غير أمير المؤمنين علي وزوجته وولديه في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه الى حيث لا يبلغه أحد ، اذ جعله الله نفس الرسول ، وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه ، ومما يعضده من الروايات ما صح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عن بعض أصحابه فقال : له قائل فعليّ ؟فقال : ما سألتنى عن الناس ولم تسألنى عن نفسى ؟ .(١)

وهذا الكلام الذى قاله الطبرسي ، يدل على تعصبه الشديد وتعاميه عن الحق ، وخوضه فى كتاب الله بالباطل . والاّ فخبرنى بربك أى أثارة من علم تدل على أن عليّا ـ رضي الله عنه ـ هو نفس الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ وأى عقل يدل على ذلك ؟ . وأية لغة تفهم من قوله :" وأنفسنا " أنه عليّ خاصة ؟ ، وبأية كيفية يصبح عليّ نفس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ؟!

وقول الطبرسي :" ولا يجوز أن يدعو الانسان نفسه " كلام ساقط بل شائع فى اللغة ، وكثير فيها . مثل : دعته نفسه الى كذا ودعوت نفسى الى كذا ، وطوعت له نفسه ، وآمرت نفسي ، وحاصل معنى " ندع أنفسنا " نحضر أنفسنا .(٢)

وتلك الأمثلة التى ضربناها تكفى للدلالة على أن الطبرسي يقول بالتفسير الباطنى ويدين به .

* * *

---

(١) مجمع البيان ١/٤٥٣ .

(٢) انظر: روح المعاني ٣/١٨٩ ، فقد ردّ الألوسي على الطبرسى فى هذه المقالة النكراء ردا مفحما .

المبحث السادس
المكانة العلمية لتفسير الطبرسي عند الشيعة والسنة

قد مر بنا في ترجمة الطبرسي أن علماء الشيعة أثنوا على تفسيره ثناء عظيما ونوهوا بمكانته العلمية ، حتى زعم بعضهم فيه :" هو كتاب لم يعمل مثله في التفسير ".(١)

وقال صاحب أعيان الشيعة - بعد ما سرد ثناء علماء الشيعة على الطبرسي وعلى تفسيره :" ... وبالجملة ففضل الرجل وجلالته وتبحره في العلوم ووثاقته أمر غني عن البيان ، وأعدل شاهد على ذلك كتابه :" مجمع البيان " ، كما أشار اليه صاحب مجالس المؤمنين بما جمعه من أنواع العلوم ، وأحاط به من الأقوال المشتتة في التفسير ، مع الاشارة في كل مقام الى ما روى عن أهل البيت - عليهم السلام - في تفسير الآيات بالوجوه البينة المقبولة مع الاعتدال وحسن الاختيار في الأقوال ، والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأى بحيث لا يوجد في كلامه شئ ينفر الخصم أو يشتمل على التهجين والتقبيح ".(٢)

فتفسير الطبرسي له قيمته العلمية عند الشيعة ، وكذلك سائر مؤلفاته مثل :اعلام الورى بأعلام الهدى . فكل من ترجم له من الامامية وضح أن للطبرسي مؤلفات حسنة . منها كتاب " مجمع البيان ".(٣)

وأما قدماء علماء السنة فلم أجد أحدا منهم عني بترجمة الطبرسي ، ولا بتقويم تفسيره ، وكأن الطبرسي مغمور عند علماء السنة ، فلم يترجم له الذهبي في السير ، ولا ابن كثير في البداية ، ولا ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ، ولا ابن حجر في لسان الميزان ، ولا الداوودي في طبقات المفسرين ، ولا السيوطي أيضا في طبقات المفسرين ، ولا غيرهم ممن عني

---

(١) انظر: الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ٢ / ٤٤٤ .
(٢) أعيان الشيعة للسيد محمد الأمين ٨ / ٣٩٨ .
(٣) انظر على سبيل المثال : تنقيح المقال للمامقاني ٢ / ٧ /

بتراجـــم الأعـــلام .

وأقدم من ذكر الطبرسي وكتابه مجمع البيان من علماء السنة - حسب مـــا اطلعت عليه - هو حاجي خليفة ، فقد ترجم له ترجمة قصيرة في مواضع مـــــن كتابه :" كشف الظنون " معزوا اليه مؤلفاته ومنها مجمع البيان ، مع أنه فـــي بعض الطبعات من الكشف عزا مجمع البيان الى الطوسي صاحب التبيان .

ولم يذكر حاجي خليفة ما يعتبر تقويما لتفسير مجمع البيان ، سوى قوله : " وقد رأيت تفسيره مجمع البيان ، وهو على طريقة الشيعة " .(١)

ولكن أرى أن كلام حاجي خليفة هذا ، تقييم دقيق لتفسير الطبرســـــي ، لأنه مادام ألف التفسير على طريقة الشيعة فهو كغيره ، من تفاسير الشيعـــة ، فما يقال في تفاسيرهم يقال في تفسير الطبرسي .

وهناك في العصر الحديث من علماء السنة من تناول تفسير الطبرســـــي بالدراسة والتقييم . منهم الدكتور الذهبي في كتابه النفيس :" التفسيروالمفسرون" حيث ذكر محاسنه والمآخذ عليـــه .

فقد قال في تقويم تفسير الطبرسي :" والحق أن تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات شيعية وآراء اعتزالية - كتاب عظيم في بابه ، يدل علـى تبحر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة ، والكتاب يجرى على الطريقـة التي أوضحها لنا صاحبه في تناسق تام وترتيب جميل ، وهو يجيد في كـــل ناحية من النواحي التي تكلم عنها ، فاذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجـــــاد ، واذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد ، واذا تكلم عن وجوه الاعـــراب أجاد ، واذا شرح المعنى الاجمالي أوضح المراد ، واذا تكلم عن أسبـــــاب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال ، وأفاض ، واذا تكلم عن الأحكام تعـــرض

---

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة ٢ / ٣٨٥ ، مطبعة العالم ، الطبعة الأولى سنة ١٣١٠ هـ .

لمذاهب الفقهاء ، وجهر بمذهبه ونصره ، ان كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، واذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل ، وأوضح لنا عن حسن السبك وجمال النظم ، واذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الاشكال وأراح البال ، وهو ينقل أقوال من تقدمه من المفسرين معزوة لأصحابها ، ويرجح ويوجه ما يختار منها ، واذا كان لنا بعض المآخذ عليه ، فهو تشيعه لمذهبه وانتصاره له ، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته ، وتنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التى خالف فيها هو ومن على شاكلته ، وروايته لكثير من الأحاديث الموضوعة ، غير أنه - والحق يقال - ليس مغاليا فى تشيعه ، ولا متطرفا فى عقيدته ، كما هو شأن كثير من علماء الامامية الاثنى عشرية .(١)

ثم ضرب الدكتور بعض الأمثلة التى تدل على تعصبه لعقيدته وتفسيره للآيات القرآنية تفسيرا يتفق مع مذهبه ، ثم عقد ترجمة فى آخر كلامه عن تفسير الطبرسي تحت عنوان :" اعتداله فى تشيعه" . فقال الدكتورتحت هذا العنوان: " والطبرسي معتدل فى تشيعه غير مغال فيه كغيره من متطرفى الامامية الاثنى عشرية ، ولقد قرأنا فى تفسيره فلم نلمس عليه تعصبا كثيرا ، ولم نأخذ عليه أنه كفر أحدا من الصحابة ، أو طعن فيهم بما يذهب بعد التهم ودينهم ، كما أنه لم يغال فى شأن علىّ بما يجعله فى مرتبة الاله أو مصاف الأنبياء وان كان يقول بالعصمة ."(٢)

استدراك على الدكتور الذهبى فى تقويمه لتفسير الطبرسى

هذا هو تقويم الدكتور الذهبي لتفسير الطبرسي وفيه تساهل كبير حسب ما أرى ، حيث أسرف فى رفع منزلته وقلل من شأن المآخذ عليه ووصف صاحبه **بالاعتدال وعدم الغلو والتعصب .**

والطبرسي متعصب لمذهبه الى حد كبير ، وهو قد غلا فى علىّ وفى سائر

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ٢ / ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ١٤٢ .

أهل البيت غلوا كبيرا ، وقد جعل لعليّ ما لا يصح أن يكون الاّ لله عز وجل ، حيث زعم أن عليّا قاسم الجنة والنار ، وأنه يدخل من يشاء من محبيه الجنة ، ومن يشاء من أعدائه النار .(١)

وكذلك ساوى عليّا - رضي الله عنه - بالرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث زعم أن نفس عليّ أصبحت نفس الرسول - صلى الله عليه وسلم - واستدل على ذلك - كما سبق - بقوله تعالى : " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم "(٢) ، فزعم أن كلمة " وأنفسنا " تعني عليّا خاصة وأن الله تعالى جعل عليّا نفس الرسول - صلى الله عليه وسلم - .(٣)

كما أن الطبرسي طعن في الصحابة - كما سيأتي في موقفه من الصحابة - فهو قد طعن فيهم اما تصريحا أو تلميحا ، فقد زعم في كثير من الآيات التي نزلت في المنافقين أنها نزلت في أكابر الصحابة .

فزعم أن قوله تعالى : " ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ".(٤) نزل في عثمان - رضي الله عنه - .(٥) وقد كشف الطبرسي عن حقده الدفين تجاه الشيخين حينما أورد في كتابه : " اعلام الورى " هذا النص: " فاذا دخل المدينة - يعني المهدي - أخرج اللات والعزى فأحرقها " يعني بابكر وعمر (رضي الله عنهما ".(٦)

---

(١) انظر : مجمع البيان تحت تفسير قوله تعالى : " وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم" حيث أورد روايات موضوعة في ذلك ورجحها .

(٢) آل عمران الآية ٦١ .

(٣) مجمع البيان ١ / ٤٥٣ .

(٤) سورة النور الآية ٤٧ .

(٥) انظر : مجمع البيان ٤ / ١٥٠ .

(٦) اعلام الورى باعلام الهدى للطبرسي ص ٤٠٩ .

وقد تناول تفسير الطبرسي أيضا بالدراسة استاذ آخر من العلمـــاء السنيين المعاصرين ، ألا وهو الدكتور على أحمد السالوس ، فى كتابـــه القيّم :" أثر الامامة فى الفقه الجعفرى" . فقد تناول منه جانبا واحدا ، وهـو أثر الامامة فى هذا التفسير ، وقد بيّن الدكتورأنه متأثر بالامامة الى حد كبير، وأنه يؤول كثيرا من الآيات لتأييد مذهبـــه .

وقد قرر الدكتور أن الطوسي صاحب التبيان ، والطبرسي يمثلان جانـب الاعتدال من علماء الشيعة [1] ، مع أن الطبرسي أكثر تأثرا وأكثر غلوا من الطوسى.

قال الدكتور - بعد ما تكلم عن أثر الامامة فى تفسيرى الطبرسي والطوسى -: " فهذه أهم آثار الامامـــة في تفسيرهذيـــن الشيخين الطوسي والطبرســـي ، وان كان الثاني - كما يظهر - أكثر تأثرا من شيخ الطائفة ، وهما وان لـــم يجنبا كتاب الله تعالى هذه الناحية الطائفية - التى ليس لها مستند من كتـاب ولا سنة كما أثبتنا - الا أنهما مع هذا من أكثر الشيعة اعتدالا ، أو أقلهـــم غلوا ، ويبدو أن البون شاسع عند المقارنة بينهما وبين من سبقهما من الغلاة"[2].

استدراك على الدكتور الذهبي والدكتور السالوس فى وصفهما الطبرسي بالاعتدال

قلـــت : وتقويم الدكتور السالوسي لهذا التفسيريبدو أنه أدق من تقويم الدكتور الذهبي له ، بيد أن وصف الدكتورين : الطبرسي بالاعتدال وكذلـك الطوسي فى النفس منه شئ ، وذلك لأمريـــن :

الأول : ان كلمة الاعتدال فى اللغة :" توسط حال بين حالين فى كم أو كيف"، كقولهم :" جسم معتدل بين الطول والقصر ، وماء معتدل بين البـــارد والحار ، ويوم معتدل طيب الهواء " [3] . فالاعتدال فى الدين هو الاستقامة فيه وهو السلامة من الغلو والتقصير معا ، وهذان الرافضيان لم يسلما مـــن الغلو والتقصير فلا يصح فى نظرى اطلاق صفة الاعتدال عليهما .

---

(١) انظر: أثر الامامة فى الفقه الجعفرى للدكتور على أحمد السالوس ص٢١١.

(٢) المصـــدر نفســـه ص ٢٢٤ .

الثاني: ان هذين الرجلين ألفا تفسيرهما على سبيل التقية **والمداراة** وارضاء الخصم واستمالة الناس الى التشيع كما صرح بذلك بعض علماء الشيعة مثل النورى صاحب" فصل الخطاب " ، ونعمة الله الجزائرى (١) ـ كما سيأتي في موقف الطبرسي من القول بتحريف القرآن ـ ، فلم يحملهما الورع وحسن الاعتقاد على ما فعلا **وانما** قاما بهذا العمل حيلة وتقية وكسب العامة . ولعل **ذلك** خطة متبعة عند الشيعة ، وذلك بأن يمثل بعضهم جانب الغلو ، وبعضهم الآخر يتظاهر بالاعتدال لاستمالة الناس ، ومبدؤهم الحقيقي الذى يتفقون عليه جميعا هو الغلو (*)

والخلاصة : أن تفسير الطبرسي تميّز بحسن الترتيب والتنظيم ، وجمال الأسلوب ، ومؤلفه أجاد في نواح كثيرة التى تناولها ، ولا سيما في توجيه القراءات ، وحل المشكلات اللغوية والنحوية ، وبيان المعنى الاجمالى للآية . فالطبرسي له قدرة فائقة في تقريب المعنى ، ولو اطلعت على ذكره للمعنى الاجمالى لقوله تعالى : " يايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت ... " . (٢) وهي من أشكل الآيات معنى واعرابا ، لعجبت كيف ذلل الصعب وقرب البعيد . (٣)

ولو سلم تفسيره من بدعة التشيع والاعتزال لكان له شأن بذكر حسن أسلوبه وترتيبه وتنظيمه

ولكن تفسير الطبرسي فقد جلّ قيمته . لأمرين :

---

(١) انظر: الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائرى ٢ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، وانظر: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب لحسين بن محمد تقى النورى ص ٣٥

(*) وقد كتب عن تفسير الطبرسي الأستاذ مصطفى الغزالى تحت عنوان « تشيع الطبرسي من خلال تفسيره لسورة النساء » كتب هذا البحث في إحدى المجلات التي صدرت في تونس . وهو بحث نفيس جدًا

(٢) سورة المائدة الآية ١٠٦ .

(٣) انظر: مجمع البيان ٢ / ٢٥٦ .

أحدهما : كونه ألف تفسيره لنصرة مذهب الامامية ، وتطبيقه لهذا المنهج أيما تطبيق . فالطبرسي جعل نصب عينه تعاليم الرافضة ، ولوى عنق الآيات القرآنية لتوافقها .

ثانيهما : كونه لم يسلك المنهج الصحيح المستقيم فى تفسير القرآن ، ولم ينطلق من الأصول الثابتة التى يجب على كل من يتصدى لتفسير كتاب الله أن يعتمد عليها ويعض عليها بالنواجذ .

فالمنهج الصحيح فى تفسير القرآن ، هو أن يفسر القرآن أولا بالقرآن فما أجمل فى مكان ، فانه قد فسر فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر ، ثم أن يفسر القرآن بالسنة ، لأنها شارحة له وموضحة له ، ثم اذا لم يوجد التفسير فى القرآن نفسه ولا فى السنة ، يرجع فى ذلك الى أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح والعمل الصالح .

ثم يتخيّر بعد ذلك بين أقوال التابعين ويستأنس بها فى التفسير ، لأنهم أخذوا التفسير عن الصحابة الكرام (رضي الله عنهم)[1] .

ثم يؤخذ بمطلق اللغة ، وذلك أن القرآن نزل بلسان عربي مبين[2] .

فالطبرسي لم يسلك هذا المنهج الصحيح فى تفسير القرآن ، بل فسره على مقتضى هواه ومذهبه .

* * *

---

(١) انظر: مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ص ٩٣ - ١٠٤ .

(٢) انظر: البرهان فى علوم القرآن للزركشي ٢ / ١٦٠ .

المبحث السابع
هدف الطبرسي وغايته من تأليف تفسيره

اذا أردنا أن نضبط منهج أى مؤلف يجدر بنا أن نعرف أولا غايته التى يرمي اليها ، وهدفه الذى يسعى اليه من وراء انتاجه العلمي .

والطبرسي لم يخف هدفه قط ، وانما باح به فى أول وهلة ، فقد بين غايته من تأليف تفسيره والباعث الذى بعثه على الاقدام عليه ، فهو قد ألف تفسيره نفاسة على الطوائف الأخرى من طوائف المسلمين ، وفى مقدمتهم أهل السنة ، الذين غاصوا فى غمار التفسير ، فألفوا كتبا جمة فى تفسير كتاب الله وبيان معانية . وكأن الطبرسي يرى أن هؤلاء المفسرين أودعوا مذاهبهم وعقائدهم فى غضون تفاسيرهم ، وفى ذلك ترويج لآرائهم ومذاهبهم .

وتأسف الطبرسي من أن أصحابه - وهم الشيعة الامامية - ليس لهم فى التفسير قدم راسخة ولا جهود تذكر ، الاّ ما كان من مختصرات تشمل ما وصل اليهم من أخبار أهل البيت فى التفسير ، فلم يجد لطائفته تفسيرا يرفع رأسهم ويروّج مذهبهم ، وحتى تفسير الطوسي الذى هو عمدته لم يسلم من الهنات والعيوب على حد زعمه .

فألف تفسيره ليرفع به رأس الطائفة ، ويروج مذهبهم ، ويبرهن على صحة اعتقاداتهم ، وقد وضح ذلك فى مقدمته أيما توضيح . حيث قال : " وقد خاض العلماء قديما وحديثا فى علم تفسير القرآن ، واجتهدوا فى ابراز مكنونه ، واظهار مصونه ، وقد ألفوا كتبا جمّة غاصوا فى كثير منها الى أعماق لججه ، وشقوا الشعر فى ايضاح حججه ، وحققوا فى تفتيح أبوابه ، وتغلغل شعابه ، الاّ أن أصحابنا - رضي الله عنهم - لم يدونوا فى ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم فى ذلك من الأخبار ، ولم يعنوا ببسط المعانى وكشف الأسرار ، الا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد أبوجعفر محمد بن الحسن

الطوسي ـ قدس الله روحه ـ من كتاب التبيان . فانه الكتاب الذى يقتبس منه ضياء الحق ، ويلوح عليه رواء الصدق ، وقد تضمن المعاني والأسرار البديعة ، واحتضن من الألفاظ ، اللغة الواسعة ، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ، ولا بتنميقها دون تحقيقها ، وهو القدوة التى يستضاء بأنواره ، وأطأ مواقع آثاره ، غير أنه خلط فى أشياء مما ذكره فى الاعراب والنحو الغث بالسمين ، والخاثر بالزباد [1] . ولم يميز بين الصلاح مما ذكر فيه ، والفساد ، وأدى الألفاظ فى مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد ، وأخل بحسن الترتيب ، ووجوه التهذيب ، فلم يقع بذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي ، ولم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلىّ ... الى أن قال : " ... وابتدأت بتأليف كتاب هو فى غاية التلخيص والتهذيب وحسن النظم والترتيب ، يجمع أنواع هذا العلم وفنونه ، ويحوى فصوصه وعيونه من علم قراءاته واعرابه ، ولغاته وغوامضه ومشكلاته ، ومعانيه وجهاته ونزوله وأخباره ، وقصصه وآثاره ، وحدوده وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، والكلام على مطاعن المبطلين فيه ، وذكر ما ينفرد به أصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدون فى الأصول والفروع والمسموع والمعقول ، على وجه الاعتدال والاختصار " [2] .

فهذا يدل على أن غرض الطبرسي من تأليف تفسيره هو نصرة تعاليم الامامية والتدليل عليها من القرآن .

لذا نرى الطبرسي طبق هذا المنهج فى تفسيره أيما تطبيق ، حتى أنك لتجده يعطى لفظ الشيعة واشتقاقاتها قداسة دينية ، وكأنها من ألفاظ الطاعات والقربات كالبر والايمان ، والاسلام والاحسان ، والتقوى التى يستحق بها دار الخلود .

---

(١) الخاثر : ضد الرقيق ، يقال : خثر اللبن : ثخن وغلظ .
(٢) مجمع البيان للطبرسي ١ / ١٠ .

وليست كلمة الشيعة من الألفاظ الشرعية ، بل هي من الألفاظ اللغوية ، التى لا تدل فى حد ذاتها مدحا ولا ذما ، كما سبق أن أشرنا فى الباب الأول عند تعريف الشيعة .

ولكن الطبرسي يعطى هذه الكلمة قداسة دينية ، حيث قال فى تعريفها : " والتشيع هو الاتباع على وجه التدين "[1] ، وتخصيص الاتباع على وجه التدين ، ليس بصحيح ، بل يكون على وجه التدين ، وعلى وجه العصبية .

ويستدل الطبرسي بكثير من الآيات على فضل الشيعة والتشيع ، ويورد تحتها الأخبار الموضوعة التى ينسبونها الى آل البيت .

فعند تفسيره لقوله تعالى : " فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه "[2] . قال الطبرسي : " روى أبوبصير عن أبى عبد الله - رضي الله عنه - قال : " ليهنكم الاسم . قال : قلت : وما الاسم ؟ قال : الشيعة . أوما سمعت الله سبحانه يقول : " فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه "[3] .

وعند تفسيره لقوله تعالى : " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون "[4] . قال الطبرسي : " روى عن أبى عبد الله أنه قال : " نحن الذين يعلمون وعدونا لا يعلمون ، وشيعتنا أولوا الألباب "[5] .

وهذا الكلام باطل ، فان الشيعة الرافضة ليسوا بذوى حجر ، ولا بأولى الألباب ، بل هم أقل الناس عقولا .

---

(١) مجمع البيان ٢ / ٣١٥ .
(٢) سورة القصص الآية ١٥ .
(٣) مجمع البيان ٤ / ٢٤٤ .
(٤) سورة الزمر الآية ٩ .
(٥) مجمع البيان للطبرسي ٤ / ٤٩١ .

وعند تفسيره لقوله تعالى : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية " .(١)

أورد الطبرسي خبرا موضوعا عن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول : " قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا مسنده الى صدري . فقال يا علي : ألم تسمع قول الله تعالى : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية " هم شيعتك وموعدي وموعدكم الحوض اذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرا محجلين " .(٢)

وهو خبر باطل ، يدل على بطلانه وكذبه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفي وهو مسند الى صدر عائشة - رضي الله عنها - كما ثبت في الصحيح(٣) ولم يتوف وهو مسند الى صدر عليّ رضي الله عنه .

وحاشا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الى التفرق والتحزب والتشيع .

كل هذا يدل على أن الطبرسي كان يقصد من تأليف تفسيره توطيد عقائد الرافضة وترويجها وترسيخها في أذهان العامة .

---

(١) سورة البينة الآية (٧) .

(٢) مجمع البيان ٥/٥٢٤ .

(٣) وكانت عائشة - رضي الله عنها - تقول - كما روى عنها البخاري - : " مات - أي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين حاقنتي وذاقنتي " .
انظر: صحيح البخاري مع الفتح ٨/١٣٨ حـ ٤٤٣٨ .
والحاقنة : ما أسفل من الذقن ، والذاقنة : ما علا منه .

المبحث الثامن
وسيلة الطبرسي في وصول غايته وطريقة عرضة لمسائل الرفض

ذكرنا في المبحث السابق : أن غرض الطبرسي من وراء تفسيره ، هو نصرة تعاليم الامامية ، وهو قد توصل الى هذه الغاية بكل وسيلة رأى أنها تخدم هدفه وترج بضاعة الرافضة وتنصرها .

فمنهج الطبرسي الحقيقي في تفسيره هو : كل وسيلة تمكنه من وصول غايته ، فلسان حاله ان الغاية تبرر الوسيلة .

فان رأى الطبرسي أن ظاهر لفظة من أي آية من القرآن يمكن التمسك بها في تأييد مذهبه تشبث بها ، وعدل عن الآيات الأخرى والأحاديث التي توضح المراد وتخالف مذهبه ، ويتهم جمهور المفسرين بأنهم عدلوا عن الظاهر الى المجاز .

مثال ذلك : أنه استدل بقوله تعالى : " وورث سليمان داود "[1] على أن الأنبياء يورثون كغيرهم من الناس[2] ، تمسكا بكلمة " ورث " معرضا عن الأحاديث الصحيحة التي تبين أن الأنبياء لا يورثون ".[3]

وان رأى أن ظاهر النص القرآني لا يسعفه ولا يدل على ما يرمي اليه ، لجأ الى المجازات والاستعارات والتأويلات الفاسدة .

وان رأى أنه لا يمكن الاستدلال بالآية على مذهبه ، تعلق بالأخبار الموضوعة والروايات الباطلة .

---

(١) سورة النمل الآية ١٦ .

(٢) انظر : مجمع البيان ٤ / ٢١٤ .

(٣) روى البخاري - رحمه الله تعالى - عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : " سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " لا نورث ما تركناه صدقة " . انظر : صحيح البخاري مع الفتح ١٢ / ٥ حـ ٦٧٢٦ .

وعلى كل فللطبرسي في نصرة مذهب الرافضة وعرضه طرق شتى . منها :

١- استخدامه الجدل المنطقي في اخضاع الآيات لمذهبه .

٢- ايراد القراءات المكذوبة على أهل البيت لتؤيد مذهبه الباطل .

٣- الاستدلال بالأخبار الموضوعة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى سائر أهل بيته (رضي الله عنهم) .

٤- الاستخدام للمجازات والاستعارات والتأويلات الفاسدة . ويعرض الطبرسي مسائل الرفض بأسلوب جذاب يوقع القارئ - غير المتمكن - في حبائل الرفض .

فانه عند تفسيره للآية يقدم التفسير المشهور عند عامة المفسرين ، ليطمئن اليه القارئ ، ثم يردفه بتشيعاته بصيغة قيل ، ويترك هذا القول بعض الأحيان بدون تأييد ولا تضعيف ، ويرجحه أحيانا . وبعض الأحيان يصدّر تفسير الآية بعرض مذهبه - كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى : " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة" [1] - ويدافع عن مسائل الرفض دفاع المستميت ، ويستخدم التأويلات البعيدة ، ويركب في اثبات باطله الصعب والذلول .

والحاصل أن الطبرسي أسير هواه ، وأسير تعاليم طائفته ، وليس له منهج ثابت ينطلق منه في تفسيره ، سوى ليّ عنق الآيات ، فهو لا يراعي سياق القرآن ومقاصده العامة ، ولا يراعي سبب النزول الذي يوصل الى فهم المراد من الآية ، ولا يراعي اللغة التي نزل بها القرآن ، كما لا يراعي بيان من نزل عليه القرآن ، وهو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٥ .

القسم الثاني

كشف الاتجاه الرافضي في تفسير الطبرسي

وفيه بابان :

الباب الأول : ابراز مدى تمسك الطبرسي بعقائد الامامية الاثنى عشرية

الباب الثاني : ابراز مدى تمسك الطبرسي بفقه الشيعة الامامية وآراء المعتزلة .

الباب الأول

ابراز مدى تمسك الطبرسي بعقائد الامامية الاثني عشرية

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : الامامة .

الفصل الثاني : العصمة .

الفصل الثالث : الرجعة وغيبة المهدى المنتظر .

الفصل الرابع : التقية .

الفصل الخامس : القول بتحريف القرآن .

الفصل السادس : الطعن في الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) .

الفصل الأول
الامامة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الامامة عند أهل السنة والشيعة وباقي الفرق .

المبحث الثاني : مكانة الامامة عند الاثني عشرية ونظرتهم الى الامام.

المبحث الثالث : موقف الطبرسي من الامامة .

المبحث الأول
الامامة عند أهل السنة والشيعة وباقي الفرق

الامامة لغة التقدم ، تقول : أم القوم . وأم بهم : تقدمهم.[١]

ويطلق الامام على كل من يقتدى به ويتبع سواء كان من المهديين أو من المضلين .

قال ابن منظور:" والامام كل من أئتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم ، أو كانوا ضالين ".[٢] قال تعالى :" يوم ندعوا كل أناس بامامهم ".[٣] ومعنى الآية . كما قال ابن جرير الطبرى :" يوم ندعوا كل أناس بامامهم الذين كانوا يقتدون ويأتمون به فى الدنيا".[٤] وقال تعالى :" وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا".[٥]

" والامام ما أئتم به من رئيس وغيره ، والجمع أئمة .[٦] وفى التنزيل :"فقاتلوا أئمة الكفر".[٧] أى قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم الذين ضعفاؤهم تبع لهم.

والامام هو القيّم المصلح . قال ابن منظور:" وامام كل شئ قيّمه والمصلح له ، والقرآن امام المسلمين ، وسيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ امام الأئمة ، والخليفة امام الرعية ،وامام الجند قائدهم".[٨]

---

(١) انظر: لسان العرب ١٢ / ٢٤ .
(٢) لسان العرب ١٢ / ٢٤ .
(٣) سورة الاسراء الآية ٧١ .
(٤) تفسير الطبرى ١٥ / ١٢٧ .
(٥) سورة السجدة الآية ٢٤ .
(٦) لسان العرب ١٢ / ٢٤ .
(٧) سورة التوبة الآية ١٢ .
(٨) لسان العرب ١٢ / ٢٥ .

ولم يرد لفظ "الامامة" في القرآن الكريم ، وانما ورد فيه لفظ" امـــام" ، و" أئمـــة" . قال تعالى :" ... اني جاعلك للناس اماما"[١] . وقال عز وجل : " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا " .

والمقصود من الامامة هنا الخلافة التي هي منصب النيابة عن صاحـــب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا ، كما يقول به ابن خلدون .[٢]

فهذا المنصب - أي منصب النيابة يسمى امامة وخلافة ، والقائم به خليفة واماما[٣] . وبين ابن خلدون : لماذا سمي صاحب هذا المنصب امامـــا وخليفة ؟ . فقال : " فأما تسميته **امامـــا** فتشبيها بامام الصلاة في اتباعـــه والاقتداء به ، ولهذا يقال الامامة الكبرى ، وأما تسميته خليفة ، فلكونه يخلف النبي - صلى الله عليه وسلم - في أمته ، فيقال : خليفة باطلاق ، وخليفـــة رسول الله[٤] (صلى الله عليه وسلم) .

وقد حدث الخلاف في الامامة بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، بل هو أول خلاف وقع بين المسلمين ، وأعظم خلاف وقع بينهم " اذ ماســـل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ماسل على **الامامة** "[٥] .

قال الامام الأشعري :" وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين - بعد نبيهم - صلى الله عليه وسلم - اختلافهم في الامامة ، وذلك أن رسول اللـــه - صلى الله عليه وسلم - لما قبضه الله عز وجل ونقله الى جنته ودار كرامتـــه ،

---

(١) ســـورة البقـــرة آيـــة ١٢٤ .
(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون ١٧١ .
(٣) انظر: المصدر نفســـه .
(٤) انظر: المصدر نفســـه .
(٥) الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢٤ .

اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة[1] ، بمدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأرادوا عقد الامامة لسعد بن عبادة .

وبلغ ذلك أبابكر، وعمر - رضوان الله عليهما - فقصدا نحو مجتمع الأنصار فى رجال من المهاجرين ، فأعلمهم أبوبكر أن الامامة لا تكون الآ فى قريش ، واحتج عليهم بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " الامامة فى قريش"[2]، فأذعنوا لذلك منقادين ورجعوا الى الحق طائعين ... ، ثم بايعوا أبابكر - رضوان الله عليه - ، واجتمعوا على امامته ، واتفقوا على خلافته وانقادوا لطاعته ، فقاتل أهل الردة على ارتدادهم كما قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كفرهم ، فأظهره الله عز وجل عليهم أجمعين ، ونصره على جملة المرتدين ، وعاد الناس الى الاسلام أجمعين ، وأوضح الله به الحق المبين" .[3] فوقى الله الأمة شر الخلاف فى الامامة بمبايعة أبى بكر (رضي الله عنه) .

ثم ان أبابكر - رضي الله عنه - رأى من الرأى أن يستخلف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - واستشار الصحابة من المهاجرين والأنصار فى ذلك فوافقوه عليه . وكان استخلاف عمر - رضي الله عنه - من الأعمال الجليلة التى عملها أبوبكر - رضي الله عنه - فى مدة خلافته القصيرة المباركة ، حيث قام عمر بالأمر أتم القيام ، ولم يحدث فى خلافة الشيخين أبى بكر وعمر - رضي الله عنهما - خلاف فى الامامة .

---

(١) سقيفة بنى ساعدة بالمدينة ، وهي ظلة كانوا يجلسون عليها . وبنو ساعدة حى من الأنصار ، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة ، منهم سعد بن عبادة . معجم البلدان ٣ / ٢٢٩ .

(٢) الحديث معناه فى صحيح مسلم بلفظ : " لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقي من الناس اثنان " . صحيح مسلم ٣ / ١٤٥٢ حـ ١٨٢٠ .

(٣) مقالات الاسلاميين للأشعرى ١ / ٣٩ - ٤٢ .

ثم ظهر الخلاف فى الامامة فى أواخر عهد عثمان - رضي الله عنه - اثر الفتن التى قام بها عدو الله - عبد الله بن سبأ اليهودى - ، فانه هو الذى تولى كبر هذا الخلاف واحيائه ، حيث أحدث فكرة الوصاية ، وزعم أن لكل نبى وصيا ، وأن عليّا وصي رسول الله محمد خاتم الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - وأنه صلى الله عليه وسلم عهد الى عليّ بالخلافة والامامة ، وأن من تولى هذا المنصب دون عليّ ، فقد اغتصب حقه . وزعم أن عليّا مظلوم وأن عثمان اغتصب حقه ، فحرض الناس بالثورة على عثمان ، وبالنهوض لنصرة عليّ الولى المهضوم حقه على حد زعمه ، وأدت هذه الفتن التى قام بها ابن سبأ الى حصار عثمان - رضي الله عنه - وقتله شهيدا مظلوما على أيدى الغوغائيين الجهلة ، وهو برئ كل البراءة مما افتروا عليه .(١)

ثم بويع عليّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - بعد استشهاد عثمان - رضي الله عنه - فاشتد الاختلاف فى الامامة ، حيث اختلف الناس فى أمر عليّ اختلافا كبيرا ، فهناك من بايعه وناصره فى حروبه ، وهناك من لم يبايعه بل طلب منه أولا تسليم قتلة عثمان ، ثم البيعة بعد ذلك ، فكانت الحرب بينهما . وهناك من توقف عن مبايعته ونصرته حتى تتفق كلمة المسلمين .

وما زال الخلاف فى الامامة بين فرق المسلمين منذ خلافة عليّ - رضي الله عنه - الى يومنا هذا .

اتفاق الأمة على وجوب نصب الامام :

ونصب الامام واجب على الأمة ، دلّ على وجوبه الشرع والعقل ، أما الشرع فلقوله تعالى : " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم "،(٢)

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤ / ٤٣٠ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ .

وقوله صلى الله عليه وسلم :" من أطاعنى فقد أطاع الله ومن يعصنى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعصى الأمير فقد عصاني".(١)

فلو لم يكن نصب الامام واجبا لما وجبت طاعته ولما حرمت معصيته ، ودلّ أيضا على وجوب نصب الامام اجماع الصحابة على ذلك ومن تبعهم.

قال ابن خلدون :" ثم ان نصب الامام واجب ، قد عرف وجوبه بالشرع ، باجماع الصحابة والتابعين ، لأن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند وفاته ، بادروا الى بيعة أبى بكر - رضي الله عنه - وتسليم النظر اليه فى أمورهم ، وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ، ولم تترك الناس فوضى فى عصر من الأعصار . واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام".(٢)

وأما دلالة العقل على وجوب نصب الامام ، فلأنا علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام الناس بماأوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم فى الأموال والجنايات ، والدماء ، والنكاح ، والطلاق ، وسائر الأحكام كلها ، ومنع الظالم ، وانصاف المظلوم ، وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم ، وشواغلهم ، واختلاف آرائهم ، ممتنع غير ممكن اذا لم يسند أمر الناس الى واحد فاضل عالم حسن السياسية قوى على الانفاذ .(٣)

ولم يوجد فى تاريخ البشرية مجتمع بدون قيادة وامامة ، سواء فى ذلك المجتمعات الكبيرة كالدول ، أو المجتمعات الصغيرة كالقبائل ، فنصب الامامة فطرة بشرية سلمها العقل وأقرها الشارع .

ولذلك اتفقت جميع الفرق الاسلامية على وجوب الامامة الاّ من شذ .

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة . انظر: صحيح مسلم٣/١٤٦٦حـ١٨٣٥ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ١٧١ .

(٣) انظر: الفصل لابن جزم ٤/١٤٩، ١٥٠ .

قال ابن حزم :" اتفق جميع أهل السنة ، وجميع المرجئة وجميع المعتزلة ، وجميع الشيعة ، وجميع الخوارج ، على وجوب الامامة ، وأن الأمة فرض واجب عليها الانقياد لامام عادل ، يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حاشا النجدات[1] من الخوارج فانهم قالوا :" لا يلزم الناس فرض الامامة ، وانما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ، وهذه فرقة ما نرى بقى منها أحد ".[2]

وقول هذه الفرقة باطل ساقط ، يدلّ على سقوطه ما ذكر من دلالة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ، ومن بعدهم على وجوب نصب الامام .

كيفية تعيين الامام واختلاف الأمة فى ذلك :

ثم بعد أن اتفقت الأمة على وجوب نصب الامام اختلفوا فى شروط من يختار للامامة ، وفى كيفية تعيينه وثبوت الامامة له .

فجمهور الأمة يرون أن الامامة تثبت باختيار أهل الحل والعقد ومبايعتهم لمن رأوا أنه كفوء لهذا المنصب ، اذ لم يثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه نص على امامة أحد بعده ، ولو نص على امامة أحد لكان ذلك .

أما الشيعة فانهم ذهبوا الى أن الطريق الذى يعرف به الامام ويتعين به هو النص من الشارع ولا مجال للاختيار فيه .[3]

كيفيات انعقاد الامامة عند أهل السنة :

حدد علماء أهل السنة طرقا معينة فى انعقاد الامامة وثبوتها ، وهي

---

(١) هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي . انظر مقالات الاسلاميين ١ / ١٧٤ .

(٢) الفصل فى الملل لابن حزم ٤ / ١٤٩ .

(٣) انظر: تفسير القرطبي ١ / ٢٥٦ .

عدة أمور لخصها الشيخ الأمين الشنقيطي فى تفسيره"أضواء البيان" . حيث قال :" واعلم أن الامامة تنعقد بأحد أمور :

الأول : ما لو نص صلى الله عليه وسلم أن فلانا هو الامام ، فانها تنعقد بذلك ، وقال بعض العلماء :" ان امامة أبى بكر من هذا القبيل، لأن تقديم النبي - صلى الله عليه وسلم - له فى امامة الصلاة ، وهي أهم شئ ، وفيه الاشارة الى التقديم للامامة الكبرى .

الثاني : هو اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته ، وقال بعض العلماء : " ان امامة أبى بكر منه ، لاجماع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار عليها بعد الخلاف ، ولا عبرة بعدم رضى بعضهم ، كما وقع من سعد بن عبادة - رضي الله عنه - من عدم قبوله بيعة أبى بكر (رضي الله عنه) .

الثالث: أن يعهد اليه الخليفة الذى قبله ،كما وقع من أبى بكر لعمر - رضي الله عنهما - ومن هذا القبيل جعل عمر - رضي الله عنه - الخلافة شورى بين ستة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مات وهو عنهم راض .

الرابع : أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر وتدين له الناس ، لما فى الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين واراقة دمائهم . قال بعض العلماء ومن هذا القبيل قيام عبد الملك ابن مروان على عبد الله بن الزبير وقتله اياه فى مكة على يد الحجاج ابن يوسف فاستتب له الأمر .[1]

ويدل على صحة انعقاد الامامة بهذه الكيفية الأخيرة ما حكاه ابن تيمية

---

(١) أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ١ / ٥١ .

عن أئمة السنة ، حيث قال : " فلهذا قال أئمة السنة من صار له قدرة وسلطان يفعل بها مقصود الولاية ، فهو من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله ، فالامامة ملك وسلطان " . (١)

شروط الامام الأعظم عند الجمهور :

يشترط الجمهور فيمن يختار لمنصب الامامة الكبرى ، عدة شروط أخذوها واستنبطوها من نصوص الشارع . من هذه الشروط :

أولا : العلم ، واشتراطه ظاهر " لأنه انما يكون منفذا لأحكام الله تعالى اذا كان عالما بها وما لم يعلم ، لا يصح تقديمه لها ، ولا يكفى من العلم الا أن يكون مجتهدا " . (٢) فيجب أن يكون من يختار لهذا المنصب عالما ، بحيث يكون ممن يصلح أن يكون قاضيا من قضاة المسلمين ، مجتهدا يمكنه الاستغناء عن استفتاء غيره فى الحوادث . (٣)

ثانيا : العدالة ، فلا تجوز امامة فاسق ، قال ابن خلدون فى اشتراط العدالة : " وأما العدالة فلأنه منصب دينى ينظر فى سائر المناصب التى هي شرط فيها ، فكان أولى باشتراطها فيه ، ولا خلاف فى انتفاء العدالة فيه ، بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها ... " . (٤) ويدخل فى اشتراط العدالة اشتراط الاسلام ، لأن العدل لا يكون غير مسلم" . (٥)

ثالثا : الكفاية ، " وهو أن يكون جريئا على اقامة الحدود ، واقتحام الحروب ، بصيرا بها ، كفيلا بحمل الناس عليها ، عارفا بالعصبية وأحوال الدهاء ،

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١٤١/١ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ١٧٢ .
(٣) انظر : أضواء البيان ٥٧/١ .
(٤) مقدمة ابن خلدون ٢ ١٧ .
(٥) أضواء البيان ٥٧/١ .

قويا على معاناة السياسة ، ليصبح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين ، وجهاد العدو ، واقامة الأحكام وتدبير المصالح" .[١] ومن الكفاية : الرجولة ، فلابد وأن يكون الامام رجلا ، لأن المرأة لا تصلح للامامة أصلا . لما رواه البخارى من حديث أبى بكرة - رضي الله عنه - قال :" لما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى . قال :" لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة "[٢] .

رابعا : سلامة الحواس ، فيجب أن يكون الامام الأعظم سليم الأعضاء ، والحواس من النقص والعطلة ، كالجنون والعمى والصمم والخرس ، وما يؤثر فقده من الأعضاء فى العمل ، كفقد اليدين والرجلين والانثيين ، لأن عدم سلامته من هذا ، يؤثر فى عمله وقيامه بما جعل اليه"[٣] .

خامسا : القرشية ، فيشترط للامام الأعظم النسب القرشي ، وذلك بالأحاديث الصحيحة الصريحة فى ذلك ، وباجماع الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - على ذلك .

فمن ذلك ما رواه البخارى عن معاوية - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :" ان هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله فى النار على وجهه ما أقاموا الدين "[٤] .

وفى الصحيح أيضا ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :" لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقي منهم اثنان"[٥] . وفى رواية مسلم :" ما بقي

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٧٣ .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ٧ / ١٢٦ حـ ٤٤٢٥ .

(٣) انظر : مقدمة ابن خلدون ١٧٣ .

(٤) صحيح البخارى مع الفتح ١٣ / ١١٤ حـ ٧١٣٩ .

(٥) صحيح البخارى مع الفتح ١٣ / ١١٤ حـ ٧١٤٠ .

من الناس اثنان " .[1] وروى مسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: " قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم " .[2]

فهذه الأحاديث تدل على أن الأئمة يجب أن يكونوا من قريش ما أقاموا الدين .

وأجمعت الصحابة على ذلك يوم السقيفة ، حيث احتج المهاجرون على الأنصار لمّا هموا ببيعة سعد بن عبادة وقالوا : منا أمير ومنكم أمير بما ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أن الامامة فى قريش . فحجوا الأنصار ، وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد ، وبايعوا أبابكر (رضي الله عنه) .[3]

والى هذا ذهبت الأمة - الاّ من شذ ، وهو محجوج بهذه الأدلة القاطعة .

قال ابن حزم - رحمه الله - : " وبوجوب الامامة فى ولد فهر بن مالك خاصة - يعنى قريشا - . نقول بنص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن الأئمة من قريش وعلى أن الامامة فى قريش .

وهذه رواية جاءت مجئ التواتر ، رواها أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومعاوية ، وجابر بن عبد الله ، وجابر بن سمرة ، وعبادة ابن الصامت ، معناها .

ومما يدل على صحة ذلك اذعان الأنصار - رضي الله عنهم - يوم السقيفة ، وهم أهل الدار والمَنَعَة ، والعدة والعدد ، والسابقة فى الاسلام - رضي الله عنهم ، ومن المحال أن يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم ، لولا قيام

---

(١) صحيح مسلم ، ٣/١٤٥٢ حـ ١٨٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣/١٤٥١ حـ ١٨١٨ .

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ١٧٣ .

الحجة عليهم بنص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن الحق لغيرهم في ذلك " .[١]

وقال النووى فى شرح صحيح مسلم :" هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش ، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم ، وعلى هذا انعقد الاجماع فى زمن الصحابة ، فكذلك بعدهم ، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم ، فهو محجوج باجماع الصحابة والتابعين ، فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة ".[٢]

ولكن اشتراط النسب القرشي مقيد باقامتهم الدين لحديث معاوية : " ان هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد الاّ كبه الله فى النار على وجهه ما أقاموا الدين " . حيث قيّد صلى الله عليه وسلم ، كون الأمر فيهم باقامتهم الدين ، وذلك أن لفظة" ما " مصدرية ظرفية مقيّدة لقوله :" ان هذا الأمر فى قريش " .

وتقرير معنى الحديث كما قال الشيخ الأمين :" ان هذا الأمر فى قريش مدة اقامتهم الدين . ومفهومه :" أنهم ان لم يقيموه لميكن فيهم ، وهذا هو التحقيق الذى لا شك فيه فى معنى الحديث "[٣] . وأشار الحافظ الى هذا المعنى فى الفتح ، حيث قال :" قوله :" ما أقاموا الدين" . أى مدة اقامتهم أمور الدين ، قيل يحتمل أن يكون مفهومه فاذا لم يقيموه لا يسمع لهم ، وقيل : يحتمل أن لا يقام عليهم ، وان كان لا يجوز ابقاؤهم على ذلك . ذكرهما ابن التين ، ثم عقب الحافظ عليه بقوله :" وما نقله من الاحتمال فى قوله : " ما أقاموا الدين " خلاف ما تدل عليه الأخبار الواردة فى ذلك ، الدالة على

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤ / ١٥٢ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ١٢ / ٢٠٠ .

(٣) أضواء البيان ١ / ٥٣ .

العمل بمفهومه ، أو أنهم اذا لم يقيموا الدين يخرج الأمر عنهم ".[١]

وذهبت الخوارج كلها ، وجمهور المعتزلة ، وبعض المرجئة ، الى عدم اشتراط النسب القرشي فى الامام الأعظم ، وقالوا :" انها جائزة فى كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان ، أو عربيا ، بل أغرب بعضهم حيث زعم : أنه اذا اجتمع قرشي وحبشي ،كلاهما قائم بالكتاب والسنة ،فالواجب أن يقدم الحبشي ،لأنه أسهل لخلعه اذا حاد عن الطريق .[٢]

وكلامهم مردود بما سقناه من الأدلة فى اشتراط النسب القرشي ،ولا سيما قول من زعم بتقديم الحبشى على القرشي ، اذا استويا بالقيام على الكتاب والسنة ، فان هذا القول محادّ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأهل السنة لا يشترطون للامام أن يكون معصوما من الزلل والخطأ ، ولا أن يكون من أعلم الناس وأشجعهم ، ولا أن يكون من بنى هاشم دون غيرهم من قريش ، لأن الاجماع قد انعقد على امامة أبى بكر ، وعمر ،وعثمان (رضي الله عنهم) وان لم يكونوا من بنى هاشم .[٣]

والامام عند أهل السنة ، أو الخليفة ،نائب عن صاحب الشريعة ، حيث يحمل الناس على العمل بما أمرهم به ،ولا يشرع من تلقاء نفسه ، وله أن يجتهد فيما لم يرد به نص ، بخلاف الشيعة الذين يشترطون للامام العصمة ،ويخولونه حق التشريع .

كيفية انعقاد الامامة وثبوتها . وشروط من يختار لها عند الشيعة :

الشيعة بجميع فرقهم متفقون على أن الامامة والخلافة ، ثبتت لعلي

---

(١) فتح البارى ١٣ / ١١٦ .

(٢) انظر: الفصل لابن حزم ٤ / ١٥٢ .

(٣) انظر: تفسير القرطبي ١ / ٢٧١ .

ابن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ واتفقوا أيضا على أنها تكون بعده فى ولده ولا تخرج عنهم .

لكنهم اختلفوا فى كيفية ثبوت الامامة لعليّ ـ رضي الله عنه ـ فقالت الزيدية : " ان الامامة ثبتت له بالوصف والاشارة ، ولم تثبت له بالنص ، لكنه كان أفضل الناس ـ بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحقهم بالأمر "[1].

وقالت الرافضة الامامية : "ان الامامة ثبتت لعليّ ـ رضي الله عنه ـ بالنص ، وأن الوحي القرآني نزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تنصيصه وتعيينه ونَصبه للامامة . وزعموا أن قوله تعالى : " يا يها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته "[2]. نزلت فى تولية عليّ وخلافته ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، نفذ أمر الله وبلغ الناس امامة عليّ وخلافته[3] .

واختلفت الشيعة أيضا فى امامة الشيخين ، وعثمان ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ :

فأما الجارودية ـ من الزيدية ـ وهم أبعد فرق الزيدية عن جادة الصواب كفروا الشيخين وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ وطعنوا فى خلافتهم . قال النوبختى: " وفرقة منهم يسمون الجارودية . قالوا : بتفضيل عليّ عليه السلام ، ولم يروا مقامه يجوز لأحد سواه ، وزعموا أن من دفع عليّا عن هذا المكان فهو كافر ، وأن الأمة ضلت وكفرت فى ترك بيعته "[4] .

وأما الجريرية والبترية ـ من الزيدية ـ فقد أثبتوا امامة أبى بكر وعمر ، وقالوا : " ان الصحابة لم يظلموا عليّا ـ رضي الله عنه ـ لكنه طابت نفسه بتسليم

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم ٤ / ١٥٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ١٧٦ .

(٤) فرق الشيعة للنوبختى ٢١ .

حقه الى أبى بكر وعمر - رضي الله عنهما - وأنهما اماما هدى[1] ، ولكن موقف جميع الفرق الزيدية من عثمان : سيئ جدا ، فمن مكفر له - حاشاه - كالجارودية والجريرية ، ومن متوقف عنه كالبترية .[2]

وأما الرافضة الامامية ، فلم يثبتوا امامة الشيخين ، فضلا عن عثمان - رضي الله عنهم - بل طعنوا فيهم وسبوهم وكفروهم ، وسائر الصحابة - الاّ النزر اليسير - بحجة أنهم تركوا امامة عليّ .

واختلفت الشيعة أيضا فى كيفية ثبوت الامامة فى ولد عليّ ، وفى سوقها فيهم ، وفيما يشترط لمن يختار منهم للامامة . :

أما الزيدية بجميع فرقهم - كما قال البوبختى - جعلوا الامامة بعد عليّ - رضي الله عنه - فى الحسن بن عليّ عليهما السلام ، ثم فى الحسين عليه السلام ، ثم هي شورى بين أولادهما .[3]

ولكنهم اشترطوا فيمن يختار للامامة من ولد الحسن والحسين ، أن يكون عالما ، شجاعا ، سخيّا ، خرج بطلب الامامة . فالزيدية لا يقولون بالنص فى أولاد الحسن والحسين ، بل هي شورى بينهم .[4]

وأما الامامية الرافضة فقالوا : ان الامامة ثبتت لمن بعد عليّ من أولاده بالنص ، فالامام بعد عليّ الحسن بالنص ، ثم الحسين بالنص ، ثم عليّ بن الحسين بالنص ، ثم محمد بن عليّ المعروف بالباقر بالنص ، ثم ابنه جعفر بن محمد بالنص .

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم ٤/١٥٧ .
(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٢١ .
(٤) انظر : الملل للشهرستاني ١/١٥٤ .

وقالوا : ان الامامة فى ولد الحسين بعده ، ولا تخرج منهم ، حيث لا ترجع الى ولد الحسن ، واستدلوا على اقتصار الامامة فى ولد الحسين، بقوله تعالى :" وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض "[1] . فهم قد اشترطوا أن تكون الامامة فى ولد الحسين بعده ..[2]

واختلفت الامامية الرافضة فى سوق الامامة بعد جعفر ، فالاسماعيلية قالوا : ان الامام بعد جعفر ابنه اسماعيل بالنص ، والاثنا عشرية ساقوا الامامة فى موسى بن جعفر بالنص، ثم فى ولده بالنص ، الى الامام الثاني عشر المهدى المنتظر عندهم ، الذى يسمونه محمد بن الحسن العسكرى ، ويزعمون أنه أختفى فى سرداب دار أبيه ، وأنه فى غيبة ، وأنه سيخرج وسيملأ الأرض عدلا ، كما ملئت جورا ، مع أن الحسن العسكرى مات ولم يعقب باتفاق المؤرخين والنسابين .[3] فهم ينتظرون معدوما لم يولد ولم تره عين ، وكفى بهم ذلك جهلا وحمقا .

وتزعم الاثنى عشرية أن هؤلاء الأئمة الاثنى عشر نص عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - على هذا الترتيب الذى يرتبون ، كما أن كل امام سابق كان ينص على اللاحق .[4]

وليس للشيعة عموما ، ولا الرافضة الامامية خصوصا ، حجة فيما ذهبوا اليه فى الامامة سوى :" نصوص ينقلونها ويؤلونها على مقتضى مذهبهم ، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقته ،

---

(١) سورة الأنفال الآية ٧٥ .

(٢) انظر: الفصل لابن حزم ٤/١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) انظر: المصدر نفسه .

(٤) انظر: عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٦٢ .

أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة .[1]

ومما يدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم ينص على امامة عليّ - رضي الله عنه - فضلا عن غيره ممن تقول الشيعة الامامية بامامتهم ما رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال : " ان عليّ بن أبى طالب خرج من عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فى وجعه الذى توفى فيه . فقال الناس: يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب ، فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وانى والله لأرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سوف يتوفى من وجعه هذا ، انى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت اذهب بنا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ ان كان فينا علمنا ذلك . وان كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال عليّ: انا والله لئن سألناها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وانى والله لاأسألها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)".[2]

* * *

* *

*

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٧٦ .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ٨ / ١٤٢ حـ ٤٤٤٧ .

المبحث الثاني
مكانة الامامة عند الاثنى عشرية . ونظرتهم الى الامام

أولا : مكانة الامامة عند الاثنى عشرية :

قد مر بنا تعريف الامامة وأن المقصود هنا : الخلافة . والشيعة يستعملون غالبا كلمة الامامة أكثر من لفظ الخلافة ، ويستعملون أيضا فى الغالب كلمة الولاية ، يقصدون بها الامامة . فيقولون مثلا : ولاية عليّ ، أو ولاية أهل البيت ، بمعنى امامتهم . ويقصدون بها أيضا موالاة أهل البيت وطاعتهم والانقياد اليهم ، والتبرئ من أعدائهم .(١)

ومن اصطلاحاتهم فى هذا الباب كلمة الوصاية ، فيقولون : على وصيّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أو هو سيد الوصيين ، وهي تعنى النص على امامة عليّ والمنصوص عليهم من ذريته حسب زعمهم .

والامامة عند الامامية الاثنى عشرية ، ليست قضية سهلة ، بل هي أصل من أصول الدين وركن من أركان الايمان ، " وليست هي من المصالح العامة التى تفوض الى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم . .. ، ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الامام لهم "(٢) .

فلأجل قولهم بالامامة فارقت الشيعة الأمة ونابذوها وعادوها وكفروها وحاربوها وظاهروا عليهم الأعداء ، وجروا لهم الويلات والمخازى ، وركبوا الصعب والذلول فى اثباتها والتدليل عليها .

---

(١) والرافضة يقصدون بأعداء أهل البيت : المهاجرين والأنصار ومن تبعهم باحسان ، وهذا قلب للحقائق . فلم تكن بين عليّ وبين الصحابة الكرام وفى مقدمتهم الشيخان أية عداوة ، وانما كانوا متحابين فى الله .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٥

لذا حاولوا كل المحاولة أن يتسخرجوا من الكتاب والسنة حججا وبراهين في اثبات الامامة ، فلما لم يسعفهم ظاهر النصوص ، استعملوا التأويلات الفاسدة ،

ولما لم يغنهم ذلك ، وأصبحت تأويلاتهم أقرب الى التحريف منه الى التفسير ، انتحلوا أحاديث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى أهل بيته الطاهرين ، ولم يكفهم هذا القدر من الاجرام والكذب الفاضح ، بل لجأووا الى القول بزيادة القرآن ونقصانه ، وأنه حذف منه ما كان ينص على ولاية أهل البيت وامامتهم وفضلهم ، وكذلك حذف ما ورد في مثالب أعدائهم.

فالامامة عندهم عظيمة ومطلب من أهم مطالب الايمان ، ومَنْصِب الهي كالنبوة يختاره الله لمن يشاء .

فقد روى الكيني - صاحب الكافي - بسنده عن جعفر الصادق قال : " بني الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكوة والصوم والحج والولاية ، " قال زرارة :" الراوى عن جعفر" . قلت : وأى شئ من ذلك أفضل ؟ قال :"الولاية".(١)

وهذا الكلام في غاية البطلان والسقوط والكفر والضلال ، لأن أركان الاسلام معلومة من الدين بالضرورة ، وليس فيها الامامة . وجعل الإمامة ركنا من اركان الدين إلحاد في شرائع الله تعالى وتقوّل على الله بغير علم . وهذه الروايات ليست ثابتة عن جعفر الصادق ، بل من افتآت الرافضة وأكاذيبهم على أهل البيت

ومما يدل على عظم شأن الامامة عند الاثنى عشرية ما قاله الرافضي ابن المطهر - الذى رد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه " منهاج السنة" ، قال ابن المطهر في رسالته التي سماها منهاج الكرامة :" ... فهذه رسالة شريفة ومقالة لطيفة ، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين ، وأشرف

---

(١) الكافي في الأصول ٢ / ١٨ .

مسائل المسلمين ، وهي مسألة الامامة التي يحصل بسبب ادراكها نيل درجة الكرامة ، وهي أحد أركان الايمان المستحق بسببه خلود الجنان . فقد قال صلى الله عليه وسلم :" من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية"[١].

وقد رد عليه شيخ الاسلام ردا مفحما ، حيث قال :" فقوله :" ان مسألة الامامة من أهم المطالب " كذب باجماع المسلين ، اذ الايمان أهم ، فمن المعلوم بالضرورة ، أن الكفار على عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الاسلام ، ولم يذكر لهم الامامة بحال ، فكيف تكون أهم المطالب ؟ أم كيف يكون الايمان بامامة محمد بن الحسن المنتظر من أربعمائة ونيف وستين سنة ليخرج من سرداب سامراء أهم من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ".[٢]

ثم قال شيخ الاسلام في الرد عليه :" وقوله :" الامامة أحد أركان الايمان"، جهل وبهتان ، فان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسر الايمان ولم يذكر الامامة في أركانه ، ولا جاء ذلك في القرآن ، بل قال تعالى :" انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ..الآية"[٣]، وقال تعالى :" انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون "[٤]. وقال تعالى :"ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ... " . الى قوله :" ... أولئك هم المتقون "[٥] . ولم يذكر الامامة وأنها ركن من أركان الدين .

ثم قال ابن تيمية في الرد على الحديث الذي استدل به :" من مات

---

(١) المنتقى من مناهج الاعتدال ص ٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥ .
(٣) سورة الأنفال الآية ٢ .
(٤) سورة الحجرات الآية ١٥ .
(٥) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية " . فنقول : " من روى هذا الحديث ؟ وأين اسناده ؟ . بل : والله ما قاله الرسول هكذا . وانما المعروف ما رواه مسلم : " أن ابن عمر جاء الى عبد الرحمن بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان ، فقال : اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة فقال : انى لم آتك لأجلس ، آتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ، لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية "[1][2] .

وتزعم الاثنى عشرية أن أهم ما بعثت لأجله الأنبياء والمرسلون من آدم الى محمد - عليهم الصلاة والسلام - هو اثبات امامة أهل البيت .

فقد روى الصفار الرافضي بسنده عن أبى بصير . قال : سمعت أباعبد الله يقول : " ما من نبي نبئ ولا من رسول أرسل الا بولايتنا وبفضلنا عمن سوانا[3] .

ويزعمون أن معرفة امامة أهل البيت وطاعتهم طاعة مطلقة فرض ، وأن من عرف امامتهم فهو المؤمن ، ومن أنكر امامتهم كان كافرا .

فقد روى الكلينى عن أبى عبد الله - عليه السلام - قال : نحن قوم فرض الله طاعتنا ، لا يسع الناس الا معرفتنا ، ولا يعذر الناس بجهالتنا ، من عرفنا كان مؤمنا ، ومن أنكر كان كافرا ، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالا حتى يرجع الى الهدى الذى افترض الله من طاعتنا الواجبة "[4] .

ونذكر الآن نبذة من أقوال علمائهم المعاصرين فى مكانة الامامة عند

---

(١) صحيح مسلم ٣/١٤٧٨ حـ ١٨٥١ .

(٢) المنتقى من مناهج الاعتدال ص ٢٨ .

(٣) بصائر الدرجات الكبرى لأبى جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار ص ٩٤ .

(٤) كتاب الحجة من الكافي ١/١٨١ .

القوم ، حيث عرض هؤلاء فكرة الامامة بأسلوب عصرى براق ، " يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا " (١) .

يقول آية الله الحاج السيد ابراهيم الموسوى : " تعتقد الامامية الاثنا عشرية أن الامامة رئاسة فى الدين والدنيا ، ومنصب الهى يختاره الله بسابق علمه ، ويأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه .

والامام حافظ الدين وتعاليمه من التغيير والتبديل والتحريف ، وحيث ان الاسلام دين عام خالد ، كلف به جميع عناصر البشر ، وتعاليمه فطرية أبدية ، أراد الله تعالى بقاءه الى آخر الدنيا ، فلابد أن ينصب الله لحفظه فى كل عصر وزمان اماما ... ، ولأجله أمر الله نبيه بأن ينص على عليّ بقوله : " يا يها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ... " (٢) . ثم أحد عشر اماما من ولد عليّ ، ظاهرا مشهورا أو غائبا مستورا " (٣) .

وقال محمد آل كاشف الغطاء - صاحب أصل الشيعة وأصولها فى تعريف الامامة ومكانتها - أثناء كلامه عن أركان الاسلام عند الاثنى عشرية - : " ... ولكن الشيعة الامامية زاد واركنا خامساوهو الاعتقاد بالامامة - يعنى أن نعتقد أن الامامة منصب الهى كالنبوة ، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة ، ويؤيده بالمعجزات التى هي كنص من الله عليه : " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " (٤) . فكذلك يختار للامامة من يشاء ... " . الى أن قال:

---

(١) سورة النور الآية ٣٩ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٣) عقائد الامامية الاثنى عشرية . لآية الله الحاج السيد ابراهيم الموسوى ١ / ٧٢ .

(٤) سورة القصص الآية ٦٨ .

"... والامامة متسلسلة فى اثنى عشر كل سابق ينص على اللاحق". (١)

قلت: وكلام هذا الرافضى فى غاية البطلان والسقوط، إذ ليست الإمامة كالنبوة.

نظرة الامامية الاثنى عشرية الى أئمتهم :

الامامية الاثنا عشرية ينظرون الى أئمتهم نظرة غلو واطراء ، فهم قد غلوا فى أئمتهم غلوا فاحشا وأطروهم اطراء النصارى عيسى ابن مريم ، بل أشد .

والغلوأو الاطراء منشأ كل انحراف ، وقد حذر الكتاب والسنة من الغلو، قال تعالى :" يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الاّ الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه " . (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :" اياكم والغلو فى الدين ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين " (٣) .

وروى البخارى عن عبد الله بن عباس . سمع عمر - رضي الله عنه - يقول على المنبر :" سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول :" لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم . فانما أنا عبده . فقولوا : عبد الله ورسوله ". (٤)

ولكن الامامية وقعوا فى حظيرة الغلو والاطراء ، حيث رفعوا أئمتهم عن منزلتهم ففضلوهم على الأ نبياء والمرسلين ، بل أثبتوا لأئمتهم صفات

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ص ١٢٨ .

(٢) سورة النساء الآية ١٧١ .

(٣) رواه أحمد ،انظر : المسند ١ / ٢١٥ ، والنسائي فى المناسك انظر : سنن النسائي ٥ / ٢٦٨ .

(٤) صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ٤٧٨ حـ ٣٤٤٥ .

ونعوتا لا يصح أن تكون الاّ لله العلي الكبير .

فها هم أولئك يروون روايات ينسبونها الى أهل البيت ، يمجدون فيها الأئمة ، ويهينون فيها الأنبياء ، يزعمون أن الأئمة أعلم وأفضل من الأ نبياء والرسل .

فقد روى الكليني عن يوسف النمار أنه قال :" كنا مع أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ جماعة من الشيعة فى الحجر . فقال (أبوعبد الله) علينا عين جاسوس فالتفتنا يمنه ويسره ، فلم نر أحدا ، فقلنا ليس علينا عين . فقال: ورب الكعبة ورب البنية ـ ثلاث مرات ـ لو كنت بين موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ لأخبرتهما أنى أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس فى أيديهما ، لأن موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ أعطيا علم ما كان ، ولم يعطيا علم ما يكون ، وما هو كائن حتى تقوم الساعة " .(١)

فانظر الى أى مدى وصل تطاولهم على الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله تعالى من عباده .

وقد صرح بعضهم بتفضيل الأئمة على الأنبياء . ومن هؤلاء : نعمة الله الجزائرى . حيث قال :" اعلم أنه لا خلاف بين أصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ فى أشرفية نبينا على سائر الأنبياء للأخبار المتواترة وانما الخلاف بينهم فى أفضلية أمير المؤمنين (علىّ) والأئمة الظاهرين على الأنبياء ما عدا جدهم ، فذهب بعضهم الى أنهم أفضل من باقى الأنبياء ما خلا أولى العزم ، فهم أفضل من الأئمة ، وبعضهم الى مساواتهم ، وأكثر المتأخرين الى أفضلية الأئمة على أولى العزم وغيرهم ، وهو الصواب " .(٢)

---

(١) الكافي فى الأصول ١ / ٢٦١ .

(٢) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائرى ١ / ٢٠ ، ٢١ .

ويقول الاستاذ احسان الهى ظهير - رحمه الله رحمة وسعة فى تعقيبه على كلام نعمة الله الجزائرى :" وأما القول :" ما خلا جدهم " فليس الاّ تكلفا محضًا والاّ فهم يعدونهم حتى وأفضل منه كما نقلنا من كتبهم ، وكما ذكر الملا محمد باقر المجلسى ، فى كتابه " بحار الأنوار " كذبا على النبي - عليه الصلاة والسلام - بأنه قال لعلىّ :" يا على أنت تملك ما لا أملك . ففاطمة زوجك ، وليس لى زوج مثلها ، ولك منها ابنان ليس لى مثلاهما ، وخديجة أم زوجك وليس لى رحيمة مثلها ، وجعفر أخوك من النسب ، وليس مثل جعفر أخى ، وفاطمة الهاشمية المهاجرة أمك ، وأنى لى أم مثلها ".(١)

ولم يكتف الامامية الاثنى عشرية بتفضيل الأئمة على الأنبياء والمرسلين، بل رفعوهم الى مقام الألوهية ، حيث أثبتوا لهم نعوتا وصفات لا يستحقها الاّ الله العلىّ العظيم .

وما أصدق ما قاله محب الدين الخطيب فى ذلك ، فى كتابه النفيس " الخطوط العريضة " . قال :" وحينما ينزلون بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتابعين باحسان ، وبجميع حكام المسلمين الى هذه الدركة المخزية ، مع أن هؤلاء هم الذين أقاموا صرح الاسلام ... ، فانهم يزعمون لأئمتهم ما يتبرأ منه أولئك الأئمة . وقد سجل الكلينى فى كتابه " الكافى" الذى هو عندهم بمنزلة صحيح البخارى عند المسلمين ، نعوتا وأوصافا للأئمة الاثنى عشر ، ترفعهم من منزلة البشر الى منازل معبودات اليونان".(٢)

ومن الصفات التى وصفت الرافضة بأئمتهم :العلم بالغيب ، فقد روى الكلينى عن أبى عبدالله قال : انى لأعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأعلم

---

(١) الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ٧٢ ، بحار الأنوار ، كتاب الشهادة ٥/٥١١ .

(٢) الخطوط العريضة للأستاذ محب الدين الخطيب ٢٥ ، ٢٦ .

ما فى الجنة والنار ، وأعلم ما كان وما يكـــون " .[١]

افترى بعد هذا الغلو غلوا ، وبعد هذا الضلال ضلالا ، فهـــذه الصفات التى ادعاها جعفر الصادق ، حسب زعمهم لنفسه ، وهو برئ منـــه ، صفات الخالق العلاّم وليس من صفات العبـــاد .

فالله هو الذى أحاط بكل شئ علما ،. قال تعالى :" وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا" .[٢] وقال :" وأن الله قد أحاط بكل شئ علمـــا"[٣]، وقال :" لا يغرب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض "[٤] . ولا يعلـم الغيب أحد سوى الله عز وجل ، فهو مما اختص الله تعالى به :" وعنـــده مفاتح الغيب لا يعلمها الاّ هو "[٥] . وقال تعالى :" عالم الغيب فـــلا يظهر على غيبه أحد الاّ من ارتضى من رسول "[٦] . وقال :" قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الاّ ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومـــا مسنى السـوء ..." .[٧]

فلا ينازع الله سبحانه وتعالى فى علم الغيب الاّ من استهوته الشياطـين " وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة " .[٨]

ولا تكاد الرافضة الاثنى عشرية تقتصر عن غيّها وتثوب الى رشدها وتتخلى عن الغلو فى أئمتهم ، وانما ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فكل فجور يهديهم الى فجور أعظم . فمازالوا يطرون أئمتهم حتى زعموا أن الكون كله فى يد الامام يتصرف فيه كيف يشـــاء .

---

(١) الكافـي فى الأصـــول ١ / ٢٦١ .
(٢) ســورة الجـــن الآيــة ٢٨ .
(٣) ســورة الطــلاق الآيــة ١٢ .
(٤) ســورة سبـــأ الآيــة ٣ .
(٥) ســورة الأنعـام الآيـــة ٥٩ .
(٦) ســورة الجـــن الآيـــة ٢٦ ، ٢٧ .
(٧) ســورة الأعراف الآيـــة ١٨٨ .
(٨) ســورة الجاثية الآيـــة ٢٣ .

فقد بوّب الكليني في الكافي : " ان الأرض كلها للامام يضعها حيث يشاء". ثم روى تحت هذا الباب بسنده عن أبي عبدالله قال : " ان الدنيا والآخرة للامام يضعها حيث يشاء ".(١)

سبحانك هذا بهتان عظيم ، فماذا بقي لله اذا كانت الدنيا والآخرة بيد الامام ، ومثل هذا الكلام كان مشركوا العرب يتحاشون عنه ، لأنهم كانوا يعترفون أن الكون كله لله : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ".(٢) وبلغ بهم الأمر أن جعلوا عليّا لله ندا ، حيث جعلوا النظر اليه عبادة ، وذكر اسمه عبادة .

فقد روى الكليني عن أبي عبدالله قال : "... قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " النظر الى عليّ بن أبي طالب عبادة ، وذكره عبادة ، ولا يقبل ايمان عبد الاّ بولايته والبراءة من أعدائه ".(٣)

وحاشا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يصدر عنه مثل هذا الكلام الذي يدعو الى عبادة غير الله ، بل كان يدعو الى توحيد الله عز وجل ، ويقطع دابر الشرك وقد بلغ به صلى الله عليه وسلم ، الحرص على حماية التوحيد وصيانته ونبذ الشرك ، أن أنكر على من قال له : " ما شاء الله وشئت" وعدّه شركا بالله عز وجل . فقد روى الامام أحمد في مسنده عن ابن عباس: " ان رجلا قال : يا رسول الله ما شاء الله وشئت فقال : " جعلتني لله عدلا ، بل ما شاء الله وحده "(٤) هذا هو الكلام الذي خرج من مشكاة النبوة وليس ما تأفك به الرافضة الأفاكون الآثمون .

ولا يغرنك قول بعض الشيعة أنفسهم وبعض المخدوعين بهم ان الشيعة تحرروا من هذه الخرافات ، بل الأمر عكس ذلك فالشيعة الاثنى عشرية في هذا العصر أكثر غلوا من سلفهم .

فهذا هو الخميني الذي انتهت اليه زعامة الاثنى عشرية يفضل أئمتهم على الأنبياء والملائكة المقربين . حيث قال : " فان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها ، وسيطرتها جميع ذرات الكون ... وان من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ".(٥)

---

(١) الكافي في الأصول ١ / ٤٠٩ .
(٢) سورة الزمر الاية ٣٨ .
(٣) الكافي في الاصول ١ / ١٩٦ .
(٤) مسند الامام احمد ، ١ / ٢٨٣ .
(٥) الحكومة الاسلامية للخميني ص ٥٢ ، ٥٣ .

المبحث الثالث
موقف الطبرسي من الامامة

قد تحدثنا قريبا عن مكانة الامامة عند الامامية الاثنى عشرية ، وبينا أنها عندهم ركن من أركان الدين ، وأنها كالنبوة ، وسنبين الآن موقف الطبرسي منها . وسنرى أنه لن يختلف عن غيره من الامامية .

والامامة هي المحور الذى تدور عليه عقائد الامامية ، لذا يعطيها الطبرسي اهتماما بالغا فى تفسيره ، فهو يحتج لها ويدلل عليها ويتعسف فى تأويل الآيات لاثباتها ، وسنورد أمثلة من تفسيره فى اثبات الامامة من خلال تفسيره لبعض الآيات ، مع مناقشته فى ذلك . :

١ - القول بأن الكتاب نص على امامة عليّ - رضي الله عنه - والاستدلال على ذلك بقوله تعالى :

" انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ... " (١) .

هذه الآية فى مقدمة الآيات التى تتعلق بها الرافضة ويتشبثون بها ، ويستدلون بها على صحة مذهبهم فى امامة عليّ - رضي الله عنه - بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، بل هي عندهم من أدل الدلائل على ذلك .

وحينما وصل الطبرسي الى تفسيرها أصابه الطرب والمرح ، فكأنه وجد بغيته فيها ، وظفر بضالته المنشودة ، وخيّل اليه أنه وجد الحجة الدامغة والدلالة القاطعة التى تبرهن على صحة مذهبه ، وظن أنه سيفحم الخصم ويلزمه الحجة ، ولكن سرعان ما تنكشف تلك السحب الكثيفة عن جو السماء ويتزعزع أركان البنيان أمام النقد والمناظرة العلمية ، حتى تصبح تلك الحجج كالسراب الذى "يحسبه الظمآن ماء" (٢) . وأصبح مثل الطبرسي فى اثبات حجج

---

(١) سورة المائدة الآية (٥٥) .

(٢) سورة النور الآية (٣٩) .

الرافضة ودحض براهين أهل السنة :

" كناطح صخرة يوما ليفلقهـــا فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل"[1].

وكل الكلام الذى ذكره الطبرسي وأشياعه من الرافضة حول هذه الآيـــة وغيرها ، ألفاظ ليس وراءها معان ، وجعجعة لا طحن بعدها ، يخيّل اليك أنها براهين قاطعة ،اذا تنورتها من بعيد ، ولكنك اذا نظرت اليها عـــن كثب تجدها أوهن من بيت العنكبوت .

وهذه شأن حجج الرافضة التى بنيت مهلهلة النسج ، كاذبة المقدمات.

"أتاك يقول مهلهل النسج كاذب ولم يأت بالحق الذى هو ناصع"[2].

ونحن نورد الآن ما قاله الطبرسي حول الآية ،ثم نناقشه - باذن اللـــه تعالى - :

ذكر فى سبب نزول الآية أثرا رواه بسنده عن جندب بن جنادة ،وأبى ذر الغفارى - رضي الله عنهما - : قال :" سمعت رسول الله - صلى الله عليـــه وسلم - بهاتين والآ فصمتا ، ورأيته بهاتين والآ فعميتا يقول :" على قائـــد البررة ،وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله . أما انى صليت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما من الأيام صلاة الظهر . فسأل سائل فى المسجد ، فلم يعطه أحد شيئا ،ورفع رأسه الى السماء وقال : اللهـــم أشهد انى سألت فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يعطـــنى أحد شيئا ،وكان عليّ راكعا ، فأومأ بخنصره اليمنى اليه ،وكان يتختم فيهـــا فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله - صلـــى الله عليه وسلم - فلما رفع النبي من صلاته رفع رأسه الى السماء فقال :" اللهـــم

---

(١) البيت للأعشى . انظر : شرح القصائد العشرة للتبريزى ص٣٤٣ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٨١ .

ان أخي موسى سألك فقال :" رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري . [1] فأنزلت عليه قرآنا ناطقا :" سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا ". [2] اللهم أنا محمد نبيك وصفيّك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي عليا أشدد به ظهري . قال أبوذر : فوالله ما استتم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى نزل جبريل من عند الله . فقال يا محمد : اقرأ . قال ما أقرأ ؟ . قال: اقرأ " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون " . [3]

ثم قال في تفسير هذه الآية : ثم بين تعالى من له الولاية على الخلق والقيام بأمورهم وتجب طاعته عليهم . فقال :" انما وليكم الله ورسوله " أي الذي يتولى مصالحكم ويتحقق تدبيركم هو الله تعالى ورسوله بفعله بأمر الله (والذين آمنوا) ، ثم وصف الذين آمنوا فقال :" والذين يقيمون الصلاة" بشرائطها "ويؤتون" أي يعطون "الزكوة وهم راكعون" في حال الركوع .

ثم قال :" وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة امامة عليّ بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلا فصل .

والوجه أنه اذا أثبت أن لفظه " وليكم" تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم ، وثبت أن المراد بـ" الذين آمنوا" عليّ ، ثبت النص عليه بالامامة ووضح .

والذي يدل على الأول هوالرجوع الى اللغة ، فمن تأملها علم أن القوم

---

(١) سورة طه . الآيات ٢٥ ـ ٣٢ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٥ .

(٣) مجمع البيان ٢ / ٢١٠ .

نصوا على ذلك ... ثم الذى يدل على أنها فى الآية تفيد ذلك دون غيره أن لفظه :" انما " على ما تقدم تقتضى التخصيص ونفى الحكم عمن عدا المذكور ... الخ " .(١)

قلت : خالف الطبرسي عادته فى تفسير هذه الآية اذ كان دأبه أن يقدم التفسير المشهور للآية ، ثم يذكر بعد ذلك تأويلات الرافضة ، ولكن فى هذه الآية اقتصر على تأويل الامامية وجادل لاثباته ، وأبطل المعنى الصحيح للآية وفنده . وقد أعماه التعصب والهوى .

ثم الرد عليه من وجوه :

أولا :

ان هذه الآية لم تنزل فى عليّ بخصوصة ، وانما هي عامة ، وحتى لو نزلت فى عليّ ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما هي القاعدة الأصولية .

والأثر الذى ذكره الطبرسي فى سبب نزول هذه الآية هو من الكذب الموضوع ، الذى اختلقته الرافضة ، فقد انتقده جهابذة علماء الحديث الذين يرجع اليهم فى هذا الشأن .

قال ابن تيمية فى هذه الآية :" أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل فى عليّ بخصوصه ، وان عليا لم يتصدق بخاتمه فى الصلاة ، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية فى ذلك من الكذب الموضوع " .(٢)

ولقد استعرض الحافظ ابن كثير كل الروايات المتعلقة بهذه القصة التى ذكرها ابن جرير الطبرى وغيره ، ثم عقب عليها بقوله :" وليس يصح شئ منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها " .(٣)

---

(١) مجمع البيان ٢ / ٢١١ .
(٢) منهاج السنة ٤ / ٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ١٣٠ ، ط كتاب الشعب .

ثانيـــا :

قد ثبت عن أبى جعفر محمد بن علىّ بن الحسين - رضي الله عنه - مـــا يعارض هذه القصة ، وهي أنها نزلت فى المؤمنين عموما ، وأنكر على من خصها فى علىّ - رضي الله عنه - .

فقد قال ابن جرير الطبرى : حدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبد الملـك عن أبى جعفر قال : " سألته عن هذه : " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنـوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكـــوة وهم راكعون" . قلنا : من الذين آمنوا ؟ قال : الذين آمنوا . قلنا : بلغنا أنها نزلت فى علىّ بن أبى طالـــــب، فقال : علىّ من الذين آمنـــوا " .(١)

ثالثـــــا :

انه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفا عن سلف أن هـــــذه الآية نزلت فى النهى عن موالاة اليهود والأمر بموالاة المؤمنين ، لما كان بعـض المنافقين ، كعبد الله بن أبىّ يوالى اليهود ويقول : انى أخاف الدوائـــــر، فقال بعض المؤمنين - وهو عبادة بن الصامت -: " انى أتولى الله ورسوله ، وأبرأ الى الله ورسوله من هؤلاء الكفار وولايتهم .(٢)

رابعـــــا :

ان ايتاء الزكـوة فى الركوع ليس مما يمتدح به الانسان ، لأنها ليســـت واجبة ولا مستحبة ، بل يرى بعض العلماء أنه مما لا يليق بالصلاة ، بل يبطلها اذ كثر الفعل ، وليس معنى الآية أنهم يؤتون الزكـوة فى حال الركوع ، وانمـا المعنى - كما قال الألوسي : " يعملون ما ذكر من اقامة الصلـوة وايتاء الزكـوة وهم خاشعون متواضعون لله تعالى " .(٣)

---

(١) تفسير الطـــبرى ٦/٢٨٨ .
(٢) منهاج السنـــــة ٤/٥ .
(٣) روح المعانـــــي ٦/١٦٦ .

خامسا :

هذا الدعاء الذى فى الأثر وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : "... واجعل لى وزيرا من أهلى عليا أشدد به ظهرى ". يدل على كذب هذا الخبروسقوطه.

اذ كيف قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك بعد الهجرة والنصرة مع أن الله أعزه بنصره وبالمؤمنين . كما قال تعالى :" هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ".(١) وقال :" ألا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا".(٢)

فالذى كان معه حين نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، هو أبوبكر - رضي الله عنه - وكذلك لما كان يوم بدر ، لما صنع له عريش كان الذى معه فى العريش دون الصحابة أبوبكر . وكل من الصحابة له فى نصرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمل مبرور وسعى مشكور .

وروى أنه لما جاء عليّ بسيفه يوم أحد قال لفاطمة اغسليه ، يوم أحد غير ذميم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - :" ان تك أحسنت فقد أحسن فلان وفلان ، فعدّ جماعة من الصحابة ، ولم يكن لعليّ اختصاص بنصرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دون أمثاله ، ولا كان ايمان الناس وطاعتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأجل عليّ ، بسبب دعوة عليّ لهم ، وغير ذلك من الأسباب الخاصة ، كما كان هارون مع موسى .

والرافضة تدعى أن الناس كانوا يبغضون عليّا وأنهم لبغضهم لم يبايعوه ، فكيف يقال ان النبي - صلى الله عليه وسلم - احتاج اليه ، كما احتاج موسى الى هارون .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٢ .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠ .

وهذا أبوبكر الصديق ، أسلم على يديه ستة أو خمسة من العشـــرة : عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبوعبيدة . ولم يعلـــم أنه أسلم على يد عثمان وعليّ أحد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.(١)

سادســـا :

تفسيره الاجمالى للآية ليس بصحيح ، بل هو تفسير رافضى ، وانمـــا الصحيح فى تفسيرها الاجمالى ما قاله امام المفسرين أبوجعفر الطبرى . قـال رحمه الله :" انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصـــلاة ويؤتون الزكـــوة وهم راكعون" ، ليس لكم أيها المؤمنون ناصر الا الله ورسولـــه والمؤمنون ، الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره ، فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله ان تتبرؤا من ولايتهم ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء ، فليـــوا لكم أولياء ولا نصراء ، بل بعضهم أولياء بعض ، ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا".(٢)

قلت : فليس فى الآية بيان من له الامامة والتصرف فى الأمور كما ذكـــره الطبرسي تأييدا لمذهبه ، بل معنى الولاية هنا المحبة والمناصرة .

سابعـــا :

قوله :" وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة امامة عليّ بعد النبي - صلى الله عليه وسلم -(٣) ، والوجه اذا ثبت أن لفظه " وليكم " تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ، ويجب طاعته عليكم ، وثبت أن المراد "بالذين آمنوا" عليّ ، ثبت النص عليه بالامامة ووضح " .

قوله هذا باطل مردود ، لا دليل عليه ، وانما هو جدل عقيم لا يـــروج الاّ فى عقول الرافضة ، اذ ليس فى الآية دلالة على امامته لا من قريب ولا بعيد .

---

(١) انظر: منهاج السنة مع التصرف فى العبارات ٤ / ٧ .

(٢) تفسر الطـــبرى ٦ / ٢٨٧ .

(٣) يقصد ان عليا رضى الله عنه هو الإمام بعد النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة.

فلم يثبت أولا : أن لفظه " وليكم" تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ، بل ثبت أن الولى هنا الناصر والمحب . والذى يدل على ذلك سياق الآيات التى قبل هذه الآية وبعدها .

فقبلها قوله تعالى :" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ..."[١] ، وليس المراد : لا تتخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرفين فى أرواحكم وأموالكم ،بل المراد لا تتخذوا اليهود والنصارى أحبابا وأنصارا ولا تخالطوهم ولا تعاضدوهم ، ثم لما بالغ فى النهى عن ذلك قال :" انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا" .

والظاهر أن الولاية المأمور بها هنا هي المنهى عنها عما قبل ، ولما كانت الولاية المنهى عنها فيما قبل هي الولاية بمعنى النصرة ،كانت الولاية المأمور بها هي الولاية بمعنى النصرة .

وأما ما بعد هذه الآية فهو قوله تعالى :" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين"[٢] ، فأعاد النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى والكفار أولياء ، ولا شك أن الولاية المنهى عنها هي الولاية بمعنى النصرة ، فكذلك الولاية فى قوله :" انما وليكم الله ورسوله " يجب أن تكون بمعنى النصرة[٣] .

قال الفخر الرازى - رحمه الله - :" وكل من أنصف وترك التعصب وتأمل فى مقدمة الآية ومؤخرها قطع بأن الولى فى قوله :" انما وليكم الله" ، ليس الا بمعنى الناصر والمحب ، ولا يمكن أن يكون بمعنى الامام ،لأن ذلك يكون القاء كلام أجنبي فيما بين كلامين مسوقين لغرض واحد ، وذلك يكون فى غاية الركاكة والسقوط ، ويجب تنزيه كلام الله عنه "[٤] .

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٧ .
(٢) سورة المائدة الآية ٥١ .
(٣) انظر: التفسير الكبير للرازى ١٢ / ٣٠ .
(٤) المصدر نفسه .

وقال ابن تيمية :" ان الفرق بين الولاية بالفتح ، والولاية بالكسر معروف ، فالولاية"بالفتح " ضد العداوة ، وهي المذكورة فى هذه النصوص، وليست الولاية "بالكسر " التى هي الامارة . وهؤلاء الجهّال - يعنى الرافضة) يجعلون الولى هو الأمير ، ولم يفرقوا بين الولاية والولاية . والأمير يسمى الوالى ، ولكن قد يطلق ولى الأمر ، كما يقال وليت أمركم ، ويقال أولى الأمر، ولهذا قال الفقهاء :" اذا اجتمع فى الجنازة الولى والوالى ، فقيل يقدم الوالى ، وهو قول أكثرهم . وقيل يقدم الولي .

فتبين أن الآية دلت على الموالاة المخالفة للمعادات الثابتة لجميع المؤمنين ، ولم تدل على أحد يكون أميرا على غيره ، بل هذا باطل من وجوه كثيرة ، اذ لفظ الولي والولاية دون لفظ الوالى ". (١)

فبطلت المقدمة الأولى للطبرسي ، من أن المراد بـ" وليكم" من هو أولى بتدبير أموركم .

وأما المقدمة الثانية وهى قوله :" وثبت أن المراد بـ" الذين آمنوا" عليّ ، فهي أيضا مقدمة كاذبة بطالة ، فلم يثبت أن المراد بـ" الذين آمنوا" عليّ فقط، وانما هو لفظ يعم جميع المؤمنين ، والصفات التى وصفت بـ" الذين آمنو" كلها صفات تدل على الجمع ، ولا يجوز حمل الجمع على الواحد بدون قرينة تصرفه ، لأنه يصبح حينئذ مجازا ، والأصل حمل الكلام على الحقيقة حتى يوجد ما يصرفه عنه .

ثم انا قد بينا أن القصة المروية فى سبب نزول الآية ، وهي أنها نزلت فى عليّ ، حين تصدق بخاتمه ، وهو راكع ، أنها غير ثابته ، وأنها من الكذب الموضوع ، كما بينا أيضا أنه قد ثبت عن أبى جعفر - وهو من علماء أهل البيت الأفاضل - أن الآية عامة فى جميع المؤمنين ، وأنكر على من خصّها في عليّ .

---

(١) منهاج السنة مع الاختصار ٤ / ٨ .

فبطل بذلك المقدمة الثانية التى بنى الطبرسي نتيجته عليها ، فلما بطلت المقدمتان بطلت النتيجة ، وهي قوله " ثبت النص عليه بالامامة ".

فلم يثبت النص عليه بالامامة ، ولم يتضح .

ثامنا :

قوله :" ثم ان الذى يدل على أنها فى الآية تفيد ذلك دون غيره أن لفظه" انما " تقتضى التخصيص ونفى الحكم المذكور عمن عداه".

هذا القول غيرمسلم ، لأنّا نقول : نعم تفيد الحصر ، ولكن حصر المحبة والمناصرة . فلا يتولى المؤمنون ولا يحبون ولا ينصرون الاّ الله ورسوله والمؤمنين .

٢- القول بالنص على الأئمة الاثنى عشر ، وأن الامامة فى ولد الحسين دون ولد الحسن والاستدلال على ذلك بقوله تعالى :

" واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ... ". (١)

قال الطبرسي - بعد ما فسر الآية على ما هو المشهور عند المفسرين -:

وروى الشيخ أبوجعفر بن بابويه (٢) فى كتاب النبوة باسناده مرفوعا الى المفضل ابن عمر عن الصادق - عليه السلام - قال : سألته عن قول الله عز وجل :" واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ..." ما هذه الكلمات؟ قال : هي الكلمات التى تلقاها آدم - عليه السلام - من ربه فتاب عليه ، وهو أنه قال :" يارب أسئلك بحق محمد وعليّ وفاطمة وحسن وحسين ، الاّ تبت عليّ ، فتاب الله عليه انه هو التواب الرحيم فقلت :" يا ابن رسول الله . فما يعنى بقوله " فأتمهن"؟ قال : " أتمهن الى القائم اثنى عشر اماما ، تسعة من ولد الحسين - عليه السلام - . قال المفضل :فقلت : يا ابن رسول الله . فأخبرني بكلمة الله عز وجل"وجعلها كلمة

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٢) هو أبوجعفر الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمي . (المتوفى سنة ٣٨١ هـ) صاحب كتاب " من لا يحضره الفقيه".

باقية فى عقبـــه "[1] . قال : يعنى بذلك الامامة ، جعلها فى عقب الحسين الى يوم القيامة ، فقلت : يا ابن رسول الله . فكيف صارت الامامة فى ولـــد الحسين دون ولد الحسن - عليهما السلام - وهما جميعا ولدا رسول اللـــه - صلى الله عليه وآله وسبطاه : وسيدا شباب أهل الجنة ؟ فقال : ان موسى وهارون نبيان مرسلان أخوان ، فجعل الله النبوة فى صلب هارون دون صلب موسى . ولم يكن لأحد أن يقول : لم فعل الله ذلك ؟ . وأن الامامة خلافة الله عز وجل ، ليس لأحد أن يقول : لم جعلها الله فى صلب الحسين دون صلب الحسن ؟[2] .

والغريب . كيف سولت للطبرسي نفسه أن يأتى بمثل هذه الخرافـــات والخزعبلات والسخافات فى تفسير هذه الآية العظيمة التى تتحدث عن خليـل الله ابراهيم - عليه وعلى نبينـا أفضل السلام ، وهو نفسه قد ذكر تفسير الآية على ما هو المشهور عند المفسرين ، وتحاشا شيخه الطوسي عن ذكر هـــذه الضلالات فى تفسير الآية ، مما يدل على أن الطبرسي أكثر غلوا من شيخـــه فى بعض المواضـــع .

وابن بابويه الذى روى هذه الضلالات رافضي غال متعصب ، ولا يعول على مروياته ، ولم يرفعه الى النبي - صلى الله عليه وسلم - وانما رواها عن جعفـــر الصـــادق .

ولو افترضنا صحته عن الصادق فليس بحجة ، اذ قول أى انسان ســـوى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤخذ ويترك ، يؤخذ ما وافق الحق ، ويترك ما خالفـــه .

فقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الحجة ، لأنه معصوم ولا ينطـــق عن الهوى .

---

(١) سورة الزخـــرف الآية (٢٨) .

(٢) مجمع البيان للطبرسي ١ / ٢٠٠ .

ومع ذلك نحن نجزم بأن جعفر الصادق لم يقل هذا القول الباطل الذى يناقض التوحيد ، وانما هو مما افترت عليه الرافضة .

ودأب الرافضة أنهم يختلقون الأقوال الكاذبة ، ثم يسندونها الى جعفر الصادق .

وتفسير الكلمات التى ابتلى بها ابراهيم - أو التى تلقاها آدم من ربه - بأنها قول آدم : " يارب أسئلك بحق محمد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين "، تفسير باطل لم يثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد من الصحابة .

فقد قال ابن تيمية فى ردّه على من رفع هذا من الرافضة الى النبي - صلى الله عليه وسلم - ان هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم . وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات[1] . فهذا ردّه من ناحية السند ، وأما ردّه من ناحية المعنى ، فبوجوه ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

أحدها : أن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه قد جاءت مفسرة فى قوله : " ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين[2] ". وقد روى عن السلف هذا وما يشبهه .

ثانيها : أنه معلوم بالاضطرار ، أن من هو دون آدم من الكفار والفساق اذا تاب أحدهم الى الله تاب عليه ، وان لم يقسم عليه بأحد ، فكيف يحتاج آدم فى توبته ، فى ما لا يحتاج اليه أحد من المذنبين ، لا مؤمن ولا كافر .

ثالثها : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يأمر أحدا بالتوبة بمثل هذا الدعاء ، ولا أمر أحدا بمثل هذا الدعاء فى توبة ولا فى غيرها ، بل ولا شرع لأمته أن يقسموا على الله بمخلوق .

---

(١) منهاج السنة ٤ / ٣٦ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

رابعها : أن الاقسام على الله بالملائكة والأنبياء ، أمر لم يرد به كتاب ولا سنة ، بل قد نص غير واحد من أهل العلم ، كأبي حنيفة ، وأبي يوسف وغيرهما على أنه لا يجوز أن يقسم على الله بمخلوق .(١)

وأما الكلمات التي ابتلى بها ابراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل السلام - فهي بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي ، وان اختلفت عبارات المفسرين في التعبير عنها .

قال البغوي - رحمه الله - : " واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم ، فقال عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : " هي ثلاثون سهماً شرائع الاسلام ، لم يبتل بها أحد ، فأقامها كلها الا ابراهيم ، فكتب له البراءة . فقال : " وابراهيم الذي وفى "(٢) عشر في سورة براءة : " التائبون العابدون "(٣) الى آخرها ، وعشر في الأحزاب : " ان المسلمين والمسلمات "(٤) الى آخرها ، وعشر في سورة المؤمنين في قوله : " قد أفلح المؤمنون "(٥) وقوله : " الا المصلين "(٦) في سأل سائل .

وقال طاوس عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : " ابتلى الله بعشرة أشياء وهي : الفطرة خمس في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، وخمس في البدن : تقليم الأظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء .

وقال مجاهد : هي الآيات التي بعدها في قوله عز وجل : " اني جاعلك

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٤ / ٣٦ .
(٢) سورة النجم الآية ٣٧ .
(٣) سورة التوبة الآية ١١٢ .
(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .
(٥) سورة المؤمنون الآية ١ .
(٦) سورة المعارج الآية ٢٢ .

للناس اماما" [1] ... الى آخر القصة .

وقال الربيع وقتادة : " مناسك الحج [2] ... ".

وقال الطبرى - بعد سرد مثل هذه الأقوال - : " والصواب من القول فى ذلك عندنا . أن يقال : ان الله عزوجل أخبر عباده أنه اختبر خليله ابراهيم بكلمات أوحاهنّ اليه وأمره أن يعمل بهنّ وأتمهنّ ، كما أخبر جل ثناءه عنه أنه فعل ، وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله فى تأويل الكلمات ". [3]

هذا هو تفسير الكلمات التى ابتلى بها ابراهيم ، ولم يثبت عن أحد من السلف ما ذكره الطبرسي فى تفسيرها .

وأما قوله : " فأتمهنّ " أى أتمهنّ الى القائم اثنى عشر اماما ، تسعة من ولد الحسين ، فهو كلام ساقط مردود ، وليس بتفسير للآية ، بل هو من تأويلات الباطنية ، الذين يتلاعبون بالشرائع .

وسياق الآية يتعلق بابراهيم . فكيف يسلم الامامة لمهديهم الموهوم الذى يزعمون أنه ولد بعد نيف وخمسين ومائتين من الهجرة ، مع أنه لم يوجد أصلا ، لأن الحسن العسكرى - الذى يزعمون أنه أبوالمهدى - مات ولم يعقب باتفاق المؤرخين وأهل الأنساب .

ولا يجوز لمن يتصدى لتفسير كتاب الله أن يحشو فيه مثل هذا الذى يكدّر صفاءه وطلاوته .

ومعنى " فأتمهن " أتم وأكمل ما اختبر به على وجهه المطلوب ، فهي مثل قوله : " وابراهيم الذى وفى " .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٤ .

(٢) تفسير البغوى ١/١١١ .

(٣) تفسير الطبرى ١/٥٢٧ .

فسياق الآية يرفض هذا المعنى الباطل ، الذى حمل الآية عليه والذى لا يدل عليه السياق من قريب ولا من بعيد .

وقوله :" وجعلها كلمة باقية فى عقبه " ، يعنى بذلك الامامة جعلها الله فى عقب الحسين الى يوم القيامة " . كلام فى غاية السقوط والشطط وهو افتراء على الله ، والافتراء على الله من أكبر الكبائر . قال تعالى : " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا". (١)

وقوله هذا يدل على وقاحة الرافضة ، وقلة حياءهم من الكذب الفاضح ، فهم يستجيزون من الكذب على الله ورسوله ، ما يستحى من مثله الكفار .

وقد قال صلى الله عليه وسلم :" أن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستحى فاصنع ما شئت". (٢)

فالرافضة فرقة مخذولة مرذولة ، تترك الحق الأبلج الناصع ، وتتشبث بالباطل اللجلج المظلم .

واتفقت كلمة المفسرين فى معنى قوله :" وجعلها كلمة باقية فى عقبه"، على أن الله عز وجل قد جعل كلمة التوحيد وهي" لا اله الآ الله " باقية فى ذرية ابراهيم عليه السلام .

قال ابن كثير :" وجعلها كلمة باقية فى عقبه" : أى هذه الكلمة وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ،وهي : " لا اله الآ الله" . أى جعلها فى ذريته يقتدى به فيها من هداه الله من ذرية ابراهيم عليه السلام ". (٣)

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٨ .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ١٠/٥٢٣ حـ ٦١٢٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٧/٢١٢ .

وسياق الآية يتعلق فى دعوة ابراهيم الى التوحيد وبراءته من المشركين، فكافأه الله بأن جعل كلمة التوحيد باقية فى عقبه .

قال تعالى :" واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الاّ الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون "(١).

ولكن الرافضة قوم لايهمهم التوحيد واخلاص العبادة لله ، وانما هم مولعون بتعظيم الأشخاص وتأليههم ،لذا يؤلون آيات التوحيد تأويلات تناقض مبادئ الاسلام الأساسية التى أنزل القرآن لأجلها ، فآيات الدعوة الى التوحيد والاستسلام لله أوّلوها على الدعوة الى الامامة والولاية .

وقوله :" ان الله جعل الامامة فى صلب الحسين دون صلب الحسن" كذب وافتراء على الله ، فلم ينص على أن الامامة فى صلب الحسين ولا فى صلب الحسن ،وانما الذى ثبت عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كون الأمر فى قريش ما أقاموا الدين ،

ولو سلمنا للرافضة جدلا ، أن الامامة فى ولد علي ـ رضي الله عنه ـ بعده ، فلم خصّصوها فى ولد الحسين وحَرَمُوها ولد الحسن ـ رضي الله عنهما ـ مع أن الحسن قد اثنى عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولقبه بالسيد بقوله :" ان ابنى هذا سيد ،ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ".(٢)

أو ليس ذلك تفرقة بين أولاد النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ـ **الزعم أن آخر فريضة فرضها الله هي نصب علىّ رضى الله عنه علما للأنام وبذلك أكمل الدين ،والاستدلال على ذلك بقوله تعالى :**

"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا" (٣)

---

(١) سورة الزخرف الآية ٢٨ .
(٢) صحيح البخارى مع الفتح ٥/٣٠٧ حـ ٢٧٠٤ .
(٣) سورة المائدة الآية ٣ .

قال الطبرسي ـ بعد ما فسر هذه الآية على ظاهرها ـ : " والمروى عن الامامين أبى جعفر وأبى عبد الله ـ عليهما السلام ـ أنه انما نزلت بعد أن نصب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا ـ عليه السلام ـ علما للأنام يوم غدير خم بعد منصرفه عن حجة الوداع ، وهو آخر فريضة فرضها الله ، ثم لم تنزل بعدها فريضة .

ثم ساق الطبرسي سنده الى أبى سعيد الخدرى ـ رضي الله عنه ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما نزلت هذه الآية قال : " الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتى وولاية عليّ بن أبى طالب من بعدى . وقال : " من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله" . (١)

والجواب على هذا من وجوه :

أولها :

ان ايراد مثل هذه الروايات الباطلة فى تفسير تلك الآية العظيمة ، يدل على عدم احترام الرافضة لكتاب الله عز وجل ، كما يدل على فساد ذوقهم وتبلد احساسهم ، وفساد عقولهم وجمود فكرهم ، وقلة ايمانهم وحيائهم ، حيث قلّلوا قيمة الآية .

ولقد كان اليهودى الذى تمنى أن لو نزلت عليهم هذه الآية ، أحسن ذوقا وأرهف حسا من الرافضة . فهو وان لم يؤمن برسالة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، لكنه تذوّق الآية وعرف قيمتها .

ومفسرنا الطبرسي لم يحترم عقله ودينه ، حينما أورد هذه المرويات الباطلة فى تفسير تلك الآية العظيمة . ولكن لا يستغرب منه أن يحمل الآية على ولاية عليّ ، لأنه كاشياعه من الرافضة الذين يعتقدون أن الاسلام لا يصح ولا يكمل

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٥٩ .

بدون اعتقاد ولاية عليّ وامامته ، وأن من تولى أهل البيت لا يضره شيء مهما كان مسيئا ، ومن لم يعتقد بامامتهم لا يقبل منه صرف ولا عدل .

فقد روى الكليني - صاحب الكافي - عن عبد الله بن يعفور . قال : قلت لأبي عبد الله - عليه السلام - : "اني أخالط الناس ، فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ، ويتولون فلانا ، وفلانا[1] لهم أمانة وصدق ووفاء ، وأقوام يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة ، ولا الوفاء والصدق . فاستوى أبو عبد الله جالسا ، فأقبل كالغضبان ، ثم قال : " لا دين لمن دان لله بولاية امام جاء ليس من الله ، ولا عتب على من دان لله بولاية امام عادل من الله . قلت : " لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ؟ قال : نعم . لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء"[2].

ثانيهـــا :

ان هذه الآية لم تنزل يوم غدير خم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، كما زعم الطبرسي وغيره من الرافضة ، وانما نزلت يوم عرفة ، وهو التاسع من ذي الحجة ، في حجة الوداع .

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ له ، كلاهما عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود الى عمر . فقال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها في كتابكم ، لو علينا نزلت ، معشر اليهود ، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال: وأي آية ؟ . قال : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " . فقال عمر : اني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه . نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعرفات يوم جمعة[3].

---

(١) تقصد الرافضة بفلان وفلان : أبابكر وعمر - رضي الله عنهما - وأرغم أنف مبغضيهما .

(٢) الكافي من الأصول ١ / ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٣) صحيح مسلم ٤ / ٢٣١٣ ، كتاب التفسير حـ ٥ من الكتاب .
صحيح البخاري مع الفتح ٨ / ٢٧٠ حـ ٤٦٠٦ .

وقد رد الحافظ ابن كثير على من زعم أن الآية نزلت يوم الثامن عشر من ذى الحجة ، وعلى من زعم أن يوم نزولها غير معلوم . فقال :" ... ولا يصح هذا ولا ذاك ، بل الصواب الذى لاشك فيه ولا مرية أنها نزلت يوم عرفة ، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وعليّ بن أبى طالب ، وأول ملوك المسلمين معاوية بن أبى سفيان ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وسمرة ابن جندب (رضي الله عنهم) ... واختاره ابن جرير ".(١)

ثالثها :

ان هذه الآية ليس فيها دلالة على امامة عليّ بوجه من الوجوه ، بل فيها اخبار الله باكمال الدين واتمام النعمة على المؤمنين ورضا الرب، فدعوى المدعى أن القرآن يدل على امامة عليّ من هذا الوجه ، كذب ظاهر ، وان قال الحديث يدل على ذلك . قلنا : الحديث ان كان صحيحا ، فتكون الحجة من الحديث لا من الآية . وان لم يكن صحيحا فلا حجة فى هذا ولا فى ذاك .(٢)

رابعها :

ان الحديث الذى رواه الطبرسي باسناده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما نزلت هذه الآية قال : الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة برسالتى وولاية عليّ بن أبى طالب من بعدى" . وقال: " من كنت مولاه فعليّ مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ". هو حديث باطل ، وليس يثبت منه الا قوله : " من كنت مولاه فعليّ مولاه ".

قال ابن تيمية :" ان هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٦ .

(٢) انظر: منهاج السنة ٤ / ١٦ .

المعرفة بالموضوعات ، وهذا يعرفه أهل العلم بالحديث .[١]

وقال الألوسي في هذا الحديث:" ولا يخفى أن هذا من مفترياتهم - يعني الرافضة - . وركاكة الخبر شاهدة على ذلك في مبدأ الأمر ، نعم ثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :" من كنت مولاه فعليّ مولاه" وزاد على ذلك - كما في بعض الروايات - لكن لا دلالة في الجميع على ما يدعونه من الامامة الكبرى والزعامة العظمى".[٢]

وحديث :" من كنت مولاه فعليّ مولاه " ، كما ذكره ابن تيمية رواه الترمذي ، وأحمد[٣] ، وليس في الصحاح ، وتنازع العلماء في صحته ، فنقل عن البخاري وابراهيم الحربي ، وطائفة من أهل الحديث أنهم طعنوه وضعفوه ، ونقل عن أحمد أنه حسنه .

ثم قال ابن تيمية - رحمه الله - :" ونحن نجيب جوابا مركبا . فنقول: " ان لم يكن النبي - صلى اللهعليه وسلم - قاله . فلاكلام . وان قاله . فلم يرد به قطعا الخلافة بعده ، اذ ليس في اللفظ ما يدل عليه . ومثل هذا الأمر العظيم يجب أن يبلغ بلاغا مبينا ، وليس في الكلام ما يدل دلالة بيّنة على أن المراد به الخلافة . وذلك أن المولى كالولي ، والله تعالى قال: " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا"[٤] . وقال :" وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ".[٥] فبين أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولي المؤمنين وأنهم مواليه ، كما بين ان الله ولي المؤمنين ، وأنهم أولياءه ، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض . فالموالاة ضد المعادات".[٦]

---

(١) منهاج السنة ٤/١٦ .
(٢) روح المعاني للألوسي ٦/١٦ .
(٣) سنن الترمذي ٥/٦٣٣ حـ ٣٧١٣ ، وقال:"حديث حسن صحيح ، المسند ١/٨٤ .
(٤) سورة المائدة الآية : ٥٥ .
(٥) سورة التحريم الآية ٤ .
(٦) منهاج السنة ٤/٨٦ .

ولقد رد القاضى عبد الجبار المعتزلى على الرافضة فى استدلالهم بمثل قوله :" من كنت مولاه فعلىّ مولاه على امامة علىّ ، ردّ عليهم ردّا مفحما يحسن بنا أن نورده فى هذا المقام .

قال القاضي :" وعلى أن قوله ـ عليه السلام ـ :" أنت منى بمنزلة هارون من موسى" . و" من كنت مولاه فعلىّ مولاه" . وما أشبه ذلك مما يجعلونه حجة فى دعاويهم ، ليس من ألفاظ النصوص والاستخلاف والوصايا فى لغة ولا فى عقل ولا فى شريعة ، وانما هي فضائل أدخلها هؤلاء فى هذه الدعاوى ، وأنه أمر لا تقوم به حجة ، ولا يجدون فيه حيلة ، فلجئوا الى التعلق بهذه الفضائل . وقالوا : هي نصوص ، فلو لم يدلك على فساد قولهم الاّ تعلقهم بهذه الأشياء لكفاك وأغناك ".(١)

وهذا الدعاء الذى فى الحديث وهو :" اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله". كذب باتفاق أهل المعرفة ، لأن هذا دعاء ، ودعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستجاب ، وهذا الدعاء ليس بمستجاب ، فعلم أنه ليس من دعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانه من المعلوم أن عليّا لما تولى ، كان الصحابة وسائر المسلمين ثلاثة أصناف : صنف قاتلوا معه ، وصنف قاتلوه ، وصنف قد قعدوا ، وأكثر السابقين الأولين كانوا من القعود ، ثم هؤلاء الذين قاتلوه لم يخذلوا ، بل كانوا منصورين يفتحون البلاد ويقتلون الكفار .

فالعسكر الذين قاتلوا مع معاوية ما خذلوا قط ، بل ولا فى قتال علىّ ـ رضي الله عنه ـ فكيف قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" اللهم أخذل من خذله وانصر من نصره "؟ . فأين النصر لمن نصره؟، وأين الخذلان لمن خذله ؟ . وهذا وغيره مما يبين كذب هذا الحديث" .(٢)

---

(١) تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار ١/ ٢١٦، ٢١٧ .
(٢) منهاج السنة مع التصرف في النص ٤/ ١٧ .

ومما يدل على أن حديث من كنت مولاه فعليّ مولاه ، لا يدل على الاستخلاف ، وانما هو من باب فضائل عليّ - رضي الله عنه - سبب خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الغدير التي ورد فيها الحديث .

قال ابن كثير :" وانما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ما ذكره محمد بن اسحاق من أن عليّا لما بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى اليمن أميرا ، وهو وخالد بن الوليد ، ورجع عليّ فوافى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة في حجة الوداع ، وقد كثرت فيه المقالة ، وتكلم فيه بعض من كان معه ، بسبب استرجاعه منهم خلعا [1] كان خلعها نائبه عليهم ، لما تعجل السير الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فلما تفرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حجة الوداع ، أحب أن يبرئ ساحة عليّ مما نسب اليه من القول الذي لا أصل له ". [2]

واليك نص ما ذكره محمد بن اسحاق . قال :" وحدثني يحى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن سكانة . قال : " لما أقبل عليّ - رضي الله عنه - من اليمن ليلقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، تعجل الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع عليّ - رضي الله عنه - فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فاذا عليهم الحلل ، قال : ويلك ما هذا ؟ . قال : كسوت القوم ليتجملوا به اذ قدموا في الناس . قال : ويلك انزع قبل أن ننتهي به الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فانتزع الحلل من الناس ، فردها في البزّ . قال :" وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم ". [3]

---

(١) الخلعة : العطية أو النحلة .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣٤٧ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٦٠٣ .

خامسها :

ان هذه الآية التى حملها الطبرسي وغيره من الرافضة على هذا المعنى الباطل التافه ، من أعظم الآيات فى كتاب الله ، وهي من أدل الدلائل على فضل هذه الأمة ، حيث أكمل لهم الدين . فهي فوق تأويلات الرافضة ، وبين معناها الصحيح ، وبين تأويلات الرافضة فرق ما بين الثرى والثريا ، وبعد ما بين المشرقين .

ولقد سجل الحافظ ابن كثير فى تفسيرها مقالة نفيسة . حيث قال: " هذا أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة ، حيث أكمل الله تعالى دينهم ، فلا يحتاجون الى دين غيره ، ولا الى نبي غير نبيهم - صلوات الله وسلامه عليه - ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه الى الانس والجن ، فلا حلال الا ما أحله ، ولا حرام الا ما حرمه ، ولا دين الا ما شرعه ، وكل شئ أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف . كما قال تعالى :" وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا "[1] . صدقا فى الاخبار ، وعدلا فى الأوامر والنواهى ، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم ، ولهذا قال :" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا" . أى فارضوه أنتم لأنفسكم ، فانه الدين الذى رضيه الله وأحبه ، وبعث به أفضل رسله الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه"[2].

٤- الزعم أن الله تعالى أمر كل امام أن يسلم الامامة الى من بعده . وهو المقصود على حد زعمهم من قوله تعالى :

" ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها "[3].

قال الطبرسي فى تفسير هذه الآية : " قيل فى المعنى بهذه الآية

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣ .

(٣) سورة النساء الآية ٥٨ .

أقوال : **أحدها** : " أنها فى كل من أوتمن أمانة ، وأمانات الله أوامره ونواهيه ، وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال وغيره ، عن ابن عباس ، وأبيّ ابن كعب ، وابن مسعود ، والحسن ، وقتادة ، وهو المروى عن أبى جعفر ، وأبى عبد الله (عليه السلام) .

وثانيهما : أن المراد به ولاة الأمر ، أمرهم أن يقوموا برعاية الرعية ، وحملهم على موجب الدين والشريعة عن زيد بن أسلم ، ومكحول ، وشهر بن حوشب ، وهو اختيار الجبائي .

ورواه أصحابنا عن أبى جعفر الباقر ، وأبى عبد الله الصادق قالا : "أمر الله تعالى كل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر الى من بعده .

ثم قال الطبرسي : " ويعضده أنه سبحانه أمر الرعية بطاعة ولاة الأمر".[1]

ونقول فى الرد على الطبرسي : " المطلوب أولا اثبات صحة هذا التفسير الأخير الرافضي عن أبى جعفر الباقر ، وأبى عبد الله الصادق ، فان أهل السنة لم يروه عنهما ، ولا يعوّل على مرويات الرافضة .

والصحيح فى تفسير الآية هو القول الأول - وهو الذى نقله الطبرسي عن الامامين - وهو اللائق بهما ، وهو عام يدخل فيه القول الثاني .

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية : " يخبر تعالى : أنه يأمر بأداء الأمانات الى أهلها ... ، وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الانسان ، من حقوق الله عز وجل من الصلوة والزكوة ، والكفارات والنذور والصيام وغير ذلك ، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض ، من غير اطلاع بينة على ذلك . فأمر الله عز وجل بأدائها ، فمن لم يفعل ذلك فى الدنيا أخذ منه

---

(١) مجمع البيان ٢/٦٣ .

ذلك يوم القيامة . كما ثبت فى الحديث الصحيح . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " لتؤدن الحقوق الى أهلها ، حتى يقتص للشاة الجمّاء من القرناء "[1][2].

فهو يدل على أن الآية تعم جميع الأمانات . ولا يصح هذا التفسير الرافضى الذى حكى الطبرسي عن محمد الباقر ، وجعفر الصادق ، لأن الآية لا تدل على هذا المعنى لا من قريب ولا من بعيد .

وشأن أهل البدع وفى مقدمتهم الرافضة ، أنهم يعتنقون مبادئ وعقائد بعيدة عن الاسلام ، ثم يلتمسون لها الأدلة من الكتاب والسنة ، ويتكلفون فى طرق الاستدلال بهما ، حتى اذا أمياهم التأويل الفاسد وافتضحوا به ، لجأوا الى الافتراء على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى سائر أهل بيته أقوالا تروج مذهبهم .

والواجب على المسلم أن ينقاد لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تصبح هواه تبعا لما جاء به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، ويدور مع الحق حيث دار .

فقد خاب وخسر من فضّل اتباع الهوى على أتباع الحق ، وحاد الله ورسوله ، واتبع غير سبيل المؤمنين .

قال تعالى : " أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة "[3] .

---

(١) انظر: صحيح مسلم ٤/١٩٩٧ حـ ٢٥٨٣ . وفيه : " يقاد " بدل يقتص . و " الجلحاء " بدل الجمّاء .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٩٨ .

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

وقال تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " . (١)

والرافضة أكثر الفرق اتباعا للهوى واللج فى الضلال والعمه والتمادى فى الغيّ . فالحق عندهم ما وافق أهواءهم ومذاهبهم ، وان كان كفرا وزندقة ، والباطل عندهم ماخالف أهواءهم ومشاربهم ، وان كان هو عين الحق ، فتبا لهم سائر الزمان .

ونقول أيضا فى الرد على هذا التفسير الرافضي الذى نقله الطبرسي ورجحه وعضده : " ان تسليم الامام الامامة والخلافة الى من بعده - وبتعبير أدق - ان عهد الخليفة بالخلافة الى من بعده ، ليس من الواجبات التى أمر الله بها ، وليس من الأمانات التى أوتمن على الامام والخليفة . بل الأفضل والأولى أن يترك الى مشورة أهل الحل والعقد .

وهذا هو الذى فعله الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث لم ينص على من سيخلفه ، وانما ترك للأمة ، فاختارت أصلحهم للامامة والخلافة ، ألا وهو أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) .

يدلك على ذلك ما رواه البخارى ، عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : " قيل لعمر : ألا تستخلف ؟ قال : ان استخلف فقد استخلف من هو خير منى أبوبكر ، وان أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " . (٢)

فعمر رضي الله عنه ، يقرر فى هذا الحديث أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يستخلف أحدا ، ولو كان تسليم الامامة الى من بعد من الأمانات الواجبة - كما تزعم الرافضة - لما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك .

---

(١) سورة النساء الآية ١١٥ .
(٢) صحيح البخارى مع الفتح ١٣ / ٢٠٥ حـ ٧٢١٨ .

فعمر - رضي الله عنه - اقتدى في ذلك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، حيث لم يعين اماما بعينه وانما ترك الأمر شورى بين ستة من خيار المهاجرين الذين مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راض". (١)

وكذلك أمير المؤمنين - أبوالسبطين - عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - لم يستخلف ، اقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعمر الفاروق .

فقد قيل له :" ألا تستخلف ؟ فقال : لا . ولكن أترككم كما تركككم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فان يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ". (٢)

هذا هو موقف عليّ - رضي الله عنه - الذي يعتقد الرافضة بامامته ، ومع ذلك يحيدون عن هديه ، لأنهم لا يريدون في الواقع هديه ولا هدى أهل البيت الأطهار ، الذين يقتدون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما - وانما يتبعون مذهب ابن سبأ اليهودي ، فهم أتباعه وأشياعه ، وليسوا بشيعة عليّ ولا أنصاره ، وانما يتسترون بادعاء حبه وحب سائر أهل البيت ، كي يتمكنوا من نقض عرى الاسلام وهدم تعاليمه والتلاعب بالكتاب والسنة .

ثم نقول للطبرسي - خاصة - وللرافضة عامة -: ماذا تقصدون بالأئمة ؟ فان أردتم بذلك أنهم كانوا ذوى سلطان وقوة وقدرة ، معهم السيف ، فهذا كذب ظاهر ، وهم لا يدعون ذلك ، بل يقولون :" انهم كانوا عاجزين مغلوبين مع الظالمين ، لم يتمكن أحد منهم من الامامة الاّ عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع أن أمورا كثيرة استعصبت عليه . فنصف الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه ، بل كثير منهم قاتلوه ، وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه .

وان أردتم بالأئمة أنهم كانوا مستحقين للامامة ، فهذا لا يوجب كونهم

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٧ / ٦١ حديث ٣٧٠٠ .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٤ .

أئمة يجب على الناس طاعتهم ، لأن استحقاق الرجل أن يكون خليفة واماما ، لا يجعله أن يكون اماما وخليفة ، كما أن استحقاق الرجل أن يكون امام مسجد لا يجعله اماما ، واستحقاقه أن يصير قاضيا لا يصيّره قاضيا ، واستحقاقه أن يكون أمير حرب لا يجعله أمير حرب .

وان أردتم بذلك أنهم كانوا أئمة فى العلم والدين ، بحيث يطاع باختيار المطيع ، لكونهم عالمين بأمر الله ، ويقتدى بهم فى الدين ، فهذا أمر مشترك بين كل من كان متصفا بهذه الصفات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.(١)

ثم ان سبب نزول الآية الكريمة يدل على بطلان تفسير الرافضة الذى نقله الطبرسي واختاره .

فقد قال ابن جرير :" حدثنى القاسم ، حدثنى الحسين ، عن حجاج، عن ابن جريج . فى الآية قال :" نزلت فى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، قبض منه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مفتاح الكعبة ودخل به البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يتلوهذه الآية فدعا عثمان فدفع اليه المفتاح . قال : وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكعبة ، وهو يتلو هذه الآية : فداه بأبى وأمى ما سمعته يتلوها قبل ذلك ".(٢)

فهذا يدل على أن الآية عامة فى أداء كل الأمانات .

وهذه الآية العظيمة التى حملها الطبرسي وأضرابه من الرافضة على المعنى الباطل ، من أجّل الآيات القرآنية وأحكمها وأشملها وأوضحها . فقد اشتملت ـ مع قصر ألفاظها ـ على معان واسعة عميقة دقيقة بحيث يظهر عليها الاعجاز القرآني .

---

(١) انظر: المنتقى من مناهج الاعتدال لابن تيمية باختصار الحافظ الذهبي مع التصرف فى النص ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) تفسير الطبرى ٥/ ١٤٥ .

وقد تناولها المفسرون من أهل السنة بالشرح والايضاح لابراز معانيها الواسعة العميقة . وقالوا فى شرحها مقالات تثلج الصدور وتدحض انتحال المبطلين وتحريف الغالين .

واليك ما قاله أبوالسعود فى تفسيرها :" فى تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل ، وايراد الأمر على صورة الاخبار ، من الفخامة وتأكيد الامتثال به ، والدلالة على الاعتناء بشأنه ، ما لا مزيد عليه . وهو خطاب يعم حكمه جميع المكلفين قاطبة ، كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد ، سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية ، وان ورد فى شأن عثمان بن طلحة بن عبدالدار ، سادن الكعبة المعظمة"[1].

٥- **الادعاء بأن ايراث الكتاب والاصطفاء خاص بالأئمة دون غيرهم من سائر الأمة ، والاستدلال على ذلك بقوله تعالى :**

" ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير" . [2]

قال الطبرسي -عند تفسيره لهذه الآية -:" واختلف فى الذين اصطفاهم الله فى هذه الآية ، فقيل هم الأنبياء اختارهم الله برسالة الله وبكتبه . وقيل: هم المصطفون الداخلون فى قوله :" ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ". [3] وقيل : هم أمة محمد ورثهم الله كل كتاب أنزله .

ثم قال :" والمروى عن الباقر والصادق أنهما قالا :" هي لنا خاصة ، وايانا عني ، وهذا أقرب الأقوال ، لأنهم أحق الناس بوصف الاصطفاء والاجتباء وايراث علم الأنبياء ، اذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه ،

---

(١) تفسير أبى السعود ١ / ٧٢١ .

(٢) سورة فاطر الآية ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٣٣ .

العارفون بجلائله ودقائقه ".[١]

قلت : ان مفسرنا الرافضي - كما ترى - يتحين الفرص السانحة لترويج بضاعته في ثنايا تفسيره ، فما تمر به آية اختلفت عبارات المفسرين في تفسيرها الاّ ويدس بين تلك الأقوال قولا يؤيد مذهب الرافضة ، وان لم تكن أقوال المفسرين في تلك الآية متنافرة ، بل مؤداها واحد ، ممايسمى في علم أصول التفسير بالاختلاف التنوعي ، اذ قد يعبّر أحدهم باللازم والآخر بالملزوم. وقد يذكر أحدهم المعنى العام ، والآخر بعض مفردات العام ، غير أن قول الرافضة لا يتلاءم مع الأقوال الأخرى حتى يصبح بالنسبة اليها اختلاف تضاد .

فمثله كمثل أبي سفيان - رضي الله عنه - مع هرقل -(قبل اسلامه) حين سأله هرقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : " وهل يغدر؟ فقال : لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال أبوسفيان : " ولم تمكنني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة ".[٢]

وهذا المسلك يدل على خداع الطبرسي ومكره ومراسه على ترويج عقائدهم الزائفة .

وهذا القول الأخير الذي ادّعاه على أبي جعفر ، وأبي عبدالله ، ثم رجّحه قول باطل ، وهو تخصيص للآية بدون مخصص . فكيف يقول مؤمن يحترم نفسه ويخاف الله : " هي لنا خاصة وايانا عنى " . أليس هذا من تزكية النفوس والتألي على الله ، وهذا غير جائز في الاسلام . قال تعالى : " فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى "[٣] . وقال عز وجل : " أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الاّ القوم الخاسرون ".[٤]

---

(١) مجمع البيان ٤/٤٠٨ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١/٣٢ ح ٧ .

(٣) سورة النجم الآية ٣٢ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٩٩ .

وقال عز من قائل : " والذين يؤتون ما آتوو قلو بهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون " .(١)

ثم ان جلّ المفسرين قد اتفقوا على أن الذين أورثهم الله الكتاب واصطفاهم من عباده هم أمة محمد جميعا .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ... " . هم أمة محمد ، ورثهم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب".(٢)

وما علّل به الطبرسي في ترجيح ذلك القول تعليل باطل لا يروج الاّ في عقول الرافضة الذين لا نقل عندهم ولا عقل .

والعبرة في الاسلام بالتقوى لا بالنسب . قال الله تعالى : " ان أكرمكم عند الله اتقاكم" .(٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : " ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" .(٤)

ولا يقال أن آل البيت أحق الناس بالاصطفاء ولا الاجتباء ولا ايراث علم الأنبياء دون غيرهم من الأمة . فالله يهدي من يشاء ويرفع درجات من يشاء، وأبوطالب - عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي تولى أمره في صغره ومنعه حين بعث ، ومع ذلك لم يسلم ، بَيْد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تمنى ايمانه ، وألحّ عليه بالشهادة عند موته . فلم يقلها ومات على دين قومه . حتى نزل قوله تعالى : " انك لا تهتدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء".

وكان أبوبكر وعمر - رضي الله عنهما - أفضل هذه الأمة - بعد نبيها -

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٦٠ .

(٢) تفسير الطبري ٢٢/٨٨ .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٤) صحيح مسلم حديث (٢٦٩٩) ٤/٢٠٧٤ .

وأحبها الى الله ورسوله مع أنهما ليسا من أهل البيت ولا من أقربائه الأ قربين وما نالا هذه الدرجة الرفيعة الآ بالايمان بالله ورسوله ونصرتهما للدين الاسلامي .

ومع أن أهل البيت لهم فضل عظيم يستحقون به من الأمة الاحترام والتقدير والترحم لهم وصلتهم ، لأجل صلتهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الآ أنه لا يجوز الغلو فيهم . فان أكثر ما تمدح به الرافضة أهل البيت مما يثقل كواهلهم بأمور لا يرضونها ، يحاول بها المغالون رفعهم فوق منزلتهم .

والرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - ورّث ما أوحى اليه جميع الأمة فلم يكتم شيئا ولم يخص بأحد شيئا دون سائر الناس . وقد بين ذلك أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (رضي الله عنه) .

فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى جحيفة . قال : " سألت عليّا - رضي الله عنه - هل عندكم شيئ مما ليس في القرآن؟ . وقال مرة : ما ليس عند الناس؟ . قال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا الآ ما فى القرآن الآ فهما يعطى رجل فى كتابه وما فى الصحيفة . قلت : وما فى الصحيفة . قال : العقل وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر" . (١)

وأما قوله : " اذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه العارفون بجلائله ودقائقه " . كلام فيه نظر ، ويحتاج الى توضيح . فلم يتعبد وحدهم بحفظ القرآن وبيان حقائقه ، بل أول من تعبد بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قال تعالى : " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما أنزل اليهم" . (٢)

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ١٢ / ٢٦٠ حـ ٦٩١٥ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٤ .

وقال عز وجل : " لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه ".[1] وعلى الأمة الاسلامية أن تفهم الكتاب على ضوء بيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتفسيره ، ولا يجوز لهم أن يتقدموا بين يدى الله ورسوله ، والله عز وجل هو الذى تكفل بحفظ كتابه ولم يكل حفظه الى أحد . قال عز وجل :" انا نحن نزلنا الذكر وانا له الحافظون ".[2]

والمطلوب من الأمة الاسلامية بأسرها ، أن تقوم بحفظ كتاب الله فى كل زمان ومكان ، بأن يحفظوه فى صدورهم ويدرسوه بألسنتهم وأن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا حدوده ، حتى يكونوا سببا فى حفظ كتاب الله .

ولم يحط بشر ـ سوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علما بدقائق القرآن وجلائله ، وحتى الصحابة الكرام كانت تقف أمامهم بعض الآيات . كما حصل لعمر فى الكلالة . وقد كانوا يتفاوتون فى فهم القرآن ولم يكونوا على درجة واحدة .

وهؤلاء الذين يسمونهم بالأئمة ، كغيرهم من الأمة فى فهم القرآن ، ولم يختصوا بشئ دون سائر أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكل واحد منهم عاصره وعاش معه فى زمنه من هو مثله فى العلم ومعرفة معانى كتاب الله أو هو فوقه .

فعلىّ بن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ صحابي جليل من السابقين الأولين ، ورابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو من علماء الصحابة ومع هذا لم يكن أعلم ولا أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) . بل كان أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ أعلم الصحابة بكتاب الله وسنة

---

(١) سورة القيامة الآيات من ١٦ : ١٩ .

(٢) سورة الحجرات الآية ٩ .

رسوله ، وكان عمر - رضي الله عنه - أعلمهم بعده .

وكذلك الحسن والحسين - رضي الله عنهما - من صغار الصحابة ، وهما صحابيان فاضلان ، وسبطا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير أنهما ما كانا أعلم من أمثالهما من الصحابة ، كعبد الله بن عباس ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبي هريرة - رضي الله عنهم - بل الأحاديث والآثار التي نقلت عن هؤلاء أكثر وأكثر مما نقل عن الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وشاهد العيان يدل على ذلك .

وعليّ بن الحسين - الملقب بزين العابدين - رحمه الله - تابعي جليل له مكانته العلمية ، ومع ذلك لم يكن أعلم ولا أفقه من سادات كبار التابعين كسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير ، بل ما روى عن أحد هؤلاء أكثر وأكثر مما روى عن عليّ بن الحسين .

ومحمد بن عليّ ، وابنه جعفر الصادق ، كانا من أهل العلم ، ولكن عاصر كلا منهما من كان مثله في العلم والرواية والفتوى ، أوفوقه . كعمر ابن عبد العزيز ، والزهري (١) ، ويحي بن سعيد (٢) ، وهشام بن عروة (٣) ، وأبي الزناد (٤) .

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري متفق على خلالته واتقانه . توفي ١٢٥ هـ . تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٧ .

(٢) يحي بن سعيد بن فرّوخ التميمي ، أبوسعيد القطان البصري ، ثقة حافظ متعن . مات سنة ١٩٨ هـ . تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٨ .

(٣) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، ثقة فقيه . مات سنة ١٤٥ هـ تقريب التهذيب ٢ / ١١٥ .

(٤) عبد الله بن ذكوان القرشي . أبوعبد الرحمن المدني ، ثقة ، فقيه ، مات سنة ١٣٠ هـ . تقريب التهذيب ١ / ٤١٣ .

وأما من بعد هؤلاء من باقى الاثنى عشر . فلم يعرف لهم علم .

قال ابن حزم : " وأما من بعد جعفر بن محمد ، فما عرفنا لهم علما أصلا لا من رواية ولا من فتيا ، على قرب عهدهم منا ، ولو كان عندهم من ذلك شئ لعرف كما عرف عن محمد بن على وابنه جعفر ، وعن غيره ممن حدث الناس عنه "(١)

وبذلك نعلم بطلان تخصيص الاصطفاء وايراث الكتاب بآل البيت دون سائر الأمة .

ثم قال الطبرسي فى تفسير قوله عز وجل : " فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله "(٢). روى أصحابنا عن ميسرة بن عبد العزيز ، عن الصادق أنه قال : " الظالم لنفسه من لا يعرف حق الامام ، والمقتصد منا العارف بحق الامام ، والسابق بالخيرات هو الامام "(٣).

قلت : لو لم يدلك على قبح الرافضة وكذبهم على الله ورسوله وأهل البيت الاّ هذا الكلام الذى أورده فى تفسير الآية لكفاك ، ولا نتكلف الرد عليه ، اذ الكلام يشهد على نفسه أنه كذب صرف ، وواضح أنه ليس تفسيرا للآية الكريمة ، بل هو تأويل باطنى محض .

فقد قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية العظيمة : " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ". يقول تعالى : " ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب ، الذين اصطفينا من عبادنا وهم : هذه الأمة . ثم قسمهم الى ثلاثة أنواع فقال : " ففيهم ظالم لنفسه " وهو المفرط فى فعل الواجبات المرتكب لبعض المحرمات . " ومنهم مقتصد " وهو المؤدى للواجبات

---

(١) الفصل لابن حزم ٤ / ١٧٥ .

(٢) سورة فاطر الآية ٣٣ .

(٣) مجمع البيان ٤ / ٤٠٩ .

التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات . "ومنهم سابق بالخيرات باذن الله " وهو الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات [١] .

وهذا هو التفسير الصحيح للآية الذى يطمئن اليه القلب وترتاح اليه النفس . وأين هذا من ظلمات الطبرسي التى تشوّه معاني القرآن وتكدر صفوته .

٦- مساواة الأئمة بالأنبياء :

عند تفسير قوله تعالى : " وآتيناه الحكم صبيا " [٢] قال الطبرسي : " وروى العياشي باسناده عن عليّ بن أسباط . قال : " قدمت المدينة ، وأنا أريد مصر ، فدخلت على أبى جعفر محمد بن الرضا - عليه السلام - وهو اذ ذاك خماسي فجعلت أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر ، فنظر اليّ فقال لى : " يا عليّ ان الله قد أخذ فى الامامة كما أخذ فى النبوة . قال : "ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما " [٣] . وقال : " وآتيناه الحكم صبيا " . فقد يجوز أن يعطى الحكم ابن أربعين سنة ، ويجوز أن يعطاه الصبى " [٤] .

قلت : وهذا الكلام من أكاذيب الرافضة التى وضعوها على ألسنة آل البيت ، وهو كلام لا يقره الشرع والعقل . وذلك أنه ليس هناك مساوات بين الأنبياء وبين غيرهم من المؤمنين ، لأن الأنبياء عباد اصطفاهم الله لوحيه وتكليمه ، وليس يبلغ مقامهم أحد من غيرهم مهما كان ، وأهل البيت الذين تزعم الشيعة امامتهم كآحاد أتباع الرسل ، ولا يبلغون درجة الأنبياء والمرسلين

---

(١) تفسير ابن كثير ٦ / ٥٣٣ .
(٢) سورة مريم الآية ١٢ .
(٣) سورة يوسف الآية ٢٢ .
(٤) مجمع البيان للطبرسي ٣ / ٥٠٦ .

مهمـــا عظـــم شأنهـــــم .

ولا يتصور أيضا أن يصدر مثل هذا الكلام من صبى فى الخامسة مـــــن عمره . والطبرسي مستهدف من ايراد مثل تلك الروايات الباطلة ، فهـــــو يريد أن يغلو فى أئمته وينزلهم منازل الأنبياء والمرسلين . ويثبت لهم مـــا للأنبياء من الوحى وايتاء الحكم ، وهذا باطـــل .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :" وحقيقة الأمر أن ما يدل على النبـــوة ، هو آية النبوة وبرهان عليها ، فلابد أن يكون مختصا بها ، لا يكون مشتركـــا بين الأنبياء وغيرهـــم .[1]

٧ـ القـــول بوجود امـــام فى كل زمـــان اذا لم يكن هنـاك نبى :

عند قوله تعالـــى :

" فان يكفـر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافريـــن ".[2]

قال الطبرسي :" وفى هذه الآية دلالة على أنه لا يخلو كل زمان مـــن حافظ للدين ، اما نبى أو امام ".[3]

والجواب :" أنه لا يفهم من الآية أن يوجد فى كل زمان نبى ، وهـــذا أمر متفق عليه ، وذلك أن الرسل كانت بينهم فى كثير من الأحيان فترات . قال تعالى :" يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ...".[4] وليس بعد نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم الأنبياء والمرسلين نـــبى الى قيام الساعة .

---

(١) كتاب النبوات لابن تيمية ص ١١ .

(٢) سورة الأنعـام الآيـــــة ٨٩ .

(٣) مجمع البيان ٢/٣٣٢ .

(٤) سورة المائدة الآيـــــة ١٩ .

وأما وجود امام فى كل زمان ، فلم يرد به كتاب ولا سنة ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخبر أن الحق لا يضيع بين هذه الأمة المحمدية ، وأنه ستكون فى كل زمان الى يوم القيامة طائفة من أمته ثابتة على الحق ، تقوم بأمر الدين وحفظه ، ولا يضر هذه الطائفة من خالفهم ولا من خذلهم .

فقد روى البخارى فى صحيحه عن معاوية - رضي الله عنه - قال : "سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : " لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من كذبهم ولا من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك" .(١)

وروى مسلم فى صحيحه عن ثوبان - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك " .(٢)

وهذه الطائفة الذين ذكرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فى هذين الحديثين ، هم الذين قيضهم الله لحفظ دينه فى كل زمان ، وهى تتكون من أفراد كثيرة ، وليست شخصا واحدا يقال له الامام ، كما زعم الطبرسي وغيره من الرافضة .

ونقول للطبرسي : من الامام فى هذا الزمان الذى يحفظ دين الله تعالى ؟ أهو مهديكم المزعوم الذى لم يوجد أصلا ، والذى تزعمون أنه فى غيبة منذ سنة خمسين ومائتين من الهجرة الى يومنا هذا ؟ . وكيف يسند الله تعالى حفظ دينه وشريعته الى معدوم لم تره العيون ، ولم ينتفع به المسلمون ولا تضرر به الكافرون ؟ !!

وبذلك نعلم بطلان وجود الامام على مفهوم الشيعة فى كل زمان ، لأن الله

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ١٣/٤٤٢ حـ ٧٤٦٠ .

(٢) صحيح مسلم ٣/١٥٢٣ حـ ١٩٢٠ .

تعالى يحفظ الدين بمجموع الأمة ، كما نعلم بطلان استدلاله بالآية على ذلك .

والمعنى الاجمالي للآية ـ كما قال ابن جرير ـ : " فان يكفر قومك من قريش يا محمد بآياتنا ، وكذبوا وجحدوا حقيقتها ، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك الذين لا يجحدون حقيقتها ، ولا يكذبون بها ، ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها " .(١)

٨ ـ الوصايـــــة :

يقول الطبرسي كغيره من الرافضة ، فكرة الوصاية التي أحدثها عدو المسلمين ابن سبأ . يدل على اعتقاده ذلك أنه غالبا ما يصف عليّا وسائر أئمتهم بالأوصياء . فيقول مثلا : " أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليّ بن أبي طالب".(٢)

ويورد عند تفسيره لبعض الآيات كثيرا من الروايات التي تقول بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصى الخلافة الى عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه .

فعند تفسيره لقوله تعالى : " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك" .(٣)

قال في سبب نزول الآية : " روى العباس باسناده عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعليّ ـ عليه السلام ـ : اني سألت ربي أن يؤاخي بيني وبينك ففعل ، وسألت ربي أن يجعلك وصيّي ففعل ، فقال بعض القوم : " والله لصاع من تمر في شن بالٍ أحب الينا مما سأل محمد ربه ، فهلا سأله ملكا يعضده أو كنزا يستعين به على فاقته . فنزلت الآية " .(٤)

---

(١) تفسير الطبري ٧ / ٢٦٥ .
(٢) مجمع البيان ١ / ٩ .
(٣) سورة هود الآية ١٢ .
(٤) مجمع البيان ٣ / ١٤٦ .

وعند تفسير الطبرسي لقوله تعالى فى سورة النحل :" وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ..." . الى قوله تعالى :"... ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم"[1]. قال :" وروى عن أبى عبد الله أنه قال : نزلت هذه الآية فى ولاية عليّ ، وما كان من قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلّموا على عليّ بأمرة المؤمنين"[2].

وهذه كلها من وضع الرافضة ، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يوص الى عليّ ـ رضي الله عنه ـ بشئ من أمر الخلافة . يدل على ذلك ما رواه النسائي بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت :" يقولون أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصى الى عليّ ـ رضي الله عنه ـ لقد دعا بالطست ليبول فيها فانخنثت نفسه صلى الله عليه وسلم ، وما أشعر فالى من أوصى"[3].

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة فى موقف الطبرسي من الامامة ، واتضح لنا من تلك الأمثلة التى سقناها أنه امامي متعصب يحرف معاني كلام الله ليوافق مذهبه .

وله فى عرض هذه الرفضيات من خلال تفسيره طرق :

الأول :

أن يذكر أولا التفسير المشهور للآية عند المفسرين ، ثم يردفه بقول يؤيد مذهب الرافضة ، وغالبا ما يحكيه على صيغة التمريض . ويسند أكثر هذه الأقوال الى محمد الباقر وجعفر الصادق ، ويكنى الأول أباجعفر ، والثاني أبا عبد الله ، ولا يجادل فى صحة المعنى الذى أتى به لتأييد مذهبه

---

(١) سورة النحل الآيات ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) مجمع البيان ٣ / ٣٨٣ .

(٣) سنن النسائي ٦ / ٢٤١ .

ولا يفنـــده (١) .

الثانـــي :

ان يفسر الآية مباشرة على ضوء مذهب الرافضة ، ويجادل فى دلالـــة الآية على المعنى الذى فسرها به وصحته ، ويفند المعنى الصحيح المتبادر من الآية . كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى : " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا " . (٢)

الثالـــث :

أن يورد عدة أقوال فى تفسير الآية ومن بينها قول الامامية ، ثـــم يعقب على تلك الأقوال بقوله : " والأولى حمل الآية على العموم حتى يدخـــل جميع ذلك فيه . كما فعل عند قوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " (٣) . حيث أورد أقوالا فى تفسير الصراط المستقيم . منها : أن الصراط المستقـــيم هو الأئمة القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم . (٤)

* * *

---

(١) انظر: مجمع البيان عند تفسير قوله تعالى : " يا ايها الناس قد جاءكـــم برهان من ربكم " . النساء الآية ١٧٤ . ٢/١٧٤ .

(٢) سورة المائدة الآية ٥٥ .

(٣) سورة الفاتحة الآية ٦ .

(٤) انظر: مجمع البيان ١/٢٨ .

الفصل الثاني

العصمة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف العصمة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : عصمة الأنبياء عند جمهور الأمة والشيعة الامامية .

المبحث الثالث : عصمة الأئمة عند الشيعة الامامية الاثني عشرية .

المبحث الرابع : موقف الطبرسي من عصمة الأئمة.

المبحث الأول
تعريف العصمة لغة واصطلاحا

العصمة لغة[1] : المنع .

قال ابن فارس فى مادة " عصم " : العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على امساك ومنع وملازمة . والمعنى فى ذلك معنى واحد .

من ذلك العصمة : أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه ، واعتصم العبد بالله تعالى ، اذا امتنع ، واستعصم : التجأ . وتقول العرب : عصمت فلانا ، أى هيأت له شيئا يعتصم بما نالته يده ، أى يلتجئ ويتمسك به .

قال النابغة :

" يظل من خوفه الملاح معتصما بالخيزرانة من خوف ومن رعد "[2].

والمعتصم من الفرسان : السئ الحال فى فروسته ، تراه يتمسك بعرف فرسه أو غير ذلك[3] .

وقال فى لسان العرب : " العصمة فى كلام العرب : المنع ، وعصم الله عبده : أن يعصمه مما يوبقه ، عصمة يعصمه عصما : منعه ووقاه . وفى التنزيل : " لا عاصم اليوم من أمر الله الآ من رحم "[4] . أى لا معصوم الآ المرحوم ...

واعتصم فلان بالله اذا امتنع به . والعصمة : الحفظ . يقال : عصمته

---

(١) هناك رسالة ماجستير بموضوع : العصمة عند الشيعة قدمت من الطالب أنور الباز ، فى شعبة العقيدة بقسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية وهي رسالة مفيدة فى بابها .

(٢) البيت للنابغة فى معلقته الدالية المشهورة . انظر : ديوان النابغة ٣٦ ، والرواية المشهورة : بالحيزرانة " بالحاء بدل الخاء " بعد الابن والنجد . والخيزرانة : هو السكان . وهو ذنب السفينة .

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤ / ٣٣١ " مادة عصم " .

(٤) سورة هود الآية ٤٣ .

فانعصم ، واعتصمت بالله اذا امتنعت بلطفه من المعصية ، وعصمه بالطعام : منعه من الجوع ، واعتصم به ، واستعصم : امتنع وأبى . قال الله عز وجل حكاية عن امرأة العزيز حين راودته عن نفسه : " فاستعصم"[1]. أى تأبّى عليها ولم يجبها الى ما طلبت .

قال الزجاج : " وأصل العصمة الحبل . وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه "[2].

فكل المعاني التى قيلت فى مادة " عصم " ترجع الى المنع .

العصمة اصطلاحا :

عرف متكلمو الأشاعرة العصمة بتعريفات مختلفة . :

قال البيضاوي فى تعريفها : "العصمة ملكة نفسانية تمنع الفجور ، وتتوقف على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات "[3].

وعرفها عبد السلام اللّقاني قريبا من هذا . فقال :" العصمة لغة : المنع ، واصطلاحا : ان لا يخلق الله فى المكلف الذنب مع بقاء قدرته ، وهي معنى قولهم :" هي لطف من الله تعالى بالعبد يحمل على فعل الخير ويزجره عن الشر ، مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء "[4].

وهذان التعريفان للعصمة مبنيان على ثبوت الاختيار والقدرة للمعصوم ، اذ هناك من يعرف العصمة بتعريف يفهم منه سلب الاختيار والقدرة عن المعصوم ، فقالوا فى تعريفها :" العصمة كون الشخص بحيث يمتنع عنه الذنب بخاصية فى نفسه أو بدنه"[5].

---

(١) سورة يوسف الآية ٣٢ .

(٢) لسان العرب ١٢/ ٤٠٣ - ٤٠٥ مادة " عصم".

(٣) طوالع الأنوار على هامش المواقف ١/ ٥٦٤.

(٤) شرح عبد السلام اللقاني على الجوهرة ص ١١٦.

(٥) طوالع الأنوار على هامش المواقف ١/ ٥٦٥.

وفحواى هذا التعريف أن المعصوم لا يقدر على الذنب ولا يمكن أن يقع منه ، لأنه يمتنع بخاصة جبلت فى نفسه أو بدنه ، بحيث لا يتمكن من الاتيان به ولا يستطيع اقتراف المعصية .

اذا يمكننا أن نقول : ان الذين عرفوا العصمة من المتكلمين فريقان :
فريق أثبت الاختيار والقدرة على الذنب للمعصوم مع اجتنابه عنه .
والآخر سلب الاختيار والقدرة عنه .

وأشار الى ذلك الرازى بقوله :" القائلون بالعصمة ، منهم من زعم : أن المعصوم هو الذى لا يمكنه الاتيان بالمعاصى ، ومنهم من يزعم أنه يكون متمكنا منه "[(١)] .

والتعريف الأخير للعصمة ، الذى يسلب الاختيار عن المعصوم باطل عقلا ونقلا ، وقد انتقده المتكلمون بالأدلة العقلية والنقلية .

قال صاحب المواقف فى علم الكلام :" وقال قوم : تكون ـ أى العصمة ـ خاصة فى نفس الشخص أو فى بدنه يمتنع بسببه صدور الذنب عنه . ثم فنده بقوله : ويكذبه أنه لو كان كذلك لما استحق المدح بذلك .

وأيضا فالاجماع على أنهم مكلفون بترك الذنب مثابون به ، ولو كان الذنب ممتنعا عنهم لما كان كذلك ، وأيضا فقوله تعالى :" قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ ..."[(٢)] يدل على مماثلتهم لسائر الناس فيما يرجع الى البشرية ، والامتياز بالوحي لا غير "[(٣)] .

فالتعريف الأول الذى يثبت الاختيار للمعصوم أولى وأحسن ، وهو قول أكثر المتكلمين .

---

(١) محصل أفكار المتقدمين للرازى ٢١٨ .
(٢) سورة الكهف الآية ١١٠ .
(٣) المواقف فى علم الكلام لعضد الدين الايجى ص ٣٦٦ .

قال التفتازاني :" وحقيقة العصمة أن لا يخلق الله الذنب على العبد مع بقاء قدرته واختياره ..." . ثم قال :" ولهذا قال أبومنصور: العصمة لا تزيل المحنة ".[١]

وكذلك عرف متكلمو الشيعة العصمة بتعريف يتفق مع تعريف متكلمي الأشاعرة ، الذين يثبتون الاختيار والقدرة للمعصوم.

يقول الحلي الرافضي في تعريفها :" العصمة لطف يفعله الله تعالى بالمكلف ، لا يكون مع ذلك داع الى ترك الطاعة ، وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك ".[٢]

وقال الشريف المرتضى :" العصمة هي اللطف الذى يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح . فيقال على هذا :" ان الله عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح . ويقال :" ان العبد معصوم ، لأنه اختار هذا الداعي الذى فعل له الامتناع من القبيح ".[٣]

* * *

* *

*

---

(١) شرح التفتازاني على العقائد النسفية لمسعود بن عمر بن سعد الدين التفتازاني ص ١٨٥ .

(٢) توفيق التطبيق ص ١٦ .

(٣) أمالى المرتضي ٢/ ٣٤٧ .

المبحث الثاني
عصمة الأنبياء عند جمهور الأمة والشيعة الامامية

والناس فى مسألة عصمة الأنبياء طرفان ووسط . فقوم أسرفوا فى دعوى امتناع الذنوب عنهم . وهم الشيعة ، الذين يبالغون فى عصمة الأنبياء ، حتى انهم لينفون عنهم السهو والنسيان ، وغرضهم من ذلك أن يثبتوا عصمة مطلقة لأئمتهم ، مثل ما أثبتوها للأنبياء .

وقد ألف أحد علمائهم - وهو الشريف المرتضى - كتابا سمّاه "تنزيه الأنبياء" تجاوز حد الشرع والعقل فى اثبات العصمة لهم ، حتى نفى عنهم السهو والنسيان والخطأ فى الاجتهاد ، وتعسف فى تأويل الآيات التى تعارض ما ذهب اليه ، وافترى على أهل السنة وزعم كذبا وزورا أنهم يجيزون على الأنبياء الكفر وقبائح الأفعال " .

والذى حمل المرتضى على تأليف هذا الكتاب ، هو حرصه على اثبات العصمة لأئمتهم ، وانما اتخذ ذكر الأنبياء دهليزا للدخول على مقصده ، لأنه تكلم فى كتابه عن عصمة ثلاثة عشر نبيا ، ثم تكلم عن عصمة خمسة من أئمتهم" .

وهناك طرف آخر جوّزوا على الأنبياء ما دل القرآن على براءتهم منه كالمرجئة والكرامية (١) .

وتوسط أهل الحق فى ذلك ، فنزهوا عنهم ما لا يليق بهم ، وجوّزوا عليهم ما حصل منهم من الهنات التى قص القرآن عنهم ، والتى تابوا منها ، ونالوا بذلك الدرجات العلى .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "واعلم أن المنحرفين فى مسألة العصمة على طرفى نقيض ، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه ،

---

(١) انظر : الفصل ٤ / ٥ .

قوم أفرطوا فى دعوى امتناع الذنوب ، حتى حرّفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب ومغفرة الله لهم ، ورفع درجاتهم بذلك . وقوم أفرطوا فى أن ذكروا عنهم ما دلّ القرآن على براءتهم منه ، وأضافوا اليهم ذنوبا وعيوبا نزّههم الله عنها وهؤلاء مخالفون للقرآن وهؤلاء مخالفون للقرآن ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط ، مهتديا الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (١) .

وقد اتفقت الأمة على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغون فيما طريقه الوحي والتبليغ (٢) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، معصومون فيما يخبرون به عن الله تعالى ، وفى تبليغ رسالته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الايمان بكل ما أتوا به . وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التى يحصل بها مقصود النبوة والرسالة " (٣) .

وأرى أن من أدلة عصمة الأنبياء فيما يبلغون عن الله تعالى . قوله سبحانه : " عالم الغيب فلا يظهرعلى غيبه أحدا الاّ من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ... الآية " (٤) .

وكذلك ثبتت العصمة لهم من الكذب فى غير الوحى والتبليغ مما يتعلق بأمور الدنيا وأحوال أنفسهم .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : " وأما ما ليس سبيله البلاغ ، من الأخبار

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥ / ١٥٠ .

(٢) انظر : الشفا للقاضى عياض ٢ / ١٢٣ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠ / ٢٨٩ .

(٤) سورة الجن الآية ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

التى لا مستند لها الى الأحكام ،ولا أخبار المعاد ، ولا تضاف الى وحى ، بل فى أمور الدنيا وأحوال نفسه ، فالذى يجب اعتقاده تنزيه النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقع خبره فى شئ من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ، وأنه معصوم من ذلك فى حال رضاه وسخطه ،وجده ومرحه ، وصحته ومرضه ، ودليل ذلك اتفاق المسلمين واجماعهم عليه ".(١)

ودليل عصمتهم من الكذب فى كل شئ ما رواه ابن عباس ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما نزلت هذه الآية :" وأنذر عشيرتك الأقربين "(٢) خرج حتى صعد الصفا ، فهتف يا صباحاه . فقالوا : من هذا ؟ قالوا : محمد فاجتمعوا اليه . فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ ؟ . قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ".(٣)

وأيضا ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما ، عن ابن عباس أن أباسفيان أخبره أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماد فيها أباسفيان وكفار قريش ... ، فكان مما سأل عنه : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ثم قال هرقل : انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ".(٤)

وأجمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة ، الا الفصلية من الخوارج . فانهم يجوّزون الكفر على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ... ، والرافضة . فانهم يجوّزون اظهار كلمة الكفر على سبيل التقية .(٥)

---

(١) الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٣٥ .
(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .
(٣) صحيح البخارى مع الفتح ٨/ ٧٣٧ حـ ٤٩٧١ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣١ ، ٣٢ حـ ٧ .
(٥) عصمة الأنبياء للرازى ص ٢٦ .

واختلفت الأمة فى عصمة الأنبياء عن الذنوب والمعاصى . فذهب جمهور أهل السنة ، وأكثر المعتزلة الى أنهم معصومون عن الكبائر ، وكل القبائح التى تنقص من قدرهم دون الصغائر ، وذهب جمع من متكلمى الأشاعرة المتأخرين والروافض ، الى أنهم معصومون عن الكبائر والصغائر.

قال القاضي :" وأما الصغائر فجوّزها جماعة من السلف وغيرهم ، على الأنبياء ، وهو مذهب أبى جعفر الطبرى وغيره من المحدثين والمتكلمين ، وذهبت طائفة أخرى من المحققين والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر ". (١)

والذى ظهر لى من خلال بحثى :" أن القول بعصمة الأنبياء من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص ، هو مذهب جمهور علماء الإسلام وهو الذى يتمشى مع روح القرآن . ومن أنكر وقوع الصغائر منهم اضطر الى التعسف فى تأويل الآيات القرآنية التى تفيد بأنه وقع منهم أشياء وتابوا منها ، وقبّل الله توبتهم ورفع لهم الدرجات ، ولا يضر الأنبياء حصول ذلك منهم ، بل يزدادون قربة الى الله بالانابة اليه . وقد انتصر لهذا فحول العلماء .

قال الجوينى :" فان قيل : هل تجب عصمتهم عن المعاصى ؟ قلنا : أما الفواحش المؤذنة بالسقوط وقلة الديانة ، فيجب عصمة الأنبياء عنها اجماعا . وأما الذنوب المعدودة من الصغائر ... فلا تنفيها العقول ، ولم يقم دليل قاطع على نفيها ... ، فان قيل : اذا كانت المسألة مظنونة ، فما الأغلب على الظن عندكم . قلنا : الأغلب على الظن عندنا جوازها . وقد شهدت أقاصيص الأنبياء أى من كتاب الله تعالى ذلك . فالله أعلم بالصواب . (٢)

قال ابن تيمية :" القول بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، معصومون

---

(١) الشفا للقاضي عياض ٢ / ١٣٥ .

(٢) الارشاد للجوينى ص ٣٥٦ .

عن الكبائر دون الصغائر . هو قول أكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حيث أنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكره أبوالحسن الآمدى ، وهو قول أكثر الأشعرية ، وهو قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم الاّ ما يوافق هذا ".(١)

وأما من قال من أهل السنة بعصمة الأنبياء عن الصغائر مطلقا ، فقد تأثروا بالشيعة الروافض وبعض المعتزلة فى ذلك .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :" وانما نقل ذلك القول ـ أى عصمتهم مطلقا ـ فى العصر المتقدم عن الرافضة ، ثم عن بعض المعتزلة ، ووافقهم عليه طائفة من المتأخرين ".(٢)

ولعله يشير الى أمثال ابن حزم والرازى ، فانهما يقولان بعصمة الأنبياء عن الصغائر مطلقا ، ويجوّزان عليهم الخطأ على سبيل النسيان والسهو والتأويل .(٣)

وجميع أهل السنة يجوّزون عليهم الخطأ على سبيل النسيان والسهو والتأويل والاجتهاد .(٤) ويقولون :" ان الخطأ لا يقرون عليه ، بل ينبهون ويرشدون الى الصواب .(٥)

وأما الرافضة فكما ذكرنا يثبتون عصمةً مطلقة للأنبياء ، فلا يجوّزون عليهم الكبائر والصغائر ، بل يقولون بعصمتهم عن السهو والنسيان والخطأ فى الاجتهاد والتأويل .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤ / ٣١٩ .

(٢) المصدر نفسه ٤ / ٣٢٠ .

(٣) انظر: الفصل لابن حزم ٤ / ٦ ، ٤ / ١٠ ، وانظر: عظمة الأنبياء للرازى ص ٢٨ .

(٤) انظر: الفصل ٤ / ٦ ، وعصمة الأنبياء للرازى ص ٢٨ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٤ / ٣٢٠ .

يقول محمد رضا المظفر: ونعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة"[١].

وقال ابن أبى الحديد :" وقالت الامامية :" لا تجوّز عليهم الكبائر ولا الصغائر ،لا عمدا ولا خطأ ولا سهوا ، ولا على سبيل التأويل والشبهة[٢]. وهذا ما ينفرد به الامامية الرافضة ،كما قال ابن أبى الحديد .[٣]

قال ابن تيمية :" وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقا ، وأعظمهم قولا لذلك . الرافضة ، فانهم يقولون بالعصمة حتى ما وقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل ، وينقلون ذلك الى من يعتقدون امامته ، وقالوا بعصمة عليّ والاثنى عشر .[٤]

ونستنتج من ذلك كله أن كلا من أهل السنة والشيعة ، يثبتون للأنبياء العصمة ، لكنهم يختلفون فى أن الشيعة الامامية يثبتون لهم عصمة مطلقة ، وأهل السنة على تفاوت فيما بينهم ، يثبتون لهم عصمة مقيدة .

ويختلفون أيضا فى أن أهل السنة لا يرون العصمة اطلاقا لغير الأنبياء ، ولا يعدونها الى غيرهم من البشر ، جلّ قدره أو صغر ، أما الشيعة الامامية فانهم يثبتون العصمة أيضا لأئمتهم ، مثل ما أثبتوها للأنبياء أو أشد . وهذا مفترق الطريق بين الفريقين .

* * *

* *
*

---

(١) عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٣٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٧ / ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ٧ / ٨ .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤ / ٣١٩ .

المبحث الثالث
عصمة الأئمة عند الشيعة الامامية

الشيعة الامامية يثبتون العصمة لأئمتهم كما يثبتون للأنبياء ، بل ان بعضهم أثبت العصمة للأئمة وأجاز الخطأ والعصيان على الأنبياء .

فقد زعم هشام بن الحكم ـ أحد أقطاب الرافضة ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جائز عليه أن يعصى الله ، وأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد عصى فى أخذ الفداء يوم بدر ، فأما الأئمة فلا يجوز عليهم ، لأن الرسول اذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله ، والأئمة لا يوحى اليهم ، ولا تهبط الملائكة عليهم ، وهم معصومون ، فلا يجوز عليهم أن يسهوا ولا يغلطوا ، وان جاز على الرسول العصيان .(١)

واثبات العصمة لغير الأنبياء ، هو مما تميزت به الشيعة الامامية وانفردت به ، وليس فى الأمة من يثبت العصمة لغير الأنبياء .

واليك بعض مقالة علماء الامامية الرافضة فى اثبات العصمة لأئمتهم :

قال الشيخ المفيد :" ان الأئمة القائمين مقام الأنبياء ، فى تنفيذ الأحكام واقامة الحدود ، وحفظ الشرائع ، وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء ، ولا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة ... ، وأنه لا يجوز منهم سهو فى شئ من الدين ". ولا ينسون شيئا من الأحكام ، وعلى هذا مذهب الامامية الاّ من شذّ منهم ".(٢)

وقال الحلى ـ أحد صناديد الرافضة ـ:" وذهب الامامية الى أن الأئمة كالأنبياء فى وجوب عصمتهم من جميع القبائح والفواحش من الصغر الى الموت".

---

(١) مقالات الاسلاميين للأشعرى ١ / ١٢١ .
(٢) أوائل المقالات للشيخ المفيد ص ٧٤ .

ثم علّل سبب وجوب العصمة لهم بقوله :" لأنهم حفظة الشرع والقوامون به ، حالهم فى ذلك كحال الأنبياء ، ولأن الحاجة الى الامام انما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم ، ورفع الفساد ، ولأن الامام لطف ، يمنع القاهر من التعدى ، ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات"[1] .

وهذا كلام عار عن البرهان ، وليس للرافضة مستند فى اثبات العصمة لأئمتهم سوى نصوص موضوعة مكذوبة على الشارع ، أو مقدمات فلسفية سفسطائية لا تسمن ولا تغنى من جوع .

وقد أسهب الشريف المرتضى الكلام فى عصمة الأئمة فى كتابه : "تنزيه الأنبياء" . وأتى بشطط من القول بعيد عن الحق والصواب ، وبذل الجهد والطاقة لايجاد حجج وبراهين مقنعة ، ولكن دون ذلك خرط القتاد .

فقد وصل به الغلو والاطراء الى حد القول بأن الأفعال والأقوال التى صدرت عن الأئمة ، والتى يفهم من ظاهرها مخالفة الشرع ، يجب التسليم لهم وحملها على الصحة .

واليك نص ما قال :" الامام المعصوم المؤيد بالحجج الظاهرة والأدلة القاهرة ، فلابد من التسليم لجميع أفعاله وحملها على الصحة ، وان كان لا يعرف وجهه على التفصيل ، أو كان له ظاهر ربما نفرت النفوس عنه "[2].

تلك أقوال متقدمى الامامية فى عصمة الأئمة . واليك بعض أقوال المحدثين فى ذلك :

يقول محمد آل كاشف الغطاء :" ويشترطون - أى الامامية - أن يكون - أى الامام - معصوما كالنبي عن الخطأ والخطيئة والآزالت الثقة به ، وكريمة

---

(١) نهج الحق للحلى ، نقلا عن كتاب الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنيّة ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) تنزية الأنبياء للشريف المرتضي ص ١٩٦ .

قوله تعالى :" قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين "[١] . صريحة فى لزوم العصمة للامام ".[٢]

ويقول محمد رضا المظفر:" ونعتقد أن الامام كالنبي ، يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ، ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة الى الموت ، عمدا وسهوا ، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان ، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه ، حالهم فى ذلك حال النبي ، والدليل اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء وهو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق ".[٣]

وهذا هو الخمينى الذى انتهت اليه زعامة الرافضة فى هذا الزمن ، والذى افتتن به كثير ممن ينتسب الى السنة ، حيث أشادوا به فى خطبهم ومقالاتهم ولقبوه بالامام ، فهذا الرجل يقرر عصمة الأئمة . فيقول : نحن نعتقد أن المنصب الذى منحه الأئمة للفقهاء ، لا يزال محفوظا ، لأن الأئمة الذين لا يتصور فيهم السهو والغفلة ، ونعتقد فيهم الاحاطة بكل ما فيه مصلحة المسلمين ...".[٤]

فهذا أثبت لهم العصمة عن السهو والغفلة فضلا عن المعاصى ، وهذا غلو كبير .

وقد حاولت الامامية أن يجدوا حججا عقلية لاثبات العصمة للأئمة بعد ما أعيتهم الدلائل النقلية .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٤ .
(٢) أصل الشيعة وأصولها ص ٥٩ .
(٣) عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٥١ .
(٤) الحكومة الاسلامية للخمينى ص ٥١ .

فيقول ابن المطهر[1] الرافضي في ذلك :" ان الانسان مدني بالطبع لا يمكن أن يعيش منفردا ..." . الى أن قال :" ... فلابد من نصب امام معصوم يصدهم عن الظلم ، والتعدى ، ويمنعهم عن الغلبة والقهر ، وينتصف للمظلوم من الظالم ، ويوصل الحق الى مستحقه ، ولا يجوز عليه الخطأ ولا السهو ، ولا المعصية ، والاّ افتقر الى امام آخر ، لأن العلّة المحوجة الى نصب الامام هو جواز الخطأ على الأمة ، فلو جاز الخطأ عليه لاحتاج الى امام آخر ، فان كان معصوما كان هو الامام ، والاّ لزم التسلسل ".[2]

قلت :" وهذه حجة داحضة ، وهي أوهى من بيت العنكبوت ، ولا تروج الاّ عند من أعمى الله بصره وبصيرته ، وذلك أن مثل هذه العصمة التي يحتاج في فصل الخصومات وانصاف المظلوم من الظالم واقامة الحدود ثابتة للرسول - صلى الله عليه وسلم - اذ هو المبلغ عن الله تعالى ، ثم انها بعده ثابتة لمجموع الأمة ، فلا تجتمع أمته على ضلال ولا يضيع الحق بينهم.

فقد قال صلى الله عليه وسلم :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ".[3]

وأيضا فان الامام الذي تدعى الشيعة عصمته لا يمكن أن يباشر الأعمال كلها ، ويفصل كل الخصومات وحده ، فلابد وأن يكل الى عماله اقامة الحدود وفصل الخصومات ، وهؤلاء العمال ليسوا بمعصومين ، فما الذي أغنت عصمته ؟

---

(١) هو الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهر الحلي ، أحد صناديد الرفض من تلامذة نصير الكفر الطوسي ، وهو صاحب "منهاج الكرامة" الذي رد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه "منهاج السنة" وسمى كتاب ذاك الرافضي " منهاج الندامة" . توفي ابن المطهر (٧٢٦هـ) .

(٢) منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي (النسخة المطبوعة مع الجزء الأول من منهاج السنة. تحقيق : دكتور محمد رشاد سالم) ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) صحيح مسلم ٣/١٥٢٣ حـ ١٩٢٠ .

ومن ناحية أخرى ان أئمة الشيعة سوى عليّ بن أبى طالب ، لم يتولوا الخلافة ، فهم بذلك لم يتمكنوا من اقامة الحدود وانصاف المظلوم من الظالم ، فما هي الحاجة اذا الى عصمتهم؟ . وماذا انتفع المسلمون بهذه العصمة التى أثبتت الرافضة لهم ؟ .

وقد تصدى امام الحرمين فى كتابه "غياث الأمم" لدحض دعاوى الرافضة فى عصمة الأئمة . فقال :" ذهبت طوائف من الامامية الى أن الامام يجب أن يكون معصوما ، ومنصب الامامة يقتضى العصمة كالنبوة . ثم قال :" والقول فى العصمة وتقسيمها وتفصيلها يطول ... ، فالمقدار المتعلق بمقصدنا الآن أن الامام لا يجب عصمته عن الزلل والخطل ... ، والقول المقنع فى ذلك أن الامامية لم يروا للامامة مستندا غير نص الرسول - عليه الصلاة والسلام - وزعموا أن الاثنى عشر نص عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونص بعضهم على بعض ... ، ونحن قد أبطلنا بالقواطع بطلان المصير الى ادعاء النصوص ، وحصرنا مأخذ الامامة فى الاختيار ، واذا تقرر ذلك ففيه بطلان اشتراط العصمة ، فان الذين يختارون اماما يستحيل أن يطلعوا على سريرته ، فكيف يضمنون عصمته فى الاستقبال عن الذنوب ، ولا مطلع على الغيوب ، وفى هذا مقنع بالغ على انا باضطرار من عقولنا ، نعلم أن عليا وابنيّه الحسن والحسين ، وأولادهم - رضي الله عنهم - ما كانوا يدعون لأنفسهم العصمة ، والتنقى من الذنوب ، بل كانوا يعترفون بها سرا وعلنا ، ويتضرعون الى الله تعالى مستغفرين خاضعين خائفين ، فان صدقوا فهو المبتغى ، وان تكن الأخرى ، فالكذب خطيئة من الخطايا ، يجب الاستغفار والتوبة منها ، ممن أبدى مراء فى اعترافهم بالذنب فقد جاحد ضرورات العقول ، ومن اعترف بذلك ، واعتقد عصمتهم فقد نسبهم الخلف عمدا ، والكذب قصدا ، وهذا اثبات ذنب فى مساق ادعاء التبرى من الذنوب . (١)

* * *

---

(١) غياث الأمم فى الثبات الظلم لامام الحرمين أبى المعالى الجوينى ص٧٠ ، ٧١ .

المبحث الرابع
موقف الطبرسي من عصمة الأئمة

قد مر بنا اطراء الامامية أئمتهم ، وادعاؤهم أن الامام ليس مسؤلا أمام أحد من الناس ، وأنه لا يتصور منهم الخطأ ، بل يجب الايمان والتصديق بأن كل ما يصدر عن الامام خير لا شر فيه، وعدل لا جور فيه ،لأنه جمع علم الأولين والآخرين " .

والطبرسي أحد علماء الامامية ، فلا هو أهدى سبيلا منهم ، ولا هو أقرب الى اتباع الحق ونبذ التعصب ، وانما نهج نهجهم واتبع سنتهم وسلك مسلكهم ، حذو القذة بالقذة .

ومهما وصفه بعض علمائنا المعاصرين بالاعتدال ،فانه امامي جَلْدٌ متعصب لا يرتئي الاّ ما ارتضته الامامية دينا وعقيدة ، لذلك أعطى موضوع عصمة الأئمة اهتماما بالغا في تفسيره ،واستدل بآيات كثيرة لاثباتها ، وحاول بما أوتي من براعة في الأسلوب ولباقة في الجدل أن يبرهن على صحة هذا المبدأ ، وأنه ليس من وضع الامامية وابتداعهم ، وانما دلّ عليه القرآن دلالة قاطعة .

والآن نذكر بعض أمثلة من تفسيره التي تدل على موقفه من عصمة الأئمة :

١- استدلال الطبرسي على ثبوت العصمة للأئمة بقوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول "[1] :

قال عند تفسيرقوله : وأولى الأمر منكم " : للمفسرين فيه قولان :

أحدهما : أنهم الأمراء . عن جابر بن عبدالله ،وابن عباس في احدى الروايتين .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩ .

والآخر: أنهم العلماء . عن جابر بن عبد الله ، وابن عباس في الرواية الأخرى ، ومجاهد ، والحسن ، وعطاء .

ثم قال :" وأما أصحابنا فانهم رووا عن الباقر والصادق -عليهما السلام- أن أولى الأمر هم : الأئمة من آل محمد ، أوجب الله طاعتهم بالاطلاق ، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله .

ثم حاول الطبرسي أن يتفلسف ويستنتج من هذا الكلام الباطل ما هو أبطل منه ، وهو عصمة الأئمة ، فقال :" ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الاطلاق ، الاّ من ثبتت عصمته ، وعلم أن باطنه كظاهره ، وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح ، وليس ذلك بحاصل في الأمراء ، ولا العلماء ، جلّ الله أن يأمر بطاعة من يعصيه ، أو بالانقياد للمختلفين في القول والعمل ، لأنه محال أن يطاع المختلفين ، كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه .

ومما يدل على ذلك أيضا أن الله تعالى لم يقرن طاعة ولي الأمر بطاعة رسوله ، كما قرن طاعة رسوله بطاعته ، الاّ وأولو الأمر فوق الخلق جميعا ، كما أن الرسول فوق سائر الخلق .

وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد -صلى الله عليه وسلم- الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم ، واتفقت الأمة على علو مرتبتهم وعدالتهم .

ثم قال :" فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ". معناه : فان اختلفتم في شئ من أمر دينكم فردوا التنازع الى كتاب الله وسنة الرسول ، وهذا قول مجاهد ، وقتاده ، والسدي . ونحن نقول : الرد الى الأئمة القائمين مقام الرسول بعد وفاته ، وهذا مثل الرد الى الرسول في حياته ، لأنهم الحافظون لشريعته وخلفاؤه في أمته فجروا مجراه ". (١)

---

(١) مجمع البيان ٢/٦٤ ، ٦٥ .

وهذا المعنى الذى رجحه الطبرسي فى تفسير الآية باطل لوجوه :

أحدها : أن الآية نزلت فى طاعة الأمراء ولم تنزل فى طاعة أئمة معصومين - على حد زعم الطبرسي وغيره من الرافضة .

فقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " . قال : نزلت فى عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدى ، اذ بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - فى سرية " .(١)

ثانيهما : ان ما نقل عن السلف فى تفسير : " أولى الأمر" مرده الى قولين لا ثالث لهما : الأمراء ، والعلماء .

ورجح الامام الشافعي . الأول وهو أن " أولى الأمر " هم الأمراء ، واحتج بأن قريشا كانوا لا يعرفون الامارة ، فأمروا بالطاعة لمن ولى الأمر " .(٢)

ووافقعلى ذلك امام المفسرين ابن جرير الطبرى . حيث قال : " وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : " هم الأمراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين مصلحة " .(٣)

ورجح ابن كثير كون الآية عامة فى الأمراء والعلماء . فقال : " ... والظاهر - والله أعلم - أن الآية عامة فى جميع أولى الأمر ون الأمراء والعلماء ... ، وقد قال تعالى : " لولا ينيهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت(٤)". وقال تعالى : " فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون "(٥) . فى الحديث

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ٨ / ٢٥٤ حـ ٤٥٨٤ .
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ٨ / ٢٥٥ .
(٣) تفسير ابن جرير الطبرى ٥ / ١٥٠ .
(٤) سورة المائدة الآية ٦٣ .
(٥) سورة النحل الآية ٤٣ .

المتفق عليه عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصا أميرى فقد عصاني ". (١)

فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ". (٢)

ثالثها : ان الأمر بطاعة أولى الأمر لا يقتضى عصمتهم من الخطأ والزلل ، لأنهم انما يطاعون ما أطاعوا الله ورسوله ، فان عصوا فلا طاعة لهم.

وهذا مبدأ سام قررته الشريعة الاسلامية ، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على طاعة الأمراء مع أنهم غير معصومين .

فمن هذه الآيات . الآية التى نحن بصددها . وأما الأحاديث فكثيرة جدا . نورد نبذة منها :

" عن عبادة بن الصامت . قال : " بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة ، فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله . قال : " الا أن تروا كفرا بواحا ، عندكم فيه من الله برهان " . - متفق عليه - (٣) .

وعن عبد الله بن عمر، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " السمع والطاعة على المرئ المسلم فيما أحب وكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ". (٤)

فهذا الحديث ينص على عدم عصمة الامراء ، وأنه قد تحصل منهم المعصية ، وقد يأمرون بها غيرهم ، ولكنه أمر المسلم أن لا يطيع أحدا فى معصية الله.

---

(١) صحيح البخارى مع فتح البارى ١١/١٣ حـ ٧١٣٧ . ومسلم ١٤٦٦/٣ حـ ١٨٣٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٣٠٤ .

(٣) صحيح البخارى مع فتح البارى ٥/١٣ حـ ٧٠٥٦ . ومسلم ٣ / ١٤٧٠ حـ ١٧٠٩ .

(٤) صحيح البخارى مع فتح البارى ١٢١/١٣ حـ ٧١٤٤ . ومسلم ١٤٦٩/٣ حـ ١٨٣٩ .

رابعها : أن طاعة أولى الأمر ليست مستقلة بذاتها ، وانما هي مقيدة بطاعتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يدل على ذلك عدم تكرار العامل فى طاعة أولى الأمر .

قال ابن تيمية :"... فلم يقل وأطيعوا أولى الأمر ، ليبين أن طاعتهم فيما كان طاعة للرسول أيضا ، اذ اندراج طاعة الرسول فى طاعة الله أمر معلوم ، فلم يكن تكرير لفظ الطاعة فيه مأذونا بالفرق ، بخلاف ما لو قيل : وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولى الأمر ، فانه قد يوهم طاعة كل منهما على حياله . ولهذا قال سبحانه وتعالى بعد ذلك :" فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك حير وأحسن تأويلا" . فلم يأمر عند التنازع الاّ بالرد الى الله والرسول دون أولى الأمر" . (١)

خامسها : لو كان الأمر كما تدعيه الرافضية ، من أن المراد بأولى الأمر الأئمة المعصومون ، لما كان لقوله :" فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول " . معنى ، بل كان يقول :" فردوه الى الامام وأولى الأمر . فان قوله عند هؤلاء هوالمحكم على الكتاب والسنة ، وهذا قول مهجورمخالف لما عليه الجمهور . (٢)

سادسها : قول الطبرسي :" ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الاطلاق الاّ من ثبتت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره ، وأمن منه الغلط والأمر القبيح ... الخ " . كلام ساقط ، وهو تحكم على الله ، وتقوّل عليه بدون علم ، والزام عليه ما لم يلتزم ، وتحريم عليه ما لم يحرم على نفسه ، وهذا لا يجوز فى دين الله .

قال تعالى :" ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية " المجموعة الأولى " ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٢٦١ .

حرام لتفتروا على الله الكـــذب ".[1]

فقد أمر الله بطاعة أولى الأمر مع جواز الخطأ عليهم ، وانما تجـــــب طاعتهم ما أطاعوا الله ورسوله ، فان أمروا بمعصية فلا طاعة لهم . وذلـــك أن الله أنزل الشرائع وبيّنها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ، فلا داعي لشخص معصوم بعد خاتم الأنبياء والمرسلـــين (صلى الله عليه وسلم) .

سابعهـــا : قوله :" وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد ـ صلـــى الله عليه وسلم ـ الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم واتفقت الأمة على علو مرتبتهم وعدالتهم... "

قلنا : موضوع النص على الإمامة لم يثبت كما ذكرنا سابقا وكذلك لم تثبت عصمتهم لا في كتاب الله تعالى ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا في اجماع الأمة ، ولا في قياس صحيح ، وعلو المرتبة ليست خاصة بهم ، بل فـــي الأمة من هو أعلى مرتبة منهم ، كأبي بكر وعمر وعثمان ، فانهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ، ومن هو مثلهم أو دونهـــم .

وقاعدة الاسلام المفروضـــة هي أن الناس يتفاضلون بتقوى الله عز وجـــل ولزوم طاعته وترك معاصيـــه .

قال تعالى :" ان أكرمكـم عند الله أتقاكـــم ".[2]

وقال صلى الله عليه وسلم :" من بطأ به عمله لم يسرع به نسبـه ".[3]

كما أنه لا يلزم عن علو مرتبتهم وعدالتهم العصمة من الـزلل والخطـــــأ ، فأبوبكر أفضل الأمة ـ بعد نبيها ـ ولم يقل أحد بعصمته .

---

(١) سورة النحـــل الآيـة ١١٦ .

(٢) سورة الحجـرات الآيـة ١٣ .

(٣) صحيح مسلم ٤/٢٠٧٤ حـ ٢٦٩٩ .

ثامنها : وقوله :" ... ونحن نقول الرد الى الأئمة القائمين مقام الرسول ... " . محادة ومشاقة لله ورسوله ، ورد على الله ، وحسبك بهذا وقاحة وجرأة على الله ، فلو لم يدل على تعصبه ، الاّ هذا لكفاه . فكيف استساغ أن يقول :" فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الأئمة المعصومين" . والله يقول : فإن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول " . ؟وقد اتفق أهل التفسير على أن المراد بالرد الى الله ، هو الرد الى كتابه ، وأن الرد الى الرسول ، هو الرد اليه فى حياته ، والرد الى سنته بعد وفاته. (١)

أوليس كلامه هذا تحريفا محضا لكتاب الله ! فنحمد الله الذى عافانا مماابتلي به الرافضة .

٢- الاستدلال بقوله تعالى :"... قال أنى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين"(٢). على عصمة الأئمة :

قال الطبرسي :" واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الامام لا يكون الاّ معصوما عن القبائح ، لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذى هو : الامامة ظالم ، ومن لم يكن معصوما فقد يكون ظالما ، اما لنفسه واما لغيره" .

فان قيل انما نفى أن يناله ظالم فى حال ظلمه ،فاذا تاب لا يسمى ظالما ، فيصح أن ينالـه .

فالجواب أن الظالم وان تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته فى حال كونه ظالما ، فقد حكم عليه بأنه لا ينالها ، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت ، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها ، فلا ينال الظالم وان تاب فيما بعد . (٣)

---

(١) انظر: تفسير الطبرى ٥ / ١٥٠ ، وانظر: تفسير ابن كثير ٢ / ٣٠٤ ، والقرطبي ٥ / ٢٦١ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٤ .

(٣) مجمع البيان ١ / ٢٠٢ .

قلـــت : وتلك هـنة من هناته وطامة من طاماته التى دأب بها فى تفسيره مقلدا فى ذلك المفسرين من الرافضة كالطوسي وأضرابه ، وكان فى وسعـــــه أن يتجنب عن هذا ويدور مع الحق ، حيث دار ولكن للناس فيما يعشقـــون مذاهـــب .

ونحن نبطل كلامه من عـــدة وجوه :

الأول : أن الآية ليست نصا على الامامة التى هي بمعنى السلطنة والملـــك ، وانما المقصود هنا ، الامامة فى الدين ، وهي النبوة . اذ هي أعلى مراتب الامامـــة .

قال القرطبي : " قال انى جاعلك للناس اماما ... " . فالمعنى : جعلناك للناس اماما يأتمون بك فى هذه الخصال ، ويقتدى بك الصالحون . فجعلـــه الله اماما لأهل طاعته ، فلذلك اجتمعت الأمم على الدعوى فيه . والله أعلـــم انه كان حنيفا . (١) ومثل هذا ذكر الطبرى فى تفسير الآية " . (٢)

ورجح الرازى أن الامامة هنا النبوة ، حيث قال : " قال أهل التحقيـــق: " والمراد من الامام هنا النبي ، ويدل عليه وجـــوه :

أحدهـــا : أن قوله : " للناس اماما " يدل على أنه تعالى جعله اماما لكل الناس ، والذى يكون كذلك لابد وأن يكون رسولا من عند اللـــــه مستقلا بالشرع ، لأنه لو كان تبعا لرسول آخر لكان مأموما لذلك الرسول، لا اماما له ، فحينئذ يبطل العمـــوم .

ثانيهـــا : أن اللفظ يدل على أنه امام فى كل شئ ، والذى يكون كذلك لابد وأن يكون نبيـــا .

---

(١) تفسير القرطبي ٢ / ١٠٧ .

(٢) انظر: تفسير الطبرى ١ / ٥٢٩ .

وثالثها : أن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أئمة من حيث يجب على الخلق اتباعهم. قال تعالى :" وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا".[1] والخلفاء أيضا أئمة ، لأنهم رتبوا فى المحل الذى يجب على الناس اتباعهم ، وقبول قولهم وأحكامهم ، والقضاة والفقهاء أيضا أئمة بهذا المعنى ، والذى يصلى بالناس يسمي أيضا اماما ، لأن من دخل فى صلاته لزمه الائتمام به ..." . فثبت بهذا أن اسم الامام لمن استحق الاقتداء به فى الدين .

ثم قال :" اذا ثبت أن اسم الامام يتناول ما ذكرناه ، وثبت أن الأنبياء فى أعلى مراتب الامامة ، وجب حمل اللفظ هنا عليه ، لأن الله تعالى ذكر لفظ الامام هنا فى معرض الامتنان ، فلابد وأن تكون تلك النعمة من أعظم النعم ليحسن بسببه الامتنان ، فوجب حمل هذه الامامةعلى النبوة ".[2]

وسواء كانت الامامة النبوة ـ كما رجحه الرازى ـ أو تعم الأنبياء والصالحين من أتباعهم ، الذين يقتدى بهم فى الخير والاستقامة ، فالظاهر من السياق أن المقصود ليس بامامة الملك والسلطان . فالأنبياء والصالحون من أتباعهم دائما يؤتم بهم ويقتدى بهم ، وان لم يكن فى أيديهم الملك والسلطان .

وأحسن بكلام جمال الدين القاسمى فى رد مزاعم الرافضة ، حيث قال :" وقد استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن الظالم ليس بأهل للامامة ... ، كما أن الشيعة استدلت بها على صحة قولهم فى وجوب العصمة للأئمة ظاهرا وباطنا ... " . ثم قال :" " أقول :ان استدلال الفريقين على مدعاهما وقوف مع عموم اللفظ ، الاّ أن الآية الكريمة بمعزل

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٧٣ .

(٢) التفسير الكبير للرازى ٤ / ٢٤ .

عن ارادة خلافة السلطنة والملـــك .

والمراد بالعـهد تلك الامامة المسئول عنها ، وهل كانت الاّ الامامـة في الدين ، وهي النبوة التي حرمها الظالمون من ذريته . كما قـــال تعالى : " وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما بحسن وظالملنفســـه مبين " .(١)

ولو دلت الآية على ما ادعوا لخالفه الواقع . فقد نال الامامـــــة الدنيوية كثير من الظالمين . فظهر أن المراد من العـهد انما هو الامامـــة في الدين خاصـــة .(٢)

الثانـــي :

اختلفت عبارات المفسرين في المراد بالعـهد في قوله : " لا ينال عهـدي الظالمين " . فمن قائل : النبوة . ومن قائل : الامامة ، وقال بعضهـــــم : عهد الله أمره ، اذا القطع بأن المقصود من العـهد الامامة بدون دليـــل مرجح مجازفـة ، ولو سلمنا لهم ذلك . قلنا لهم : " المقصود من الامامـــة هي الامامة الدينية كما قررنـــا .

فقد أورد الطبري عن مفسري الصحابة والتابعين عدة أقوال في المـــراد بالعـهد . فعن السدي قال : " عهدي : نبوتي . فالمقصود منه : لا ينـال النبوة أهل الظلم والشـــرك .

وقال آخرون : " معنى العـهد عهد الامامة . فتأويل الآية على قولهـم : لا أجعل من كان من ذريتك بأسرهم ظالما اماما يقتدى به . قاله مجاهد .

وقال ابن جريج : " أما عطاء فانه قال : انى جاعلك للناس اماما قـــال ومن ذريتي " فأبى أن يجعل من ذريته ظالما اماما يقتدى به . قلت لعطاء : " مـــا

---

(١) سورة الصافـــات الآيـــة ١١٣ .

(٢) محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي ٢ / ٢٤٦ .

عهـــده ؟ . قـــال : أمـــره .

وقال آخرون :" معنى ذلك : أنه لا عهـد عليك لظالم أن تطيعه فـــى ظلمـــه .

قـــاله ابن عبـــاس . وقال آخرون : معنى العهد فى هذا الموضـــع الأمـــان . فتأويل الكلام على معنى قولهم ، قال الله :" لا ينال أمانـــى أعدائي ، وأهل الظلم لعبادى : أى لا أومنهم من عذابي فى الآخـــرة" .

قاله قتـــاده .

وقال آخرون :" بل العهد الذى ذكره الله فى هذا الموضع: ديـــن الله .

قال الربيع:" قال الله لابراهيم :" لا ينال عهدى الظالمين" . فقـــال : فعهد الله الذى عهد الى عباده : دينيـــه . يقول : لا ينال دينـــه الظالمين. ألا ترى أنه قال :" وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما بحسن وظالـــــم لنفسه مبين " . يقول :" ليس كل ذريتك يا ابراهيم على الحـــق " . (١)

هذه أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين . فكيف تجرّأتم على تفسير العهد بالامامة حسب مفهومكم ، ثم رتبتم على ذلك عصمتهم .

الثالـــث :

قولـــه :" ان الامام لا يكون الاّ معصوما عن القبائح . . ." . كلام مجمل يحتاج الى تفصيل ، فان يقصد بالامام النبي ، فهو كذلك ، مـــع انا معشـــر أهل السنة لا نثبت لهم عصمة مطلقة . فقد حصلت منهم هنات لا تمس جوهـــر رسالتهم ، وأقاصيص القرآن مليئة بذلك ، وان يقصد بالامام كل صالح مـــن أتباع الأنبياء الذين يقتدى بهم فى الخير والاستقامة على الطريقة ، فهـــؤلاء

---

(١) لخصناه من تفسير الطبرى . انظر: ١/ ٥٣٠ - ٥٣١ .

ليست لهم عصمة من الذنوب ، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" وان يقصد بالامام السلطان الذى بيده الملك ، فليسوا يقولون بعصمته .

الرابع :

يشم من كلام الطبرسي ما صرح به جلّ الرافضة ، وهو : أن امامة أبى بكر وعمر غير صحيحة . فقد كانا كافرين قبل اسلامهما ، فيجب أن يصدق عليهما فى تلك الحالة أنهما لا ينالان عهد الامامة البتة ، واذا صدق عليهما فى ذلك الوقت أنهما لا ينالان عهد الامامة البتة ، ولا فى شئ من الأوقات، ثبت أنهما لا يصلحان للامامة" .(١)

وهذا قول سئ لا يقره عقل ولا نقل ، وقد فنده الألوسي بقوله : " واستدل بها بعض الشيعة على نفى امامة الصديق وصاحبيه - رضي الله عنهم - حيث أنهم عاشوا مدة مديدة على الشرك ، و"ان الشرك لظلم عظيم" والظالم بنص الآية لا تناله الامامة .

وأجيب : بأن غاية ما يلزم أن الظالم فى حالة الظلم لا تناله ، والامامة انما نالتهم - رضي الله عنهم - فى وقت كمال ايمانهم وغاية عدالتهم . ثم قال : " ومن كفر أو ظلم ، ثم تاب وأصلح ، لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر ، أو ظالم فى لغة وعرف وشرع . اذ قد تقرر فى الأصول أن المشتق فيما قام به المبدأ فى الحال حقيقة وفى غيره مجاز ، ولا يكون المجاز أيضا مطردا ، بل حيث يكون متعارفا ، والاّ جاز صبي لشيخ ، ونائم لمستيقظ ، وغنى لفقير ، وجائع لشبعان ، وحي لميت . وبالعكس .

وأيضا لو اطرد ذلك يلزم أن من حلف لا يسلّم على كافر ، فسلّم على انسان مؤمن فى الحال ، الاّ أنه كان كافرا قبل سنين متطاولة أن يحنث

---

(١) انظر : تفسير الرازى ٤ / ٤٥ .

ولا قائـــل بـــه ". (١)

الخامـــس :

ان الآية الكريمة ليس فيها دلالة على ثبوت العصمة للأئمة عموما ، فضـــلا عن الأئمة الجعفرية على هذا الخصـــوص .

والعصمة من الخطأ صغيرا وكبيرا ، عمدا وسهوا ، ونسيانا ، من المولد الى الممات ، أمر يتنافى مع الفطرة البشرية ، كما يتنافى مع دلالة القـــرآن الكريم ، حتى بالنسبة لأنبياء الله ، حيث قص القرآن عنهم حصول بعـــض الهنات منهم ، والتوبة منها واستحقاقهم بذلك الدرجات العلى ، فضلا عـــن غيرهـــم .

٣- الاستدلال بقوله تعالى :" ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهـــيم وآل عمران على العالمين ". (٢) على ثبوت العصمة للأئمـــة :

قال الطبرسي -عند تفسيره لهذه الآية- :" ... وفي قراءة أهـــل البيت وآل محمد على العالمين ". قالوا :" ان آل ابراهيم هم آل محمـــد -صلى الله عليه وسلم- ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهريـــن معصومين منزهـــين عن القبائح ، لأنه تعالى لا يختار ولا يصطفي الآمن كـان كذلك ، ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة ، فعلى هذا يختص الاصطفـــاء بمن كان معصوما من آل ابراهيم وآل عمران ، وسواءكان نبيا أو اماما". (٣)

قلـت : ان مفسرنا الرافضي دائما تراه ينتهز الفرص ، فيتعلق بالألفاظ دون أن يغوص في المعاني التي ترمى اليها الآية ، أو فهم مرماها ، وتجاهلها ،

---

(١) روح المعاني للألوســـي ١/٣٧٧ .
(٢) سورة آل عمران الآيـــة ٣٣ .
(٣) مجمع البيـــــــان ١/٤٣٣ .

فهو يتتبع الألفاظ المجملة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها ، ولا يراعى مقاصد القرآن وأهدافه العامة وقواعده المقررة الثابتة ، فيحمّل القرآن ما لا يتحمله اذ الرافضة فرقة مخذولة تترك المحكم الذى عليه الأمة ويتبعون المتشابهات.

وعصمة الأئمة التى استنتجها من هذه الآية باطل من عدة وجوه :

الأول :

ان الآية الكريمة لم تتطرق للأئمة ولا لعصمتهم ، وانما يخبر تعالى : أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ، فاصطفى آدم ـ عليه السلام ـ خلقه بيده ونفخ فيه من روحه ، واسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شئ وأسكنه فى الجنة ، ثم أهبطه منها ، لما له فى ذلك من الحكمة.

واصطفى نوحا ـ عليه السلام ـ وجعله أول رسول الى أهل الأرض ، لمّا عبد الناس الأوثان ، واشركوا فى دينه ما لم ينزل به سلطانا ، وانتقم له لمّا طالت مدته بين ظهراني قومه ، يدعوهم الى الله ليلا ونهارا ، سرا وجهرا فلم يزدهم ذلك الاّ فرارا . فدعا عليهم ، فأغرقهم الله من آخرهم ، ولم ينج منهم الاّ من اتبعه على دينه الذى بعثه الله به .

واصطفى آل ابراهيم ، ومنهم سيد البشر ، وخاتم الأنبياء على الاطلاق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وآل عمران . والمراد بعمران هذا : هو والد مريم بنت عمران ". (١)

الثاني :

ان أهل بيت الرجل ، يطلق على قومه وأتباعه من أهل دينه . وقد صرح ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن المراد بالآل فى هذه الآية : هم المؤمنون الذين اتبعوا هؤلاء الرسل على دينهم.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٦ .

قال ابن جرير الطبرى : " حدثنا المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية عن على ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله : " ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، قال : هم المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد . يقول الله عز وجل : " ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه " . وهم المؤمنون"[1] .

وهو اختيار ابن جرير ، حيث قال : " وانما عنى بآل ابراهيم وآل عمران المؤمنون"[2] .

فأهل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهم اعتباران : اعتبار النسب والقرابة ، وهم من تحرم عليهم الصدقة ، واعتبار الدين والاتباع ، فكل من صدق الرسول وآمن به واتبع ملته واهتدى بهديه واستنّ بسنته ، فهو من أهل بيته بهذا الاعتبار ، ولا تثبت لهم العصمة فى كلا الاعتبارين .

الثالث :

يفهم من كلام الطبرسي أن ذرية هؤلاء المصطفين ونسلهم معصومون وهذا واضح البطلان ، لأنه تعالى يقول : " وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين"[3] . فذكر سبحانه أنه يكون من نسل ابراهيم محسن وظالم . فاليهود من نسل ابراهيم ، وهم شر خلق الله .

فالمقصود أن الله اصطفى هؤلاء المذكورين وآلهم عموما ، فلا يزال فى ذريتهم الخير أبدا .

ورسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم لم يقل يوما من الأيام ولا لحظة من اللحظات ان أقرباءه وذريته معصومون ، بل كان يحذرهم من عقاب الله ، وأليم

---

(١) تفسير الطبرى ٣ / ٢٣٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) سورة الصافات الآية ١١٣ .

عذابه ، اذ لم يؤمنوا بالله وبرسوله ويعملوا الصالحات .

ويدل على ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال : " قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أنزل الله : " وأنذر عشيرتك الأقربين "[1] قال : يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا "[2] .

ولا شك أن من جمع بين الايمان بالله ورسوله ، والانتماء الى نسب الرسول - صلى الله عليه وسلم - له مزيّة وفضيلة عظيمة ، ولكن لا توجب عصمته كما تزعم الرافضة .

الرابع :

ان نبينا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - قد أوصى أمته بأهل بيته حيث قال : " أذكركم الله فى أهل بيتى "[3] ، ومن أعظم حقوق أهل البيت على الأمة المحمدية النصيحة فى الدين وعدم خيانتهم .

فأما أهل السنة فنصحوا أهل البيت ، فلم يجفوهم ولم يغلوا فيهم ، ولم يغروهم بالأماني والدعاوى الكاذبة . ولكن الرافضة خانوهم فخذلوهم فى مواقف عديدة وأسلموهم لأعدائهم وحرشوا عليهم أعداءهم ، وحاولوا اغراءهم بالأماني والدعاوى الكاذبة ، لو أنهم قبلوا منهم ، ولكن أهل البيت الأبرار لم يقبلوا منهم ، بل تبرؤوا مما لصقتهم به الرافضة .

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ٨/٥٠١ حـ ٤٧٧١ .

(٣) صحيح مسلم ٤/١٨٧٣ حـ ٢٤٠٨ .

فمن أعظم المصائب التى ابتلى بها أهل البيت ، غلو الرافضة فيهـــم ، والكذب عليهم .

الخامـــس :

أن هذه القراءة . وهي زيادة :" وآل محمد " التى عزاها الطبرسي الى آل البيت ، ليست بقراءة صحيحة ، وليست بقراءة أهل البيت ، وانما هـي وضع الرافضة وافكهـــم .

٤- القـول بأن "أولى الأمر في قوله تعالى :ولو ردوه الى الرسول والى أولـــى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم" .[1] هم الأئمة المعصومون :

قال الطبرسي فى تفسير قوله تعالى :" أولى الأمر منهم" : قال أبوجعفر: " هم الأئمة المعصومون " .[2]

قلت : هذا من شؤم تأويلات الرافضة لكتاب الله ، وتحريف معانيـــه ، فهم أكثر الفرق جرأة على كتاب الله ، وها نحن نفند كلامه من عدة وجوه :

أحدهـــا :

ان سبب نزول الآية يبطل هذا الزعم الكاذب ، وذلك حديث عمـــر ابن الخطاب برواية مسلم ، حين بلغه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طلق نساءه ، فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلـــك ، فلم يصبر حتى استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستفهمه . أطلقـت نساءك ؟ قال :لا . فقلت : الله أكبر . وذكر الحديث بطوله .

وفى آخره :"... فقلت : أطلقتهنّ ؟ قال :لا ، فقمت على باب المسجد

---

(١) سـورة النسـاء الآيـة ٨٣ .

(٢) مجمع البيـــان ٢/٨٢ .

فنادیت بأعلی صوتی :" لم یطلق رسول الله ـ صلی الله علیه وسلم ـ نســـاءه"، فنزلت هذه الآیة :" واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا بـــــه ولو ردوه الی الرسول والی أولی الأمر منهم لعلمه الذین یستنبطونه منهـــم" فکنت أنا استنبطت ذلك الأمـــر ". (١)

فهذا یفند مزاعم الرافضة ، لأن عمر ـ رضي الله عنه ـ من أولی الأمـر الذین یستنبطون الأمر ، وهو لیس بمعصوم عند أهل السنة ولا عند الرافضـــة ، وعمر ـ رضي الله عنه من أولی الأمـــر باعتباریـــن :

أولا : کونـه من أهل العلـم والفقـــه .

والثاني : کونـه أحد وزیری رسول الله ـ صلی الله علیه وسلم ـ ، هـــو وأبوبکر ـ رضي الله عنهما .

وقد کانت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ علی علم تام بأسباب نزول الآیـات. فقد قال ابن مسعود :" والذی لا اله غیره ، ما أنزلت سورة من کتاب الله الاّ وأنا أعلم فیم نزلت وأین نزلت ؟ ولو أعلم أحدا أعلم بکتاب الله منی تبلغه الابـــل لرکبتـــه الیـــه ". (٢)

فلو نزلت هذه الآیة فی الأئمة المعصومین لحفظ ذلك واشتهر عن الصحابة .

ثانیهـــا :

تقول للرافضة :" ما فائدة الرد علی الأئمة المعصومین ، حسب زعمکـــم ،؟ وما هي المصلحة التی قامت بهم للمسلمین دون غیرهم من أمراء الأمة وعلمائهـــا ؟ وأنتم تقولون : " أن هؤلاء الأئمة المعصومین کانوا مقهورین مظلومین عاجزیـن لیس لهم سلطان ولا قدرة ، حتی انهم یقولون ذلك فی علیّ ـ رضي الله عنـــه ـ

---

(١) صحیح مسلم ٢/ ١١٠٥ ـ ١١٠٨ حـ ١٤٧٩ .

(٢) صحیح البخاری مع الفتح ٩/ ٤٧ حـ ٥٠٠٣ .

منذ مات النبي - صلى الله عليه وسلم - الى أن استخلف ، وفى الاثنى عشر ويقرون أن الله ما مكّنهم ولا ملّكهم .

فالمنتظر الموهوم ما انتفع به من أقرّبه من الرافضة ولا من جحده من غيرهم .

وأما سائر الاثنى عشر - سوى عليّ - رضي الله عنه - ، فكانت المنفعة بأحدهم كالمنفعة بأمثاله من أئمة الدين وأهل العلم ، وأما المنفعة المطلوبة من أولى الأمر فلم تحصل بهم .(١)

الثالثة :

لو فرضنا جدلا ، أن الامام المعصوم هو وحده الذى يرد اليه لحصول العلم اليقينى عنده ، فمن يرد اليه فى زماننا هذا ؟

فان قالوا : الامام . قلنا : هذا مستحيل ، لأنه غير موجود ومستتر عن أعين الناس فى سرداب الذى زعمتم أنه دخله ، ان لم يكن معدوما وهو كذلك .

وان قالوا : النائب عن الامام ، وهو الفقيه فى حال غياب الامام . قلنا لهم : اما أن يكون النائب معصوما أو غير معصوم ، فان كان معصوما فقد زال الاختصاص ، وهم لا يقولون الاّ بعصمة الحجج الاثنى عشر ، فبطل كون النائب معصوما .

أو كان النائب غير معصوم ، ففى هذه الحالة لا يجوز الرد اليه ، لعدم حصول العلم اليقينى عنده ، والتى تدل عليه العصمة .

فهم بين أمرين : اما أن ينتظروا الامام حتى يخرج فيردوه اليه ما تنازعوا فيه ، أو القول بجواز الرد الى أولى الأمر غير المعصومين ، والأول باطل فثبت الثاني ، وهو أن أولى الأمر لا يشترط فيهم العصمة .

---

(١) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٤ (مع التصرف) .

اذاً فقد بطل الاستدلال بالآية على العصمة ، ولا حجة لهم فيهـــا ، بل هي حجة عليهم ، والاّ فيلزم من قولهم تعطيل الشريعة حتى خروج امامهم.[١]

رابعهـــا :

انا لمنقول من المفسرين فى تفسير" أولى الأمر " قولان : أحدهمـــا : العلمـاء وأهـل الفقـــه والديـــن . والثاني : الأمـــراء .

ولم يقل أحد من مفسرى الأمة أن المراد بالآية الأئمة المعصومين ـ حاشا الرافضة الذين لا يستحيون من الكذب الفاضح والتحريف الواضح .

قال القرطبي فى المراد بـ" أولى الأمر" : " هم أهل العلم والفقـــه ، عن الحسن ، وقتادة وغيرهما ، السدى وابن زيد : الولاة . وقيل : أمراء السرايا"[٢].

وقال الرازى فى " أولى الأمر" : (قولان) . أحدهما : الى ذوى العلـــم والرأى منهم . والثاني : الى أمراء السرايا ، وهؤلاء رجحوا هذا القول على الأول ، قالوا : لأن أولى الأمر الذين لهم أمر على الناس ، وأهل العلـــم ليسوا كذلك ، وانما الأمراء هم الموصوفون بأن لهم أمراً على الناس.

وأجيب عنه بأن العلماء اذا كانوا عالمين بأوامر الله ونواهيه ، كان يجب على غيرهم قبول قولهم ، لم يبعد أن يسموا أولى الأمر من هذا الوجه. والذى يدل عليه قوله تعالى :" ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون"[٣] ، فأوجب الحذر بانذارهم والزم المنذرين قبول قولهـــم ، فجاز لهذا المعنى اطلاق اسم أولى الأمر عليهم.[٤]

ونحو هذا ذكر جلّ المفسرين ، ولو كان لقول الرافضة مصدر لذكـــره

---

(١) انظر: رسالة العصمة عند الشيعة الامامية للطالب أنور البازى ص ١١٦ .
(٢) تفسير القرطبي ٥ / ٢٩١ .
(٣) سورة التوبـــة الآية ١٢٢ .
(٤) التفسير الكبير للرازى ١٠ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .

أهـل التفسـير ، فلما لم يذكروه ، علمنـا بطلانـه .

٥- الادعاء بأن الصفات في قوله تعالى : " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله "[1] . صفات الأئمة المعصومين وحدهم دون غيرهم :

قال الطبرسي - عند تفسيرها - : " وقد روى أصحابنا أن هذه صفات الأئمة المعصومين - عليهم السلام - لأنه لا يكاد يجمع هذه الأوصاف على تمامها وكمالها غيرهم " .[2]

قلت : هذا الكلام ترويج لبضاعة الرافضة في الغلو في أئمتهم ، وتخصيص للآية بدون مخصص ، وتحكم عليها ، كما أن هذا الكلام يحط من مرتبة أولياء الله الكثيرين في كل زمان ومكان ، بجانب الغلو في أناس معدودين .

فقد اتصف بهذه الصفات المذكورة في الآية كثير من سلف الأمة وخلفها ، ولا سيما الرعيل الأول ، جيل الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - الذين مدحهم الله تعالى في كتابه وأثنى عليهم رسوله .

ومن تصفح فضائل الصحابة من الصحيحين ، وباقي كتب السنة يجد العجب ، ويجد أن كثيرا من الصحابة أثنى عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبشر بعضهم بالجنة وهم أحياء ، منهم العشرة المبشرين بالجنة ، مما يدل على أن كثيرا من الأمة اتصفوا بهذه الصفات التي ذكرت في الآية .

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٢ .

(٢) مجمع البيان ٣ / ٧٦ .

فهذا أبوبكر - رضي الله عنه - قد بشّره الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه يدعى من كل من أبواب الجنة [١]، لأنه قد جمع صفات الخير على كمالها ، وهو ليس بمعصوم .

فبطل قولهم بأن هذه الصفات خاصة بالأئمة المعصومين . وهذه الآية متصلة بما قبلها ، فهي نعوت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم في قوله تعالى : "ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ... الآية" [٢] فهي تشمل جميع المؤمنين الذين اتصفوا بتلك الصفات الجميلة ، ولا مراء أنه يدخل فيهم صالحوا أهل البيت ، ولكنها لا تدل على عصمتهم ، ولا أنهم مختصون بهذه الخصال .

ومما يدل على العموم : دخول" أل " المعرفة على تلك الصفات ،اذ عرف فى علم الأصول أن الاسم المحلى"بأل " يدل على العموم .

٦- الاستدلال على ثبوت العصمة لعليّ وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم بقوله تعالى : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " [٣] :

ساق الطبرسي فى تفسير الآية بعض الروايات التى يفهم من ظاهرها أن هذه الآية خاصة بعليّ وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - ولا يدخل فيها زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

ثم قال : " واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة - عليهم السلام - بأن قالوا : " ان لفظة : " انما " محققة لما أثبت بعدها ، نافية

---

(١) انظر: صحيح البخارى مع الفتح ٨/ ١٩ حـ ٣٦٦٦ .

(٢) سورة التوبة الآية ١١١ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

لما لم يثبت ، فان قول القائل : انما لك عندى درهم ، وانما فى الدار زيد يقتضى أنه ليس عنده سوى الدرهم ، وليس فى الدار سوى زيد ، واذا تقرر هذا ، فلا تخلوا الارادة فى الآية أن تكون هي الارادة المحضة ، أو الارادة التى يتبعها التطهير ، واذهاب الرجس ، ولا يجوز الوجه الأول ، لأن الله تعالى ، قد أراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة ، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ، ولأن هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ، ولا مدح فى الارادة المجردة ، فثبت الوجه الثاني ، وفى ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح ، وقد علمنا أن من عدا من ذكرنا من أهل البيت غير مقطوع على عصمته ، فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم.

ومتى قيل ان صدر الآية وما بعدها فى الأزواج ، فالقول فيه: ان هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء فى كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه ، والقرآن مملوء بذلك . وكذلك كلام العرب وأشعارهم"[1].

قلت : هذه الآية فى مقدمة الآيات التي تتعلق بها الامامية ويتشبثون بها فى الاستدلال بها على صحة اعتقادهم فى الامامة والعصمة.

وقد أكثروا الكلام والدندنة حولها ، لذا لا تجد مفسرا من مفسريهم الاّ ويضع عصاه عندها ، ويستفرغ جهده فى توضيح وجه الدلالة فيها.

ولم يأت الطبرسي فى تفسير هذه الآية بجديد ، بل نقل كلام أسلافه من الرافضة ، وكلامه كله متكلف ، وهو مراء بالباطل ،ولا يستحق مثل هذا أن يسود بصحائف تفسير كتاب الله.

واستدلالهم بهذه الآية كما زعم الطبرسي وغيره من ناحيتين :

---

(١) مجمع البيان ٤/٣٥٧ .

أولا :

اختصاص هذه الآية بهؤلاء المذكورين وهم : عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضي الله عنهم ، وعدم شمولها لأزواجه - صلى الله عليه وسلم - ففي نظرهم ، هنّ لسن من أهل البيت ، ولا هنّ معنيات بهذه الآية .

وذلك مكابرة عن الحق وغمط الناس وبخسهم فَضَائِلَهُمْ ، وسوء أدب مع أقرب الناس الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وألصقهم به وأمسهم به وهنّ أزواجه الطاهرات - رضي الله عنهنّ - لأن شمول خطاب الآية على أزواجه أوضح من الشمس في رابعة النهار .

والرافضة أشّحة على الاعتراف بمكانة الصحابة ، بما فيهم أزواجه - صلى الله عليه وسلم - فهم يحاولون أن يجردوهنّ من كل فضيلة ويلصقوا بهنّ كل نقيصة .

وها هم الى اليوم يقذفون عائشة بما رماها به عبد الله بن أبيّ بن سلول ، رأس المنافقين ، بعد ما برأها الله بقرآن يتلى الى يوم القيامة .(١)

وهذه الآية التي نزلت في نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهنّ -، باتفاق المفسرين ، والتي هي من أرجى الآيات عند هنّ ، حاولت الرافضة أن يحرموهنّ من هذه المنقبة ، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وليس الأمر في أيدي الحساد وأهل السوء .

ثانيا :

استدلت الرافضة بهذه الآية على ثبوت العصمة لهؤلاء المعنيين بالآية .

---

(١) انظر: رجال الكشي ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ . فقد أورد في عائشة - أم المؤمنين - رضي الله عنها - كلاما سخيفا تقشعر منه الجلود وتشمئز منه القلوب.

وسنبطل كلا الزعمين بعون الله :

فقولهم : ان أزواجه صلى الله عليه وسلم -، لسن من أهل بيته ، وأنهنّ غير مخاطبات ومعنيات بالآية باطل كل البطلان ، لأن الآيات كلها نزلت في نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - من قوله تعالى : " يأيها النبي قل لأزواجك ان كنتنّ تردنّ الحيوة الدنيا وزينتها فتعالينّ ..."[1] . الى قوله : "... واذكرن ما يلتى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا"[2] . بما فيه من الترغيب والترهيب والأوامر والنواهي ، وسبب نزول الآية داخل فيها قطعا ، فلا يجوز اخراجه .

لذا قال الشيخ محمد الأمين : " وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول ، فلا يصح اخراجها الاّ بمخصص ... ، والتحقيق ان شاء الله أنهنّ - أي زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - داخلات في الآية ، وان كانت الآية تتناول غيرهنّ من أهل البيت ..." .

ونظير ذلك من دخول الزوجات في اسم أهل البيت قوله تعالى في زوجة ابراهيم : " قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت"[3]

وأما الدليل على دخول غيرهنّ في الآية ، فهو أحاديث جاءت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في عليّ وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - : " أنهم أهل البيت ودعا لهم أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا "[4] .

ومن ناحية أخرى يطلق أهل الرجل على عشيرته وأقربائه ، كما يطلق على أزواجه .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٨ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٤ .
(٣) سورة هود الآية ٧٣ .
(٤) أضواء البيان ٦/٥٧٧ - ٥٧٨ .

قال صاحب القاموس : " وأهل الرجل عشيرته وذو قرباه ... ، وأهل الأمر ولاته ، وللبيت سكانه ، وللمذهب من يدين به ، وللرجل زوجته ، ... ، وللنبي - صلى الله عليه وسلم - أزواجه وبناته وصهره عليّ - رضي الله عنه - أو نساءه والرجال الذين هم آله ". (١)

فأهل البيت لهم اعتباران :

أحدهما : أهل بيت السكنى وهم أزواجه صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أهل بيت النسب ، وهم أقرباؤه وفي مقدمتهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - فلا تعارض بين الآية والأحاديث التي وردت في هؤلاء المذكورين .

فالآية تشمل أهل بيت السكنى ، وأهل بيت النسب .

قال ابن حجر الهيثمي : " والحاصل أن أهل بيت السكنى داخلون في الآية ، لأنهم المخاطبون بها ، ولما كان أهل بيت النسب تخفى ارادتهم منها بين صلى الله عليه وسلم ، بما فعله مع من مر أن المراد من أهل البيت هنا يعم أهل سكناه كأزواجه وأهل بيت نسبه وهم جميع بني هاشم والمطلب. (٢)

لذا قال ابن كثير : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " : هذا نص في دخول أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - في أهل البيت هاهنا لأنهنّ سبب نزول الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا ، اما وحده على قول ، أو مع غيره على الصحيح ". (٣)

وهناك آثار وردت في تعيين المخاطبين بالآية التي يفهم من ظاهرها التعارض .

---

(١) القاموس المحيط ٣ / ٣٤٢ .

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٤٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ٤٠٧ .

فبعض الأخبار تدل على أن المعنى بالآية نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - فقط ، ولا يدخلها غيرهنّ . فقد روى ابن جرير الطبرى ، عن عكرمة أنه كان ينادى فى الأسواق : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " . نزلت فى نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة".(١)

وعن عكرمة أيضا أنه قال : " من شاء باهلته أنها نزلت فى أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم ".(٢)

فعقّب ابن كثير على ذلك بقوله : " فان كان المراد أنهنّ كنّ سبب النزول دون غيرهنّ فصحيح ، وان أريد أنهنّ المراد دون غيرهنّ ، ففى هذا نظر ، فانه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك ".(٣)

وهناك روايات أخرى توحى بأن المراد من أهل البيت فى هذه الآية هم الخمسة : الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وعلىّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين - رضي الله عنهم - ، وأن الآية لا تشتمل أزواجه صلى الله عليه وسلم . ولكن بعض هذه الروايات ضعيفة ، ويمكن أن يؤوّل بأن أزواجه لسن من أهل بيته النسبي ، بل هنّ أهل بيته السكني .

ومثال ذلك ما رواه الامام أحمد ، عن أم سلمة - رضي الله عنها -: " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان فى بيتها ، فأتته فاطمة - رضي الله عنها - ببرمة فيها خزيرة(٤) فدخلت بها عليه . فقال لها : " ادعى زوجك وابنيك ، قالت : فجاء علىّ وحسن وحسين ، فدخلوا عليه ، فجعلوا يأكلون من تلك

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢ / ٨ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٦ / ٤٠٧ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الخزيرة ، بخاء معجمة مفتوحة وبعدها الزاء المكسورة : لحم يقطع صغيرا ويصب عليه ماء كثير ، فاذا نضج ذر عليه الدقيق .

الخزيرة ، وهو على مقامة له على دكّان[1] تحته كساء حِبَرِيٌّ . قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " . قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء ، ثم قال : " اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " . قالت : فأدخلت رأسي البيت . فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ فقال : انك الى خير انك الى خير " .[2]

قال ابن كثير بعد ما ساق هذه الرواية في تفسيره : " في اسناده من لم يسم ، وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات " .[3]

ووردت أيضا روايات تفيد بأن الآية تشمل أزواجه وأقرباءه من آل عليّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس ، وأخص أقربائه عليّ وزوجه وابناه ، وهذه الروايات أجدر بالأخذ لموافقتها سبب نزول الآية .

ومن أصح هذه الروايات ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال: " قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة . فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر . ثم قال : " أما بعد. ألا أيها الناس : فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي ، فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " . فحث على كتاب الله ورغب فيه . ثم قال : " ... وأهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي " . فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ . قال : نساؤه من أهل بيته . ولكن أهل بيته من

---

(١) الدكان : بضم الدال وبفتح الكاف مشددة : الدكة المبنية للجلوس عليها .

(٢) المسند للامام أحمد بن حنبل ٦/٢٩٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٤٠٨ .

حرم الصدقة . قال : ومن هم ؟ قال هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ".[1]

فهذه الرواية كما ترى نص في دخول أزواجه في أهل بيته ، ثم روى مسلم عن زيد بن أرقم نفسه ، عن طريق آخر . فذكر الحديث بنحو ما تقدم . وفيه فقلنا : من أهل بيته ؟ نساءه ؟ قال : لا ، وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها . أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده".[2]

والرواية الأولى أجدر بالأخذ لأنها موافقة لسبب نزول الآية ، وقد يقصد زيد بن أرقم - رضي الله عنه - بالرواية الثانية أنهنّ لسن من أقربائه ولم ينف دخولهن في عموم أهل البيت .

لذا قال ابن كثير: " هكذا وقع في هذه الرواية ، والأول أولى والأخذ بها أحرى ، وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه ، وانما المراد آله الذين حرموا الصدقة ، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط ، بل هم مع آله ، وهذا الاحتمال أرجح جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها ، وجمعا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة ان صحت ، فان في بعض أسانيدها نظر ".[3]

ثم برهن ابن كثير على دخول أزواجه صلى الله عليه وسلم ، في الآية . حيث قال : " ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - داخلات في قوله : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " . فسياق الكلام معهنّ ، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله :

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٨٧٣ حـ ٢٤٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ٤/١٨٧٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٤١١ .

" واذكرن ما يتلى فى بيوتكنّ من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا"[1] الى أن قال : " ... ولكن اذا كان أزواجه من أهل بيته ، فقرابته أحق بهذه التسمية ، كما تقدم فى الحديث : " وأهل بيتى أحق "[*] ، وهذا يشبه ما ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم؟ فقال : " هو مسجدى هذا ". فهذا من هذا القبيل ، فان الآية انما نزلت فى مسجد قباء ، كما ورد فى الحديث الآخر ، ولكن اذا كان ذاك أسس على التقوى من أول يوم . فمسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولى بتسميته بذلك "[2].

وقد يقول الرافضة فى تأييد مذهبهم : " ان الضمير فى قوله : " ليذهب عنكم الرجس " . وفى قوله : " وليطهركم " يدل على عدم دخول الزوجات ، اذ لو كان المراد نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - لقيل : ليذهب عنكنّ الرجس ، ويطهركنّ ".

والجواب من وجهين :

أحدهما :

ما ذكرناه من أن الآية لهنّ ، ولعليّ ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة .

وقد أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الاناث فى الجموع ونحوها ، كما هو معلوم فى محله .

ثانيهما :

ان من أساليب اللغة العربية التى نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل ، وباعتبار لفظ الأهل يغلب مخاطبة المذكر . ومنه

---

(١) سورة الأحزاب ٣٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦ / ٤١٢ .

(*) هذا الحديث أورده ابن كثير فى ٦ / ٤٠٨ ، وهو فى المسند للإمام أحمد ٤ / ١٠٧

قوله تعالى : " فقال لأهله امكثوا " [١] ، وقوله : " سأتيكم " [٢] . وقوله : " لعلى آتيكم " [٣] ، والمخاطب امرأته . كما قال غير واحد . [٤]

وقول الطبرسي : " ومتى قيل أن صدر الآية وما بعدها فى الأزواج ، فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء فى كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ثم يعودون اليه ... " كلام فى غير محله ، لأن ذلك الخروج عن الموضوع الى موضوع يتصور ويقبل اذا كانت هناك قرينة تدل عليه . كقوله تعالى : " لا تحرك به لسانك لتعجل به ... " [٥] . فان هذا واضح فى أن السياق انتقل من موضوع الى موضوع آخر . أما هنا فالموضوع متصل والآيات مرتبطة وليس هناك قرينة تدل على الخروج من الموضوع . لأن قبل هذه الآية قوله تعالى : " وقرن فى بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ... " ، وبعدها : " ... واذكرن ما يتلى فى بيوتكنّ " . [٦]

ألا ترى أن السياق متماسك أشد التماسك ، والموضوع متصل الحلقات ، لأن قوله : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس " تعليل وتوضيح لحكمة هذه الأوامر والنواهي . فالمعنى ان الله يأمركم بهذه الأوامر وينهاكم عن هذه النواهي ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " . والله أعلم .

بهذا القدر نكتفى فى ابطال استدلال الرافضة بالآية على اختصاصها بعليّ وفاطمة والحسن والحسين . وعدم دخول أزواجه صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة طه الآية ١٠ .
(٢) سورة النمل الآية ٧ .
(٣) سورة طه الآية ١٠ .
(٤) أضواء البيان ٦ / ٥٧٨ ، ٥٧٩ .
(٥) سورة القيامة الآية ١٦ .
(٦) سورة الأحزاب الآية ٣٤ .

فيهـــا .

والآن نفند بعون الله استدلالهم الثاني . وهو : أن الآية تدل على عصمة هؤلاء الخمسة وباقي الأئمة الاثنى عشـــر .

فقولهم : ان الآية تدل على عصمتهم باطل ، من عدة وجـوه :

أولا :

لا نسلم لهم المقدمة التي بنوا عليها كلامهم ، وهي أن الآية خاصـــة بهم ، فقد علمنا عدم اختصاصهم بها ، وأنها تشمل أزواجه وأقرباءه ، ولما سقناه من الأدلة والبراهـــين .

فاما أن يقولوا بعصمة أهل البيت جميعا ، بما فيهم أزواجه وآل عقيـــل ، وآل جعفر ، وآل العباس ، وهم لا يقولون بذلك ، واما أن لا يدعوا العصمة لأحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالعصمة ثابتة له دون غيره من الأمة .

ثانيـــا :

هـــب أن الآية خاصة بهؤلاء المذكورين ، ولكن لا تدل على عصمتهـــم ، فان الله قال : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " .

والرجس أصله القـذر ، يطلق على الشرك . كقوله تعالى : "فاجتنبـوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور" [1] ، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمـة كالمطعومات والمشروبات . كقوله تعالى : " قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرّمـا على طاعم يطعمه الاّ أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس... " [2] .

وقال عز وجل : " يـايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصـــاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحـون " . [3]

---

(١) سورة الحـج الآيـة ٣٠ .
(٢) سورة الأنعـام الآيـة ١٤٥ .
(٣) سورة المائـدة الآيـة ٩٠ .

ومعلوم أن الله قد أذهب عن أولئك السادة الشرك والخبائث . فالآية لا تدل على عصمتهم من الذنوب البتة ، لأن التطهير من الذنب ، اما أن لا يفعله العبد ، واما أن يتوب منه ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . وأيضا ان العبد اذا كثرت خيراته وأعماله الصالحة ، واجتنب الكبائر والخبائث ، وأكثر من التوبة النصوحة والانابة الى الله ، مما قد يحصل من الالمام ببعض المعاصي والاخلال ببعض المستحبات ، فهو من عباد الله المتقين . فقد قال تعالى : " ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما " . (١)

قال ابن تيمية - رحمه الله - : " وليس من شرط المتقين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب ، ولا أن يكونوا معصومين من الخطأ والذنوب ، فان هذا لو كان كذلك لم يكن في الأمة مُتَّقٍ ، بل من تاب من ذنوبه دخل المتقين " . (٢)

والحاصل أنه لا تلازم بين الطهارة واذهاب الرجس وبين العصمة ، فالآية لا تدل على عصمة هؤلاء المذكورين ، غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ثالثا :

هذه الارادة المذكورة في الآية ، ليست هي الارادة الكونية القدرية ، وانما هي الارادة الشرعية الدينية ، اذا الآية لا تدل على الامامة ولا على العصمة ، لأن معنى قوله : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " . ، أي يريد أن يذهب عنكم الرجس بما يأمركم به من الطاعات ، وبما ينهاكم عنه من النواهي والقبائح . فهذه الارادة التي ذكرت في الآية هي الارادة الدينية ، الشرعية . فهي كقوله : " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من

---

(١) سورة النساء الآية ٣١ .

(٢) منهاج السنة ٤ / ٢٣ .

قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم. والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما". (١) وكقوله: " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ... " . (٢) فالآية لا تدل على أن الله قدر وقضى أن لا تحصل منهم معصية وأنهم معصومون .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : " فان ارادة الله في هذه الآيات متضمنة لمحبة الله لذلك المراد ، ورضاه به ، وأنه شرعه للمؤمنين وأمرهم به ، ليس في ذلك أنه خلق هذا المراد ، ولا أنه قضاه وقدره ، وأنه يكون لا محالة. والدليل على ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول الآيات قال : " اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". فطلب من الله اذهاب الرجس والتطهير ، فلو كانت الآية تتضمن اخبار الله بأنه قد أذهب عنهم الرجس لم يحتج الى الطلب والدعاء . (٣)

اذ الارادة في كتاب الله كما قال شيخ الاسلام نوعان : ارادة دينية شرعية ، تتضمن محبته ورضاه ، وارادة كونية قدرية ، تتضمن خلقه وتقديره ، والأول مثل هؤلاء الآيات - أي مثل قوله - : " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم" (٤) . والثانية مثل قوله تعالى : " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء" . (٥) وقوله : " ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم" . (٦)

---

(١) سورة النساء الآيات ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة المائدة الآية ٦ .
(٣) منهاج السنة ٤ / ٢٠ .
(٤) سورة النساء الآية ٢٦ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .
(٦) سورة هود الآية ٣٤ .

والقدرية تجعل الارادة نوعا واحدا ، كما يجعلون الارادة والمحبة شيئا واحدا ". (١)

ويؤيد ذلك قوله تعالى لرسوله الكريم : " واستغفر لذينك وللمؤمنين والمؤمنات " (٢). وقد استغفر لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - امتثالا لأمر ربه ، ولا يلزم من ذلك أن لا يعاقب مؤمن فى الدنيا ولا فى الآخرة .

فلما لم تكن الارادة هنا أنه تعالى قضى ذلك وقدّره ، بل المراد أنه رضى ربه وشرعه ، تبين بطلان استدلالهم بالآية على عصمة هؤلاء .

رابعا :

ان الامامية يوافقون المعتزلة فى مباحث القضاء والقدر ، فهم قدريون ، فاذا ناقشناهم على أصلهم القدرى ، يظهر جليا بطلان استدلالهم بالآية على عصمة هؤلاء المذكورين . وذلك : " أن ارادة الله عندهم لا تتضمن وجود المراد ، بل قد يريد مالا يكون ، ويكون ما لا يريد ، فليس فى كونه تعالى مريدا لذلك ما يدل على وقوعه ، وهذا الرافضي وأمثاله قدرية . فكيف يحتجون بقوله : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت" على وقوع المراد ، وعندهم أن الله قد أراد ايمان علي من فى الأرض فلم يقع مراده". (٣)

ومن ناحية احتجاجهم بحديث : " اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس".

فالجواب : أن الدعاء بالعصمة ممتنع على أصل القدرية ، بل وبالتطهير أيضا ، فان الأفعال الاختيارية التى هي فعل الواجبات ، وترك المحرمات ،

---

(١) منهاج السنة ٥/٢١ .

(٢) سورة محمد الآية ١٩ .

(٣) انظر: منهاج السنة ٤/٢٠ .

عند هم غير مقدور للرب ، ولا يمكنه أن يجعل العبد مطيعا ، ولا عاصيا ، ولا متطهرا من الذنوب ، ولا غير متطهر ، فامتنع على أصلهم أن يدعو لأحد بأن يجعله فاعلا للواجبات ، تاركا للمحرمات .

وانما المقدور عند هم قدرة تصلح للخير والشر ، كالسيف الذى يصلح لقتل المسلم والكافر ، والمال الذى يمكن انفاقه فى الطاعة والمعصية ، ثم العبد يفعل باختياره اما الخير واما الشر بتلك القدرة .

وهذا الأصل يبطل حجتهم ، والحديث حجة عليهم فى ابطال هذا الأصل ، حيث دعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطهير " . (١)

نكتفى بهذه الأمثلة عن موقف الطبرسي من عصمة الأئمة . فقد اتضح لنا بما سقناه من الأمثلة أنه امامي متعصب ، فقد دافع عن هذه الفكرة ـ كما رأيت ـ دفاع المستميت ، لأنه ينظر الى القرآن نظرة الامامية ، فكل ما ذهبت اليه الامامية فهو حق عنده ، وان كان ذلك عين الباطل ، وكل ما خالف مذهبهم فهو باطل عنده ، وان كان ذلك عين الصواب .

* * *

* *

*

---

(١) منهاج السنة ٤/٢٣ - ٢٤ .

الفصـــــل الثالـــــث

الرجعـــة وغيبـة المهـدى المنتظـــــر

وفيـــه مبحثـــــان :

المبحـــث الأول : الرجعة وغيبة المهدى المنتظر عند الامامية الاثني عشرية .

المبحـــث الثانـي : موقف الطبرسي من الرجعة وغيبة المهدى المنتظـــر .

المبحث الأول
الرجعة وهبة المهدى المنتظر عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية

الرجعة من أبرز السمات التى تميز مذهب الشيعة ، فجلّ الفرق الشيعية وفى مقدمتهم الامامية الاثنا عشرية يؤمنون بالرجعة .

" والمراد بها : رجوع الأئمة ، وشيعتهم ، وأعدائهم ،ممن محض من الفريقين :الايمان أو الكفر المحض"[1]. على حد زعمهم .

فهم يعتقدون أن الامام الثاني عشر ـ الموهوم ـ سيرجع ، ويرجع معه شيعته ، والأئمة الذين قبله ، وأعداؤهم ، فينتقم من أعدائه ـ حسب زعمهم ـ ويقصدون بالأعداء أهل السنة ، وفى مقدمتهم الصحابة الكرام ، ويزعمون أن هذا القائم المنتظر سيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا .

وهي عقيدة راسخة فى أذهانهم ، بل من ضروريات مذهبهم ، وثمرة ايمانهم بالغيب .

قال الأحساني : " اعلم أن الرجعة سر من أسرار الله ، والقول بها ثمرة الايمان بالغيب ، والمراد بها رجوع الأئمة ـ عليهم السلام وشيعتهم وأعدائهم"[2].

ونقل السيد عبد الله شبّر ، عن المجلس قوله :" أجمعت الشيعة على ثبوت الرجعة فى جميع الأعصار ، واشتهرت بينهم كالشمس فى رابعة النهار حتى نظموها فى أشعارهم ، واحتجوا بها على المخالفين فى جميع أمصارهم ، وشنع المخالفون عليهم فى ذلك "[3].

---

(١) الرجعة للشيخ أحمد زين الدين الأحساني ص ١١ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) حق التعيين فى معرفة أصول الدين للسيد عبد الله شبر ٢ / ٩ .

ومما يدل على غلوهم فى اثبات الرجعة والتنويه بشأنها ، أنهم سووا بين الايمان بها ، وبين الايمان بالصراط والميزان ، وجعلوا منكرها خارجا عن ربقة الايمان .

فيقول السيد عبدالله شبر - بعد ما تكلم عن الرجعة واستدل لها -: " وقد عرفت من الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة ، وكلام جملة من المتقدمين والمتأخرين من شيعة الأئمة الطاهرين ، أن أصل الرجعة حق لا ريب فيه ، ولا شبهة تعتريه ، ومنكرها خارج عن ربقة المؤمنين ، فانها من ضروريات مذهب الأئمة الظاهرين .

وليست الأخبار الواردة فى الصراط والميزان ونحوها ، مما يجب الاذعان به أكثر عددا ، وأوضح سندا ، وأصرح دلالة وأفصح مقالا من الرجعة" .(١)

قلت : انظر الى هذا الافتراء على الله ورسوله ، فكيف سولت لهم أنفسهم أن يسووا بين ركن من أركان الدين - وهو الايمان باليوم الآخر وتوابعه من الصراط والميزان - وبين خرافاتهم التى اختلقوها ." كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا" .(٢)

وترجع جذور القول بالرجعة الى اليهود ، لأنهم قائلون برجعة فنحاس ابن العازار بن هارون ، والياس ، وأنهم أحياء اليوم .(٣)

وقد ظهرت فكرة الرجعة فى أوساط الشيعة ، على يد عبدالله بن سبأ

---

(١) حق اليقين فى معرفة أصول الدين للسيد عبدالله شبر ٢ / ٥٥ .
(٢) سورة الكهف الآية ٥ .
(٣) انظر : الفصل ٥ / ٣٧ .

اليهودى ، فقد كان يقول :" العجب ممن يزعم أن عيسى سيرجع ، ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله :" ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد " . [1] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى . [2]

ثم قال برجعة عليّ - رضي الله عنه - ، ولما بلغه نعيه ، قال ابن سبأ : " لو أتيتمونا بدماغه فى سبعين صرة ما صدقنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا " . [3]

فكل فرق الشيعة - ما عدا بعض فرق الزيدية - يقولون بالرجعة .

ويمكن القول بأن القول بالرجعة حيلة خبيثة وضعها بعيد النظر من أصحاب فرق الشيعة ، كي لا يفتضح أمرهم وينكشف سرهم .

والامامية حتى الآن ينتظرون هذا القائم ، ولهم فى انتظاره حماقات يسخر منها العقلاء .

" ومن هذه الحماقات أنهم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد ، ينتظرونه فيها ، كالسرداب الذى بسامراء ، الذى يزعمون أنه غائب فيها ، ومشاهد أخر ، وقد يقيمون هناك دابة ، اما بغلة ، واما فرسا ، واما غير ذلك ، ليركبها اذا خرج ، ويقيمون هناك ، اما فى طرفى النهار ، واما فى أوقات أخرى من ينادى عليه بالخروج ، يا مولانا أخرج ، ويشهرون السلاح ، ولا أحد هناك يقاتلهم ، وفيهم من يقوم فى أوقات دائما لا يصلى خشية أن يخرج وهو فى الصلاة ، فينشغل بها عن خروجه وخدمته ... ، ويتوجهون الى المشرق بأصوات عالية يطلبون خروجه" . [4]

---

(١) سورة القصص الآية ٨٥ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ٤ / ٣٤٠ .

(٣) الفصل لابن حزم ٥ / ٣٧ .

(٤) منهاج السنة لابن تيمية ١ / ١٠ .

ويقول ابن خلدون عن انتظارهم لخروج الامام :" وهم الآن ينتظرونه ، ويسمونه المنتظر لذلك يقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب ، وقد قدموا مركبا فيهتفون باسمه ، ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ، ثم ينفضون ويرجئون الأمر الى الليلة الآتية ، وهم على ذلك لهذا العهد ".(١)

ويردد ون نداء يتوجهون به الى الامام الغائب ، ويتوسلون اليه بالظهور ويقولون :" أشهد أنك الحق الثابت الذى لا ريب فيه ، وأن وعد الله فيك حق لا أرتاب فيك لطول الغيبة وبعد الأمد ، اللهم طال الانتظار وشمت بنا الأعداء الفجار ، وصعب علينا الانتظار ، اللهم أرنا وجه امامك في حياتنا وبعد المنون ، اللهم أدين لك بالرجعة بين يدى صاحب هذه البقعة ... الغوث ... الغوث ... الغوث ".(٢)

ومن حماقاتهم في ذلك أيضا تعطيلهم الجمعة ، فقد حكموا بتركها في غيبة الامام ،(٣) وكذلك علقوا الجهاد في سبيل الله بخروجه ولم يجيزوه الا معه .(٤)

وينسجون حول كيفية خروجه وأعماله التي يقوم بها بعد خروجه أكاذيب وخزعبلات تعج بالحقد الدفين الذى في نفوس القوم تجاه سلف الأمة ، وفي مقدمتهم العمران ، وعائشة أم المؤمنين - رضي الله عنهم جميعا .

فهم يزعمون أن القائم اذا خرج سيعمل السيف في قريش ، ويصلب أبابكر وعمر ، ويقيم الحد عليهما ، وعلى عائشة أم المؤمنين . ويقولون :"ان الله سيبعثه نقمة .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٨ .

(٢) بحار الأنوار للمجلس ٢ / ٢٥٢ .

(٣) انظر: مختصر التحفة للسيد محمود شكرى الألوسي ص ٢١٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢١ .

قال الاحسائي :" ومن سيرته ما يعمل من الحدود بأبى بكر وعمر".[1]

وروا عن أبى جعفر أنه قال :" أما لو قام القائم ، لقد ردت اليه الحميراء حتى يجلدها الحد ، وينتقم لأمه فاطمة منها . قال الراوى : قلت : جعلت فداك . ولم يحدها الحد ؟ قال : لقذفها على أم ابراهيم . قلت : فكيف أخره الله للقائم عليه السلام ؟ فقال :" بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله رحمة ، ويبعث الله القائم نقمة ".[2]

وروى النعماني بسنده عن أبى جعفر أنه قال :" لو يعلم الناس ما يصنع القائم اذا خرج ، لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس ، أما انه لا يبدأ الا بقريش ، فلا يأخذ منها الا السيف ، ولا يعطيها الا السيف ، حتى يقول كثير من الناس:" هذا ليس من آل محمد ، ولو كان من آل محمد لرحم".[3]

وكل هذا من كذبهم الفاضح ، ودجلهم ، وهو يدل على خبث طويتهم ، وبغضهم لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهم ، ولقريش قرابة رسوله وللعرب عموما ، الذين قام بهم الاسلام فى أول أمره وقاموا به .

ولا يخطرن فى بالك ، أن القوم أقلعوا عن تلك الخرافات والترهات ، فهم ما زالوا حتى الآن فى سكرتهم يعمهون ، فعلماؤهم المعاصرون يقولون بها كأسلافهم .

فيقول محمد رضا المظفر فى الرجعة :" ان الذى تذهب اليه الامامية أخذا بما جاء عن آل البيت - عليهم السلام - :" ان الله يعيد قوما من الأموات الى الدنيا فى صورهم التى كانوا عليها ، فيعز فريقا ويذل فريقا آخر . ويديل للمحقين من المبطلين ، وللمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند

---

(١) الرجعة للأحسانى ص ١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٤ .

(٣) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٣ .

قيام مهـدى آل محمد ، عليه وعليهم أفضل السـلام ".[١]

ويدلى الخمينى دلوه فى ذلك فيقول :" وقد مرت على الغيبة الكـبرى لامامنا المهدى أكثر من ألف عام ، وقد تمر ألوف السنين ، قبل أن تقتضـى المصلحة قدوم الامام المنتظـر ".[٢]

المهدى بين السنـة وبين الامامية الاثنى عشرية :

نريد أن تلفت الانتباه الى الفرق الشاسع بين أهل السنة والامامية الاثنى عشرية ، حول مجئ المهـدى .

والمهدى كما قال ابن منظور فى لسان العرب :" الذى قد هداه الله الى الحق ... ، وبه سمى المهدى الذى بشر به النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يجئ فى آخر الزمان "[٣] ولم ترد كلمة المهدى فى القرآن الكريم ، وانما ورد فى بعض الأحاديث ، وهي ليست مخرجة فى الصحيحين ، وانما روى تلك الأحاديث الامام أحمد ، وأبوداود والترمذى ، وابن ماجه وغيرهم .

وقد فحص جهابذة السنة ونقاد الحديث أحاديث المهدى ، وتتبعوا أسانيدها ومتونها وميّزوا الغث من السمين ، والصحيح من السقيم ، والرديء من الجيد ، فهي فى جملتها صحيحة كما قرره أهل هذا الشأن الذين يعوّل على كلامهم فى فن الحديث .

قال ابن القيم - رحمه الله - بعد ما سرد الأحاديث التى وردت فى خروج المهدى - :" وهذه الأحاديث أربعة أقسام : صحاح ، وحسان ، وغرائب وموضوعة ".[٤]

---

(١) عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٥١ .

(٢) الحكومة الاسلامية للخمينى ص ٢٦ .

(٣) لسان العرب ١٥/ ٣٥٤ مادة (هـدى) .

(٤) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ص ١٤٥ .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية ـ في رده على الرافضي ـ :" وأما الحديث الذي رواه ابن عمر ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وذلك هو المهدي ".

فالجواب : أن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة . رواها أبوداود والترمذي وأحمد وغيرهم ، من حديث ابن مسعود وغيره . كقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم ، حتى يخرج فيه رجل مني ـ أو من أهل بيتي ـ يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا "[1] . ورواه الترمذي ، وأبوداود ، من رواية أم سلمة ، وأيضا فيه :" يملك الأرض سبع سنين "[2] . ورواه عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ أنه نظر الى الحسن وقال :" ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في الخلق ، ولا يشبهه في الخلق ، يملأ الأرض قسطا "[3].

ثم قال شيخ الاسلام :" وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف طائفة أنكروا واحتجوا بحديث ابن ماجة ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " لا مهدي الا عيسى بن مريم "[4]. وهذا الحديث ضعيف ... وليس يعتمد عليه"[5].

---

(١) رواه أبوداود عن عبد الله بن مسعود ، كتاب المهدي ٤/٤٧٣ حـ ٤٢٨٢ . والترمذي ، ٤/٥٠٥ ، وقال : " حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه الترمذي ، بلفظ :" ان في أمتي المهدي يخرج ، يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا "٤/٥٠٦ حـ ٢٢٣٢ .

(٣) حديث عليّ ـ رضي الله عنه ـ عند أبي داود بلفظ :" لو لم يبق من الدهر يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا" . سنن أبي داود ٤/٤٧٣ ، ٤٧٤ حـ ٤٢٨٣ .

(٤) سنن ابن ماجة ٢/١٣٤١ حـ ٤٠٣٩ .

(٥) منهاج السنة لابن تيمية ٤/٢١١ .

فالمهدى ثابت بهذه الأدلة الثابتة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ولا مجال لانكارهـــا .

ولكنّ هناك فرقا شاسعا بين أهل السنة ، والشيعة حول عقيدة مجـــئ المهدى . تتلخـص فيما يلـى :

أولا :

كما ورد فى الأحاديث ، يعتقد أهل السنة أنه من ولد الحسن بـــن عليّ رضي الله عنهما ، وأن اسمه يوطئ اسم النبي - صلى الله عليه وسلـم - واسم أبيه يواطئ اسم أبى الرسول صلى الله عليه وسلم .

لكن الرافضة يعتقدون أنه من ولد الحسين - رضي الله عنه - وأن اسمـه محمد بن الحسن العسكرى ، فعندهم اسم أبيه لا يواطئ اسم أبى الرســـول - صلى الله عليه وسلـم - فظهر بذلك الفـــرق .

ثانيـــا :

ان أهل السنة لا يعلّقون كل آمالهم وأعمالهم وجهادهم على خروجـــه ولا ينسجون حوله الخرافات ، بل يعدّونه مجددا من المجددين ومصلحـــــا كبيرا من المصلحين الذين يجددون للأمة أمر دينها . فهو من عظمـــــاء المصلحين المجددين ، ولا يعطلون جزءا من الشريعة بحجة غيابه وانتظاره .

ولكن الرافضة يعلقون كل آمالهم عليه ، ويعطلون الشريعة أثناء غيابـــه ويفضّلونه على الرسل الكـــرام .

ثالثـــا :

لا يعتقد أهل السنة غيبته ولا رجعته ولا دخوله فى السرداب قبـــــل ألف سنة ، وانما يعتقدون أنه سيولد ولادة الأطفال ، وينشأ نشأة الرجـــال ثم يصلحه الله فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا .

أما الرافضة فانهم يعتقدون أنه ولد قبل ألف سنة ، ثم دخل السرداب وهو الآن فى غيبة ، ثم يرجع ويرجع معه شيعته وأعداؤه .

رابعا :

يعتقد أهل السنة أن المهدى بعد خروجه يحكم بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،

ولكن الرافضة يعتقدون أنه يحكم بحكم داود وآل داود ".[1]

هذه هي عقيدة القوم فى الرجعة ، وهي عقيدة زائفة منحولة على أهل البيت ، والذى حملنا على الكلام عنها بهذا التفصيل هو أن الطبرسي لا يفصل اصطلاحات الامامية ، مثل الرجعة والتقية ، والعصمة ، وانما يكتفى بتقريرها جملة ، فرأينا أنه من الأمانة العلمية أن نفصل تلك الاصطلاحات التى يجملها الطبرسي فى تفسيره .

* * *

* *

*

---

(١) انظر: الكافى فى الأصول للكلينى ١/٣٩٧ .

المبحث الثاني
موقف الطبرسي من الرجعة وغيبة المهدى المنتظر

قد أطلنا الحديث عن الرجعة وغيبة المنتظر ،على ضوء اعتقاد الامامية الاثنى عشرية ، وبيّنا زيف هذا الاعتقاد وفساده ، وسنتعرض الآن لموقف الطبرسي منها . ولا نطيل فى الرد عليه ، لأن فساد هذا الاعتقاد أوضح من الشمس .

واليك الآن بعض الأمثلة من تفسيره :

المثال الأول :

قوله تعالى :" ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ". (١)

قال الطبرسي -عند تفسيره لهذه الآية - :" واستدل قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة ، وقول من قال : ان الرجعة لا تجوز الاّ فى زمن النبي -صلى الله عليه وسلم -لتكون معجزة له ودلالة على نبوته باطل ، لأن عندنا ،بل عند أكثر الأمة يجوز اظهار المعجزات على أيدى الأئمة والأولياء ، والأدلة على ذلك مذكورة فى كتب الأصول ".

ثم قال :" وقال أبوالقاسم البلخي : " لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها ، لأن فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة فى الكرّة الثانية . وجوابه : أن من يقول بالرجعة لا يذهب الى أنا لناس كلهم يرجعون فيصير اغراء بأن يقع الاتكال على التوبة فيها ، بل لا أحد منا لمكلفين الاّ ويجوز أن لا يرجع، وذلك يكفى فى باب الزجر" . (٢)

---

(١) سورة البقرة الآية ٥٢ .

(٢) مجمع البيان ١/ ١١٥ .

وكل هذا كلام باطل عقيم ، وهو يدل على أنه أشرب فى قلبه أباطيل الرافضية ، فليس فى هذه الآية دلالة على ثبوت الرجعة ، وانما هي واقعة عين وقعت لتكون معجزة لنبي الله موسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل السلام ـ .

المثال الثاني :

قوله تعالى : " ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ... ". (١)

قال الطبرسي ـ بعد ما فسر الآية ـ : " وهذه الآية حجة على من أنكر عذاب القبر والرجعة ، لأن احياء أولئك مثل احياء هؤلاء الذين أحياهم الله للاعتبار " . (٢)

قلنا له : أما عذاب القبر فقد ثبت بالكتاب والسنة .

قال عز من قائل : " وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " . (٣)

وثبت فى الصحيح من حديث أسماء بنت أبى بكر ـ رضي الله عنها ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ما من شئ لم أكن أريته الآ رأيته فى مقامي هذا ، حتى الجنة والنار ، فأوحى اليّ : " أنكم تفتنون فى قبوركم مثل أو قريب ـ لا أدرى أى ذلك ـ قالت أسماء ـ من فتنة المسيح الدجال ... الخ " . (٤)

وثبت فى الصحيح أيضا من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : " مرّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحائط من حيطان المدينة ، أو مكة ،

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٣ .
(٢) مجمع البيان ١/٣٤٧ .
(٣) سورة المؤمن الآيتين ٤٥ ، ٤٦ .
(٤) صحيح البخارى ، مع الفتح ١/١٨٢ ح ٨٦ .

فسمع صوت انسانين يعذبان فى قبورهما . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: " يعذبان وما يعذبان فى كبير . ثم قال : " بلى " كان أحدهما لا يستتر من بوله ، وكان الآخر يمشى بالنميمة ... الخ ".(١)

أما الرجعة فلم تثبت لا فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله ، بل هي من وضع الأفاك الأثيم عبد الله بن سبأ .

المثال الثالث :

قوله تعالى : " ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآتنا فهم يوزعون ".(٢)

قال الطبرسي - عند تفسير الآية -: " واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة ، من ذهب الى ذلك من الامامية ، بأن قال : " ان دخول من فى الكلام يوجب التبعيض فدلّ ذلك على أن اليوم المشار اليه فى الآية يحشر قوم دون قوم ، وليس ذلك صفة يوم القيامة الذى يقول فيه سبحانه : " وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ".(٣)

وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد - صلى الله عليه وسلم - فى أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدى قوما ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ، ويبتهجوا بظهور دولته ، ويعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم ، وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب فى القتل على أيدى شيعته ، والذل والخزى بما يشاهدون من علو كلمته .

ولا يشك عاقل أن هذا مقدور الله تعالى ، غير مستحيل فى نفسه ، وقد فعل الله ذلك فى الامم الخالية ، ونطق القرآن بذلك فى عدة مواضع ، مثل :

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ١/٣١٧ حـ ٢١٦ .
(٢) سورة النمل الآية ٨٤ .
(٣) سورة الكهف الآية ٤٧ .

قصة عزير ، على ما فسرناه فى موضعه ، وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال : " سيكون فى أمتى كل ما يكون فى بنى اسرائيل ، حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر لضب لدخلتموه " .

على أن جماعة من الامامية تأولوا ما ورد من الأخبار فى الرجعة ، رجوع الدولة والأوامر والنواهي ، دون رجوع الأشخاص واحياء الأموات ، وأوّلوا الأخبار الواردة فى ذلك لما ظنوا أن الرجعة تنافى التكليف ، وليس كذلك لأنه ليس فيها ما يلجئ الى فعل الواجب والامتناع عن القبيح ، والتكليف يصح معها كما يصح ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة ، كفلق البحر وقلب العصا ثعبانا ، وما أشبه ذلك ، ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة ، فيتطرق التأويل عليها ، وانما المعوّل فى ذلك على اجماع الشيعة الامامية ، وان كانت الأخبار تؤيده وتعضده " .(١)

قد أطنب الطبرسي فى تقرير الرجعة ودافع عنها دفاع المستميت ، ورد على مؤوّلى الرجعة من أصحابه ، كل ذلك يدل على تعصبه وغلوه فى تشيعاته .

واستدلاله بقصة عزير على ثبوت الرجعة ، يدل على أنهم أخذوا القول بالرجعة من اليهود ، لأن اليهود يؤمنون برجعة عزير ، ويعجب القارئ لكتب الرافضة مدى وَلُوْع القوم وشرههم الى تعاليم اليهود وأساطيرهم .

فالرجعة حسب مفهومهم باطلة ولا اعتداد باجماع الشيعة الذى ادعاه .

فاجماعهم ليس بحجة ، لأنهم قوم يتعلقون بالأوهام والأباطيل فى اثبات ما يعتقدون .

---

(١) مجمع البيان ٤ / ٢٣٥ ،

وهذه الآية لا تعلق لها بالرجعة ، وانما تتكلم عن الحشر يوم القيامة بأن الله تعالى يبعث الناس أفواجا وأحزابا على حسب أعمالهم ودرجاتهم في الكفر ، فكل صنف يحشر مع صنفه تنكيلا بهم وتشنيعا بجرائمهم .

قال ابن كثير: " يقول تعالى مخبرا عن يوم القيامة وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله بين يدى الله عز وجل ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا تقريعا وتوبيخا ، وتصغيرا وتحقيرا . فقال : " ويوم نحشر من كل أمة فوجا ... " . أى من كل قوم وقرن فوجا . أى : جماعة : " ممن يكذب بأياتنا " . كما قال تعالى : " احشر الذين ظلموا وأزواجهم "[1] .[2]

فليس كما قال الطبرسي من أن الآية تدل على أن الله يبعث قوما دون قوم ، وانما المقصود أن الله يبعث المجرمين أصنافا وأحزابا ، فكل صاحب جريمة يحشر مع نظرائه تنكيلا بهم.

المثال الرابع :

قال تعالى : " والذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون "[3] .

قال الطبرسي : " والذين يؤمنون بالغيب " : أى يصدقون بجميع ما أوجبه تعالى أو ندب اليه أو أباحه ، وقيل : يصدقون بالقيامة والجنة والنار . عن الحسن، وقيل : بما جاء من عند الله ، عن ابن عباس ، وقيل : بما غاب عن العباد علمه ، عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة . وهذا أولى لعمومه.[4]

ثم قال : " ويدخل ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدى - عليه السلام -

---

(١) سورة الصافات الآية ٢٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦ / ٢٢٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٣ .

(٤) مجمع البيان ١ / ٣٨ .

ووقت خروجه ".[1]

قلت : وهذا يدل على أن مفسرنا مرد وتمرّس في دس عقائد الامامية وبثها من خلال تفسيره للآيات القرآنية.

فهو كما أشرنا سابقا ، يتحين الفرص السانحة والجو الملائم لبث سمومه وترويج بضاعته ، فما تمر به آية تنوعت فيها عبارات المفسرين ، الاّ ويدس من بين تلك الأقوال قولا للامامية ، وان كانت أقوال المفسرين متفقة في حقيقة الأمر ، ولم يكن الخلاف بينهم جوهريا ، بل هو خلاف لفظي مما يسمى في علم أصول التفسير : " بالاختلاف التنوعي " ، ولكن يصبح قول الرافضة مباينا للأقوال الأخرى ، فهو لا يجتمع معها كما لا يجتمع الخطان المتوازيان ، فيصبح بذلك تفسير الرافضة بالنسبة للأقوال الأخرى ، اختلاف تضاد .

وهو ما فعل الطبرسي في تفسير الايمان بالغيب ، فالأقوال التي أوردها في تفسيره متفقة ، سوى ما نقله عن أصحابه من الامامية ، وهو غيبة المهدى وزمان خروجه ، لأن الله لم يوجب الايمان به ولا ندب اليه ولا أباحه. اذ كيف يوجب الله الرحيم على عباده ايمان موهوم ، لم يولد ولم ير له أثر ولا انتفع به أحد ، ولا تضرر به أحد ، لأن هذا من التكليف بما لا يطاق ؟

فهذا القول مباين للأقوال الأخرى التي سردها في تفسير الآية.

المثال الخامس :

قال تعالى : " يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ".[2]

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٥٤ .

قال الطبرسي - في تفسير هذه الآية - :" واختلف فيمن وصف بهذه الأوصاف فقيل : هم أبوبكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ، عن الحسن ، وقتادة ، وقيل : هم الأنصار ، عن السدى ، وقيل : هم أهل اليمن ... ، وقيل : هم أمير المؤمنين عليّ - عليه السلام - وأصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين ... ، ويؤيد هذا القول : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية ..." .(١)

ثم قال : " وذكر عليّ بن ابراهيم بن هشام ، أنها نزلت في مهدى الأمة وأصحابه ، وأولها خطاب لمن ظلم آل محمد ، وقتلهم ، وغصبهم حقهم ، ويمكن أن ينصر هذا القول بأن قوله :" فسوف يأتى الله بقوم" يوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب ، فهو يتناول من يكون بعدهم" .(٢)

قلت : وهذه الأقوال الثلاثة الأولى ، هي المشهورة في تفسير الآية ، أما القولان الأخيران - وهما أن الآية نزلت في عليّ ومن قاتل معه ، أو أنها نزلت في المهدى - : فمن أكاذيب الرافضة وافكهم ، ولم يذكرها امام المفسرين " ابن جرير" في تفسير الآية ، ولا ذكرها غيره ممن يعوّل عليه في التفسير .

قال الألوسي - بعد ذكر الأقوال الواردة في الآية - : " وقال الامامية : هم عليّ - كرم الله وجهه - وشيعته يوم وقفة الجمل وصفين ، وعنهم : أنهم المهدى ومن تبعه ، ولا سند لهم في ذلك الاّ مروياتهم الكاذبة" .(٣)

ورجح ابن جرير قول من قال " انها في أهل اليمن ، قوم أبي موسى

---

(١) مجمع البيان ٢/٢٠٨ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تفسير روح المعاني للألوسي ٦/١٦٣ .

الأشعـــرى لحديث عيّاض الأشعرى . قال : قال رسول الله - صلى اللـــه عليه وسلم - :" هم قوم هذا " . يعنى أبا موسى[1] . ولولا ذلك الخبر ما كـــان القول عنده فى ذلك الآ قول من قال :" هم أبوبكر وأصحابه ، وذلك لم يقاتـــل قوما كانوا أظهروا الاسلام على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثـــم ارتدوا على أعقابهم كفارا غير أبى بكر ومن كان معه ، ممن قاتل أهل الـــردة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[2] .

وهذا يدل على قوة قول من قال :" انها نزلت فى أبى بكر وأصحابه .

وفى نظرى - والله أعلم - لا يمنع الخبر الوارد عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى قوم أبى موسى الأشعرى ، لا يمنع هذا الخبر دخول أبى بكـــــر وأصحابه فى الآية . فالصفات المذكورة فى الآية تنطبق عليهـــم .

وقد يجمع بين القولين : بأن قوم أبى موسى الأشعرى كانوا يقاتلون المرتدين تحت قيادة أبى بكر الصديق (رضي الله عنه) .

لذا قال الشوكاني فى تفسير الآية :" والمراد بالقوم الذين وعد اللـــــه سبحانه وتعالى بالاتيان بهم هم : أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) وجيشـــه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة .[3]

المثـال الســـادس :

قال تعالى :" ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلـــون "[4] .

قال الطبرسي :" واختلف فى هذه الآية على أقوال :" أحدها :" أنهـــم قوم من وراء الصين ، بينهم وبين الصين واد جار من الرمل ، لم يغيروا ولـــم

---

(١) تفســـير الطـــبرى ٦ / ٢٨٤ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ٦ / ٢٨٥ .

(٣) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية ٢ / ٥١ .

(٤) ســـورة الأعـــراف الآية ١٥٩ .

يبدلوا ، عن ابن عباس والسدى ، والربيع ، والضحاك ،وعطاء ، وهو المروى عن جعفر الباقر - عليه السلام - وقالوا : " ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا أحد ولا منهم الينا .

قال : قال ابن جريج : " بلغنى أن بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا ، وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ، ففتح الله لهم نفقا من الأرض ، فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين ، فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا ... " .

ثم قال : " وروى أصحابنا أنهم يخرجون مع قائم آل محمد " .[1]

والرد على هذا الكلام من وجهين :

أولا :

أما هذه القصة فقد رواها ابن جرير عن ابن جريج ، ويبدو - والله أعلم - أنها من الاسرائيليات ، ويدل على ذلك صنيع ابن كثير . حيث قال - بعد ما فسر الآية - : " وقد ذكر ابن جرير خبرا عجيبا " . ثم ساق رواية الطبرى عن ابن جريج ، واستبعدها الفخر الرازى أيضا . حيث قال : " وقال بعض المحققين : " هذا القول ضعيف ،لأنه اما أن يقال : " وصل اليهم خبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أو ما وصل اليهم ؟ .

فان قلنا : وصل خبره اليهم ، ثم انهم أصروا على اليهودية فهم كفار فكيف يجوز وصفهم بكونهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ؟

وان قلنا لم يصل اليهم خبر محمد ، فهذا بعيد ، لأنه لما وصل خبرهم

---

(١) مجمع البيان ٢ / ٤٨٩ .

الينا ، مع أن الدواعى لا تتوفر على نقل أخبارهم ، فكيف يعقل أن لا يصل اليهم خبر محمد - عليه الصلاة والسلام - ، مع أن الدينا قد امتلئت من خبره وذكره . (١)

فالقصة يبدو أنها واهية ، ومثل هذه الأخبار الغيبية لا يعوّل عليها ما لم تخرج عن مشكاة النبوة .

ثانيا :

نسأل الطبرسي خاصة ، والرافضة عامة ، ما سر هذه العلاقة الوطيدة بين قوم موسى وبين قائمكم الذى تنتظرونه ؟ وبعبارة أدق ما سر هذه الروابط بين اليهود والشيعة ؟ .

ألم يجد قائمكم ان كان حقا من ينصره من أمة محمد ، حتى احتاج الى قوم موسى أو اليهود ! ؟ أم تلك حاجة فى نفس الشيطان قضاها ؟ .

وما مغزى قولكم : " ان قوم موسى يخرجون مع قائم آل محمد ؟ .

فهذا الكلام وحده كاف فى أن يثير الشكوك والشبهات حولكم .

وقد صرح الكلينى بتلك العلاقة الوطيدة والروابط الوثيقة بين اليهود والرافضة .

فقد روى فى الكافى عن أبى جعفر - عليه السلام - قال : " ان الائمة اذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ، ولا يسألون البتة " . (٢)

فما بال أئمتكم يرغبون عن كتاب الله ، وعن سنة أبى القاسم - صلى الله عليه وسلم - ولكن أهل البيت برآء مما نسبتم اليهم .

---

(١) تفسير الفخر الرازى ١٥ / ٣٤ .

(٢) الكافى للكلينى ١ / ٣٩٧ .

وقد بين الرسول ـ صلى اللهعليه وسلم ـ أن عيسى ابن مريم بعد نزوله في آخر الزمان سيحكم بشريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) .[1]

ولو كان موسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل السلام ـ حيا بعد بعثة أبى القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما وسعه الاّ اتباعه ، فكيف وسع لمهد يكم أن يحكم بحكم داود وآل داود ، ويترك ملة سيد ولد آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس هذا المهدى الحق الذى بشر به الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ فان ذلك الذى بشر به سيحكم بالكتاب والسنة .

المثال السابع :

قال تعالى : " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم"[2].

قال الطبرسي :" واختلف فى الآية . فقيل : انها واردة فى أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقيل : هي عامة فى أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ابن عباس ، ومجاهد .

والمروى عن أهل البيت أنها فى المهدى من آل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ... " . الى أن قال :" ... فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات : النبي وأهل بيته ، وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكين فى البلاد ، وارتفاع الخوف عند قيام المهدى منهم ، ويكون المراد بقوله :" كما استخلف الذين من قبلهم ، هو أن جعل الصالح للخلافة خليفة ، مثل آدم وداود وسليمان ، ويدل على ذلك قوله :" انى جاعل فى الأرض خليفة"[3] " يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض "[4]. وقوله :" فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب

---

(١) انظر: صحيح مسلم ،كتاب الايمان ١ / ١٣٥ ، ـ ١٣٧ حـ ٢٤٣ ـ حـ ٢٤٧ .
(٢) سورة النور الآية ٥٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٣٠ .
(٤) سورة ص الآية ٢٦ .

والحكمـة وآتيناهم ملكا عظيمـا" . (١)

وعلى هذا اجماع العـترة الطاهرة ، واجماعهم حجة لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - :" انى تارك فيكم ثقلـين : كتاب الله وعترتى أهل بيـتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض" . (٢)

وأيضا فالتمكين فى الأرض على الاطلاق لم يتفق فيما مضى ، فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعـده . (٣)

قلت : القولان الأولان هما المشهوران فى تفسير الآية ، وأما القـول الثالث الذى نقله عسن الرافضة ، وهو أن الآية نزلت فى المهدى ، فهو مـن دسائسهم وأكاذيبهـم .

فالآية الكريمة نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أجل شكاية بعض أصحابه اليه لما كانوا فيه من الخوف الشديد وعدم الأمن والاستقـرار .

فقد روى الامام الطبرى عن الربيع ، عن أبى العالية : قوله :" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات " . قال :" مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - فى مكة عشر سنين خائفا يدعوا الى الله سرا وعلانية ، قال :" ثم أمر بالهجـرة الى المدينة ، قال :" فمكث بها هووأصحابه خائفون يصبحون فى السلاح ، ويمسون فيه . فقال رجل :" ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح . فقال : لاتغبرون الآ يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا فيه ليس عليه حديـدة" فأنزل الله هذه الآيـة " . (٤)

---

(١) سورة النسـاء الآيـة ٥٤ .

(٢) رواه الترمذى بلفظ قريب من هذا . وقال : حديث حسن غريب " . انظر: سننه ٥/٦٦٣ ح ٣٧٨٨ .

(٣) مجمـع البيـان ت ٤/١٥٢ .

(٤) تفسـير الطـبرى ١٨/١٦٠ .

فالآية نزلت فى الصحابة الكرام ، وهي عامة لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

قال القرطبي :" وهكذا كان الصحابة مستضعفين خائفين ، ثم أن الله أمنهم ومكنهم ، وملكهم ، فصح أن الآية عامة لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - غير مخصصة ، اذ التخصيص لا يكون الآ بخبر ممن يجب له التسليم ، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم . (١)

وقد وفى الله تعالى هذا الوعد لنبيه الشريف ولأصحابه الكرام .

فما التحق نبى الله - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى حتى فتحت مكة وخيبر ، والبحرين ، ودانت له سائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ، وهاداه هرقل ملك الروم ، وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس .

ثم لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واختار الله له ما عنده من الكرامة ، قام بالأمر بعده خليفته أبوبكر الصديق ، وقاتل من ارتد من العرب ، بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنصره الله عليهم ، حتى استتب أمر الاسلام فى جزيرة العرب مرة أخرى ، فلم شعث ما تفرق بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم بعث طلائع الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس والروم وتتابعت الانتصارات تلو الانتصارات .

ولما توفاه الله واختار له ما عنده من الكرامة ، منّ الله على الاسلام وأهله ، بأن ألهمّ الصديق استخلاف عمر الفاروق - رضي الله عنهما - فقام بالأمر بعده أتم قيام ، وتم فى أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها ، ودیار مصر الى آخرها ، وأكثر اقليم فارس ، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر الى أقصى مملكته ، ودون فى عصره الدواوين ومصرت الأمصار .

---

(١) تفسير القرطبى ١٢ / ٢٩٩ .

ولما تولى الخلافة ذو النورين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - امتدت المماليك الاسلامية الى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب الى أقصى ما هنالك : الأندلس وقبرص ، وبلاد القيروان ، ومن ناحية المشرق الى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى ، وباد ملكه بالكلية[1] .

وهكذا حقق الله الوعد لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا يزالون منصورين الى قيام الساعة ، ما داموا متمسكين بحبل الله ومهتدين على الصراط المستقيم .

اذا فالقول بأن الآية خاصة بمنتظر الرافضة قول باطل .

وقول الطبرسي : " فالتمكين في الأرض على الاطلاق لم يتفق فيما مضى" شطط من القول ولغو من الكلام .

وفحوى هذا الكلام أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام ، وسائر ملوك الاسلام ، لم يحصل لهم التمكين المطلق ، وأن الذي سيحظى بهذا التمكين مهديهم المزعوم ، صاحب السرداب ، وهو كلام ظاهر البطلان .

وقد جهر الخميني - زعيم الرافضة - بهذا الزعم ، حيث قال : " وحتى إن النبي - صلى الله عليه وآله - خاتم الأنبياء ، الذي جاء لاصلاح البشرية وتنفيذ العدالة لم ينجح في عهده ، وأن الشخص الذي سينجح في ذلك ، ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم هو الامام المهدي المنتظر "[2] .

---

(١) ملخصت من تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ٨٤ .

(٢) مجلة المجتمع ، العدد ٤٨٨ ، الصادر بتاريخ ٨ / ٧ / ١٩٨٠م ، نقلا عن كتاب: " الشيعة في التصور الاسلامي : لعلي عمر فريج ص ١٢٥ .

فكلام الخميني يوضح ويشرح كلام الطبرسي ، وهو أن المهـــــدى الموهـوم يتأتى له ما لم يتأت لنبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم - وهـــذا حط من مرتبتـه صلى الله عليه وسلم . بجانب الغلو في هذا المنتظـــــر الذي لم يخلق قط ، ولم ير له أثر ، ولم تحصل به منفعـة لأحبائه الذيـــن يؤمنون به ، ولم يتضرر به من كذبه وجحده . فتبا لهم ، ما أبعدهم عـــن الحق وأقربهـم الى الباطـــل .

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلـة عن موقف الطبرسي من الرجعـــــة وغيبـة المهدى المنتظر ، وقد اتضح لنا من خلال الأمثلة أنه رافضي بحـــت يؤمن بالرجعـــة ويدين بها كغيره من غلاة الاماميـــة .

* * * *

* * *

* *

*

الفصل الرابع
التقية

وفيها مبحثان :

المبحث الأول : التقية عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية .

المبحث الثاني : موقف الطبرسي من التقية .

المبحث الأول
التقية عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية

والتقية أحد مصادر اتَّقَى وتَقَى . قال صاحب القاموس : " واتقيت الشئ وتقيته اتّقيه وأتقيه : تُقىً وتَقِيّة وتِقَاءً ، ككساء : حذرته ، والاسم التقوى " .(١)

فمدلول هذه الكلمة فى اللغة : أخذ الحيطة والحذر مما قد يخاف الإنسان.

فأهل السنه يستعملون التقيه عند الضرورة القصوى، وهى إذا كان المسلم مع الكفار الغالبين، و يخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم بالنسان لقوله تعالى « إلا أن تتقوا منهم تقاه »، ولكن بشرط أن يضمر خلاف ما يقول، لقوله تعالى « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان »(٢) . فالتقية عند أهل السنة رخصة.

والأفضل فى أغلب الأحوال أن يترك المؤمن التقية ويصدع بالحق ، وأن لا يخاف فى الله لومة لائم ، كما كان شأن الرسل وسائر أولياء الله الصالحين .

فقد روى أبو داود ، والترمذى ، من حديث أبى سعيد الخدرى ، واللفظ لأبى داود . قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر " .(٣)

وقال تعالى حكاية عن هود ـ عليه السلام ـ : " قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم "(٤).

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادى ٤/٤٠٣ ، مادة وقى .

(٢) سورة النحل الآية ١٠٦

(٣) رواه أبو داود ٤/٥١٤ حـ ٤٣٤٤ .
ورواه الترمذى ، وقال : " هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه " .
انظر: سنن الترمذى ٤/٤٧١ حـ ٢١٧٤ .

(٤) سورة هود الآية ٥٦ .

وقال تعالى فى وصف الرسل :" الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الاّ الله " .(١)

فأولياء الله المخلصون يصدعون بالحق متوكلين على الله ، ولا يلجئون الى التقية والمداراة ، بل قولهم المتوارث أمام المحن والشدائد :" حسبنا الله ونعم الوكيل " .

" الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم الله ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " .(٢)

لكن هذه الكلمة أخذت عند الشيعة عموما ، والاثنى عشرية خصوصا مفهوما آخر ، فأصبح مفهومها المتبادر الى الذهن :" الكذب والنفاق ، والمداراة والخور والجبن والذل عند هؤلاء .

فلا يذكر اسم الشيعة الاّ ويتصور معه الكذب والنفاق الذى يطلقون عليه التقية ، تقديسا للكذب ، فما أصدق قول ابن تيمية - حينما وصف التقية ودعاتها - فقال :" بل هذه صفة الرافضة ، فشعارهم الذل وشعارهم النفاق ورأس مالهم الكذب والأيمان الفاجرة ، ان لم يقعوا فى الغلو والزندقة ، يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ويكذبون على جعفر الصادق أنه قال: " التقية دينى ودين آبائى" . وقد نزّه الله أهل البيت عن ذلك ، ولم يجوجهم اليه فكانوا من أصدق الناس وأعظمهم ايمانا ، فدينهم التقوى لا التقية " .(٣)

وعرفت الامامية التقية بأنها : كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ، ومكاتمة

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٣ .

(٣) المنتقى من مناهج الاعتدال لابن تيمية ، باختصار الذهبي ص ٦٨ ، ٦٩

المخالفين وترك مظاهرتهم مما يعقب ضررا فى الدين والدنيـــا ".[1]

مكانـــة التقيـــة عند الشيعـــة :

ومكانة التقية عندهم رفيعة ، وشأنها عظيم ،بل يعدونها أهم دعائم دينهم . فقد حثوا على الأخذ بها ورغبوا فيها ، وحذروا أتباعهم عن تركها فهي عندهم تسعة أعشـــار الدين .

فقد رووا عن أبى عبدالله أنه قال :" ان تسعة أعشار الدين فى التقية ولا دين لمن لا تقية لـــه ".[2]

ونعوذ بالله من دين تسعة أعشاره فى التقية والنفاق ، وعشره الآخـــر فى الشرك بالله من أجل غلوهم فى أئمتهـــم .

ومما يدل على حب الشيعة التقية وغرامهم بها كثرة النصوص الـــــــتى وضعوها لأجلها على لسان أهل بيـــت النبـــوة .

فقد روى الكلينى عن أبى جعفر أنه قال :" التقية من دينى ومن ديـــن آبائى ،ولا دين لمن تقية لـه ".[3]

وهذا كذب صرف على أبى جعفر ، فما كان دينه التقية والنفاق ،ولا كان دين آبائه ، بل كان دينهم التقوى لا التقية ، فقد كان بنو هاشم أشجـــع الناس وأقدمهم فى الحروب ، فلا عرف فيهم الجبن والخور والنفاق ، وكان صلى الله عليه وسلم ، مثلا للشجاعة حتى ان الصحابة ليتقون به حين حمى الوطيـــس،

---

(١) شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيـــد ص ٢٤١ (النسخة المطبوعة مـــع أوائل المقـــالات) .

(٢) الكافى فى الأصول للكلينى ، باب التقيـــة ٢/٢١٧ .

(٣) المصدر نفســـــه ٢/٢١٩ .

يدلك على ذلك صنيعه يوم حنين ، فقد كان بارزا للأعداء ، وقد انكشف عنه جلّ أصحابه ، يركب بغلته ويركض نحو العدو وهو يقول : " أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب " .(١)

وكان عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قويا شجاعا مبارزا للأبطال فقد كان صريحا جريئا لا يخاف في الله لومة لائم ، فمن أين لآبائه النفاق والجبن ، وقد رفض جده الحسين بن عليّ - رضي الله عنه - أن يستسلم لجيش عبد الله بن زياد ، فقاتل حتى استشهد .

ولم يقتصروا بالكذب على أئمتهم ، بل كذبوا على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فزعموا أنه رغب في التقية وعدها من أفضل الأعمال ، حتى ان الأنبياء نالوا الدرجات العلى لحسن استخدامهم التقية ، ففي التفسير المنسوب الى الحسن العسكري ، عن عليّ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " ان الأنبياء انما فضلهم الله على الخلق أجمعين لشدة مداراتهم لأعداء دين الله وحسن تقيتهم لأجل اخوانهم في الله ".(٢)

وزعموا أنه صلى الله عليه وسلم ، صلى على عبد الله بن أبيّ ، المنافق تقية ، وأنه لعنه ودعا عليه بأن يدخله الله النار.(٣)

ما أقبح الرافضة ، وما أقل ذوقهم واحساسهم ، وما أكثر جرأتهم على الكذب الفاضح .

أيصدق عاقل أنه استعمل التقية والمداراة بعد أن أعزه الله ونصره ؟ وما كانت وفاة ابن سلول الاّ بعد نزول سورة التوبة ، وهذا بعد الفتح

---

(١) انظر: صحيح مسلم ٣ / ١٤٠٠ حـ ١٧٧٦ .

(٢) تفسير الحسن العسكري على هامش تفسير القمي ص ١٢١ .

(٣) الكافي في الأصول ٣ / ١٨٨ .

بزمـــن . فكيف يستعمل التقية فى هذا الوقت الذى دانت له أكثر جزيـرة العرب ؟ .

وما أصدق قول ابن تيمية :" ولهذا رأس مال الرافضة التقية ، وهـو أن يظهر خلاف ما يبطن ، كما يفعل المنافق ، وقد كان المسلمون فـى أول الاسلام على غاية الضعف والقلة ، وهم يظهرون دينهم ولا يكتمونـه". (١)

وزعموا أيضا أن أمير المؤمنين ـ علي بن أبى طالب ـ رضي الله عنـه ـ كان يستعمل التقية ويحث عليها ويرغب فيها". (٢)

والشيعة مبتلون بفساد الذوق وبلادة الذهن ، فهم لا يحسنـون الوضع ، لأن من عرف سيرة عليّ ، يجزم جزما بأن هذا افتراء عليه ، وما كان مثل ذلك ليصدر عن الحيدرة .

فتقية الشيعة ـ كما قال موسى جار الله ـ :" روحها النفاق وثمرتها كفر اليهود :" قالوا سمعنا وعصينا". (٣)(٤)

فأهل البيت الأطهار بريئون براءة تامة من هذا الخلق المشين .

حقيقة التقية عند الشيعة الامامية : النفاق والخداع ، وليست لحفظ النفس والمال فقـط :

وتزعم الشيعة الامامية ، أنهم أخذوا التقية حفاظا على النفس والمـال والعرض ، وأنهم يقدّرونها بقدر الضرورة . وقالوا :" ان الذى ألجأهم الـى التمسك بها هو جور الملوك وتسلطهم على الشيعـة .

---

(١) منهاج السنة لابن تيميـة ٣ / ٢٥٩ .

(٢) انظر : تفسير الحسن العسكرى على هامش تفسير القمي ص ١٢٠ .

(٣) سورة البقـرة الآيـة ٩٣ .

(٤) الوشيعـة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص ٨٥ .

هكذا قرر بعض المعاصرين من الشيعة ، ولكن هذا تقية منهم وخداع، فهم لم يأخذوا من التقية القدر الضرورى فقط ،بل توسعوا فيها ، فصارت دينا لهم ، ودیدنا حتى جرت منهم مجرى الدم.

واسمع مقالة أحد علمائهم المعاصرين ، تحت عنوان "عقيدتنا فى التقية":

" روى عن صادق آل البيت ـ عليه السلام ـ فى الأثر الصحيح : " التقية دينى ودين آبائى ، ومن لا تقية له لا دين له ".

وكذلك هي ، لقد كانت شعارا لآل البيت ـ عليهم السلام ـ دفعا للضرر عنهم وعن أتباعهم ، وحقنا لدمائهم ،واستصلاحا لحال المسلمين ، وجمعا لكلمتهم ، ولمّا لشعثهم .

وما زالت سمة تعرف بها الامامية وعرفوا بها دون غيرها من الأمم والطوائف ... ولهذا السبب امتازوا بالتقية وعرفوا بها دون سواهم ". (١)

ثم قال ـ فى الرد على من عاب عليهم التقية ـ:" واذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند الى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية ، فاننا نقول له :" (أولا) : اننا متبعون لأئمتنا ـ عليهم السلام ـ ونحن نهتدى بهديهم ، وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة ، وهي عندهم من الدين ، وقد سمعت قول الصادق :" لا دين لمن لا تقية له "(٢)".

وقال فى مكان آخر: ان التقية من الآداب المفيدة اجتماعيا لهم".(٣) أى الشيعة .

فهذا الكلام يدل على توسعهم فى التقية ، ومما يدلك على أنهم ما

---

(١) عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٦ .

اكتفوا منها بالقدر الضرورى ، هذه النصوص الكثيرة التى ترغب فى التقيـــــة ، والتى تنص أنه لا تنـــال الدرجات الرفيعة الآبالتقيـة .

فيرووا عن جعفر الصادق ، أنه قال :" لا واللـــه ... ما على وجـــــه الأرض شئ أحب اليّ من التقية ، يا حبيب من كانت له تقية رفعه الله ، ومـــن لم يكن له تقية وضعه اللـــه" .(١)

يا للعجب . ما هذا الانتكاس أو الارتكاس ؟ ولماذا يبغون العوج فـى دين الله ؟ أم لهم أســوة سيئة بأخوتهم اليهود ؟ . وما هذا الافتراء السافر على آل البيـــت ؟ .

فمتى أصبح الكذب والنفاق سببا فى رفع الدرجات؟ ، بل هـو سبـــب الهبوط الى الدركات . قال عز من قائل :" ان المنافقين فى الدرك الأسفـل من النار ، ولن تجد لهم نصـيرا " .(٢)

ويقول تعالى :"أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا علـى صراط مستقـــيم" .(٣)

ومما يدلك دلالة واضحة على أن حقيقة التقية عندهم ،النفاق المحـــض، هذا النص الذى وضعوه على محمد بن عليّ بن الحسين ،المعروف بالباقـر .

فقد زعموا أنه قال :" خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانيـة" .(٤) أى : خالطوهم بالظاهر وخالفوهم بالباطن ، فهذا نص فى الأمر بالنفاق ، واظهـار ما يخالف الحقيقة ، وهذا هو عين النفاق الذى ذم الله فى كتابه ،وذمـــه رسوله فى سنته الشريفـــة .

---

(١) الكافى فى الأصـــول ٢/٢١٨ .
(٢) ســـورة النســـاء الآية ١٤٥ .
(٣) ســـورة الملـــك الآية ٢٢ .
(٤) الكافى للكليـــــنى ٢/٢٢٠ .

قال تعالى :" ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الاّ أنفسهم وما يشعرون ".(١)

وقال تعالى :" واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن ".(٢)

وقال تعالى :" اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ".(٣)

وفى الصحيح ، من حديث أبى هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :" ان من شر الناس ذا الوجهين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ".(٤)

وكذلك لم يحصل فى تاريخ الأمة ما يلجئ الرافضة الى سلوك مسلك التقية والنفاق ، فما كانوا يتعرضون للأذى بمجرد اعلانهم عن عقيدتهم ، اللهم اذا قاموا بثورات ضد الحكام القائمين .

قال موسى جار الله :" ولم يكن فى عصر من العصور قتل شيعى أو عقابه اذا أعلن وتجاهر بعقيدته ، ولم يكن البتة شئ من ذلك ، والشيعة تتقى فى طفائف الأمور ، تعمل أعمالا نفاقية ، وتضع أخبارا على وجه التقية ، ثم تجاهر بأسوأ الكبائر ، وتزعم أنها تتقى تقية بها تخادع العامة .(٥) والشيعة تستعمل التقية مع أهل السنة لا خوفا على أنفسهم من شرهم ، بل لحد يعتنقهم ولاعتقادهم بكفر أهل السنة .

حكم التقية عند الشيعة :

حكم التقية عندهم الوجوب ، ولا اعتداد بقول بعضهم أنها تخضع للأحكام

---

(١) سورة البقرة الآيتين ٨ ، ٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٣) سورة المنافقون الآية ١ .

(٤) صحيح مسلم ٤ / ٢٠١١ حـ ٢٥٢٦ .

(٥) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ص ٨٤ .

الخمسة ، فان هذا تقية منهم ، هروبا من العار الذى لحقهم من جـــــراء قولهم بالتقية النفاقية ، وكسبا للدهماء والعامة من أهل السنة كي يوقعوهـــم فى شراكهـــم .

فقد صرح أجل علمائهم بوجوبها على الاطـــلاق .

قال الشيخ حسين العصفورى البحراني : وهي ـ أى التقية ـ واجبـــة كما قال تعالى : الا أن تتقوا منهم تقـــاة " ، سواء كان الباعث عليها حفـــظ الأموال والنفوس ، أو العرض ، أو توقع الضرر ولو على اخوانـه ، وقد قســـم التقية الى الأحكام الخمســة .

والحق وجوبها بجميع أقسامها ، الاّ ما استثنى منها كشرب الخمـــر ، والمسح على الخفين ، والتقية حتى الجرح لاستفاضة الأخبار .(١)

ألا ترى أن هذا الشيخ يرجح وجوبها على الاطلاق ، حتى فى الجـرح الخفيـــف ؟

ويزعمون أن وجوب التقية يستمر حتى يخرج القائم ، فيقول القمـــى : " والتقية واجبة لا يجوز رفعها الى أن يخرج القائم ، فمن تركها قبـــل خروجه فقد خرج من دين الله ، وعن دين الأئمة ، وخالف الله ورسولـــه "(٢)

سبحان الله . الى متى تبقى الرافضة فى تَيّه النفاق والمداراة والتقية ؟

أيبقون فى هذا التيه الى خروج القائم ، وهولا يخرج لأنه معدوم أصلا ، اذا يبقون فى التيه الى أن يلقوا الله وهم على نفاقهم ان لم يتداركوا أنفسهـم بالتوبة الصادقة الى اللّه الغفور الرحيم .

---

(١) الأنوار الوضية فى العقائد الرضوية ص ١١٠ ، ١١١ .

(٢) الاعتقادات لمحمد بن علىّ بن الحسين بن بابويه القمى (فصل التقيـــة) نقلا عن كتاب الشيعة والسنة لاحسان الهى أظهر ص ١٥٧ .

أسباب انتشار التقية عند الشيعة :

اتخذت الرافضة التقية مبدأ أساسيا بنوا عليه حياتهم الخاصة والعامة ، وجعلوها ركنا من أركان دينهم ، وأصلا من أصول دينهم ، فأصبحت معيارا أساسيا يوزن به الأمور ، وترد اليها وتفسر على ضوءها الأحداث التاريخية والنصوص التى صدرت عن أئمتهم ، فهي أصل من أصول مذهبهم ، يرجع اليها فى حل المشكلات المعضلة التى قد تواجه الشيعة ، والتوفيق بين الأقوال المتعارضة التى يزعمون أنها صدرت من أئمتهم .

لذا انتشر فيهم القول بالتقية والأخذ بها لعدة أسباب نوجزها فيمايلى :

أولا :

التعارض بين عقائد الرافضة وبين عقيدة أهل البيت الكرام ، فمثلا : ان أهل البيت الكرام - رضي الله عنهم - وفى مقدمتهم عليّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - كانوا يحبون الصحابة عامة ، والشيخين خاصة ، وكان كثيرا ما يغدق الثناء عليهما ، وكان يرى أنهما أفضل هذه الأمة ، بعد نبيها - صلى الله عليه وسلم - .

فقد روى البخارى ، عن محمد بن الحنفية أنه قال : " قلت لأبى : أى الناس خير بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ . قال : أبوبكر ، قلت : ثم من ؟ قال : عمر . وخشيت أن يقول عثمان . فقلت : ثم أنت ؟ فقال : ما أنا الا رجل من المسلمين " . (١)

وكان عليّ - رضي الله عنه - معجبا بعمر بن الخطاب ، فصاهره فى ابنته ، وكان يتمنى أن يلقى الله بمثل عمله .

فقد ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عباس ، أنه قال : وضع عمر

---

(١) صحيح البخارى ، مع الفتح ٧ / ٢٠ حـ ٣٦٧١ .

على سريره فتكنفه الناس ، يدعون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم ، فلم يرعني الاّ رجل أخذ بمنكبي ، فاذا عليّ بن أبي طالب ، فترحم على عمر وقال : " ما خلفت أحدا أحب اليّ أن ألقى الله بمثل عمله ، وأيم الله ان كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت : أني كثيرا ماكنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم- يقول : " ذهبت أنا وأبوبكر وعمر ، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر ، وخرجت أنا وأبوبكر وعمر " . (١)

فلما رأت الرافضة هذه المحبة الصادقة من عليّ تجاه الشيخين وسائر الصحابة - رضي الله عنهم جميعا - وكانت الرافضة بنزعتهم اليهودية والمجوسية يكرهون الشيخين وسائر الصحابة ، لما كان كذلك ، حاولوا أن يجدوا حيلة يتخلصون بها من هذا المأزق ، فلم يجدوا مخرجا أنجع وأبلغ من التقية ، فزعموا أن سكوت عليّ عن خلافة الخلفاء الثلاثة ، كان تقية منه ، وأن مدحه اياهم كان تقية ، وأن تنازل الحسن - رضي الله عنه - لمعاوية ، كان تقية .

ثانيا :

ان الرافضة كانوا ينقلون عن أئمتهم أقوالا متعارضة متضاربة ، فلما اعترض عليهم ذلك ، وقيل لهم : كيف تصدر هذه الأقوال المتضاربة المتعارضة عن أئمتكم الذين تزعمون أنهم معصومون ، فما وجدوا جوابا الاّ أن قالوا : هذا وذاك صدر منهم على سبيل التقية .

وقد عاب عليهم ذلك سليمان بن جرير الزيدي ، حيث قال : " ان أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم ، لا يظهر أحد قط عليهم . :

أحدهما :

القول بالبداء ، فاذا أظهروا قولا أنه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ، ثم

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٧ / ٤١ حـ ٣٦٨٥ ، ومسلم ٤ / ١٨٥٨ حديث ١٨٥٩ .

لا يكون الأمر على ما أظهروه . قالوا : بدا لله تعالى فى ذلك .

والثانيـــــة :

التقية ، فكلما أرادوا تكلموا به ، فاذا قيل لهم فى ذلك : انه ليـــس بحق ، وظهر لهم البطلان . قالوا : انما قلناه تقية وفعلناه تقيـة .(١)

ثالثـــا :

كانت الرافضة دائما وأبدا تحيك المؤامرات والثورات ضد الحكومـــــات الاسلامية القائمة فى مختلف العصور ، ويتظاهرون بمحبة الحاكم القائم ، حتى اذا سنحت لهم الفرصة قاموا عليهم ، وظاهروا على المسلمين أعدائهـم .

فالتقية تمثل النظام السرى الذى تلجأ اليه الشيعة الرافضة فى حروبهم لخصومهم ، فاذا أراد الامام الخروج والثورة على الخليفة وضع نظاما وتدابـــير فأعلم أصحابه بذلك فكتموه ، فأظهروا الطاعة للحاكم القائم ، حتى تتم الخطط المرسومة ويحين الوقت الملائم فيعلنون الخروج ويحملون السلاح .(٢)

* * *

* *

*

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٦٠ .

(٢) انظر: ضحى الاسلام . لأحمد أمين ٣ / ٢٤٧ .

المبحث الثاني
موقف الطبرسي من التقية

قد عرفنا فى المبحث السابق ، موقف الشيعة الامامية من التقية ، وبينا أنهم لم يكتفوا منها بالقدر الضرورى ، بل توسعوا فيها وتجاوزوا فيها حدود العقل والشرع ، كما اتضح لنا أن حقيقة التقية عندهم النفاق والكذب .

والطبرسي لا يختلف عنهم ، فهو وان لم يكثر الكلام حول التقية ، كما فعل فى الامامة والعصمة والرجعة ، لكنه ذكرها فى عدة مواضع من تفسيره ، ونقل الأقوال الواردة فيها عن أئمته مما يدل على رضاه بها .

واليك الآن بعض أمثلة من تفسيره :

المثال الأول :

قال تعالى : " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ... "(١)

قال الطبرسى - عند تفسيره لهذه الآية - : " يكتم ايمانه فى صدره على وجه التقية . قال أبوعبدالله : " التقية دينى ودين آبائى ولا دين لمن لا تقية له " .(٢)

قلت : هذا المثال وحده يكفى للدلالة على موقفه من التقية ، فمؤمن آل فرعون وان كتم ايمانه ، فانه لم ينافق ولم يكذب كما ينافق الرافضة ويكذبون ، بل ان آثار الايمان بالله وبرسوله موسى - عليه السلام - ظهرت فى كلامه ، فقد انتصر لنبي الله موسى ودافع عنه ، ودعا قومه الى الايمان بالله وبرسوله واليوم الآخر .

فلا حجة لهم فى مؤمن آل فرعون ، لأنهم ينافقون ويظهرون خلاف ما

---

(١) سورة المؤمن الآية ٢٩ .

(٢) مجمع البيان ٤ / ٥٢١ .

يبطنون بأتفه الأسباب ، ثم يجاهرون بالمعاصي .

فان مؤمن آل فرعون - كما قال ابن تيمية - لم يكن موافقا للكفار على جميع دينهم ، ولا كان يكذب ، ولا يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، بل كان يكتم ايمانه .

وكتمان الدين شئ ، واظهار الدين الباطل شئ آخر ، فهذا لم يبحه الله قط ، الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر ، والله تعالى قد فرق بين المنافق والمكره ، والرافضة حالهم جنس حال المنافقين ، لا من جنس حال المكره ، الذى أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان . فان هذا الاكراه لا يكون عاما من جمهور بنى آدم ، بل المسلم يكون أسيرا فى بلاد الكفر ، ولا أحد يكرهه على كلمة الكفر ، ولا يقولها ، ولا يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، وقد يحتاج الى أن يلين لناس من الكفار ليظنوه منهم ، وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، بل يكتم ما فى قلبه .

وفرق بين الكذب والكتمان ، فكتمان ما فى النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله فى الاظهار ، كمؤمن آل فرعون ، وأما الذى يتكلم بالكفر فلا يعذره الا اذا أكره ، والمنافق الكذاب لا يعذر بحال ، ولكن فى المعاريض مندوحة عن الكذب .

ثم ذلك المؤمن الذى يكتم ايمانه يكون بين الكفار الذين لا يعلمون دينه وهو مع هذا مؤمن عندهم يحبونه ويكرمونه ، لأن الإيمان الذى فى قلبه يوجب أن يعاملهم بالصدق والأمانة ، والنصح ، وارادة الخير بهم ، وان لم يكن موافقا لهم على دينهم ، كما كان يوسف الصديق يسير فى أهل مصر وكانوا كفارا ، وكما كان مؤمن آل فرعون يكتم ايمانه ، ومع هذا كان يعظم موسى ويقول: " أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله " .

وأما الرافضى فلا يعاشر أحدا الا استعمل معه النفاق ، فان دينه

الذى فى قلبه دين فاسد يحمله على الكذب والخيانة ، وغش الناس ، وارادة السوء بهم ، فهو لا يألوهم خبالا ، ولا يترك شرا يقدر عليه الا فعله بهم ، وهو ممقوت عند من لا يعرفه ، وان لم يعلم أنه رافضى ، تظهر على وجهه سيما النفاق ، وفى لحن القول .

ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ، ومن لا حاجة به اليه ، لما فى قلبه من النفاق الذى يضعف قلبه ، والمؤمن معه غيرة الايمان ، فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

ثم هم يدّعون الايمان دون الناس ، والذلة فيهم أكثر منها فى سائر الطوائف من المسلمين ، وقد قال تعالى :" انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ".(١) وهم أبعد طوائف الاسلام عن النصرة وأولاهم بالخذلان ، فعلم أنهم أقرب طوائق أهل الاسلام الى النفاق وأبعدهم عن الايمان .

وآية ذلك أن المنافقين حقيقة ، الذين ليس فيهم ايمان ، من الملاحدة يميلون الى الرافضة ، والرافضة تميل اليهم أكثر من سائر الطوائق .

وقد قال صلى الله عليه وسلم :" الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ".(٢) وقال ابن مسعود :" اعتبروا الناس بأخدانهم".

فعلم أن بين أرواح الرافضة وأرواح المنافقين اتفاقا محضا ، قدرا مشتركا وتشابها ، وهذا لما فى الرافضة من النفاق .(٣)

وأما ما عزاه الى أبى عبد الله جعفر الصادق ، وهو قوله :" التقية دينى

---

(١) سورة المؤمن الآية ٥١ .

(٢) رواه مسلم . انظر: صحيح مسلم ٤/ ٢٠٣١ حـ ٢٦٣٨ .

(٣) منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣/ ٢٦٠ - ٢٦١ .

ودين آبائى ولا دين لمن لا تقية له ". فقد ذكرنا أن هذا افتراء عليه، وواقع الحال يكذبه ، فان بنى هاشم قد عرفوا بالشجاعة والشهامة والمروءة والنخوة والفتوّة . فقد كانوا أباة الضيم والذل ، وكان هذا حالهم فى جاهليتهم واسلامهم ، والناس معادن .

يدلك على ذلك ، عدم تسليمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى كفار قريش حتى قاطعوهم ودخلوا معه الشعب ، هم وبنو المطلب فأصابهم بذلك ما أصابهم من النصب والتعب ، ومع ذلك ما كان أكثرهم على دينه صلى الله عليه وسلم ، وانما فعلوا ذلك أنفة وعصبية .

وجده الحسين أصبح مثلا للبطولة والتضحية واباء النفس ، وذلك حينما رفض أن يستسلم لعبيد الله بن زياد ، فقاتل حتى استشهد ، فقد تمثل بموقفه مصعب بن الزبير فى حروبه ضد عبد الملك بن مروان ، حين خذله الناس الذين معه ، فجعل يتأمل من معه فلا يجد هم يقاومون أعداءه ، فعند ذلك استقتل وطمّن نفسه . وقال :" لى بالحسين بن علىّ أسوة حين امتنع من القائه يده ، ومن الذلة لعبيد الله بن زياد ، وجعل ينشد ويقول مسليا نفسه :

ان الأولى بالطف[1] من آل هاشم تأسوا فسفوا للكرام التأسيا[2]".

هكذا كان آباؤه رمزا للبطولة والنخوة ، فمن أين لهم التقية والنفاق ؟

المثال الثانى :

قال تعالى :" ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن[3] ...".

---

(١) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين ابن علىّ - رضي الله عنه - . معجم البلدان ٤ / ٣٦ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣١٨ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٥ .

قال الطبرسي : " وروى عن أبي عبد الله - عليه السلام - : " ان الحسنة التقية ، والسيئة الاذاعة ".[1]

قلت : هكذا دأب الرافضة ، يضعون منكرا من القول وزورا ثم ينسبونه الى أهل البيت ، فقد ابتلى أهل البيت بهؤلاء الأفاكين الآثمين .

وهذا الكلام ليس تفسيرا للآية ، بل هو من جنس رموز الباطنيين .

والطبرسي ساق هذا الكلام تحت تفسير هذه الآية ليبرهن على أن تقية الشيعة ، قد دل عليها القرآن ، فهو قاصد لتحريف معاني كتاب الله ، ولا يقال انه نقله فحسب ، وليس عليه التبعة ، بل عليه التبعة ، لأن المؤلف مسئول عن كل ما ينقل ، الاّ اذا ذكر القول ليبين زيفه وبطلانه ، أما اذا سكت عنه فان السكوت يدل على الرضا .

وهذا وحده يكفي لمعرفة مدى تعصبه لعقائد الرافضة ، والاّ فكيف ساغ له أن ينقل هذا الكلام الموضوع على أهل البيت تحت تفسير هذه الآية الشريفة ؟ فان مثل هذا الكلام لا يقبله الاّ من أعمى الله بصره وبصيرته ، وفقد ذوقه واحساسه .

وتفسير الآية - كما قال البغوى - : " ولا تستوى الحسنة ولا السيئة " يعني : الصبر والغضب ، والحلم والجهل ، والعفو والاساءة .

قال ابن عباس : " أمر بالصبر عند الغضب ، وبالحلم عند الجهل ، والعفو عند الاساءة ".[2]

هذا هو تفسير الآية الصحيح ، الذى يقتضيه السياق . فكيف يقال: ان الحسنة التقية ، والنفاق . وان السيئة الصراحة ، والصدق والشجاعة .

---

(١) مجمع البيان ٥ / ١٣ .

(٢) تفسير البغوى ٤ / ١١٥ .

وقد قال تعالى : " يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : " ان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا "[2] .

المثال الثالث :

قال تعالى : " واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين "[3] .

قال الطبرسي : " قال الجبائي : " وفى هذه الآية دلالة على بطلان قول الامامية فى جواز التقية على الأنبياء والأئمة ، وأن النسيان لا يجوز على الأئمة .

ثم قال الطبرسي - فى الرد عليه - : " وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لأن الامامية انما تجوّز التقية على الامام فيما يكون عليه دلالة قاطعة توصل الى العلم ، ويكون المكلف مزاح العلة فى تكليف ذلك ".

فأما ما لا يعرف الاّ بقول الامام من الأحكام ، ولا يكون دليل الاّ من جهته ، فلا يجوز عليه التقية "[4] .

قلت : والصحيح ما قاله الجبائى ، فان الرافضة - كما مر بنا - يجوّزون التقية فى كل شئ ، بأتفه الأسباب ، وبدون ضرورة تقتضى ذلك .

قال الأشعرى - رحمه الله تعالى - : " زعمت الروافض أنه جائز أن يظهر الامام الكفر والرضا به والفسق على طريق التقية ، وجوزوا ذلك على الرسول عليه السلام "[5] .

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٩ .
(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٠١٢ حـ ٢٦٠٧ .
(٣) سورة الأنعام الآية ٦٩ .
(٤) مجمع البيان ٢ / ٣١٧ .
(٥) مقالات الاسلاميين ٢ / ١٦٢ .

المثـــال الرابـــع :

قال تعالى :" لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الاّ أن تتقوا منهم تقاة ... الآية ". (١)

قال الطبرسي :" من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فليـــس من الله فى شئ ، أى : ليس هو من أولياء الله . وقيل : ليس هو من ولاية الله فى شئ . وقيل : ليس من دين الله فى شئ . ثم استثنى فقال :" الاّأن تتقوا منهـم تقـاة". والمعنى : الا أن يكون الكفار غالبين ، والمؤمنين مغلوبـــين ، فيخافهم المؤمن ان لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم ، فعند ذلـك يجوز له اظهار مودته بلسانه ، ومداراتهم تقية منهم ، ودفعا عن نفسه من غـير أن يعتقد ذلك .

وفى هذه الآية دلالة على أن التقية جائزة فى الدين عند الخوف علـى النفـس .

وقال أصحابنا :" انها جائزة فى الأحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت لضرب من اللطف والاستصلاح ، وليس تجوز من الأفعال فى قتل المؤمن(٢)، ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد فى الدين .

قال المفيد :" انها قد تجب أحيانا ، وتكون فرضا ، وتجوز أحيانـــا من غير وجوب ، وتكون فى وقت أفضل من تركها ، وقد يكون تركها أفضل ، وان كان فاعلها معذورا أو معفوا عنه ، متفضلا عليه بترك اللوم عليها .

وقال الشيخ أبوجعفر الطوسي :" وظاهر الروايات يدل على أنهـــا واجبة عند الخوف على النفس ، وقد روى رخصة فى جواز الافصاح بالحق عنده .

---

(١) ســـورة آل عمـران الآية ٢٨ .

(٢) يعني بالمؤمن الشيعي ، أما السني فمهدور دمه كافر حلال الدم والمال .

وروى الحسن :" أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال لأحدهما : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أفتشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم . ثم دعا بالآخر. فقال :" أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أفتشهد أنى رسول الله ؟ قال : انى أصم ... قالها ثلاثا ، كل ذلك يجيبه بمثل الأول فضرب عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقال : أما المقتول فمضى على صدقه ويقينه ، وأخذ بفضله فهنيئا له ، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه .

فعلى هذا تكون التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة .[1]

قلت : نرى الطبرسي فى هذه المواضع ، استطرد فى الكلام عن التقية ونقل أقوال أصحابه من الرافضة فيها ، ولم ينتقد عليهم هذه الأقوال مع أن فيها التوسع والتساهل فى التقية ، وذلك لأنه يؤمن بها ويعتقدها.

هذه هي التقية فى تصور الرافضة ، ومازالوا حتى الآن يمارسونها ، فلا تزال تطلع على تقية ونفاق وخداع منهم ، وقد جرب عليهم هذا الخلق مرارا فى خلال هذا العصر.

يقول الدكتور أحمد الأفغاني :"وشيعة هذا الزمان لم يتخلوا عن تقيتهم يوما واحدا ، فقبل ربع قرن تقريبا التقى وفد من الحركة الاسلامية بالعراق بوفد من زعماء الشيعة فيها لتسوية بعض القضايا ، بقصد تقريبهم الى ديننا الحنيف ، وقد وعدوا أن يغيروا كثيرا من عقائدهم وأفكارهم المدونة فى كتبهم ، الا أنه عند ما فض الاجتماع ، وخرج ممثلوا السنة من مكان الاجتماع ، تأخر أحدهم قدرا دون قصد منه ، فسمع بأذنه مقالة زعيم الشيعة الأكبر ، وهو

---

(١) مجمع البيان ١ / ٤٣٠ .

يشير الى أهل السنة الذين فارقوهم : هؤلاء أعداؤنا الحقيقيون وأول من نقاتل [1].

ويقول الدكتور مصطفى السباعي :" بدأ علماء الفريقين في الحاضر يستجيبون الى رغبة جماهير المسلمين في التقارب ، ودعوة مفكريهم الى التصافي وأخذ علماء السنة بالتقارب عمليا ، فاتجهوا الى دراسة فقه الشيعة ومقارنته بالمذاهب المعتبرة عند الجمهور ... ، ولكن الواقع أن أكثر علماء الشيعة لم يفعلوا شيئا عمليا حتى الآن ، وكل ما فعلوه جملة من المجاملة في الندوات والمجالس ، مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة ، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم ، بل ان بعضهم يفعل خلاف ما يقول في موضع التقريب . فبينما هو يتحمس في موضوع التقريب بين السنة والشيعة ، اذا هو يصدر الكتب المليئة بالطعن في حق الصحابة أو بعضهم. [2]

* * *

* *

*

---

(١) سراب في ايران للدكتور أحمد الأفغاني ص ٢٣ .

(٢) السنة ومكانتها للدكتور مصطفى السباعي ص ٨ - ١٠ .

الفصل الخامس

القول بتحريف القرآن

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الشيعة الامامية الاثنى عشرية والقول بتحريف القرآن .

المبحث الثاني : موقف الطبرسي من القول بتحريف القرآن .

المبحث الأول
الشيعة الامامية الاثنى عشرية والقول بتحريف القرآن

لقد أبعدت الشيعة النجعة ، ووسعوا الشقة بينهم وبين جمهور الأمة ، وذلك أنهم ما راعوا لجمهور المسلمين الاّ ولا ذمة . فقد انتهكوا حرمات الاسلام ،واستخفوا بمقدساته ، ونقضوا عراه عروة عروة ، ولم يكتفوا بالقول بالامامة واثبات العصمة للائمة، وتأويل النصوص تأويلا فاسدا ، بل وصل بهم الشقاق الى الطعن فى أقدس شئ عند المسلمين ألا وهو كتاب الله المنزل على خاتم الأنبياء ، ليكون معجزته الخالدة الى يوم القيامة .

وزعموا - بدون حياء ووجل - أن كتاب الله حرف وبدل وغير ونقص منه وعبثت به أيدى العابثين .

ادعوا تحريفه وقد تكفل الله تعالى بحفظه ، ولم يكل الى أحد حفظه قال عز من قائل : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "[1] . ويقول تعالى : " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "[2] .

ومعلوم من الدين بالضرورة أن الطعن فى كتاب الله ، كفر صريح يخرج من الملة .

زعمت الرافضة أن الصحابة ، وفى مقدمتهم الخلفاء غيّروا كتاب الله ، وبدّلوه وحذفوا منه كثيرا من الآيات والسور التى ذكر فيها فضل أهل البيت ، وولايتهم وفضائح أعدائهم[3] ، ويقصدون بالأعداء المهاجرين والأنصار .

وزعموا : أن ما بين دفتى المصحف الموجود ليس هو القرآن كله ، بل حذف منه كثير ، وأن القرآن الكامل ، كما أنزله الله عند أئمة أهل البيت .

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٣) يعنى بأعدائهم - الصحابة من المهاجرين والأنصار .

ولا يصدق مسلم ولا يقع فى خاطره أن فرقة تنتسب الى الاسلام تطعن فى القرآن وتشكك فيه ، ولكن ما ان يتصفح كتب الرافضة حتى يصاب بالدهشة والحيرة .

ولو أن مسلما أطلع على ما فى كتاب الكافى ، وتفسير القمي ، والأنوار النعمانية ، وفصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب ، من الطعن فى القرآن والصحابة ، لتملكته الحيرة ، ولملأ قلبه الحزن والأسف فى وقت واحد .

فمن أقدم كتب الامامية وأوثقها عندهم ، "كتاب الكافى لمحمد بن يعقوب الكلينى " محدثهم الكبير ، وقد أورد الكلينى فى كتابه هذا كثير من الروايات التى تهجم على القرآن هجوما سافرا ، وتتهم المصحف بالتحريف والنقصان .

فيروى الكلينى عن جابر الجعفى(*) قال : " سمعت أبا جعفر ـ عليه السلام ـ يقول : " ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله ، كما أنزل الاّ كذب ، وما جمعه وحفظه كما أنزل الاّ علي بن أبى طالب والأئمة بعده ". (١)

هكذا يقرر الكلينى بخارى القوم ، أو ليس هذا يعارض ما ثبت عن عليّ من أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يخصهم بشئ ليس عند المسلمين ، فان كان عند عليّ ـ رضي الله عنه ـ مصحف يغاير المصحف الموجود ـ كما يزعمون ـ فلماذا لم يخرجه فى خلافته ؟ .

وهناك رواية أخرى أشد صراحة من الأولى . فقد روى الكلينى أيضا عن أبى نصير قال : " دخلت على أبى جعفر ـ عليه السلام ـ ... " . الى أن قال: " ... قال أى ـ أبو جعفر ـ : " وان عندنا المصحف فاطمة عليها السلام ـ وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟ . قال : قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ". (٢)

---

(١) الكافي فى الأصول (كتاب الحجة) ١ / ٢٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(*) هو جابر بن يزيد الحارث الكوفى الجعفى ، أحد أقطاب الرفض كان من أكذب الناس ، ويؤمن بالرجعة ويشتم الصحابة رضى الله عنهم وعامله بما يستحقه . انظر ترجمته فى ميزان الاعتدال للذهبى ١ / ٣٧٩ ـ ٣٨٦

وليس بعد هذه الصراحة صراحة . وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب.

ويتمادى الكليني في غيّه وضلاله ، فيروى عن هشام بن سالم ،عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال :" ان القرآن الذى جاء به جبريل -عليه السلام- الى محمد -صلى الله عليه وسلم- سبعة عشر ألف آية". (١)

ومعلوم أن آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية على عد الكوفيين " . (٢)

فعند الرافضة أن أكثر من عشرة آلاف آية قد أُسقط من القرآن .

أفبعد هذا الضلال ضلال !؟ . كلا انه عين الضلال والخذلان .

ويضرب لنا الكليني أمثلة مما حذف من القرآن . فيروى في صحيحه الكافي عن أبي نصير عن أبي عبدالله في قول الله عز وجل :" ومن يطع الله ورسوله (في ولاية عليّ والأئمة بعده) فقد فاز فوزا عظيما " . هكذا أنزلت". (٣)

ألا ترى أن قولهم :" في ولايةعليّ " مقحم في الآية . وهذا يدل على فساد ذوقهم فان طاعة الله ورسولهأعم من أن تكون في ولاية عليّ .

والرافضة ليس همهم الاّ ترداد اسم عليّ ،فانهم يذكرون اسمه أكثر مما يذكرون اسم الله تبارك وتعالى ، واسم نبيه ،صلى الله عليه وسلم- .

والكليني لمينتقد هذه الروايات التي أوردها مما يدل على صحتها وثبوتها عنده ، كما أن أحد من الرافضة لم ينتقد على الكليني ، بل بالعكس يجلونه هو وكتابه ، ويغدقون الثناء عليه ، بينما هم ينتقدون صحيح البخاري ، حتى قال أحدهم :" وقد أخرج -أي البخاري- من الغرائب والعجائب

---

(١) الكافي في الأصول ٢/٦٣٤ .
(٢) انظر: مجمع البيان للطبرسي ٥/٤٠٦ .
(٣) الكافي في الأصول ١/٤١٤ .

والمناكير ما يليق بعقول مخرفى البربر وعجائز السودان ".[1]

قلت : ليس صحيح البخارى كما وصفتم ، ولكن ما فى الكافى من الأكاذيب والضلالات ، فابحثوا له عن عقول تستسيغه ! .

فان كان موقف بخاريهم من القرآن - كما عرفنا - فان موقف القمى ، وهو من أقدم مفسريهم وأشهرهم ليس أقل شأنا منه ، ففى هذا التفسير من التحريفات والأكاذيب ما تحار به العقول ، فهو يتهم القرآن بأن فيه ما هو خلاف ما أنزل الله ، وما هو محرف .

فيقول القمي : " وأما ما هو كان على خلاف ما أنزل الله ، فهو قوله : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر "[2] . فقال أبوعبدالله لقارئ هذه الآية : " خير أمة " يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين بن علي ؟ . فقيل له : " وكيف نزلت يا ابن رسول الله ؟ . فقال: انما نزلت : " كنتم خير أئمة أخرجت للناس " . ألا ترى مدح الله لهم فى آخر الآية : " تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله "[3] .

ويقول أيضا : " وأما هو محرف منه . فهو قوله : " لكن الله يشهد بما أنزل اليك (فى عليّ) أنزله بعلمه والملائكة يشهدون "[4][5] .

فانظر الى هذه الجرأة المتناهية على كتاب الله ، فهم يحرفونه حسب أهوائهم . وهذا دأبهم وديدنهم . ألا ترى أنه قد وضع فى الآية الأولى " أئمة " مكان " أمة " ، وأقحم فى الآية الثانية " فى عليّ " . أليس ذلك هو هو التحريف الذى ذم الله به اليهود والنصارى ؟ .

---

(١) تحت راية الحق لعبد الله السبيتى ص١٤٦ ، نقلا عن كتاب وجاء دور المجوس ص١٦٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٣) تفسير القمي ١/١٠ .
(٤) سورة النساء الآية ١٦٦ .
(٥) تفسير القمي ١/١٠ .

هذا شأن علماء الامامية تجاه كتاب الله ، فليس أحد من علمائهم المشهورين ، الاّ وشهد شهادة زور على أن القرآن حرّف وبدل ونقص منه .

ومن مشاهير علماء الامامية ، فخر الشيعة أبوعبد الله محمد بن محمد ابن النعمان ، الملقب بالشيخ المفيد ، المتوفى سنة ٤١٣ . وهذا الشيخ له مكانته عندهم ، وهو من جملة من رمى المصحف بالنقصان ، وزعم أن المصحف الكامل عند عليّ بن أبى طالب (رضي الله عنه) .

فيقول : " لا شك أن ما بين الدفتين من القرآن كلام الله تعالى وتنزيله ، وليس فيه شئ من كلام البشر ، وهو جمهور المنزل ، والباقى مما أنزل الله عند المستحفظ للشريعة وللأحكام لم يقع منه شئ ، وان كان الذى جمع ما بين الدفتين لم يجعله فى جملة ما جمع ، والأسباب دعته الى ذلك ، منها قصوره عن معرفة بعضه ، ومنها شكه فيه وعدم تيقنه ، ومنها ما تعمد اخراجه .

وقد جمع أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ القرآن المنزل من أوله الى آخره ، وألفه بحسب ما يجب من تأليفه ، فقدم المكى على المدني ، والمنسوخ على الناسخ ، ووضع كل شئ محله .

فلذلك قال مولانا الصادق ـ عليه السلام ـ : " لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه ، مسمون كما سمي من كان قبلنا . وقال عليه السلام : " نزل القرآن على أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع فى عدونا ، وربع قصص وأمثال ، وربع فرائض وأحكام ، فلنا أهل البيت فضائل القرآن " . (١)

وهناك أيضا علم سخيف من أعلام الامامية الاثنى عشرية ، ألا وهو السيد نعمة الله الجزائرى ، ولهذا الرجل مؤلف سماه : " الأنوار النعمانية " وكتابه على مستوى من السخف والانحطاط والهبوط ، ففيه من الأباطيل

---

(١) رسائل الشيخ المفيد ص ٥٩ .

والضلالات من الغلو في أهل البيت واطرائهم والنيل من الصحابة والطعن في المصحف ما تعجز عن وصفه الألسنة .

وقد سمى كتابه هذا الأنوار النعمانية ، وهو حرى بأن يسمى :"الظلمات النعمانية " ، هذا الرجل يصرح بملئ فمه بدون خجل وحياء بأن القرآن قد حرّف وبدّل وأن الأخبار التي تدل على هذا مستفيضة ، بل متواترة . فيقول - في معرض طعنه في القرآن السبعة - :" ان تسليم تواترها عن الوحي الالهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين ، يفضي الى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاما ، ومادة ، واعرابا ، مع أن أصحابنا - رضوان الله عليهم - قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها".(١)

ويقول نعمة الله أيضا :" انه قد استفاض في الاخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه الاّ أمير المؤمنين - عليه السلام - بوصية من النبي - صلى الله عليه وسلم - فبقي بعد موته ستة أشهر مشتغلا بجمعه ، فلما جمعه كما أنزل أتى به الى المتخلفين بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لهم :" هذا كتاب الله كما أنزل . فقال عمر بن الخطاب : لا حاجة بنا اليك ولا الى قرآنك ، عندنا قرآن كتبه عثمان . فقال لهم عليّ : لن تروه بعد هذا اليوم ولا يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدي ، وفي ذلك القرآن زيادة كثيرة ، وهو خال من التحريف".(٢)

ألا ترى كيف أساء الأدب مع كتاب الله ، ومع صحابة رسول الله ، حين أطلق عليهم " المتخلفين " ، وكيف يتهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتمان الوحي ، وأنه خصّ عليّا بشئ من الوحي .

---

(١) الأنوار النعمانية ٢/٣٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ٢/٣٦٠ .

وأشد من ذلك كله وأعظم ، أن أحد علمائهم ، وهو العلامة الشيعي حسين بن محمد تقى النورى الطبرسي ، قد ألف مؤلفا خصيصا لهذا الغرض وسمى كتابه : " فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب" . وعنوانه يغنيك عما تضمنه . فقد جمع فى هذا الكتاب أقوال الشيعة ومزاعمهم التى تنص على وقوع التحريف فى كتاب الله .

فقد نقل فيه عن نعمة الله الجزائرى : " ان الأخبار الدالة - على التحريف - تزيد على ألفي حديث ، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد ، والمحقق الدماد ، والمجلسى ، وغيرهم . بل الشيخ الطوسي أيضا صرح فى التبيان بكثرتها ، بل ادعى تواترها جماعة " . (١)

وهناك أيضا علم من أعلام الامامية المعاصرين ، وهو الخوئي ، صاحب تفسير البيان ، ومع أن هذا الرجل حاول أن يوهم القارئ بأنه يعتقد عدم زيادة القرآن ونقصانه ، الاّ أنه تناقض وصرح بوقوع التحريف فى القرآن الكريم . وذلك عن طريق طعنه فى القراءات . فيقول : " وبهذا الاستعراض قد استبان للقارئ وظهر له ظهورا تاما أن القراءات ليست متواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عن القراء أنفسهم ، من غير فرق بين السبع وغيرها ، ولو سلمنا تواترها عن القراء ، فهي ليست متواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فالقراءات اما أن تكون منقولة بالآحاد واما أن تكون باجتهاد من القراء أنفسهم " . (٢)

قلت : فالطعن فى القراءات المتواترة يستلزم الطعن فى القرآن ، لأن القرآن لا يخرج عن القراءات العشرة المتواترة .

---

(١) فصل الخطاب ص ٢٢٧ .

(٢) تفسير البيان للخوئي المدخل ص ١٧٩ .

ويقـول أيضا :" التحريف بالزيادة والنقيصة فى الآية والسورة مـــع التحفظ على القرآن المنزل ، والتسالم على قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - اياها ، والتحريف بهذا المعنى قد وقع فى القرآن قطعا ".(١)

هذا موقف القوم تجاه القرآن ، والذى ذكرنا غيض من فيض مما عنـــد القوم من هجوم على القرآن والنيل منـه ، ولا ننخدع بعد ذلك ببعض الرافضة الذين ينكرون اعتقاد الامامية بوقوع التحريف فى القرآن ، لأن المثبت مقدم على النافي ، فجـل علماء الامامية بـل كلهم يصرحون بوقوع التحريف فيه ، وأمـا من يزعم من الامامية بعدم وقوع التحريف فى القرآن ، فانهم قالوا ذلك تقيـة وهروبا من العار ولكسب الدهماء والعامـة .

* * *

* *

*

---

(١) تفسـير البيـان للخوئـى ص ٢١٧ .

المبحث الثاني
موقف الطبرسي من القول بتحريف القرآن

الطبرسي أحد أربعة من علماء الامامية الذين صرحوا بعدم زيادة القرآن ونقصانه وعدم تعرضه للتحريف والتبديل .

وأقدم هؤلاء الذين قالوا ذلك محمد بن عليّ بن بابويه القمي ـ المتوفى سنة ٣٨١ هـ ـ . فقد نقل عنه قوله :" اعتقادنا أن القرآن الذى أنزل الله على نبيه محمد ، هو ما بين الدفتين ، وهو ما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك ... " . الى أن قال :" ... ومن نسب الينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب " . (١)

ثم تبعه فى ذلك السيد المرتضى الملقب بعلم الهدى ، المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، فقد حكى عنه كل من الطوسى والطبرسي ، أنه كان يعتقد عدم زيادة القرآن ونقصانه ، ثم سلك مسلكهما أبوجعفر الطوسي الملقب ، بشيخ الطائفة ـ المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ـ فقد قال الطوسي :" وأما الكلام فى زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضا ، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه ، فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذى نصره المرتضى ، غير أنه رويت روايات كثيرة ، من جهة الخاصة والعامة ، بنقصان كثير من آى القرآن ، ونقل شئ من موضع الى موضع آخر ، طريقها الآحاد التى لا توجب علما ولا عملا . والأولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها " . (٢)

ورابعهم هو : أبوعلي الطبرسي ـ الذى نتكلم عنه ـ فقد قال فى مقدمة

---

(١) الاعتقاد لابن بابويه القمي ، بتاب الاعتقاد فى مبلغ القرآن ، نقلا عن الشيعة والسنة للأستاذ احسان الهى ظهير ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) تفسير التبيان للطوسي ١/ ٣ .

تفسيره :" فأما الزيادة فمجمع فيه على بطلانها ، وأما النقصان منه فقد رواه أصحابنا وقوم من حشوية العامة ، أن فى القرآن تغييرا ونقصانا . والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذى نصره المرتضي ". (١)

ولكن قول هؤلاء الأربعة أصبح غريبا عند علماء الامامية ، ولم يحظ بالقبول والترحيب ، لأنهم لا سلف لهم فى هذا ، وهم بدع فيه ، اذ لم يقله أحد من علمائهم قبلهم .

فقد صرح علماء الامامية بأنهم انفردوا بهذا المذهب ولا موافق لهم ، بل قال جمع من علمائهم : انهم ما قالوا هذه المقالة عن اعتقاد ، وانما قالوها تقية ومداراة ، ومماشاة المخالفين لأجل مصالح تترتب على ذلك ، وبين بعضهم أيضا أن هؤلاء الأربعة الذين قالوا بعدم تحريف القرآن رووا فى بعض مؤلفاتهم أخبارا كثيرة تدل على أن التحريف قد وقع فى القرآن .

وقد عرض تقى النورى مواقف الامامية من ذلك . فذكر أولا القائلين بتحريف القرآن ، ثم أردف المنكرين له . فقال :" الثاني : عدم وقوع التغيير والنقصان فيه ، وأن جميع ما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الموجود بأيدى الناس ، فيما بين الدفتين ، واليه ذهب الصدوق فى عقائده ، والسيد المرتضى ، وشيخ الطائفة (الطوسي) فى التبيان ، ولم يعرف من القدماء موافق لهم ... " . الى أن قال :" ... وممن صرح بهذا القول الشيخ أبوعلى الطبرسي فى مجمع البيان ... ، والى طبقته لم يعرف الخلاف صريحا الا من هذه المشائخ الأربعة". (٢)

وهذا نعمة الله الجزائرى يبيّن أن هؤلاء قالوا هذا القول مراعاة للمصالح فيقول :" نعم قد خالف فيها - أى فى القول بتحريف القرآن - المرتضى

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ١ / ١٥ .
(٢) فصل الخطاب للنورى ص ٣٣ - ٣٥ .

والصدوق والطبرسي ، وحكموا بأن ما بين دفتي هذا المصحف هو القـــرآن المنزل لا غير ، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديـل ..." . الى أن قال :" والظاهر أن هذا القول انما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها سد باب الطعن عليهـا بأنه اذا جاز في القرآن ، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه ، مع جواز لحـوق التحريف لها ... ، وهؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخبارا كثيرة تشتمل علـى وقوع تلك الأمور في القرآن ، وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيّرت الى هذا ".(١)

ويصرح تقي النوري الطبرسي بأن كتاب التبيان للطوسي وما ألف علـى نهجه كمجمع البيان للطبرسي قد ألف على طريقة التقية والمداراة .

فيقول :" ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيان أن طريقته على نهاية المداراة (التقية " والمماشاة مع المخالفين . فانك تراه اقتصر في تفسـير الآيات على نقل كلام الحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، وابن جريج ...".(٢)

والذي يهمنا من هؤلاء الأربعة الذين قالوا بعدم وقوع التحريف فـي القرآن ، هو أبوعليّ الطبرسي ، الذي نحن بصدد الكلام عنه .

وقد ظهر لنا من خلال بحثنا هذا أن الصحيح والمشهور ، بل المتواتر من مذهب الامامية ، هو القول بوقوع التحريف في القرآن ، وكل قول يخالـف ذلك فهو شاذ في المذهب ومبدع فيه .

اذًا فقول الطبرسي :" والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه " . غـير صحيح . فالصحيح من مذهب أصحابه وقوع التحريف ، وما حمله على ذلـك الا المنافحة عن أصحابه ليرفع عنهم التهمة والعار ، الذي لزمهم من أجـل قولهم ، ولكن أنى له الى ذلك سبيل ، وان أوثق الكتب عند الامامية لتعج بالقول بوقوع التحريف في القرآن .

---

(١) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ٢ / ٣٥٨ .

(٢) فصل الخطاب ص ٣٥ .

وإذ صرح الطبرسي فى مقدمة تفسيره بأنه لا يعتقد وقوع النقص والزيادة فى المصحف ، فاننا نأخذ عليه بمؤخذات لاتبرئ ساحته من هذه التهمة الخطيرة التى تلطخ بها جلّ أصحابه . وسنوجزها فيما يلى :

المأخذ الأول :

أول ما نأخذ على الطبرسي ، هو عدم قيامه بالرد على أصحابه الذين قالوا بوقوع التحريف فى القرآن الكريم ، فمما لا شك فيه أن الرجل علم ما عند القوم من المطاعن فى القرآن ، فهو قطعا قد اطلع على كتبهم الخبيثة التى تتهم القرآن بالنقصان والزيادة والتحريف ، مثل الكافي للكلينى وتفسير القمي وغيرهما من كتبهم .

فلم يكشف زيف ما فى هذه الكتب وعوارها ولم يتبرأ من أصحاب تلك الكتب ، ولم يحذر الأمة مما أودعوه فى كتبهم من الأكاذيب والضلالات ، وانما سكت عنهم ، بل قد يمدحهم ويكثر فى الثناء عليهم ، وينقل عنهم فى تفسيره .

اذا فسكوته عنهم وعدم قيامه بالرد عليهم وثناؤه عليهم فى أغلب الأحيان يدل على موافقته لهم فيما ذهبوا اليه .

المأخذ الثاني :

ان الطبرسي - وان صرح بعدم وقوع التحريف - الاّ أنه أثبت تحريفات الرافضة فى تفسيره ، اما على أنها قراءات لأهل البيت ، واما على سبيل التفسير والتأويل .

ونضرب لهذا بعض الأمثلة من تفسيره مع الموازنة بين تحريفات الرافضة وبين ما أثبته على سبيل القراءة أو التفسير :

تحريفات الرافضة التي أثبتها على أنها قراءات لأهل البيت :

أ) ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين"[1].

قال القمي :" وقالم العالم* - صلى الله عليه وسلم - :" نزل " وآل عمران وآل محمد على العالمين ". فأسقطوا آل محمد من الكتاب".[2]

وقال الطبرسي :" وفى قراءة أهل البيت :" وآل محمد على العالمين"[3].

وهذه ليست بقراءة ، بل من تحريفات الرافضة .

ب) قال تعالى :" والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما"[4].

قال القمي :" وقرئ عند أبى عبد الله :" والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما". فقال :" لقد سألوا الله عظيما أن يجعلهم للمتقين أئمة ! . فقيل له كيف هذا يا ابن رسول الله ؟ . قال :" انما أنزل الله :" والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين اماما".[5]

وقال الطبرسي :" وفى قراءة أهل البيت - عليهم السلام - واجعل لنا من المتقين اماما".[6]

جـ) قوله تعالى :" ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم"[7].

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٣ .
(٢) تفسير القمي ، لأبى الحسن على بن ابراهيم القمي ١ / ٣٥ .
(٣) مجمع البيان للطبرسي ١ / ٤٣٣ .
(٤) سورة الفرقان الآية ٧٤ .
(٥) تفسير القمي ٢ / ١١٧ .
(٦) مجمع البيان للطبرسي ٤ / ١٨٠ .
(٧) سورة التوبة الآية ٧٣ .

* يعنى بالعالم - جعفر الصادق

قال القمي : " انما نزلت : " يأيها النبي جاهد الكفار بالمنافقين " ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يجاهد المنافقين بالسيف " . (١)

وقال الطبرسي : " وروى في قراءة أهل البيت : " جاهد الكفار بالمنافقين " . قالوا : لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقاتل المنافقين ، وانما كان يتألفهم " . (٢)

قلت : " وفي هذه القراءة المكذوبة معنى خطير لا يتنبه له الا من عرف اصطلاحات الرافضة . فان الرافضة يقصدون بالمنافقين أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المهاجرين والأنصار .

فمعنى الآية عندهم على قراءتهم المكذوبة : جاهد الكفار بالمنافقين أي : بأصحابك ، فقاتلهم الله أنى يصرفون .

والطبرسي ليس جاهلا بهذا المعنى الخطير ، ولكنه عن قصد نقل هذا التحريف على أنه قراءة .

د) قوله تعالى : " في سدر مخضود وطلح منضود " . (٣)

قال الطبرسي : " وروى أصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال : " قلت لأبي عبد الله - عليه السلام - " وطلح منضود " قال : لا بل " وطلع منضود " . (٤)

وهذه ليست قراءة ، بل من جنس تحريفات الرافضة .

هـ) قوله تعالى : " فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة " . (٥)

روى الكافي عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال : " انما نزلت " فما

---

(١) تفسير القمي ١ / ٣٠١ .
(٢) مجمع البيان ٣ / ٥٠ .
(٣) سورة الواقعة الآيتين ٢٨ ، ٢٩ .
(٤) مجمع البيان ٥ / ٢١٨ .
(٥) سورة النساء الآية ٢٤ .

استمتعتم به منهنّ " الى أجل مسمى " فأتوهنّ أجورهنّ ".[١]

وقال الطبرسي :" وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم أبيّ بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، أنهم قرأوا :" فما استمتعتم به منهنّ " الى أجل مسمى" فأتوهنّ أجورهنّ ".[٢]

وقد بنى الطبرسي على هذه القراءة التى لا تثبت ، جواز المتعة ، كما سيأتى فى بابه ان شاء الله تعالى .

كل هذه التحريفات التى مثلنا بها أثبتها الطبرسي فى تفسيره على أنها قراءات ، وهذا يدل على أنه يرى كأشياعه من الرافضة وقوع التحريف فى القرآن .

بعض أمثلة من تحريفات الرافضة التى أثبتها الطبرسي على سبيل التفسير والتأويل :

أ) قوله تعالى :" وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس".[٣]

قال القمي :" انما نزلت :" وكذلك جعلناكم أئمة وسطا".[٤]

فهم غيروا كلمة " أمة " ووضعوا مكانها كلمة " أئمة".

وقال الطبرسي - فى تفسير الآية - :" وروى يزيد بن معاوية العجلى عن الباقر - عليه السلام - نحن الأمة الوسط ، ونحن شهداء الله على خلقه وحجته فى أرضه ... " .

وروى الحاكم أبوالقاسم الحسكاني فى كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، عن سليم بن قيس الهلالي عن علي - عليه السلام - ان الله

---

(١) الكافي للكلينى ٥ / ٤٤٩ .

(٢) مجمع البيان ٢ / ٣٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٤) تفسير القمى ١ / ١٢٩ .

تعالى ايانا عنيّ بقوله :" لتكونوا شهداء على الناس". فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه ،وحجته فى أرضه ، ونحن الذين قال الله فيهم :" وكذلك جعلناكم أمة وسطا". (١)

ألا ترى أنه أثبت المعنى الذى تقتضيه قراءتهم المحرّفة ،والرافضة مبتلون بالحسد ، فهم يحاولون أن يجردوا الأمة المحمدية من كل فضيلة .

ب) قوله تعالى :" ياءيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم". (٢)

روى الكافي عن أبى جعفر ـ عليه السلام ـ قال : نزل جبريل ـ عليه السلام ـ بهذه الآية هكذا :" ياءيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم " فى ولاية علي " فآمنوا خير لكم وان تكفروا " بولاية علىّ " فان لله ما فى السموات والأرض ". (٣)

وقال الطبرسي فى تفسيرها :" بالحق " أى : بالدين الذى ارتضاه لعباده . وقيل : بولاية من أمر الله تعالى بولايته . عن أبى جعفر". (٤)

فانظر الى مدى التوافق بينه وبين الكلينى ، فالكلينى يروى عن أبى جعفر أن الآية هكذا نزلت بزيادة " ولاية علي" . والطبرسي يروى هذا التفسير الذى يطابق ما رواه الكليني عن أبى جعفر نفسه .

جـ) قوله تعالى :" أن تكون أمة هي أربى من أمة " . (٥)

---

(١) مجمع البيان ١ / ٢٢٤ .
(٢) سورة النساء الآية ١٧٠ .
(٣) كتاب الحجة من الكافى ١ / ٤٢٤ .
(٤) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٤٣ .
(٥) سورة النحل الآية ٩٣ .

قال القمي : " قال أبوجعفر بن محمد - عليهما السلام - : " أن تكون أئمة هي أزكي من أئمتكم " . فقيل : يا ابن رسول الله : نحن نقرؤها : " هي أربى من أمة " . قال : " ويحك ، ما أربى ؟ وأومأ بيده بطرحها " . (١)

وقال الطبرسي : " وروى عن أبي عبد الله - عليه السلام - أنه قال : نزلت هذه الآيات في ولاية عليّ ، وما كان من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلموا على عليّ بامرة المؤمنين " . (٢)

وهذا كذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يأمر تسليم الامرة الى عليّ - رضي الله عنه - والآية لا تتكلم عن تسليم الامرة ، وانما تحث الناس على وفاء العهود .

د) قوله تعالى : " سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع " . (٣)

روى عن أبي نصير ، عن أبي عبد الله - عليه السلام - في قوله تعالى : " سأل سائل بعذاب واقع للكافرين " بولاية علي " ليس له دافع . ثم قال : " هكذا والله نزل بها جبريل - عليه السلام - على محمد - صلى الله عليه وسلم " . (٤)

وروى الطبرسي بسنده عن جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه - عليهم السلام - : " لما نصّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم عليّا - عليه السلام - يوم غدير خم . وقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه ، طار ذلك في البلاد ، فقدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - النعمان بن الحرث الفهري . فقال : " أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ، وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة ،

---

(١) تفسير القمي ١ / ٣٨٩ .
(٢) مجمع البيان ٣ / ٣٨٣ .
(٣) سورة المعراج الآيتين ١ ، ٢ .
(٤) كتاب الحجة من الكافي ١ / ٤٢٢ .

فقبلناها ، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام . فقلت : " من كنت مولاه فعليّ مولاه . فهذا شئ منك أم أمر من عند الله . فقال :" والله الذى لا اله الاّ هو ان هذا من الله ، فولى النعمان بن الحرث وهو يقول :" اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله . وأنزل الله تعالى :" سأل سائل بعذاب واقع". (١)

ألا ترى التشابه التام بين القراءة الموضوعة وبين ما ساقه الطبرسي فى سبب نزول الآية ، وكلاهما من أكاذيبهم وافتراءاتهم على أهل البيت.

وهذه القصة التى رواها الطبرسي ،يظهرفيها سيما الوضع ،لأن يوم غد يرخم كان بعد حجة الوداع بأيام ،والسورة نزلت فى مكة باتفاق المفسرين .

هـ) قوله تعالى :" ياءيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا". (٢)

رووا عن جابر الجعفي عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ:" ياءيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم " فى علي" نورا مبينا ". (٣)

وقال الطبرسي :" وأنزلنا اليكم نورا مبينا " يبين لكم الحجة الواضحة ويهديكم الى ما فيه النجاة لكم من عذابه وأليم عقابه . وذلك النور هو القرآن ، عن مجاهد ، وقتادة ، والسدى .

وقيل :" النور ولاية عليّ ـ عليه السلام ـ عن أبى عبد الله . (٤)

---

(١) مجمع البيان ٥/٣٥٢ .

(٢) سورة النساء الآية ١٧٤ .

(٣) فصل الخطاب ص٢٨٠.

(٤) مجمع البيان ٢/١٤٧ .

و) قوله تعالى : " وكفى الله المؤمنين القتال " . (١)

رووا عن أبى عبد الله أنه كان يقرأ هذه الآية هكذا : " وكفى الله المؤمنين القتال " بعلي بن أبى طالب " . (٢)

وقال الطبرسي - فى تفسير الآية - : " وكفى المؤمنين القتال " أى : مباشرة القتال بما أنزل الله على المشركين من الريح الشديدة ... ، وبما أرسل من الملائكة ، وبما قذف فى قلوبهم الرعب ، وقيل بعلي بن أبى طالب " . (٣)

فالطبرسي - كما ترى - يتحرى اثبات تحريفات الرافضة ، ونقلها فى تفسيره ، اما على أنها قراءات لأهل البيت ، واما على سبيل التفسير والتأويل ، فهو بذلك قد استوفى المقصود من تحريفات الرافضة ، فلم يحتج الى التصريح بوقوع التحريف فى القرآن .

ولأجل ذلك لا نستطيع أن نبرئ الطبرسي من الاعتقاد بوقوع التحريف فى القرآن ، ولا ننخدع بكلامه المدسس الذى قاله تقية ومداراة ، كما شهد عليه بعض أصحابه من الامامية .

* * *

* *

*

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

(٢) فصل الخطاب ص ٢٨٠ .

(٣) مجمع البيان ٤ / ٣٥٠ .

الفصل السادس
الطعن في الصحابة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الصحابة عند أهل السنة .

المبحث الثاني : الشيعة الامامية والطعن في الصحابة .

المبحث الثالث : موقف الطبرسي من الطعن في الصحابة .

المبحث الأول
الصحابة عند أهل السنة

للصحابة الكرام - رضي الله عنهم - منزلة عظيمة ومكانة سامية عند الله عز وجل ، وعند رسوله - صلى الله عليه وسلم - وعند المؤمنين ، وذلك لما بذلوه فى اقامة دين الله ونصرة الله ورسوله .

فقد جاهدوا فى اعلاء كلمة الله وبذلوا أرواحهم وأموالهم فى سبيل الله صابرين محتسبين ، لا يخافون فى الله لومة لائم ، حصل منهم هذا الجهاد فى أحلك الأوقات ، وفى أصعب الظروف التى كان الدين فى أمس الحاجة الى النصرة .

وجيل الصحابة الكرام ، جيل متميز فريد عجزت الأمهات أن تلدن مثلهم فهم أفضل أولياء الله - بعد الأنبياء والمرسلين - ، ولم تقم أمة فى التاريخ بمثل ما قاموا به من النصرة لدين الله واعلاء كلمته .

ولم تصاحب أمة نبيهم بمثل ما صاحبوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الاخلاص والحب والتقدير والاحترام والطاعة له والدفاع عنه .

فما آذوه كما آذت بنواسرائيل أنبياءهم ، ولم يتخلفوا عن نصرته وطاعته كما فعلت بنو اسرائيل بموسى ، حيث قالوا له : " فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هنا قاعدون "[1] . وانما قال الصحابة لنبيهم : " اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون " . وقالوا : والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا وانا لصُبُر فى الحرب صُدُق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله" .[2]

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٤ .

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١ / ٦١٥ .

لذا امتدحهم الله سبحانه فى كتابه العزيز فى كثير من الآيـــات.

قال تعالى :" والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصاروالذيـــــن اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظـــيم ". (١)

وقال عز من قائل :" للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهـــــم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فـــى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يـــوق شح نفسه فأولئك هم المفلحـــون ". (٢)

وقال تعالى :" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمـــاء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههـــــم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئـــــه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار". (٣)

وذكر سبحانه أن صفة المؤمنين الذين يأتون بعد الصحابة هي حبهـــم اياهم واستغفارهم لهم وعدم حصول الغل منهم للصحابـة.

فقال عز من قائل :" والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنـــــا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحـــــيم". (٤)

---

(١) ســـورة التوبـــة الآيـــة ١٠٠ .

(٢) ســـورة الحشـــر الآيتين ٨ ، ٩ .

(٣) ســـورة الفتـــح الآيـــة ٢٩ .

(٤) ســـورة الحشـــر الآيـــة ١٠ .

واستنبط الامام مالك - رحمه الله - من هذه الآية : " أن الرافضي الذى يسبّ الصحابة ليس له فى مال الفئ نصيب ، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء فى قولهم : " ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم" . (١)

وقول مالك . هو عين الفقه .

وقال فى صاحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الغار وهو أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - " الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ... " . (٢)

وكذلك أثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الصحابة ثناء عظيما ونوه بفضلهم ومرتبتهم عند الله ، فعم الثناء عليهم ، وخص ببعضهم .

ففى الصحيحين ، من حديث أبى سعيد الخدرى ، واللفظ لمسلم قال : " كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شئ ، فسبه خالد . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تسبوا أصحابي ، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" . (٣)

وفى الصحيحين أيضا ، من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" . (٤)

وفى صحيح مسلم ، من حديث أبى بردة عن أبيه أبى موسى الأشعرى

---

(١) تفسير ابن كثير ٨ / ٩٩ (طبعة كتاب الشعب) .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(٣) صحيح البخارى ، مع الفتح ٧ / ٢١ حـ ٣٦٧٣ . ومسلم ٤/ ١٩٦٧-١٩٦٨ حـ ٢٥٤١ .

(٤) صحيح البخارى ، مع الفتح ٧ / ٣ حـ ٣٦٥١ . ومسلم ٤ / ١٩٦٣ حـ ٢٥٣٣ .

- رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " النجوم أمنة للسماء ، فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابى ، فاذا ذهبت ، أتى أصحابى ما يوعدون ، وأصحابى أمنة لأمتى ، فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون ". (١)

وقال صلى الله عليه وسلم - فى أبى بكر الصديق رضي الله عنه -: " لوكنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ، ولكن أخى وصاحبى ". (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم فى عمر الفاروق - رضي الله عنه - : " والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الاّ سلك فجا غير فجك ". (٣)

وقال فى عثمان - ذى النورين رضي الله عنه -: " ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة ". (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم - فى علىّ أبى السبطين - رضي الله عنه -: "أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، الاّ أنه لا نبى بعدى". (٥)

وقال فى أبى عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه -: " ان لكل أمة أمينا وأن أميننا أيتها الأمة أبوعبيدة بن الجراح ". (٦)

وقال فى أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنهما -: " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ". (٧)

---

(١) صحيح مسلم ، ٤/١٩٦١ حـ ٢٥٣١ .
(٢) صحيح البخارى ، مع الفتح ٧/١٧ حـ ٣٦٥٦ .
(٣) صحيح البخارى مع الفتح ٧/٤١ حـ ٣٦٨٣ ، ومسلم ٤/١٨٦٤ حـ ٢٣٩٦ .
(٤) صحيح مسلم ، ٤/١٨٦٦ .
(٥) صحيح مسلم ، ٤/١٨٧٠ حـ ٢٤٠٤ .
(٦) صحيح البخارى مع الفتح ٧/٩٣ حـ ٣٧٤٤ . ومسلم ٤/١٨٨١ حـ ٢٤١٩ .
(٧) صحيح البخارى مع الفتح ٧/١٠٦ حـ ٣٧٦٨ . ومسلم ٤/١٨٩٥ حـ ٢٤٤٦ .

وقال فى فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضي الله عنها ـ: " ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة"[1].

وغير ذلك من المناقب التى وردت فى أشخاص كثيرة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وامتثالا لكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فان أهل السنة يحبون أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعترفون لهم بما قاموا به من نصرة دين الله واعلاء كلمته ، ويقدّرونهم ويذكرون بهم الجميل اللائق بهم ، ويترحمون عليهم ويستغفرون لهم ، ولا يطلقون ألسنتهم عليهم ، ويمسكون عما شجر بينهم .

ويرون أن حبهم دين وايمان واحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وزندقة ، اذ لا يحبهم الاّ مؤمن تقى ، ولا يبغضهم الاّ فاجر شقي .

وأهل السنة لا يغلون فى محبتهم للصحابة ، ولا يجفونهم ، فهم وسط بين النواصب الذين يعادون بعض الصحابة وبين الروافض الذين يبالغون فى حب بعضهم حتى رفعوهم فوق منزلة البشر ، ويجفون بعضهم حتى كفروهم وفسقوهم .

ومما يدل على عظم مكانة الصحابة عند أهل السنة ، أنهم يدرسون شأنهم ويتكلمون عنهم فى كتب العقيدة وأصول الدين .

وهذا هو الامام الطحاوى ـ رحمه الله تعالى ـ يقرر مذهب السنة فى الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ فيقول : " ونحب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا نفرط فى حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض

---

(١) صحيح مسلم ، ٤ / ١٩٠٦ حـ ٢٤٥٠ .

من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم الآبخير ، وحبهم دين وايمان واحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ". (١)

ويقول أبوزرعة الرازى :" اذا رأيت الرجل ينتقض أحدا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندنا حق ، والقرآن حق ، وانما أدى الينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة ". (٢)

وأحسن بمقالة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فى الصحابة الكرام : " أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرّها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، واقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوا فى آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم ". (٣)

هذا هو موقف أهل السنة من الصحابة ، وهو موقف نبيل نزيه ، لا افراط فيه ولا تفريط ، لا بخس فيه ولا رهق .

* * *

* *

*

---

(١) عقيدة الطحاوية مع شرحها ص ٥٢٨ . بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى .

(٢) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص ٩٧ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٢ .

المبحث الثاني
الشيعة الامامية والطعن في الصحابة

ان الاحترام والتقدير والحب الذى يوليه أهل السنة ، الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - يوازيه قذائف من اللعن والشتائم من الشيعة على الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - .

والواقع أن الشيعة ظلموا الصحابة أيما ظلم ، فقد نالوا من كرامتهم وهضموا حقوقهم وأنكروا فضلهم وأطلقوا فيهم ألسنتهم فسلقوهم بها ، ففسقوهم وكفروهم .

واستخدموا فى سبهم أسخف الأساليب وأردئ العبارات وأهبطها .

شتموهم بأسلوب منحط يستنكف عن مثله السفلة والسوقة وسقط الناس.

فكأنهم لا يمتون الى هؤلاء الأخيار بصلة البتة ، ولا يجمعهم دين واحد، وحتى الأمم الكافرة من اليهود والنصارى ، ما نالوا من الصحابة مثل ما نال الرافضة منهم .

وليس هناك أهل ملة الا ويعظمون أسلافهم - ما عدا الرافضة - فانهم يطعنون فى سلف الأمة ، ويلصقون بهم أبشع الجرائم وأعظمها .

ولذلك قال العلماء :" فضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين سئلت اليهود من هو خير أهل ملتكم ؟ . قالوا :" أصحاب موسى ". وسئلت النصارى من هو خير أهل ملتكم ؟ . فقالوا : حوارى عيسى . وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب محمد ".(١)

فالرافضة لم يتوسطوا فى شأن الصحابة كما توسط أهل السنة ، فبينما هم يطعنون فى كبار الصحابة ،فانهم يغلون فى بعضهم وفى من لم يكن من

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١/٦ .

الصحابـــة ، فهم قد وقعوا فى الافراط والتفريط معا ، وكلا طرفى القصد ذميم.

ومن أبشع الجرائم وأغلظها التى رمى الرافضة بالصحابة ، هو الارتـــداد عن الدين . فقد زعموا بدون حياء ووجل ، أن الصحابة ارتدوا عن الاســلام بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم .

فهذا هو الكشى أحد صناديد الرافضة يروى بسنده عن أبى بكـــــر الحضرمي . قال :" قال أبوجعفر: ارتد الناس الاّ ثلاثة نفر : سلمان وأبـــو ذر والمقداد . قال : قلت : فعمار؟ قال : قد جاض جيضة ثم رجع"(١). أى : زاغ وعـــدل ، ثم رجع الى الصواب على حد زعمهم .

ويقول نعمة الله الجزائرى :" فان أغلب الصحابة كانوا على النفاق ، لكن كانت نار نفاقهم كامنة فى زمنه - أى زمن النبي - صلى الله عليه وسلم -) . فلما انتقل الى جوار ربه ، برزت نار نفاقهم لوصيهم ، ورجعوا القهقـرى . لـــذا قال صلى الله عليه وسلم - يعنى أباجعفر - :" ارتد الناس كلهم بعد النـــبي - صلى الله عليه وسلم - الاّ أربعة ، سلمان ، وأبوذر ، والمقداد ، وعمار"(٢).

ويتهمون الصحابة - رضي الله عنهم - بأنهم قاموا بتحريف القرآن وحذفوا ما فيه من مدائح آل الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول نعمة الله الجزائرى :" ولا تعجب من كثرة الأخبار الموضوعـــــة - يعنى المتعلقة بفضائل الصحابة - فانهم بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غيروا وبدلوا فى الدين ما هو أعظم من هذا ، كتغييرهم القرآن ، وحـــذف ما فيه من مدائح آل الرسول - صلى الله عليه وسلم - والأئمة الطاهرين ، وفضائح المنافقين ، واظهار مساويهـــم "(٣).

---

(١) رجال الكـــش ص ١١ .

(٢) الأنوار النعمانية ١ / ٨١ .

(٣) المصدر نفســـه ١ / ٩٧ .

فانظر الى أى مدى وصلت أحقادهم وأضغانهم على الصحابة ، حتى حَرَمُوهم نعمة الايمان لو كان الأمر بيدهم .

وهذا يدل على الخبث الذى فى قلوبهم ، ومن أعظم خبث القلوب أن يكون فى قلب العبد غل لخيار المؤمنين ، وسادات أولياء الله بعد النبيين .

وأبغض الصحابة الى الرافضة أقواهم دينا وايمانا ، وأعظمهم نفعا للاسلام وأهله ، وأشدهم نكاية لأعداء الله ورسوله ، وأرسخهم علما . فكلما عظم قدر الصحابي وعلا شأنه ، كلما غاظهم أكثر ، وهذا يدل على أن الرافضة أعداء الله ورسوله ، لأن الله تعالى أخبر فى كتابه أنه يغيظ بالصحابة الكفار ، فقال : " ليغيظ بهم الكفار " . فمن غاظهم الصحابة فليتهم نفسه .

ولما كان الشيخان الخيّران أبوبكر وعمر - رضي الله عنهما - أعظم الناس نفعا للاسلام وأهله بعد نبى الأمة صلى الله عليه وسلم ، وأشدهم نكاية لأعداء الاسلام ، وأرسخهم علما بالكتاب والسنة ، لما كانا كذلك بغضتهما الرافضة أشد البغضاء ، حتى بدت من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر .

وقد تفننوا فى اختيار الألفاظ البذيئة التى يطلقون عليهما ، فأطلقوا عليهما : " الجبت ، والطاغوت ، وصنمي قريش ، والشيطانين ، وغير ذلك مما هما بريئان منه .

وهم لا يعلمون أن ذلك الطعن فيهما ، لا يزيدهما الاّ رفعة ، ولا يزيد الرافضة الاّ ذلة وخزيا ، فالرافضة كاليهود الذين آذوا أنبياء الله وقتلوهم واتهموهم بالمعاصى والفسوق والكفر ، فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة . وكذلك الرافضة لما عادوا أولياء الله ، وفسقوهم وكفروهم ضرب عليهم الذلة والمسكنة .

وقد وضعت الرافضة كلاما خبيثا سموه دعاء صنمى قريش ، يشتمون فيه الخيّرين ووزيرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهما - .

ويرغبّون فى هذا الدعاء ، ويزعمون أن من قاله ينال به الدرجات الرفيعة ويحط عنه الذنـــوب .

ونصها كالتالـــــى :

("اللهم العن صنمى قريش وجبتيهما ، وطاغوتيهما ، وافكيهما ، وابنتيهما الذين خالفا أمرك ، وأنكرا وحيّك ، وجحدا انعامك ، وعصيا رسولك ، وقلبـا دينك ، وحرفا كتابك ، وأحبا أعداءك ... ") . الى أن قال :"... اللهم العنهما وأتباعهما وأولياءهما ، وأشياعهما ، ومحبيهما ، فقد خربا بيت النبوة ... الخ ".(١)

وهذا الكلام الخبيث فى كتاب يسمونه :" تحفة العوام مقبول" . وهو كتاب يجمع الأذكار والأوراد . وقد أجاز هذا الكتاب ستة من أشهر علمائهم فيهم زعيمهم الخمينـــى .

وهذا وحده كاف فى التعبير عما فى قلوبهم من الغيظ والكراهية للشيخين وما ينقمون منهما ، أنهما خربا بيت النبوة ، ولكن ينقمون منهما أنهما مزقـــا ملك كسرى ، ورفعا راية الاسلام وأطفئا نار المجوسيـــة .

ومما يدل على تحاملهم عليهما ، ما روى الكشي عن الوردبن زيد . قلـــت لأبى جعفر قدم الكميت . فقال : ادخله . فسأله الكميت عن الشيخين فقال لـــه أبوجعفر عليه السلام :" ما أهريق دم ولا حُكِمَ حُكْمٌ غيرموافق لحكم الله وحكم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، الاّ وهو فى أعناقهما . فقال الكميت :" الله أكـبر حسبى حســبى ".(٢)

تبا لكم سائر الزمن أيها الرافضة ، أتقولون ذلك فيهما . وقد قال صلـــى الله عليه وسلم ـ فيهما :" اقتدوا بالذين من بعدى أبابكر وعمـــر " .(٣)

---

(١) تحفة العوام مقبول ص ٤٢٢ ، نقلا عن الشيعة فى التصور الاسلامي لعمر على فريـــج .

(٢) رجال الكشى ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٣) رواه الترمذى . وقال :" هذا حديث حسن . انظر : سننه ٥ / ٦٠٩ حـ ٣٦٦٣ .

وقال : " فان يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا " .(١)

ويورد نعمة الله الجزائرى ، رواية سخيفة يطعن فيها أبابكر. يقول : " أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليّا فنام على فراشه ، وخشي من ابن أبى قحافة أن يدله عليه ومضى به الى الغار" .(٢)

انظر الى مكابرة الرافضة وتعاميهم عن الحقائق ، فان قريشا كانوا يطلبون أبابكر مثل طلبهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد وعدوا مائة ابل لكل من أتى برأس أحدهما ، وذلك لأن قريشا كانت تعلم أن أبابكر - رضي الله عنه - أعظم الناس نصرة للرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال نعمة الله فى طعن عمر - رضي الله عنه - " وانما الاشكال فى تزويج عليّ - صلى الله عليه وسلم - أم كلثوم لعمر بن الخطاب وقت تخلفه ، لأنه قد ظهرت منه المناكير ، وارتد عن الدين أعظم من ارتد " .(٣)

وكما قال الأستاذ محب الدين الخطيب ، قد بلغ من خنقهم على مطفئ نار المجوسية فى ايران ، والسبب فى دخول أسلاف أهلها فى الاسلام سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن سموا قاتله أبالؤلؤة المجوسي : " بأبا شجاع الدين" .

وروى عليّ بن مظاهر - من رجالهم - عن أحمد بن اسحاق القمي الأحوص شيخ الشيعة ووافدهم ، أن يوم قتل عمر بن الخطاب ، هو يوم العيد الأكبر ، ويوم المفاخرة ، ويوم التبجيل ، ويوم الزكاة العظمى ، ويوم البركة ، ويوم التسلية .(٤)

واذا كان هذا موقفهم من الشيخين الخيرين الذين هم أفضل أولياء

---

(١) صحيح مسلم ١ / ٤٧٣ حـ ٦٨١ .
(٢) الأنوار النعمانية ١ / ٨٧ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٨٠ .
(٤) الخطوط العريضة للأستاذ محب الدين الخطيب ص ١٨ .

الله بعد الأنبياء والمرسلين ، فمابالك فى موقفهم عن باقى الصحابة .

وأما موقفهم من عثمان . فقل ولا حرج . وما نقموا منه الاّ أنه أباد ملك كسرى نهائيا ، وقتل كسرى فى أيام خلافته ، وكثرت الفتوحات فى خلافته ، واتسعت رقعة الاسلام .

يقول فيه نعمة الله الجزائرى :" ... لأن عثمان فى زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد كان ممن أظهر الاسلام وأبطن النفاق ".(١)

أف لواضع هذا ، وقطع الله لسان من قاله . ما لعثمان وللنفاق ! ؟

وقولهم فى عائشة أم المؤمنين ، وأحب نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنها - أدهى وأمر . فهم يقذفونها الى اليوم قذف ابن سلول رأس المنافقين ، وينفون بقاءها فى عصمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويقولون أن النبي - صلى الله عليه وسلم - فوض أمر نسائه الى عليّ ، وأن عليا قال فى عائشة :" ما أراني الاّ مطلقها ".(٢)

ولم يسلم من أذى الرافضة حتى أهل بيت النبوة الذين يدعون محبتهم وولايتهم ، وفارقوا الأمة حسب زعمهم لنصرتهم وتأييدهم .

وها هم أولاء يشتمون عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وصنوا أبيه العباس ، وابنه عبد الله بن العباس ، وذلك أن الرافضة لا يحبون أهل البيت وانما يتستّرون بادعاء حبهم ليكيدوا للاسلام ويفرقوا بين المسلمين .

فيذكر الكشي عن زين العابدين - رحمه الله - أنه قال لابن العباس : " فأما أنت يا ابن عباس ، ففيمن نزلت هذه الآية :" لبئس المولى ولبئس العشير "(٣) فى أبى أو فى أبيك ؟ . ثم قال :" والله لولا ما تعلم لأعلمتك عاقبة أمرك ، وما

---

(١) الأنوار النعمانية ١ / ٨١ .

(٢) انظر : رجال الكشى ص ٥٧ - ٦٠ . وانظر : الشيعة والسنة ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) سورة الحج الآية ١٣ .

هـو وستعلمه ... ، ولو أذن لى فى القول لقلت ما لو سمع عامة هذا الخلـق لجحدوه وأنكـروه ". (١)

وأدهى من ذلك كله وأمر ، أنهم فرقوا بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وذريته فأنكروا كون رقية وأم كلثوم - رضي الله عنهما - من بنات رسول اللـه - صلى الله عليه وسلم - وقالوا : " انهما من خديجة ، من أحد زوجيها قبـل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بل أنكر بعضهم أن تكونا من خديجة . وقالوا : انهما من هالة أخت خديجـة .

يقول نعمة الله الجزائرى : " وقد اختلف العلماء لاختلاف الروايات فـى أنهما هل هما من بنات النبي - صلى الله عليه وسلم - من خديجة أو أنهمـا ربيبتاه من أحد زوجيها الأولـين ". (٢)

ثم قال المعلق على الكتاب : " وجمع من أهل البحث والتنقيب من العلماء قالوا : " كانتا ابنتى هالة أخت خديجة من أمهـا ". (٣)

قلت : ومن هم أهل البحث والتنقيب الذين توصلوا الى هذا ؟ فالذين توصلوا الى هذه النتيجة ليسوا بأهل بحث وتنقيب وعلم ، وانما هم أهـل زور وافـك .

فانكار كونهما من بنات النبي - صلى الله عليه وسلم - مكابرة عن الحقيقـة ، وليس بين هذا الانكار وبين انكار الشمس فى رابعة النهار فـرق .

والذى ألجأهم الى هذا المسلك الوعر ، هو أن يحرموا عثمان من مصاهرة الرسول صلى الله عليه وسلـم .

وقد قال تعالى : " ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هـو

---

(١) رجال الكشـي ص ٥٥ ، ٥٦ .
(٢) الأنوار النعمانيـة ١ / ٨٠ .
(٣) المصدر نفسه . التعليق ١ / ٨١ .

أقـرب للتقـوى ".[1]

وما زالت الرافضة الى الآن تنتهج نهج أسلافهم فى سب الصحابـة.

فهذا هو زعيمهم الخمينى . يتهم الصحابي الجليل سمرة بن جنـدب - رضي الله عنه - بالكذب . فيقول الخمينى فى كتابه : " الحكومة الاسلاميـة": " ... ولعل راويا كسمرة بن جندب يفترى أحاديث تمس من كرامة أميرالمؤمنـين علـيّ ".[2]

* * *

* *

*

---

(١) سـورة المائدة الآيـة ٨ .

(٢) الحكومة الاسلامية ص ٦٠ .

المبحث الثالث
موقف الطبرسي من الطعن في الصحابة

يبدو من منهج الطبرسي في تفسيره أنه كان بوده أن لا يعثر فيه على القدح والطعن في الصحابة ، وأن يتجنب ذلك ما استطاع اليه سبيلا ، وذلك كي يبعد نفسه عن تهمة سب الصحابة ، تقية ومماشاة مع المخالفين .

ومع هذا كله فان الرجل لم يسلم من المؤاخذه عليه في طعن الصحابة ، وذلك أن ما يكنه الانسان ويسره في قلبه يظهر من فلتات لسانه وصفحات وجهه . " قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر" .(١)

فهو لم يدافع عن الصحابة ولم يرد على أصحابه الذين يغدون ويروحون ويصبحون ويمسون في سبهم ولعنهم ، كما أنه لم يبرز في تفسيره مكانة الصحابة وفضلهم ما عدا من كان من أهل البيت .

بل بخس كبار الصحابة فضلهم ، وحرف معاني كثير من الآيات التي تشير الى فضلهم ، وزعم أنها تشير الى فضل الأئمة ، وبخل بالتنويه بمناقب الصحابة - رضي الله عنهم - بل انه نال من الصحابة وخصوصا الخلفاء الثلاثة بأسلوب دقيق لا يتنبه له الاّ من أمعن النظر في تفسيره ، وعمل الموازنة بينه وبين سائر كتب الرافضة .

وقد طعن الطبرسي في الشيخين في كتابه"اعلام الورى" ، أثناء كلامه عن خروج مهديهم الوهوم . فأورد رواية خبيثة فيها : " فاذا دخل المدينة - أي المهدي - أخرج اللات والعزى فأحرقهما" .(٢) يقصد باللات والعزى أبابكر ، وعمر - رضي الله عنهما - وعامله الله هوالرافضة بما يستحقونه ".

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٨ .

(٢) اعلام الورى بأعلام الهدى لأبي على الفضل الطبرسي ص ٤٠٩ .

وقد ظن بعض من كتب عن تفسيره من علمائنا المعاصرين فى ضمن بحوثهم ، أنه لا يطعن فى الصحابة .

لذا لم يضرب كل من الدكتور الذهبي ، والدكتور على أحمد السالوس أمثلة من تفسيره توضح مطاعنه فى الصحابة .

بل قال الدكتور الذهبي : "... ولم نأخذ عليه أنه كفر أحد من الصحابة ، أو طعن فيهم بما يذهب بعد التهم ودينهم" . (١)

فالرجل وان لم يصرح بتكفير أحد من الصحابة ولا تفسيقه ، لكنه لمّح بذلك حيث أورد روايات كثيرة تهجم على الخلفاء الثلاثة هجوما سافرا ، فقد اتهم بعض خلفاء الثلاثة بالنفاق ، وبالتحاكم الى غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقذف بعضهم بالفاحشة ، وطبّق عليهم الآيات التى نزلت فى المنافقين .

وكل هذا وأكثر سيظهر لنا من خلال الأمثلة التى نسوقها من تفسيره مع الموازنة بينها وبين ما فى كتب الرافضة . :

المثال الأول : اتهامه عثمان بن عفان ذى النورين بالنفاق وبالتحاكم الى الطاغوت :

عند تفسيره لقوله تعالى : " ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ... الآيات" . (٢)

يقول الطبرسي فى سبب نزول هذه الآية : " وحكى البلخي أنه كانت بين عليّ وعثمان منازعة فى أرض اشتراها من عليّ - عليه السلام - فخرجت فيها أحجار ، وأراد ردها بالعيب فلم يأخذها ، فقال عليّ: بينى وبينك رسول الله

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ٢ / ١٤٢ .

(٢) سورة النور الآيات ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال الحكم بن العاص : " ان حاكمته الى ابن عمه يحكم له فلا تحاكمه اليه . فنزلت الآيات . وهو المروى عن أبى جعفر أو قريبا منه ".(١)

والواقع أن هذه الرواية من افك الرافضة وكذبهم ، فلم تذكر كتب أسباب النزول ، وكتب التفاسير المعتمدة هذه القصة ، على ما ساقه الطبرسي ، ولم يذكروا ان هذه الخصومة وقعت بين عليّ وعثمان ـ رضي الله عنهما . وانما ذكروا فى سبب نزول الآية :" أن مخاصمة وقعت بين رجل من المنافقين وبين رجل من اليهود فى أرض ، فدعاه اليهودى الى التحاكم عند رسول الله ، وكان المنافق مبطلا . فأبى من ذلك . وقال :" ان محمدا يحيف علينا فلنحكم كعب بن الأشرف ".(٢)

والطبرسي مستهدف من ايراد هذه الرواية فهو يقصد من ورائها الطعن فى عثمان ، لأنه لم ينتقدها ، بل عضدها بقوله :" وهو المروى عن أبى جعفر أو قريبا منه ". وما روى عن أبى جعفر فهو الحق عنده الذى لا محيص عنه .

وقد بحثت عن رواية أبى جعفر التى أشار اليها الطبرسي من كتب الرافضة فوجدتها هكذا .

يروى القمى فى سبب نزول هذه الآية عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ قال :" نزلت هذه الآية فى أمير المؤمنين والثالث . وذلك أنه كانت بينهما منازعة فى حديقة . فقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ :" نرضى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فقال عبد الرحمن بن عوف له :" حاكمه الى ابن أبى شيبة اليهودى . فقال لأمير المؤمنين :لا أرضى الاّ بابن أبى شيبة اليهودى . فقال ابن أبى شيبة :" تأتمنون محمدا رسول الله على وحى السماء وتتهمونه

---

(١) مجمع البيان ٤ / ١٥٠ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٢ / ٢٩٣ . وانظر : أسباب النزول للواحدى ص ٣٤٠ .

فى الأحكام . فأنزل الله على رسوله :" واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ... " . الى قوله :" ... فأولئك هم الفائزون ". (١)

فهذه هي أصل القصة التى ساقها الطبرسي . فهي تتهم كلا من عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان - ذى النورين - بأنهما رفضا التحاكم الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفضلا التحاكم الى الطاغوت اليهودى .

والطبرسي عرّفنا بعض القصة ، وأعرض عن بعضها وغير أسلوبها ، كي لا يتفطن له ، فهو بهذا يعطى القارئ معلومات ناقصة عن مذهب الامامية ، ثم يشوقه الى أن يطلب المزيد من كتبهم .

فبهذا نلزم الطبرسي أنه نال من عثمان ذى النورين - رضي الله عنه - والّما الذى حمله أن يطبق عليه هذه الآيات التى نزلت فى المنافقين ، وبينه وبين النفاق بعد المشرقين ، فقد بشره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة وبين أن الملائكة تستحى منه .

المثال الثاني : قذفه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بهند بنت عتبة :

عند تفسير قوله تعالى :" ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركنّ بالله شيئا ولا يسرقنّ ولا يزنينّ ... الآية". (٢)

قال الطبرسي :" وروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بايعهنّ ، وكان على الصفا ، وكان عمر أسفل منه ، وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفا أن يعرفها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقال :" أبايعكنّ على أن لا تشركنّ بالله شيئا ". فقالت هند : انك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال . وذلك أنه بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط ، فقال

---

(١) تفسير القمي ٢ / ١٠٧ .

(٢) سورة الممتحنة الآية ١٢ .

صلى الله عليه وسلم :" ولا تسرقن . فقالت هند ان أباسفيان رجل ممســـك وأنى أصبت من ماله هضـات ، فلا أدرى أيحل لى ذلك أم لا ؟ ... فقال صلـى الله عليه وسلم :" ولا تزنين . قالت عند ذلك : أو تزنى الحرة؟ فتبسم عمـر ابن الخطاب لما جرى بينه وبينها فى الجاهلية ... " .(١)

انظر الى جرأة هذا الرجل على المحصنين والمحصنات من صحابـة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله يقول :" ان الذين يرمون المحصنـات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ..." .(٢)

ولا أدرى من أين استقى هذا البهتان . فقد روت كتب التفاسـير وكتب الحديث قصة مبايعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - النساء ، والحـوار الذى جرى بين هند بنت عتبة وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - بدون هـذه الزيادة المنكـرة .(٣)

والعجب كيف سولت لهذا الرافضى نفسه أن يرميها بالزنى ، وهـى تستغرب وقوع الزنا من الحرائر ، وتقول أو تزنى الحرة؟ . وهذا استفهـام انكارى . وهذا يدل على أن الزنا لم يخطر فى بالها ، فضلا عن ممارستها له ، وذلك أن الزنا ما كان متفشيا فى الحرائر بالمجتمع العربى الجاهلي ، وانمـا كان يحصل من الامـاء .

وقد كانت العرب تمتدح المرأة بعفتها وشرفها وبعدها عن الريب والتهم . وقد ورد فى أشعارهم كثير من هذا القبيل :

قـال عمـرو بن كلثـوم التغلـبي فى وصـف عشيقتـه :

---

(١) مجمـع البيـان للطبرسي ٥/٢٧٦ .
(٢) سورة النور الآيـة ٢٣ .
(٣) انظر: تفسير الطبرى ٢٨/٧٨ . لم يذكر هذه الزيادة المنكرة التى زادها الطبرسي فى القصـة .

" وثديا مثل حق العاج رخصا حصانا من أكف اللامسينا [1]

فقد مدحها بسلامتها من لمس الرجال ، فضلا عن أن ينالوا منها أكثر من ذلك .

وهذا هو الشنقرى الشاعر الجاهلي يمدح زوجه بعفتها وشرفها وبعدها عن التهم والريب فى قصيدته التائية الشهيرة . مدحها فى عدة أبيات رائعة ، هي من أحسن ما قيل فى وصف عفة المرأة وشرفها . فيقول :

" لقد أعجبتنى لا سقوطا قناعها اذا ما مشت ولا بذات تلفت

ثبيت بعيد النوم تهدى غبوقها لجارتها اذا الهدية قلت

تحل بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالذمة حلت

كان لها فى الأرض نسيا تقصه على أمها وان تكلمت تبلت

أميمة لا يخزى ثناها حليلها اذا ذكر النسوان عفت وجلت

اذا هو أمسى أب قرة عينه مآب السعيد لم يسل أين ظلت؟ [2]

هكذا كانت تمدح العرب النساء بالعفة والشرف ، وهند بنت عتبة من هؤلاء العفيفات فى جاهليتها . لذا استغربت وقوع الزنا من الحرائر الشريفات ، وليست هي أقل عفّة من هذه المرأة التى وضعها الشنفرى فى أبياته الرائعة .

وأعجب من ذلك كله قذف الطبرسي عمر الفاروق بالفاحشة ، وأنه تبسم لما فعل ، ولم يثبت أنه كان فى جاهليته يمارس الفاحشة ، بل كان فتى أبى النفس ذا مروءة وشرف .

وما كان كل العرب يقترفون الفاحشة فى جاهليتهم ، بل ان كثيرا منهم كانوا يترفعون عنها ، ويستنكفون منها . وقد صرح عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بأنه ما زنى فى جاهلية ولا فى اسلام . وأمثال عثمان فى العفة كثير فيهم .

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٢١ .

(٢) المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي ص ١٠٩ .

وهذا هو عنترة بن شداد العبسي ، فارس العرب وبطلهم يفتخر بعفته ومروءته وبعده عن اقتراف الفواحش . فيقول :

" ما استمت أنثى نفسها فى موطن حتى أوّفى مهرها مولاها

أغشى فتاة الحى عند حليلها واذا غزا فى الجيش لا أغشاها

وأغضّ من طرفى ما بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها "[1].

هذا هو شأن أشراف العرب فى جاهليتهم ، وما كان عمر أقل شأنا من عنترة فى جاهليته .

فبهذا نأخذ على الطبرسي أنه نال من أمير المؤمنين عمر الفاروق والصحابية هند بنت عتبة (رضي الله عنهما) .

ومع أنه رماهما بذلك فى الجاهلية ، الاّ أنا نظن أنه كان يتلمس مغمزا فى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فلم يستطع أن ينال منه الاّ فى تلك الحقبة من الزمان ، وهو مغمز مرفوض .

ولا يقولنّ قائل بعد ذلك ان الرجل معتدل ولا ينال من الصحابة (رضي الله عنهم) .

المثال الثالث : تعريضه بالشيخين :

قوله تعالى : " ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ... " . الى قوله : " ... ولبئس المهاد "[2].

قال الطبرسي : " نزلت الآيات الثلاثة فى المرائى ، لأنه يظهر خلاف ما يبطن ، وهو المروى عن الصادق ، الاّ أنه عين المعنيّ به "[3].

---

(١) ديوان عنترة ص ٧٦ .

(٢) سورة البقرة الآيات ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٣) مجمع البيان ١ / ٣٠٠ .

فالطبرسي بيّن أن الامام الصادق عين المنافق ، الذى نزلت فيه هـــذه الآيات ، والصادق عنده معصوم يجب قبول قوله . فلنبحث عن قول الصـــادق وهـــذا هو قولـــه :

قال صاحب تفسير الصافي : " العياشي" ،عن الصادق ـ عليه السلام ـ نزلت فى فلان وفلان .[1] و قال القمى : " نزلت فى فلان ويقال فى معاويـة .

وفلان وفلان عندهم : أبوبكر وعمـر (رضي الله عنهم) .

ألا ترى معى حيلة الطبرسي فى الطعن فى الشيخين ، فهو قد أحالنا الى كتب الرافضة التى فيها وصف الشيخين بالنفاق .

ومعلوم أن هذه الآيات نزلت فى المنافقين ،ولكنه طبقها على خـــيرة صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهما الشيخان (رضي الله عنهما).

المثـال الرابـــع : التعريض بعدد من الصحابة (منهم الشيخان) :

قوله تعالى : " أم أبرموا أمرا فانا مبرمون . أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبـــون ".[2]

قال الطبرسي : " وسبب نزول الآية مذكورة فى تفسير أهل البيـت ".[3]

قلـت : ألا ترى أنه أحال القارئ الى تفسير أهل البيت ، حســـب زعمه ، ليرجع اليه ، وينهل من هذا المعين ، وهذا هو تفسير المنسوب الى أهل البيت الذى شوقنا الطبرسي اليـه .

روى الكافى عن أبى عبد الله فى قول الله عز وجل : " ما يكون من نجـــوى ثلاثة الاّ هو رابعهم ".[4] نزلت هذه الآية فى فلان وفلان ، وأبى عبيدة بن الجراح ،

---

(١) تفسير الصافى ١ / ٢٢٠ .
(٢) سورة الزخرف الآية ٧٩ .
(٣) مجمع البيـــان ٥ / ٥٧ .
(٤) سورة المجادلة الآية ٧ .

وعبد الرحمن بن عوف ، وسالم مولى أبى حذيفة ، والمغيرة بن شعبة ، حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا توافقوا : لئن مضى محمد لا تكون الخلافة فى بنى هاشم ، ولا النبوة أبدا ، فأنزل الله فيهم هذه الآية .

قال : - أى الراوى - قلت :" قوله عز وجل :" أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبوا أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ". قال : وهاتان الآيتان نزلتا فيهم ذلك اليوم . قال أبوعبد الله :" لعلك ترى أنه كان يشبة يوم كتب الكتاب الا يوم قتل الحسين ". (١)

والواقع أن الطبرسي يخدع خالى الذهن بأسلوبه المعسل ، كي يوقعه فى حظيرة الرفض .

ومثال آخر :

عند قوله تعالى :" وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ... الآية ". (٢)

قال الطبرسي - فى ضمن عدّة أقوال أوردها فى تفسير الرؤيا -:" ان ذلك رؤيا رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - فى منامه ، أن قرودا تصعد منبره وتنزل ، فساء ذلك واغتم به ، وروى سهل بن سعيد عن أبيه ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى ذلك وقال انه صلى الله عليه وسلم ، لم يستجمع بعد ذلك ضاحكا حتى مات ، وروى سعيد بن يسار أيضا ، وهو المروى عن أبى جعفر وأبى عبد الله .

وقالوا على هذا التأويل :" ان الشجرة الملعونة فى القرآن ، هي بنو

---

(١) الروضة من الكافي ٨/ ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) سورة الاسراء الآية ٦٠ .

أمية . أخبره الله سبحانه بتغلبهم ... وقتلهم ذريته ". (١)

قلت : فإذا كانت الشجرة الملعونة بنى أمية - حسب زعمكم - فمن القرود التى تصعد منبر الرسول وتنزل عنه ؟

هذا الجواب الذى لمّح به الطبرسي . قد بينته كتب الرافضة .

يقول الكاشاني صاحب تفسير الصافي : العياشي عن الباقر - عليه السلام - عن قوله :" وما جعلنا الرؤيا التى أريناك ". قال :" رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن رجلا من بنى تميم وعدى يردون الناس عن الصراط الى القهقرى".

وقال الكاشاني أيضا :" وعن الصادق مثله :" الاّ أنه قال : رأى أن رجالا على المنابر يبنرد ون الناس ضلالا زريق وزفرا ". (٢)

وهذان الاسمان تطلقهما الرافضة على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأرغم أنوفهم

والقصة التى أوردها الطبرسي ذكر ابن جرير فى تفسيره قريبا منها .

قال ابن جرير :" حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة . قال : حدثنا عبد المهيمن بن عباس . قال : حدثنى أبى عن جدى . قال : رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنى فلان ينزون على منبره ، فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتى مات ، وأنزل الله عز وجل :" وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الاّ فتنة للناس ". (٣)

ولكن ابن جرير لم يعتمد على هذه الرواية فى تفسير الآية ، بل رغب عنها وأهملها واختار الروايات الكثيرة التى تفسر الرؤية بما رآه صلى الله عليه وسلم من العجائب فى ليلة الاسراء . (٤)

---

(١) مجمع البيان ٣ / ٤٢٤ .
(٢) تفسير الصافى للكاشاني ٣ / ١٩٩ .
(٣) تفسير ابن جرير الطبرى ٥ / ١١٣ .
(٤) المصدر نفسه .

وقد انتقد الحافظ ابن كثير هذه الرواية وضعفها . حيث قال : " وقد قيل : ان الشجرة الملعونة : بنوأمية ، وهو غريب ضعيف " .

ثم ساق رواية الطبرى التى سبقت ، فعقب عليها بقوله : " وهذا السند ضعيف جدا ، فإن محمد بن زبالة متروك جدا ، وشيخه أيضا ضعيف بالكلية ، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك : ليلة الاسراء ، وأن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم " .(١)

فبهذا تبين بطلان القصة ولعلها من أكاذيب الرافضة . والطبرسي الرافضى مستهدف من ايراد مثل تلك الروايات النيل من الصحابة رضي الله عنهم .

المثال الخامس : تعريضه بالصحابة :

عند تفسيره لقوله تعالى : " ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر " .(٢) قال الطبرسي : " والمروى عن أبى جعفر وأبى عبد الله أنهم بنو أمية ، كرهوا ما نزل الله فى ولاية عليّ بن أبى طالب " .(٣)

وقد تصرف فى هذه الرواية المنسوبة الى أبى جعفر وأبى عبد الله ، وهذه هي أصل الرواية :

" قال صاحب تفسير الصافي : " فى الكافى عن الصادق - عليه السلام - فى هذه الآية قال : فلان وفلان ارتدا عن الايمان فى ترك أمير المؤمنين . قال : " نزلت والله فيهما وفى أتباعهما ، وهو قول الله عز وجل الذى نزل به جبريل على محمد - صلى الله عليه وسلم - : " ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله " فى عليّ " سنطيعكم فى بعض الأمر " .

---

(١) تفسير ابن كثير ٥ / ٩٠ .
(٢) سورة محمد الآية ٢٦ .
(٣) مجمع البيان ٥ / ١٠٥ .

قال : " دعوا بنو أمية الى ميثاقهم أن لا يصيّروا الأمر فينا بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يعطونا شيئا من الخمس " . (١)

ألا ترى أن الطبرسي غير أصل القصة ، فزعم أن الآية نزلت فى بنى أمية مع أن الرواية المنسوبة الى الصادق أبى عبدالله ، بينت أنها نزلت فى فلان وفلان ، يقصدون بذلك الشيخين .

وتنصيصه على بنى أمية من باب : اياك أعنى واسمعى يا جارة " .

وهذه الآية بعيدة عن تأويلهم الفاسد ، فلم ينزل الله فى ولاية عليّ شيئا من القرآن وانما الآية نزلت فى المنافقين الذين وافقوا المشركين فى مخالفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتظاهر على عداوته ، والقعود عن الجهاد معه ، وتوهين أمره فى السر" . (٢)

ولكن الرافضة قوم بهت يطبقون صفات المنافقين والمشركين على خيرة الصحابة - رضي الله عنهم - . فهم يضعون كبار الصحابة مكان أبى جهل، والوليد بن المغيرة ، وعبد الله بن أبيّ ، أعداء الله ، وأعداء رسوله ، فتبا لهم سائر الزمن .

المثال السادس : فمطه مكانة أبى بكر رضى الله عنه :

كان الواجب على الطبرسي ، ككل مفسر ، يتصدى لتفسير كتاب الله أن يسلك فى تفسيره مسلكا وسطا عدلا ، وأن يعطى الآيات القرآنية حقها من البيان ، وأن يذكر لأهل الفضل الذين مدحهم الله فى كثير من آياته ، فضلهم ومنقبتهم وأن لا يبخسهم حقهم ، فلا يحمله شنآن قوم على أن لا يعدل .

ولكن الواقع أن الطبرسي لم يصنع ذلك ، فبينما هو يرفع شأن أناس،

---

(١) تفسير الصافي ٥/٢٨ ، ٢٩ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٦/٢٥٠ .

ويغلو فيهم ، ويطيق عليهم كل وصف حسن ورد فى القرآن ، ويزعم أن تلك الآيات نزلت فيهم ، وان لم تنزل فى شأنهم ، بينما هو بفعل ذلك يتجاهل فضائل أكابر الصحابة - رضي الله عنهم - ويغمط مكانتهم وفضلهم .

ومثال ذلك أنه عند تفسيره لقوله تعالى :" وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ". (١) لم يذكر من نزلت فيه هذه الآيات ، مع أن كل المفسرين يقولون انها نزلت فى أبى بكر الصديق - رضي الله عنه - وان كانت عامة .

يقول ابن كثير :" وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر - رضي الله عنه - حتى ان بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ". (٢)

ولكن الطبرسي ضنّ على أبى بكر الصديق - رضي الله عنه - بأن يذكر له هذه المنقبة العظيمة ، فلم يذكر ذلك ولو كأحد الأقوال فى تفسير الآية ، بل ضرب عن ذكره صفحا .

فعل ذلك مع أبى بكر ، مع أنه فى كثير من الآيات يزعم أنها نزلت فى علىّ وفى ولايته ، وان لم يرد ذلك عن المفسرين .

فمن هنا نأخذ على الطبرسي غمطه أبابكر وبخسه فضله .

ومثال آخر أنه عند تفسيره لقوله تعالى :" الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ... الآية " (٣) لم يبرز منقبة أبى بكر فى هذه الآية ولم يرد على الذين ظلموا أبابكر عند تفسيرهم لهذه الآية ، وأنكروا أن تكون فيها منقبة له ،

---

(١) سورة الليل الآيات ١٧ - ٢١) .

(٢) تفسير ابن كثير ٨ / ٤٤٤ .

(٣) سورة التوبة الآية ٤٠ .

بل ان بعض الرافضة يزعمون - كما بينا - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخذ أبابكر معه الى الغار مخافة أن يدل عليه الأعداء ، وهذا كلام ساقط يدل على حقدهم وسوء أدبهم .

لم يقم الطبرسي بالرد على هؤلاء ومنهم شيخ طائفتهم الطوسي الذى هجم على أبى بكر - رضي الله عنه - وأنكر أن تكون الآية تدل على فضله ومنقبته .

يقول الطوسي :" وليس فى الآية ما يدل على تفضيل أبى بكر ، لأن قوله : " اذ هما فى الغار" خبر عن كونهما فيه . وقوله :" اذ يقول لصاحبه"، لا مدح فيه أيضا ، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة . ألا ترى أن الله قال فى صفة المؤمن والكافر :" قال له صاحبه وهو يحاوره ... "[1] . وقوله :" لا تحزن " إن لم يكن ذما ، فليس بمدح أيضا ، بل نهى محض عن الخوف ..." . الى أن قال : " فأين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد "[2] .

اطلع الطبرسي على هذا الكلام السخيف الذى قاله الطوسي ، فلم يحرك ساكنا ولم يرد عليه ، بل سكت عنه ، وسكوته يدل على الرضا مما قاله .

وكل ما فعل هو أنه هرب من الميدان كي يسلم بنفسه من النقد والتعيير .

فقال عند تفسير تلك الآية :" وقد ذكرت الشيعة فى تخصيص النبي - صلى الله عليه وسلم - فى هذه الآية بالسكينة كلاما رأينا الاضراب عن ذكره ، أحرى لئلا ينسبنا ناسب الى شئ "[3] .

ولم يقل أنه ضرب عن ذكره صفحا ، لبطلان ما زعمته الرافضة ، وانما ترك ذكر كلامهم حتى يسلم من النقد ، فهو اذ يوافقهم فيما زعموا ما دام لم يصرح ببطلانه .

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٧ .

(٢) التبيان للطوسي ٥ / ٢٥٩ .

(٣) مجمع البيان ٣ / ٣٢ .

والحق أن فى الآية منقبة ومزيّة وفضيلة لأبى بكر الصديق - رضي الله عنه - لم يشاركه أحد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس الأمر كما زعمه هذا الرافضى الضال الذى غيظ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول الفخر الرازى - رحمه الله : " دلت هذه الآية على فضيلة أبى بكر - رضي الله عنه - من وجوه :

الأول :

أنه عليه الصلاة والسلام لماذا هب الى الغار ، لأجل أنه كان يخاف الكفار من أن يقدموا على قتله ، فلولا أنه عليه السلام ، كان قاطعا على باطن أبى بكر ، بأنه من المؤمنين المحققين الصادقين الصديقين ، والاّ لما أصحبه نفسه فى ذلك الموضع ، وأيضا لخافه من أن يقدم على قتله ، فلما استخلصه لنفسه فى تلك الحالة ، دلّ على أنه عليه السلام كان قاطعا بأن باطنه وفق ظاهره .

الثانى :

وهو أن الهجرة كانت باذن الله تعالى ، وكان فى خدمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جماعة من المخلصين ، وكانوا فى النسب الى شجرة رسول الله أقرب من أبى بكر ، فلولا أن الله أمره بأن يستصحب أبابكر فى تلك الواقعة الصعبة الهائلة ، والاّ لكان الظاهر أن لا يخصه بهذه الصحبة ، وتخصيص الله اياه بهذا التشريف دل على منصب عال له فى الدين .

الثالث :

أن كل من سوى أبى بكر فارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما هو فما سبق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كغيره ، بل صبر على مؤانسته وملازمته وخدمته عند الخوف الشديد الذى لم يبق معه أحد ، وذلك يوجب الفضل العظيم .

الرابع :

أنه سماه ثاني اثنين فجعل ثاني محمد عليه السلام - فى حال كونهما فى الغار ، والعلماء أثبتوا أنه رضي الله عنه كان ثاني محمد فى أكثر المناصب الدينية (!)

(١) التفسير الكبير للرازى ١٦ / ٦٥ ، ٦٦ .

الباب الثاني

ابراز مدى تمسك الطبرسي بفقه الشيعة الامامية وآراء المعتزلة

وفيه فصلان :

الفصل الأول : ابراز مدى تمسك الطبرسي بفقه الشيعة الامامية وأصولهم الفقهية .

الفصل الثاني : ابراز مدى تمسك الطبرسي بآراء المعتزلة .

الفصـــــل الأول

ابراز مدى تمسك الطبرسي بفقه الشيعة الامامية وأصولهم الفقهية

وفيـــه مبحثـــــان :

المبحـــث الأول : الطـــبرســـي وأصول فقه الشيعة الامامية .

المبحـــث الثاني : الطـــبرســـي وفـروع فقه الشيعة الامامية .

المبحث الأول
الطبرسي وأصول فقه الشيعة الامامية

مقدمة :

قد عرفنا عقائد الشيعة الامامية فى الامامة وتوابعها ، وموقف الطبرسي من ذلك ، ولا شك أن عقيدتهم هذه قد أثرت فى أفكارهم ، وسيطرت على عقولهم وتفكيرهم . فلا يتناولون فنا من فنون العلم الاّ ويصبغونه بصبغة امامية ، فأثرت عقيدتهم فى الامامة فى التفسير والحديث والفقه وأصوله ، والأدب والتاريخ ، فكل من أمعن النظر فى شتى مباحث الاماميين فى مختلف الفنون يرى أثر الامامة ظاهرا على تلك المباحث .

ومن أبرز المواضيع التى تناولوها حسب عقيدتهم فى الامامة : الفقه وأصوله . فهم يؤصلون أصولهم ويقعدون قواعدهم ويفرعون المسائل على ضوء عقيدتهم هذه .

أصول فقه الشيعة الامامية :

أصول فقه الشيعة الامامية أربعة ، على رأى المجتهدين الأصوليين منهم : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والعقل . أما الاخباريون منهم ، فالأصول عندهم اثنتان فقط : الكتاب ، والسنة .(١)

أولا : الكتاب :

تزعم الامامية أن الكتاب فى مقدمة أصولهم ، يأخذون عنه الشرائع ، والأحكام

---

(١) ينقسم الجعفرية - أى الامامية الاثنا عشرية الى أصوليين وأخباريين : الأصوليون يعتمدون على الاستنباط والاجتهاد واعمال العقل ، فهم يبحثون ويفكرون بذهنية أصولية ، وهم أصحاب أصول الشيعة عند الجعفرية .
والأخباريون لا يعتمدون الاّ على متون الروايات التى تروى عن أئمتهم .
(أثر الامامة فى الفقه الجعفرى وأصوله للدكتور على أحمد السالوس : ص ١٣٩ الهامش) .

كسائر فرق المسلمين ، ولكن الامامية يخالفون جمهور الأمة فى كيفية الأخـــذ عن الكتاب ، مما يشكك فى صدق مقولتهـــم .

فعقيدتهم فى الامامة ونظرتهم اليها أثرت فى تناولهم للكتاب بالدراسة والاستنباط ، فللامام ـ حسب عقيدتهم ـ ما للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بيان القرآن وتقييد مطلقه وتخصيص عامـــه .

فالامام هو الذى يبين معانى القرآن ويجب الرجوع الى قوله ولو خالـــف ظاهر القـــرآن .

" ولذلك فهم يشيرون الى القرآن الكريم والامام بقولهم : ذلك القـــرآن الصامت ، وهذا القرآن الناطق . فالامام هـــو ـ فى رأيهم ـ القرآن الناطق[1] " .

ودوره بالنسبة للقرآن الصامت كدور النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ســواء بسواء ، وما دام القرآن الكريم صامتا ، فلابد من الرجوع الى القرآن الناطـــق، حتى يوضح مراد الله تعالى ، ولهذا قال الاخباريون من الجعفرية ـ أى : الامامية ـ لا يجوز العمل بظاهر القرآن الكريم . وقال الأصوليون منهم بحجية الظاهر ، ولكنهم قالوا : " لا يجوز الاستقلال فى العمل بظاهر الكتاب بلا مراجعة الأخبار الواردة عن الأئمـــة "[2] .

وكذلك يتهمون القرآن بالتحريف والتبديل ، وأن القرآن الكامل عنـــد أهل البيت ، كما عرفنا سابقا ، ويزعمون أيضا أن للقرآن ظاهرا وباطنا .

فكل هذه العوامل تحول بين الامامية وبين الأخذ الصحيح عن الكتـــاب ويجعل فهمهم للقرآن فهما سقيما لا يتفق مع مبادئ الاسلام .

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٢) انظر : المصدر نفســه ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

ثانيا : السنة :

الأصل الثاني عند الشيعة : السنة كجمهور الأمة ، ولكن مفهوم السنة عندهم يختلف كل الاختلاف عن مفهومها عند أهل السنة .

فالسنة عند أهل السنة ، هي قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوفعله أو تقريره .

أما في مفهوم الشيعة ، فهي أعم من ذلك : فتشمل قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفعله وتقريره ، كما تشمل قول الامام وفعله وتقريره .

يقول محمد رضا المظفر في تعريف السنة عند الامامية : " أما فقهاء الامامية بالخصوص ، فلما ثبت لديهم أن المعصوم من آل البيت يجرى قوله مجرى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كونه حجة على العباد واجب الاتباع فقد توسعوا في اصطلاح السنة الى ما يشمل قول كل واحد من المعصومين أو فعله أو تقريره ، فكانت السنة باصطلاحهم : قول المعصوم أو فعله أو تقريره" .(١)

كما أن الامامية ليس لهم ملكة النقد في متون الأحاديث وأسانيدها ، فأخبارهم ـ كما قال أهل العلم ـ متونها موضوعة ، وأسانيدها كلها مفتعلة مختلقة " .(٢)

ثم لا يقبلون من الأخبار الا ما روى عن طريق رجالهم المعروفين بالكذب والدجل ، واتفق مع أهوائهم وعقائدهم ، لذا لا يحتجون بأحاديث الصحيحين .

يقول أحد علمائهم ـ وهو السيد عدنان ـ : " وان جملة ما يشترطون في الخبر الواحد اثنان . أحدهما : أن يكون مما رواه أصحابنا في كتبهم ، فلا نأخذ بما يروى هؤلاء ـ يعنى أهل السنة ـ الا أن يكون مضمونه ثابتا عندنا ، فنذكره بسندهم للاستظهار عليه ، والالزام لهم به .

والثاني : أن لا يكون غير معارض لما هو أقوى منه ، ولا مرفوضا ولا شاذا ،

---

(١) اصول الفقه لمحمد رضا المظفر ٣/ ٥٠ .
(٢) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص ٤٧ .

ولا مما أعرضت الطائفة عن العمل بـه ".[1]

ثالثـا : الاجمـــاع :

والاجماع فى اللغة : الاتفاق، وجعل الأمر جميعا بعد تفرقة والعزم على الأمر[2]

ومعناه فى اصطلاح الأصوليين : اتفاق أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة على أمر من الأمور الدينيـة .[3]

وهو عند أهل السنة حجة بذاته دلّ على حجيته الكتاب والسنة ، ولكـن مفهوم الاجماع عند الامامية يختلف عن هذا ، فالاجماع عندهم ما كان فيه قـول المعصوم وان كان فى المسألة خلاف ، فالجانب الذى فيه قول المعصوم هـــو الحجـة عندهـم .

فالاجماع من حيث هو لا قيمه له عند الامامية ، وانما يتكلمون عنه فى معرض الأدلة مجاراة لأهل السنـة .

يقول الشيخ محمد رضا المظفر : " ان الاجماع بما هو اجماع لا قيمة لـه علميـة عند الامامية ما لم يكشف عن قول المعصوم " .[4]

ويقول أيضا : " أما الامامية فقد جعلوه ـ أى الاجماع ـ أحد الأدلة على الحكم الشرعي ، ولكن من ناحية شكلية واسمية فقط ، مجاراة للمنهج الدراسـي فى أصول الفقه عند السنيين ، أى أنهم لا يعتبرونه دليلا مستقلا فى مقابـل الكتاب والسنة ، بل يعتبرونه اذا كان كاشفا عن السنة ، أى عن قول المعصوم ، فالحجية والعصمة ليستا للاجماع ، بل الحجة فى الحقيقة هو قول المعصوم الذى يكشف عنه الاجمـاع " .[5]

---

(١) مشارق الشموس الدرّية فى أحقية مذهب الأخبارية للسيد عدنان بن السيد علوى ص ٢٦١ .

(٢) القاموس المحيط ٣/١٥ مادة جمع

(٣) المستصفى من علم الاصول لأبى حامد الغزالى ١/١٧٣

(٤) أصول الفقه لمحمد رضا المظفر ٣ / ١٠٥ .

(٥) المصدر نفسـه ٣ / ٩٧ .

فمن هنا نفهم أن الاجماع بتعريفه الصحيح المشهور ، ليس حجة عند الامامية ، بل الحجة عندهم قول المعصوم .

رابعا : العقل :

تزعم الشيعة الامامية أنهم يستخدمون العقل فيما لم يرد به كتاب ولا سنة ، ويعرّف بعضهم الدليل العقلي :"بأنه كل حكم للعقل يوجب القطع بالحكم الشرعي". أو بعبارة ثانية :" هو كل قضية عقلية يتوصل بها العلم القطعي بالحكم الشرعي"[1]. ولا يرون حجية القياس .

ولكن الواقع أن الشيعة الامامية لا يلتزمون بأصول ثابتة ، وانما يجرون وراء أهوائهم وعقائدهم المنحرفة .

الطبرسي وأصول فقه الشيعة :

الطبرسي لا يختلف عن غيره من علماء الامامية فى هذا الباب ، فهو ينهج نهجهم ويحذو حذوهم .

أما الكتاب فانه يقول بحجيته قطعا غير أنه ينظر الى القرآن بمنظار الامامية ويفهمه بفهمهم السقيم ، الذى يتمشى مع عقائدهم الزائفة ،لذا يؤّول القرآن تأويلات فاسدة ويفسر بعض الآيات تفسيرا باطنيا .

وكذلك يقول بحجية السنة ،لكنه كغيره من الامامية يتوسع فى معنى السنة ، فيعد أقوال الأئمة من السنة ، وينزلها منزلة قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قال فى مقدمة تفسيره :" فلا ينبغى أن يقدم عليه ـ أى القرآن ـ بجسارة . فيقول :" أن المراد به كذا وكذا قطعا ، الاّبقول نبي أو امام مقطوع على صدقه"[2].

---

(١) أصول الفقه لمحمد رضا المظفر ٣ / ١٢٥ .

(٢) مجمع البيان ١ / ١٤ .

فكلامه هذا يدل على أن قول الامام فى تفسير القرآن وبيانه مثل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم ، فهو بهذا يثبت للامام مثل ما للرسول - صلى الله عليه وسلم - . وهو بهذا يوافق غيره من علماء الامامية فى مفهوم السنة الذى قد بيناه ، وهو أن السنة تشمل قول النبي - صلى الله عليه وسلم - وفعله وتقريره ، كما تشمل قول الامام وفعله وتقريره .

اذا فموقفه من الكتاب والسنة واضح ، ولكن الذى نريد أن نبحث هنا هو موقفه من حجية الاجماع والقياس .

موقفه من حجية الاجماع :

الطبرسي لا يرى حجية الاجماع ولا عصمة مجموع الأمة عن الخطأ والضلال ، كغيره من علماء الامامية - كما سبق تقريره - فقد تصدى للرد على القائلين بحجيته ، وحاول أن يفند استدلالاتهم ببعض الآيات على حجية الاجماع ، ثم هو بعد ذلك يوازن بين حجية الاجماع وعصمة مجموع الأمة عن الخطأ والضلال وبين عصمة الأئمة التى تقولها الرافضة ، فيرجح كفة عصمة الأئمة مقابل عصمة مجموع الأمة .

واليك الآن أمثلة من تفسيره توضح موقفه من حجية الاجماع :

المثال الأول :

انه عند تفسيره لقوله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "[1] . قال : واستدل كثير من العلماء بهذه الآية على أن اجماع الأمة حجة ، من حيث انه وصفهم بأنهم عدول ، فاذا عدلهم الله تعالى لم يجز أن تكون شهادتهم مردودة . والصحيح أنها لا تدل على ذلك ، لأن ظاهر الآية أن يكون كل واحد من الأمة بهذه الصفة ، ومعلوم خلافه .

ومتى حملوا الآية على بعض الأمة لم يكونوا بأولى ممن يحملها على

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

المعصومين والأئمة من آل الرسول عليهم السلام .[1]

ونحن نفند كلامه هذا من جانبين : الجانب الأول : اثبات حجية الاجماع ، والجانب الثاني : اثبات دلالة الآية على حجية الاجماع ورد سفسطته :

أولا : اثبات حجية الاجماع :

اجماع الأمة حجة عند الكافة ، ما عدا الشيعة والخوارج والنظام من المعتزلة .[2]

واستدل الجمهور على حجيته بكثير من الآيات والأحاديث وأقوال السلف ، كما أثبتوا أيضا حجيته بالعقل السليم .

فمن الآيات قوله تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " .[3]

وقوله : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " .

وقوله : " كنتم خيرا أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ".[4]

ومن الأحاديث : ماروه أبوداود عن أبى مالك الأشعرى - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ان الله أجاركم من ثلاث خلال : أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا " ، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة " .[5]

ومنها ما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبي

---

(١) مجمع البيان ١ / ١٢٦ .

(٢) انظر : تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول للقرافي ص٣٢٤ .

(٣) سورة النساء الآية ١١٥ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٥) سنن أبى داود ٤ / ٤٥٢ حـ ٤٢٥٣ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ، فمات مات ميتة جاهلية ".(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " ألا فمن سره بحبحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد ".(٢)

فهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الكثيرة التى تحث على لزوم الجماعة ، وتحذر عن الشقاق والفرقة تدل دلالة واضحة على أن الجماعة لا تضل عنا لحق ولا تجتمع على باطل .

ولذا استنبط الشافعي ـ رحمه الله ـ من هذه الأحاديث الآمرة بلزوم الجماعة حجية الاجماع . حيث قال : " اذا كانت جماعتهم متفرقة فى البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين ، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار ، فلم يكن فى لزوم الأبدان معنى ، لأنه لا يمكن ، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئا ، فلم يكن للزوم جماعتهم الاّ ما عليهم جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما ، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التى أمر الله بلزومها ".(٣)

ومن ناحية عقلية ان الاجماع على حكم شرعي لابد أن يقوم على مستند شرعي ، وذلك أنه لا يعقل ولا يتصور أن تغيب السنن والشرائع عن الأمة كلها ، وان غابت عن بعضها ، لأن الغفلة انما يتصور فى الفرقة ، ولا يمكن فى الجماعة .

يقول الشافعي فى هذا الصدد : " ونعلم أنهم اذا كانت سنن رسول الله لا تغرب عن عامتهم ، وقد تغرب عن بعضهم ، ونعلم أن عامتهم لا تجتمع

---

(١) صحيح مسلم ، ٣/١٤٧٦ حـ ١٨٤٨ .
(٢) أخرجه الشافعي فى الرسالة . انظر: الرسالة ص ٤٧٤ ، وأخرج الترمذى قريبا منه . انظر: سننه ٤/٤٦٦ .
(٣) الرسالة للشافعي ص ٤٧٥ .

على خلاف لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا على خطأ ان شاء الله"[1].

وقال أيضا : " فالغفلة فى الفرقة ، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس ان شاء الله "[2].

فبهذا يتبين لنا حجية الاجماع ، ولا مجال لانكار حجيته . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " معنى الاجماع أن تجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام ، واذا ثبت اجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج على اجماعهم ، فان الأمة لا تجتمع على ضلالة "[3].

ثانيا : اثبات دلالة الآية على حجية الاجماع :

استدل جمع كثير من العلماء من المفسرين والأصوليين بهذه الآية ، وهي قوله : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس " . على حجية الاجماع ، لأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه الأمة بأنهم وسط . والوسط : الخيار العدل . قال الشاعر :

" هم وسط يرضى الأنام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالى بمعظم "[4].

ولا يجوز أن يخبر تعالى بالعدالة والشهادة مع علمه أنه يجوز أن يقدموا جميعهم على المعصية ، أو يخطئوا أو يشهدوا بغير حق "[5].

وقد ترجم الجصاص لهذه الآية فى كتابه أحكام القرآن . فقال : " باب القول فى صحة الاجماع " . ثم قال : " وفى هذه الآية دلالة على صحة اجماع الأمة من وجهين :

---

(١) الرسالة للشافعي ص ٤٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٧٦ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠ / ١٠ .

(٤) نسبه الطبرى الى زهير بن أبى سلمى . انظر : تفسير الطبرى ٢ / ٦ .

(٥) التمهيد فى أصول الفقه للكلوذانى ٣ / ٢٢٥ .

أحدهمـــا :

وصفه اياها بالعدالة وأنها خيار ، وذلك يقتضى تصديقها والحكـــم بصحة قولها ، وناف لاجماعها على الضلال .

والوجه الآخـــر :

قوله :" لتكونوا شهداء على الناس" . بمعنى الحجة عليهم ، كمـــا أن الرسول لما كان حجة عليهم وصفه بأنه شهيد عليهم ، ولما جعلهم الله شهـــداء على غيرهم فقد حكم لهم بالعدالة وقبول القول ، لأن شهداء الله تعالـــى لا يكونون كفارا ولا ضلالا ... ".(١)

قلـت : وهذا استنباط حسن فى غاية الدقة والوضـــوح .

وممن استدل بهذه الآية على حجية الاجماع القرطبى . حيث قال :"وفيه دليل على صحة الاجماع ، ووجوب الحكم به ، لأنهم اذا كانوا عدولا شهـــدوا على الناس . فكل عصر شهيد على من بعده . فقول الصحابة حجة وشاهـــد على التابعين . واذا جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم .(٢)

فبهذا أرى أن استدلال جمهور العلماء بهذه الآية على صحة الاجمـاع وحجيته استدلال صحيح لا غبار عليه ،وان لم تكن الآية نصا فى ذلك ، الاّ أنه يفهم منها عن طريق الاستنباط والنظر الصحيح ، اذن فلا معنى لجعجعـــة الطبرسي فى رد الاستدلال بالآية على حجية الاجماع .

وقول الطبرسي :" لأن ظاهر الآية أن يكون كل واحد من الأمة بهـــذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك " . كلام غير مستقيم ، لأن الخطاب معهم فى حـــال الاجتماع ، لأن قوله :" جعلناكـم " خطاب لمجموعهم لا لكل واحد منهم وحده ،

---

(١) أحكام القرآن للجصـــاص ١/٨٨ .

(٢) تفسير القرطبي ٢/١٥٦ .

فليس المراد من الآية أنهم كلهم كذلك ، بل المراد أنه لابد وأن يوجد فيما بينهم من يكون بهذه الصفة . فاذا كنا لا نعلم بأعيانهم افتقرنا الى اجتماع جماعتهم على القول والفعل لكي يدخل المعتبرون فى جملتهم.(١)

وقوله :" ومتى حملوا الآية على بعض الأمة لم يكونوا بأولى ممن يحملها على المعصومين " . كلام ساقط . ينبئ عن تعصبه الشديد لعقائد طائفته وعن تعاميه عن الحقائق . ففكرة عصمة الأئمة فكرة باطلة ، لا تستند الى دليل نقلي ولا عقلي ، الاّ ما كان من أوهام الرافضة وأباطيلهم ، أما عصمة مجموع الأمة وحجية اجماعها ، فقد دلّ عليه الكتاب والسنة والعقل السليم ، وكذلك دلت عليه التجارب ، فانه منذ أن التحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى الى اليوم ، لم تجمع أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على خطأ قط .

المثال الثاني : في موقفه من الاجماع :

انه عند تفسيره لقوله :" ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ...".

قال :" وقد استدل بهذه الآية على أن اجماع الأمة حجة ، لأنه توعد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على مشاقة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ. والصحيح أنه لا يدل على ذلك ، لأن ظاهر الآية يقتضى ايجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهرا وباطنا . لأن من أظهر الايمان لا يوصف بأنه مؤمن الاّ مجازا . فكيف يحمل ذلك على ايجاب متابعة من أظهر الايمان ، وليس كل من أظهر الايمان مؤمنا .

ومتى حملوا الآية على بعض الأمة حملها غيرهم على من هو مقطوع على

---

(١) انظر: تفسير الرازى مع التصرف فى العبارة ٤ / ١١٠ .

عصمته عنده من المؤمنين ، وهم الأئمة من آل محمد - صلى الله عليه وسلم - على أن ظاهر الآية يقتضى أن الوعيد انما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين ، فمن أين لهم أن من فعل أحدهما يتناوله الوعيد ؟ ونحن نعلم يقينا أن الوعيد انما يتناول بمشاقة الرسول بانفرادها . بدليل غير الآية ، فيجب أن يسندوا تناول الوعيد باتباع غير سبيل المؤمنين الى دليل آخر .(١)

فهو بهذا يبطل حجية الاجماع ودلالة الآية على حجيته ، أما اثبات حجية الاجماع فقد تكلمنا عنه فى المثال الأول ، ونقلنا الآيات والأحاديث الدالة عليه .

وأما دلالة الآية على حجية الاجماع فقد قال به كثير من العلماء . وأول من استنبط ذلك من الآية الامام الشافعي - رحمه الله - فقد روى أنه سئل عن آية فى كتاب الله تدل على أن الاجماع حجة ، فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى وجد هذه الآية .(٢)

وقد ذهب الحافظ ابن كثير الى أن الآية تدل على حجية الاجماع وصوب استنباط الشافعي هذا وقرّظه .(٣) فقال فى تفسير الآية :" ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ". أى : ومن سلك غير طريق الشريعة التى جاء بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فصار فى شق ، والشرع فى شق، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق ، وتبين له واتضح له . وقوله : " ويتبع غير سبيل المؤمنين " . هذا ملازم للصفة الأولى ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع ، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية ، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا ، فانه قد ضمنت لهم العصمة فى اجتماعهم من الخطأ

---

(١) مجمع البيان ٢ / ١١٠ .

(٢) انظر :التفسير الكبير للرازى ١١ / ٤٣ .

(٣) قرّظ : قرظ فلان فلانا ، مدحه وأثنى عليه .

تشريفا لهم ، وتعظيما لنبيهم ، وقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة صحيحة ، قد ذكرنا منها طرفا صالحا فى كتاب أحاديث الأصول ، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها .

والذى عوّل عليه الشافعي - رحمه الله - فى الاحتجاج على كون الاجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة ، بعد التروى والفكر الطويل ، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها ، وان كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد الدلالة منها على ذلك .(١)

وأما طريقة الاستدلال بالآية على حجية الاجماع وتقرير ذلك ، فقد تفضل الامام الرازى بشرحها وبيانها . فقال - رحمه الله - :" وتقرير الاستدلال أن اتباع غير سبيل المؤمنين حرام ، فيجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين واجبا".

بيان المقدمة الأولى : أنه تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين ، ومشاقة الرسول وحدها موجبة لهذا الوعيد ، فلولم يكن اتباع غير سبيل المؤمنين موجبا ، لكان ذلك ضما لما لا أثر له فى الوعيد الى ما هو مستقل باقتضاء ذلك الوعيد ، وأنه غير جائز ، فثبت أن اتباع غير سبيل المؤمنين حرام ، واذا ثبت هذا لزم أن يكون اتباع سبيلهم واجبا ".(٢)

قلت : توعد الله سبحانه بهذه الآية على من اتبع غير سبيل المؤمنين وخالف طريقتهم ، وليس يتصور مخالفة أعظم من أن يرفض المرأ ما أجمع عليه المؤمنون من التحليل والتحريم . فمن خالف اجماع الأمة فقد اتبع غير سبيل المؤمنين بلا مراء ولا جدال .

فبذلك دلت الآية على حجية اجماع الأمة وتحريم مخالفته .

والقول بحجية الاجماع ، هو قول علماء السلف قاطبة . وأول من باح

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٢) التفسير الكبير للرازى ١١ / ٤٣ ، ٤٤ .

بـــرده ـ كما قال الجوينى ـ :" النظام ، ثم تابعه طوائف من الروافـض". (١)

وقول الطبرسي :" لأن ظاهر الآية يقتضى ايجاب متابعة من هو مؤمـــن على الحقيقة ظاهرا وباطنا ، لأن من أظـهر الايمان لا يوصف بأنه مؤمن الاّمجازا".

كلام باطل كل البطلان . يدل اما على جهله ، أو تجاهله بمعالـــــم الشريعة ، اذ تقرر فى الشريعة أن أحكام الناس تجرى على ظواهرهم ، فكـــل من نطق بالشهادتين وعمل بمقتضاها ولم يصدر منه ما يناقض عقيدة التوحيـــد من قول أو فعل ، ولم تظـهر عليه علامات النفاق والزندقة ، فمثل هذا يصـــح أن يطلق عليه بأنه مؤمن حقيقة ، وذلك أن المؤمنين شهداء الله فى الأرض .

قال تعالى :" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون". (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :" أنتم شهداء اللـه فى الأرض". (٣)

فمن شهد له المؤمنون بالايمان والصدق والصلاح ، فهو كذلك ان شـاء الله ، لأن المرء ان خفي حاله عن بعض المؤمنين ، فانه لا يخفى حاله عـــن جميعهم ، وحتى لو أخفى أمره على الناس ، لابد وأن يظـهر للناس حقيقـــة أمره ولو بعد حـــين .

وكلام الطبرسي ينبيء عن حقده الدفين على الأمة ، حيث يشكك فى حقيقة ايمانهـــم .

وأما قوله :" ومتى حملوا الآية على بعض الأمة حملها غيرهم على من هـو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين ، وهم الأئمة من آل محمد ". فقد مربنـا مثله فى المثـال الأول وزيفنـاه .

وكل هذا يدل على تعصبه الذميم وحقده الدفين تجاه الأمة المحمدية ، فهو ينكر حجية اجماعهم وعصمتهم واطلاق حقيقة الايمان عليهم ، ثم يقول فـــى

---

(١) البرهـان فى أصول الفقه للجوينى ١ / ٦٧٦ .

(٢) سورة التوبـة الآيـة ١٠٥ .

(٣) صحيح البخارى مع الفتح ٣ / ٢٢٩ حـ ١٣٦٧ .

أشخاص من أفراد الامة أنهم معصومون قطعا ، فمن قطع على عصمتهم دون سائر الأمة !؟

موقف الطبرسي من حجية القياس :

القياس في اللغة التقدير ومنه قست الثوب بالذراع اذا قدرته به .

فالقياس مصدر قاس ، قال ابن منظور: " قاس الشئ يقيسه قيسا وقياسا واقتاسه وقيّسه اذا قدّره على أمثاله ".(١)

والقياس في اصطلاح الأصوليين :"حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما ".(٢) وبعبارة أخرى :" هو الحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها في الحكم الذي ورد به النص ، لتساوي الواقعتين في علّة هذا الحكم ".(٣)

ذهب الصحابة الكرام بأجمعهم وجمهور العلماء من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين الى القول بحجية القياس عقلا وشرعا ، وأنه يجوز التعبد به ، وخالفهم في ذلك الشيعة ،والظاهرية ،والنظاميون من المعتزلة . وقالوا : "ان القياس ليس بحجة في الشريعة . ويطلق عليهم نفاة القياس".(٤)

فالطبرسي كغيره من علماء الشيعة يرى عدم حجية القياس ، لذا نراه يرد على الجمهور في قولهم بحجية القياس ، ويحاول ابطال وجه استدلالاتهم ببعض الآيات على اثبات القياس ، ويناقشهم في ذلك .

مثال ذلك : انه عند تفسيره لقوله تعالى :" فاعتبروا يا أولى الأبصار"(٥).

---

(١) لسان العرب لابن منظور الافريقي ٦/١٨٧ .

(٢) روضة الناظر لابن قدامة مع شرح نزهة الخاطر ٢/٢٢٧ .

(٣) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاّف ص ٥٢ .

(٤) انظر: المصدر نفسه ص ٥٤ .

(٥) سورة الحشر الآية ٢ .

قال : أى : فاتعظوا يا أولى العقول والبصائر ، وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم ، ومعنى الاعتبار : النظر فى الأمور ليعرف بها شئ آخر من جنسها ..." . الى أن قال :" ... ولا دليل فى الآية على صحة القياس فى الشريعة ، لأن الاعتبار ليس من القياس فى شئ - لما ذكرناه - ، ولأنه لا سبيل لأهل القياس الى العلم بالترجيح ، ولا يعلم كل من الفريقين علّة الأصل للآخر . فان علّة الربا عند أحدهما : الكيل والوزن ، والجنس ، وعند الآخر : الطعم والجنس ، وفى الدرهم والدنانير ، لأنهما جنس الأثمان ".(١)

والجواب على اعتراضه من وجوه :

أحدها : أن حجية القياس ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) .

أما الكتاب فقوله تعالى :" فاعتبروا يا أولى الأبصار" . وجه الاستدلال : أن الله تعالى لما قص لنا ما حاق ببنى النضير من الاخراج والاهانة وتخريب بيوتهم ، وقد أتاهم ذلك من حيث لا يحتسبون . قال :" فاعتبروا يا أولى الأبصار" . أى : تدبروا وانظروا فيما نزل بهم فقايسوا فعالكم بفعالهم ، لأنكم أناس مثلهم ، ان فعلتم مثل ما فعلوا حاق بكم مثل ما حاق بهم .

وذلك أن النظر والتأمل فيما أصاب من قبلنا من المثلات بأسباب نقلت عنهم - وهو الكفر وغيره - لنكف عنها احترازا عن الجزاء ، كالنظر والتأمل فى موارد النصوص ، لاستنباط المعنى الذى هو مناط الحكم لنعتبر مالا نص فيه بالمنصوص ، احترازا عن العمل بلا دليل ".(٢)

والاعتبار : مقايسة الشئ بغيره ، كقولهم : اعتبر الدينار بالصنجة(٣) ، وهذا الاعتبار هو عين القياس .

---

(١) مجمع البيان ٥/٢٥٨ .

(٢) المغنى فى أصول الفقه للامام جلال الدين محمد بن عمر الخبازى ص٢٨٥ .

(٣) الصنجة : الميزان .

يقول ابن منظور: " والمعتبر : المستدل بالشئ على الشئ ".[1] ويقول أبوالخطاب الكلوذاني الحنبلي - صاحب التمهيد فى أصول الفقه - :"حقيقة الاعتبار فى اللغة : اعتبار الشئ بغيره فى حكمه ، أو صفته ، أو قدره ، ومنه قولهم :" اعتبر السلطان الخراج فى عامنا بالخراج فى العام الماضى ، واعتبر الدنانير بالوزن ، يعنى بالصنجة ، وهذا نفس القياس".[2]

فبذلك نعلم بطلان قول الطبرسي :"ان الاعتبار ليس فى شئ من القياس". بل حقيقة الاعتبار المقايسة .

وأما الأحاديث الدالة على ثبوت القياس فى الشريعة وحجيته . فهي كثيرة جدا ، ومن أصرح تلك الأحاديث ما رواه الشيخان من حديث أبى هريرة واللفظ لمسلم قال :" جاء رجل من بنى فزارة الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال :" ان امرأتى ولدت غلاما أسود . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : هل لك من ابل ؟ قال : نعم قال فما ألوانها ؟ قال : حمر. قال : هل فيها من أورق ؟[3] قال : ان فيها لورقا . قال : فأنى أتاها ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق ، قال : وهذا عسى أن يكون نزعه عرق ".[4]

ففى هذا الحديث اجتمعت أركان القياس ، الأصل والفرع والعلّة والحكم.

ومن تلك الأحاديث ما رواه أبوداود عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- قال :" هششت فقبلت وأنا صائم . فقلت : يا رسول الله ، صنعت اليوم أمرا عظيما : قبّلت وأنا صائم . قال : أرأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم".[5]

---

(١) لسان العرب لابن منظور الافريقي ٦ / ١٨٧ "مادة قيس".

(٢) التمهيد فى أصول الفقه لمحفوظ بن أحمد بن الحسن أبوالخطاب الكلوذاني الحنبلى ٣ / ٣٧٩ .

(٣) أورق : هو الذى فيه سواد ليس بصاف .

(٤) صحيح البخارى مع الفتح ٩ / ٤٤٢ حـ ٥٣٠٥ ، ومسلم ٢ / ١١٣٧ حـ ١٥٠٠ .

(٥) سنن أبى داود ٢ / ٧٧٩ .

فشبه صلى الله عليه وسلم قبلة الصائم من غير ايلاج بالماء فى الفم من دون أن يبلع ، وأجرى حكم أحدهما على الأخرى فى عدم افساد الصوم .

ودليل ثالث على حجية القياس ، هو اجماع الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - فقد كانوا يجتهدون فى كل واقعة وقعت لهم ، ولم يجدوا فيها نصا فيلحقون ما لا نص فيه بنظيره الذى ورد فيه النص . وهذا مما تواتر عنهم تواترا لا شك فيه .

ومن ذلك حكم الصحابة بامامة أبى بكر - رضي الله عنه - بالاجتهاد مع انتفاء النص ، ومن ذلك ما أجمعوا عليه من طريق الاجتهاد بعد طول التوقف ككتب المصحف وجمع القرآن بين الدفتين .

ومن ذلك أنه قيل لعمر :" ان سمرة أخذ من تجار اليهود الخمر فى العشور ، وخللها وباعها . فقال :" قاتل الله سمرة ، أما علم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :" لعن اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها".

فقاس عمر الخمر على الشحم وأن تحريمها تجريم لثمنها .(١)

ومن ذلك قول عمر لأبى موسى الأشعرى فى كتابه الذى كتب اليه :"الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قس الأمور عند ذلك ، واعرف الأمثال والأشباه ، ثم اعمل فيها بأحبها الى الله وأشبهها بالحق".(٢)

فهذا دليل واضح على أن الصحابة كانوا يستخدمون الأقيسة الصحيحة فى الشريعة ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه أنكر القياس الصحيح .

والوجه الثاني من نقض كلام الطبرسي ، هو أن قوله :" ولأنه لا سبيل لأهل القياس الى العلم بالترجيح ". كلام غير مستقيم ولا سديد ، بل هناك

---

(١) انظر: المستصفي من علم الأصول ٢/٢٤٢ - ٢٤٤ .

(٢) التمهيد فى أصول الفقه ٣/٣٨٥ .

لهم سبل كثيرة الى العلم بالترجيح .

وذلك أن علم التكليف المنوط بالعباد علمان : علم باحاطة الظاهر والباطن ، وعلم باحاطة الظاهر فقط . وبعبارة أخرى : العلم علمان : قطعي وظني .

والشارع يكلف العباد حسب طاقتهم . فمن استطاع أن يحيط بالحق في الظاهر والباطن في مسألة ما ، فعليه أن يفعل ، ومن استطاع أن يحيط في الظاهر وعجز عن الاحاطة في الباطن فعليه أن يأتي بما ظهر له ، وترجح في ظنه أنه الحق .

ومثال ذلك أن الله سبحانه كلف عباده باستقبال القبلة ، فمن كان في المسجد الحرام ويعاين القبلة ، فعليه أن يتوجه الى عينها ، فاذا توجه الى القبلة وهو يعاينها ، فقد أحاط ما أمر به ظاهرا وباطنا ، وعلم علما قطعيا أنه أتى بما كلف به ، وأما أهل الآفاق الذين لا يعاينون القبلة فعليهم أن يتوجهوا شطرها ، ولا يلزم عليهم أن يصيبوا عين القبلة ، فهم قد عملوا بالعلم الظني ، ولا عليهم أن لا يصيبوا حقيقة ما كلف بهم باطنا .

وكذلك كلفنا أن نقضي بالشاهدين ، وقد يكونان كاذبين في حقيقة الأمر ، ولكنا ما كلفنا الآ أن نحكم بما ظهر لنا منهما من العدالة ، فحكمنا بشهادة الشاهدين حكم بالعلم الظني ، وذلك أن (الذي كلفنا في طلب العين المغيب غير الذي كلفنا في طلب العين الشاهد) . فالظن الراجح[1] أحد الطرق الى العلم بالترجيح والقياس عمل بالظن الراجح .

يقول الامام الشافعي - رحمه الله -: " العلم من وجوه : منه احاطة في الظاهر والباطن ، ومنه حق في الظاهر . فالاحاطة منه ما كان نص حكم لله أو سنة لرسوله ، نقلها العامة عن العامة ، فهذان السبيلان اللذان يشهد بهما فيما أحل أنه حلال ، وفيما حرم أنه حرام ، وهذا لا يسع أحدا عندنا

---

(١) الرسالة للشافعي ص ٤٨١ .

جهله ولا الشك فيه ... ، وعلم اجماع ، وعلم اجتهاد بقياس ، على طلب اصابة الحق ، فذلك حق فى الظاهر عند قايسه ، لا عند العامة من العلماء ، ولا يعلم الغيب فيه الآ الله " . (١)

ثم قال - بعد ما مثل هذه القاعدة باستقبال القبلة للغائب والشاهد -: " فلست ترانى أنى كلفت الحق من وجهين : أحدهما : حق باحاطة فى الظاهر والباطن ، والآخر : حق بالظاهر دون الباطن " . (٢)

ويقول الغزالي - رحمه الله - فى رد مثل هذه الشبهة التى أوردها الطبرسي فى معرض رد حجية القياس :" العموم والظواهر وخبر الواحد، وقول المقوم فى أرش الجنايات والنفقات ، وجزاء الصيد ، وصدق الشهود، وصدق المخالف فى مجلس الحكم ،كل ذلك مظنون ، ويرفع به النفي الأصلى .

ثم نقول :" نحن لا نرفع الآ بقاطع ، فاذا تعبدنا باتباع العلّة المظنونة وظننا ، فنقطع بوجود الظن ، ونقطع بوجود الحكم عند الظن ، فلا يرفع ذلك الآ بقاطع " . (٣)

قلت : ثم انه لا يضر القايس اذا اجتهد فى تحصيل العلّة وغلب على ظنه ادراكها واقتنع بأنه لم يأل جهدا فى موافقة الحق ، ثم حكم على ضوء ذلك ، لا يضيره أن لا يعلم العلّة غيره ، فان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد ، لأنه أتى بما كلف به من التحرى فى موافقة الحق .

وان تعجب ، فعجب رفض الرافضة حجة القياس ، ثم قولهم بحجية قول الامام وحجية العقل ، ولا ضابط للعقل ، فعقل هذا يختلف عن عقل ذلك ، وعقل الرافضى يختلف عن عقل السنى ، فبأى عقل نحتج به ، وأى عقل لا نحتج به .

---

(١) الرسالة للشافعي . بتحقيق أحمد محمد شاكر ص٤٧٨ ، ٤٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨٥ .

(٣) المستصفي من علم الأصول لأبى حامد الغزالي ٢/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

أما القياس فله ضابط دقيق يعرف به صحيحه من فاسده ، وذلك أن نظير الحق حق ، ونظير الباطل باطل . فالقياس منه قياس صحيح ، ومنه قياس فاسد ، كالذى يعارض النص ، وهو الذى يسميه الأصوليون بفاسد الاعتبار.

وأما اختلافهم فى علّة الربا ، فليس بقادح فى حجية القياس ، لأن كل واحد من العلماء علّل بما أدى اليه اجتهاده ولم يقصر فى تحرى الحق ، وهذا غاية ما كلفوا به ، وكل واحد من العلماء له مستند فيما علّل به ، فمن أصاب فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر .

وكلام الطبرسي الذى يرفض به القياس ، حجر على العقول فى شريعة ممتدة عبر الزمان والمكان ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك أن القضايا متجددة متغيرة فى كل زمان ومكان ، بحيث لا تسعها النصوص كلها صراحة ، بل ضمنا . فوجب استعمال القياس لالحاق ما ليس منصوصا عليه بما هو منصوص عليه .

* * *

* *

*

المبحث الثاني
الطبرسي وفروع فقه الشيعة الامامية

تمهيد :

لقد انفردت الشيعة الامامية بكثير من المسائل الفقهية ، خالفوا فيها سائر الأمة .

والاختلاف في الفروع ليس غريبا في مجال الفقه الاسلامي ، فقد كان العلماء تتفاوت أنظارهم في بعض المسائل الفقهية منذ عصر الصحابة - رضي الله عنهم - ، ولكن لاختلاف العلماء في تلك المسائل أسباب معقولة ، وكانت له مسوغاته ، وكان كل واحد منهم يتحرى اصابة الحق ويقبله ولو ظهر على لسان خصمه .

فقد قال الامام الشافعي - رحمه الله -: " ما كلمت أحدا الا ولم أبال بين الله الحق على لساني أوعلى لسانه ". (١) فعلماء السنة ما كان قصدهم وهدفهم الخلاف ، وانما كان همهم أن يظفروا بالحق أنى وجدوه .

أما عند الرافضة فالخلاف مقصود لذاته ، فهم يتعمدون مخالفة جمهور الأمة في كل شئ ، ولو كان الحق معهم ، فمخالفة الجمهور أو مخالفة العامة - حسب تعبيرهم - من لوازم مذهبهم . فلو اختلف علماء الامامية في مسألة ما ، فالرأى المباين لما عليه الجمهور أو العامة هو الصواب عندهم ، ويسندون الى علماء أهل البيت أخبارا كثيرة تحثهم على مباينة الأمة ومخالفتها .

وسبب آخر حمل الامامية على الشذوذ في كثير من المسائل ، هو أن الامامية لا يأخذون دينهم الا عن دجّال كذّاب أو مجهول غير معروف ، أو مغمور غير موثق ، أو معدوم غير موجود ، بينما أهل السنة لا يأخذون دينهم الا عن رجال موثقين معروفين بالصدق والعدالة والأمانة والضبط والاتقان .

أما الرافضة فان الذى يأخذونه عن الكاذب أحب اليهم مما أخذ عن

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١ / ١٧٤ .

الصادق ، والذى يروونه عن المجهول أحب اليهم مما يروونه عن المعروف ، وما يتلقونه من المعدوم أحب اليهم مما يتلقونه عن الموجود .

يدلك على ذلك ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن بعض مشايخ الرافضة ، حيث قال : " وقد رأيت طائفة من شيوخ الرافضة كابن العود الحلي يقول : " اذا اختلفت الامامية على قولين ، أحدهما يعرف قائله ، والآخر لا يعرف قائله ، كان الذى لا يعرف قائله هو القول الحق الذى يجب اتباعه لأن المنتظر المعصوم فى تلك الطائفة ". [1] وكفى بهذا ضلالا .

لذا نرى الامامية انفردوا بكثير من المسائل الفقهية ، ولا مسوغ لهم فيما انفردوا به الاّ ولعهم بمخالفة الأمة ، وهذا الذى خالفوا فيه سائر الأمة ، قد جانبهم الصواب فيه . وفى أكثر ما انفردوا به خالفوا فيه نصوصا صريحة لا تحتمل التأويل ، كما خالفوا فى بعضها قواعد الشريعة ومقاصدها .

وذلك على سبيل المثال : ان علماء الأمة يتشددون فى مسألة الفروج ، ويقولون ان أصلها الحرمة ، الاّ ما أحلها الشارع بنصوص قاطعة ، وقد انحصرت طرق استحلال الفروج بالنكاح وبملك اليمين . لقوله تعالى : "والذين هم لفروجهم حافظون الاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم " . ولكن لسان حال الرافضة عكس تلك القاعدة لكثرة الطرق التى استحلوا بها الفروج من نكاح المتعة وتحليل فروج الجارية أو عاريتها واتيان النساء فى أدبارهنّ ".

يقول أحد فقهائهم :" والفروج المحللة بنص الشارع أربعة : العقد الدائم ، وبالمنقطع - يعنى المتعة - ، وبملك اليمين ، وبتحليل الأمة من مالكها ". [2]

ويروى الكلينى بسنده عن عبد الكريم عن أبى جعفر - عليه السلام - قال :

---

(١) منهاج السنة ١ / ٢١ .
(٢) الأنوار الوضية فى العقائد الرضوية للشيخ حسن بن الشيخ محمد الصفورى البحراني ص ١٨٨ .

قلت له : الرجل يحل لأخيه فرج جاريته ؟ قال : نعم . له ما أحل .[1]

ومفسرنا الطبرسي قد تعرض لمناقشة بعض المسائل الفقهية من خلال تفسيره لبعض آيات الأحكام ، وانتصر لمذهب الامامية في كل مباحثه وتعصب لهم أيما تعصب . وقد خالف في ترجيحاته صريح الكتاب والسنة ، مما يدل على أن غرضه ترويج مذهب الرافضة ومؤازرته ، وليس قصده نصرة الحق وتأييده .

وسنذكر على سبيل المثال بعض المسائل الفقهية التي تعرض لها في تفسيره ورجّح مذهب الامامية فيها :

اتيان النساء في أدبارهنّ :

من المعلوم من الدين بالضرورة حرمة اتيان النساء في أدبارهنّ بنص كتاب الله وسنة رسوله ، وباتفاق جماهير العلماء .

أما الكتاب فقوله تعالى : " فاذا تطهرنّ فأتوهنّ من حيث أمركم الله "[2] . والمراد به : الفرج . كما قال ابن عباس .[3]

وقوله تعالى : " نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم "[4] . والحرث موضع النسل وهو القبل .

وأما السنة . فقد وردت أحاديث كثيرة تنهى نهيا باتا عن اتيان النساء في أدبارهنّ بألفاظ غليظة . وفي هذه الأحاديث وعيد شديد لفاعل ذلك .

فقد روى الترمذي بسنده عن ابن عباس قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لا ينظر الله الى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر "[5] .

---

(١) الفروع من الكافي للكليني ٥ / ٤٦٨ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٠ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٣ .
(٥) سنن الترمذي ٣ / ٤٦٩ .

وروى بسنده عن عليّ بن طلق . قال :" أتى أعرابي الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال :" يا رسول الله ،الرجل منا يكون فى الفلاة ، فتكون منه الرويحة ، ويكون فى الماء قلة؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " اذا فسا أحدكم فليتوضأ ولا تأتوا النساء فىأعجازهنّ ،فان الله لا يستحي من الحق". (١)

قال الترمذى :" وفى الباب عن عمر وخزيمة بن ثابت ، وابن عباس، وأبي هريرة . وقال :" حديث عليّ بن طلق حديث حسن ". (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :" ان الله لا ينظر الى رجل جامع امرأته فى دبرها " . (٣)

وروى أبوداود بسنده عن أبى هريرة قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:" ملعون من أتى امرأته فى دبرها". (٤)

فهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الكثيرة تدل على حرمتها وعظم جرم فاعلها ، وبه قال العلماء قاطبة الآمن شذّ .

أما الرافضة . فقد قالوا بجوازها وحلها مما يدلك على فساد ذوقهم وقلّة مروءتهم وحيائهم . ويزعمون أن أهل البيت قالوا بحل اتيان النساء فى أدبارهنّ . فقد روى الكلينى - صاحب الكافى - بسنده عن صفوان بن يحيى يقول : قلت للرضا : ان رجلا من مواليك أمرنى أن أسألك عن مسألة هابك واستحي منك أن يسألك . قال :" وماهي ؟ قال : الرجل يأتى امرأته فى دبرها ؟ قال :" ذلك له . قلت له : فأنت تفعل ؟ قال : انا لا نفعل". (٥)

---

(١) سنن الترمذى ٣/٤٦٨ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) مسند الامام أحمد ٢/٣٤٤ .
(٤) سنن أبى داود ٢/٦١٨ .
(٥) الفروع من الكافي ٥/٥٤٠ .

والطبرسي صوّب مذهب الامامية فى ذلك ونافح عنهم .

فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى : " نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم " :" واستدل مالك بقوله : " أنى شئتم " على جواز اتيان المرأة فى دبرها ، ورواه عن نافع عن ابن عمر ، وحكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر .

ثم قال :" وبه قال كثير من أصحابنا ، وخالف فى ذلك جميع الفقهاء . وقالوا : ان الحرث لا يكون الاّ بحيث النسل ، فيجب أن يكون الوطء حيث يكون النسل ، وأجيبوا عن ذلك بأن النساء وان كنّ لنا حرثا ، أبيح لنا وطؤهنّ بلا خلاف فى غير موضع الحرث ، كالوطء فيما دون الفرج وما أشبهه ". (١)

والجواب على كلامه من وجهين :

أحدهما : ان أصحاب مالك ينكرون ثبوت هذا عن مالك ، بل الذى ثبت عنه تحريم اتيان النساء فى أدبارهنّ . يقول القرطبي :" وما نسب الى مالك وأصحابه فباطل وهم مبرءون من ذلك ". (٢)

وقال ابن كثير :" وعزاه بعضهم الى الامام مالك فى كتاب السر ، وأكثر الناس ينكر أن يصح ذلك عن الامام مالك (رحمه الله) ." (٣)

ثم أورد ابن كثير خبرا مسندا الى الامام مالك ينكر فيه ذلك . قال ابن كثير :" قال أبوبكر بن زياد النيسابورى ، حدثنى اسماعيل بن حصن . قال : حدثنى اسماعيل بن روح : سألت مالك بن أنس . ما تقول فى اتيان النساء فى أدبارهنّ ؟ قال :" ما أنتم قوم عرب ؟ هل يكون الحرث الاّ موضع الزرع ؟ لا تعدوا الفرج . قلت : يا أبا عبدالله انهم يقولون انك تقول ذلك ؟ قال : يكذبون علىّ يكذبون علىّ ". (٤)

---

(١) مجمع البيان ١ / ٣٢١ .
(٢) تفسير القرطبي ١ / ٩٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٤ .
(٤) المصدر نفسه ١ / ٣٨٩ .

وأما ابن عمر - رضي الله عنه - فقد روى عنه ذلك ، وثبت عنه أيضا خلاف ذلك وهو القول بالتحريم .(١)

وقد قال ابن كثير في التوفيق بين أقوال ابن عمر المتعارضة :" ان الروايات الدالة على الاباحة محمولة على الاتيان في القبل من الدبر " .(٢)

ويدل على صحة ذلك ما رواه النسائي بسنده عن أبي النضر ، أنه قال لنافع مولى ابن عمر :" انه قد أكثر عليك القول : انك تقول عن ابن عمر أنه أفتى أن تؤتى النساء في أدبارهنّ . قال : كذبوا عليّ ، ولكن سأحدثك كيف كان الأمر : ان ابن عمر عرض المصحف يوما وأنا عنده ، حتى بلغ:" نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم " . فقال : يا نافع ، هل تعلم من أمر هذه الآية ؟ قلت : لا . قال : انا كنا معشر قريش نجبي النساء ، فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار ، أردنا منهنّ ما كنا نريد ، فاذا هنّ قد ذكرن ذلك وأعظمنه ، وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال اليهود ، انما يؤتين على جنوبهنّ فأنزل الله :" نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم " .(٣)

وقال ابن كثير - بعد ما أورد هذا الحديث -:" وهذا اسناد صحيح "(٤) .

قلت : وحتى لو ثبت عن أشخاص من العلماء أنهم قالوا بحلها ، فان مثل هذا يعد من زلة العالم ، وليس لنا أن نأخذ زلات العلماء ، بل علينا اتباع الكتاب والسنة ، فالحلال ما أحله الشارع ، والحرام ما حرمه الشارع .

ثانيا : قوله :" ان النساء وان كنّ لنا حرثا أبيح لنا وطؤهن بلا خلاف في غير موضع الحرث كالوطء فيما دون الفرج وما أشبهه " . كلام لا نسلم له جملة .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٨ .

(٢) انظر: المصدر نفسه ١ / ٣٨٣ .

(٣) كتاب عشرة النساء (من السنن الكبرى للنسائي) ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٤ .

ونقول : أبيح لنا الاستمتاع فيما دون الفرج ما عدا الوطء في الدبر ، لأن ظاهر الآية يقتضي تحريمه والسنة قد نصت على ذلك .

ولاية الأخ والعم وابن العم على المرأة :

لا خلاف بين جماهير العلماء في ثبوت الولاية للأخ والعم وابن العم ، وغيرهم من العصبات اذا لم يوجد من هو أقرب الى المرأة منهم .(١)

أما الامامية . فانهم لا يثبتون لهؤلاء ولغيرهم من العصبة الولاية عند عدم الأب والجد . يقول الخميني في كتابه تحرير الوسيلة :" ولا ولاية عليهنّ للأم وللجد من طريق الأم ... ، ولا للأخ والعم والخال وأولادهم "(٢).

والطبرسي انتصر لمذهب الامامية . فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى : " واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحنّ أزواجهنّ اذا تراضوا بينهم بالمعروف ".(٣) " نزلت في معقل بن يسار ، حين عضل أخته جمّلاء أن ترجع الى الزوج الأول - وهو عاصم بن عدي - فانه كان طلقها ، وخرجت من العدة ، أراد أن يجتمعا بعقد آخر ، فمنعها من ذلك . فنزلت الآية . عن قتادة ، والحسن ، وجماعة . وقيل : نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدي . ثم قال :" والوجهان لا يصحان على مذهبنا ، لأنه لا ولاية للأخ وابن العم عندنا ، ولا تأثير لعضله . فالوجه في ذلك أن تحمل الآية على المطلقين كما في الظاهر ، فكأنه قال :" لا تعضلوهنّ . أي : لا ترجعوهنّ عند قرب انقضاء عدتهنّ ، اضرارا بهنّ ، لا رغبة بهنّ ، فان ذلك لا يسوغ في الدين ، ويجوز أن يكون العضل محمولا على الجبر والحيلولة بينهنّ وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية".(٤)

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة ٦/٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٢) تحرير الوسيلة للخميني ٢/٢٥٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٢ .

(٤) مجمع البيان للطبرسي ١/٣٣٢ .

قلـــت : هذا الذى قاله الطبرسي باطل ، واتباع للهوى ورد للنصوص الثابتة ، وتحريف لمعاني كتاب الله . وعادة الرافضة رد كل نص خالـــــف مذهبهم . والطبرسي رد سبب نزول الآية وحرّف معنى الآية بحجة أن هـذا لا يصح فى مذهبهم ، وهذا عين الخطأ ،اذ المفروض أن يكون المذهـــب تابعا للكتاب ،لا أن يكون الكتاب تابعا للمذهب .

وسبب نزول الآية الذى رده الطبرسي وفنّده قد رواه البخارى فى صحيحه وهو يدل على ثبوت الولاية للأخ .

قال الامام البخارى ـ رحمه الله ـ:" حدثنا أحمد بن أبى عمر قـــال : حدثنى أبى قال : حدثنى ابراهيم عن يونس عن الحسن . قال :" فلا تعضلوهنّ". قال : حدثنى معقل بن يسار أنها نزلت فيه . قال :" زوجت أختا لى من رجـل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها جاء يخطبها . فقلت له :" زوجتك وأفرشتـــك وأكرمتك فطلقتها ، ثم جئت تخطبها ، لا والله لا تعود اليك أبدا ، وكـــان رجلا لا بأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع اليه . فأنزل الله هذه الآيـــة: " فلا تعضلوهنّ " . فقلت : الآن أفعل يارسول الله . قال : فزوجها اياه"[1].

وهذا يدل دلالة واضحة على أن لمعقل وهو أخ المـرأة ،ولاية عليها ، اذ لو لم تكن الولاية ثابتة له ، لما كان لعضله معنى ، ولبيّن الشارع أنه ليـس له عليها ولايـــة .

وليس المخاطبون بالآية الأزواج ، كما زعم الطبرسي ،وانما المخاطبـون بها الأولياء ، لأن النهى عن عضل الأزواج بالرجعة عند قرب انقضاء العـــدة قد ذكر فى الآية التى قبلها . وهي قوله تعالى :" واذا طلقتم النســـــاء فبلغن أجلهنّ فأمسكوهنّ بمعروف أو سرحوهنّ بمعروف ولا تمسكوهنّ ضرارا لتعتدوا"[2].

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ٩/١٨٣ حـ ٥١٣٠ .

(٢) سورة البقـــرة الآيـــة ٢٣١ .

والتأسيس خير من التأكيد .

نكاح الكتابيات :

لقد أباح الشارع للمسلم أن يتزوج الكتابيةالمحصنة . لقوله تعالى : " والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهنّ أجورهنّ محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان" . (١)

وبه قال كافة العلماء . قال ابن قدامة :" ليس بين أهل العلم بحمد الله خلاف فى حل حرائر نساء أهل الكتاب " . (٢)

لكن جلّ علماء الامامية قالوا انه لا يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابيات، وهم يروون عن أهل البيت روايات مضطربة تارة بحلها ، وتارة بتحريمها . (٣)

والقول بتحريم ذلك مخالف للنص القرآني ، وهو تحريم ما أحل اللهتعالى .

والطبرسي كدأبه مضى على مذهب أصحابه فى هذه المسألة ولم يعط النصوص حقها .

فانه عند تفسيره لقوله تعالى :" ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن" (٤) . قال : " وهي عامة عندنا فى تحريم مناكحة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ، وليست بمنسوخة ولا مخصوصة" . (٥)

وقال أيضا عند تفسيره لقوله :" والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ..." : وقال أصحابنا : لا يجوز نكاح عقد الدوام على الكتابية لقوله تعالى :" ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن" . ولقوله :" ولا تمسكوا بعصم الكوافر" (٦) .

---

(١) سورة المائدة الآية ٥ .
(٢) المغنى لابن قدامة ٦ / ٥٨٩ .
(٣) انظر: الاستبصار للطوسي ٣ / ١٧٨ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٢١ .
(٥) مجمع البيان للطبرسي ١ / ٣١٨ .
(٦) سورة الممتحنة الآية ١٠ .

وأوّلوا هذه الآية : بأن المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب اللائى أسلمن منهنّ . والمراد بالمحصنات : المؤمنات اللاتى فى الأصل كنّ مؤمنات بأن ولدن على الاسلام ... ". قالوا :" ويجوز أن يكون أيضا مخصوصا بنكاح المتعة وملك اليمين ، فان عندنا يجوز وطؤهنّ بكلا الوجهين"[1].

قلت : هذا الذى حكاه عن أصحابه باطل لتعارضه مع النص القرآني ، وهو من شؤم تأويلاتهم الفاسدة وتقدمهم بين يدى الله ورسوله .

وليس هناك تعارض بين الآيات الثلاثة . فان آية البقرة :" ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " نص فى تحريم نكاح المشركات الوثنيات . وآية المائدة " والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم". نص قاطع فى اباحة نكاح الكتابيات .

وأما قوله :" ولا تمسكوا بعصم الكوافر". ففى نهى بقاء الوثنيات فى عصمة المسلمين ، لأنها نزلت فى مشركات قريش اللائي كنّ فى عصمة المؤمنين .

وتأويل المحصنات بالنساء اللائي أسلمن من أهل الكتاب تأويل فاسد ، بل هو تلاعب بالكتاب .

والغريب أن الرافضة يبيحون متعة الكتابيات ويحرمون نكاحهنّ مع أن المتعة حرام اطلاقا . " أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير".[2]

ارث النبي (صلى الله عليه وسلم) :

قد ثبت وصح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لا يورث الأنبياء ولا يقتسم ما يتركونه من الأموال وانما هي صدقة .

فقد روى الامام البخارى ،عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن فاطمة

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢/١٦٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ٦١ .

والعباس ـ عليهما السلام ـ أتيا أبابكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهما حينئذ يطلبان أرضهما من فدك وسهمهما من خيبر . فقال لهما أبوبكر : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :" لا نورث ما تركنا صدقة " . وانما يأكل آل محمد من هذا المال"(١) .

وفى الصحيحين أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال ـ لجماعة من الصحابة ، منهم عليّ والعباس ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ـ : " أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" لا نورث ما تركنا صدقة". يريد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه . فقال الرهط :" قد قال ذلك . فأقبل على عليّ وعباس فقال : هل تعلمان أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ذلك . قالا : قد قال ذلك "(٢) .

وروى البخارى أيضا عن أبى هريرة :" أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" لا يقتسم ورثتى دينارا ، ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى صدقة "(٣) .

فهذه الأدلة القاطعة التى رويت عن جمع من الصحابة بأصح الأسانيد تدل دلالة قاطعة على أن الأنبياء لا يورثون ، وانما تركوه صدقة . وقد طبق هذا الحكم الخليفة الأول :أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ووافقت عليه الأمة .

ولم يحد عن هذا الحكم الشرعي الاّ الشيعة ، فانهم ضربوه بعرض الحائط ، وزعموا أن الأنبياء يورثون كغيرهم ، وأن أبابكر ـ معاذ الله ـ ظلم فاطمة فى منعه اياها ميراث أبيها . وقالوا : " ان هذه الأخبار التى تمنع

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ١٢ / ٥ حـ ٦٧٢٥ ، ٦٧٢٦ .

(٢) قطعة من حديث طويل رواه الشيخان ، صحيح البخارى مع الفتح ١٢ / ٦ حـ ٦٧٣٠ ومسلم ٣ / ١٣٧٨ كتاب الجهاد والسير ورقمه من الكتاب ٤٩ .

(٣) صحيح البخارى مع الفتح ١٢ / ٦ حـ ٦٧٢٩ .

ذلك من مفتريات الصحابة وافتئاتهم . معاذ الله أن يفترى الصحابة الأجلاء على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وقد وصل بهم الأمر أن حرفوا لفظ الحديث ومعناه ليتفق مع أهوائهم . فقد قرأوا الحديث هكذا : " لا يورث ما تركناه صدقة" . أى بالياء التحتانية فى " نورث " و"صدقة"بالنصب على الحال .[1] وهذا تحريف واضح . وينقض زعمهم رواية ابى هريرة : " لا يقتسم ورثتى دينارا ، ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى صدقة" .

والطبرسي انتصر لمذهب أصحابه فى هذه المسألة ولم يلتفت الى النصوص القاطعة الجليّة ، واستدل بعموميات ليست نصا على الموضوع ، أو هي مخصصة بهذه السنة الصحيحة . فقد قال عند تفسيره لقوله :" للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ".[2] قال :" ويدخل فى عموم اللفظ الأنبياء وغير الأنبياء ، فدّل على أن الأنبياء يورثون كغيرهم على ما ذهب اليه الفرقة المحقة".[3]

قلت : ان كان يدخل عموم الآية الأنبياء وغيرهم ، فان هذا العموم قد خصص بما ثبت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأصح الأسانيد من أن الأنبياء لا يورثون كغيرهم ، وأنما تركوه صدقة ، وذلك أن السنة تخصص عموم القرآن ، وتقيد مطلقه ، وتفصل مجمله ، وتبين مبهمه .

قال تعالى :" وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ".[4]

وقال تعالى :" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا".[5]

وليست الرافضة الذين خالفوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : " لا نورث ما تركنا صدقة" فرقة محقة ، كما وصفهم الطبرسي زورا وبهتانا ، بل

---

(١) انظر: فتح البارى ٦/٢٠٢ .
(٢) سورة النساء الآية ٧ .
(٣) مجمع البيان للطبرسي ٢/١٠ .
(٤) سورة النحل الآية ٤٤ .
(٥) سورة الحشر الآية ٧ .

هم فرقة ضالة مضلة بعيدة عن هديه صلى الله عليه وسلم، فبينهم وبين الحق بعد ما بين الثرى والثريا وبعد ما بين المشرقين.

وانما الفرقة المحقة هم الذين اقتفوا أثر الرسول - صلى الله عليه وسلم - واهتدوا بهديه ، واستنوا بسنته ، ولم يحيدوا عن طريقته قيد أنملة ، وفي مقدمة تلك الفرقة المحقة : أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - الذي قال :" لست تاركا شيئا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمل به الا عملت به ، فانـــي أخشى ان تركت شيئا من أمره أن أزيـــغ ". (١)

فالحق مع أبي بكر في هذا وليس مع الرافضة ، وهو أولى الناس برســول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمنّ الناس عليه في صحبته وماله ، وأحرص النـــاس على اتبـاع هديـه .

ولن ترى في الناس من رفيق ∴ أولى به الفضل من الصديق ". (٢)

وقال أيضا عند تفسيره لقوله تعالى :" وورث سليمان داود ": (٣) فـــي هذه الآية دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم ، وهو قول الحسن وقيل معناه : انه ورثه علمه ونبوتـه وملكه دون سائر أولاده .

ومعنى الميراث هنا : أنه قام مقامه في ذلك ، فأطلق عليه اسم الارث ، كما أطلق على الجنة اسم الارث ، ثم قال :" وهذا خلاف الظاهر . والصحيح عند أهل البيت هو الأول ". (٤)

قلنـا : الصحيح المعنى الثاني ، أي أن سليمان ورث نبوة أبيه وملكـه وليس المراد وراثه المال ، اذ لو كان كذلك لم يختص سليمان بذلك دون سائر أولاده ، وكذلك ان الأنبياء لا يورثون كما صح عن رسول الله - صلى الله عليـه وسلم - ، وسياق الآية يدل على ذلك .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٦/١٩٧ حـ ٣٠٩٣ .
(٢) البيت في ألفية ابن مالك في أفعل التفضيل .
(٣) سورة النمـــل الآيـــة ١٦ .
(٤) مجمع البيـــان ٤/٣١٤ .

والثابت عن أهل البيت فى هذه المسألة خلاف قول الرافضة ، وذلك أن عليّا - رضي الله عنه - لم يقسم أثناء خلافته تركة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أرض فدك وخيبر ، بل تركها على ما كانت عليه فى زمن الخلفاء الثلاثة ، لعلمه أن الحق فى ذلك هو عين ما صنع أبوبكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) .

وبنحو ذلك احتج الخليفة العباسى السفاح ، فانه لما خطب أول خطبة قام بها ، قام اليه رجل معلق فى عنقه المصحف . فقال : " أنشدك الله الاّ ما حكمت بينى وبين خصمى . فقال : من هو ؟ قال : أبوبكر فى منعه فدك . قال: أظلمك ؟ قال : نعم . قال : فمن بعده ؟ قال : عمر . قال : أظلمك ؟ قال : نعم . وقال فى عثمان كذلك . قال : فعلى ظلمك ؟ فسكت الرجل فأغلظ له السفاح " .(١)

قال النووى : " قال العلماء : والحكمة فى أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يورثون ، أنه لا يؤمن أن يكون فى الورثة من يتمنى موته فيهلك ، ولئلا يظن بهم الرغبة لوارثهم فيهلك الظّان ، وينفر الناس عنهم " .(٢)

والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - عند ما يفارقون الدنيا لا يذكرون بالدنيا التى تركوها ، وانما يذكرون ويمدحون بالدين وما خلفوا من آثار باقية فيه ، وكذلك سألوا الله سبحانه أن يجعل لهم لسان صدق فى الآخرين ، وذلك لا يكون بالدنيا ، بل يكون بالأعمال الصالحة الباقية .

التعصيب :

جاء فى اللسان فى مادة عصب : عصبة الرجل : بنوه وقرابته لأبيه ، والعصبة الذين يرثون الرجل عن كلالة ، من غير والد ولا ولد . فأما فى

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٢ / ٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٢/ ٧٤ .

الفرائض ، فكل من لم تكن له فريضة مسماة فهو عصبة ".[1]

والتعصيب : مصدر عصب يعصب تعصيبا .

والمقصود بالعصبة في باب الفرائض ، هم الذين يصرف لهم الباقي بعد أن يأخذ أصحاب الفروض أنصباءهم المقدّرة لهم ، فاذا لم يفضل شئ من المال لم يأخذوا شيئا ، الاّ اذا كان العاصب ابنا ، فانه لا يحرم بحال .

والعصبة أيضا هم الذين يستحقون التركة كلها ، اذا لم يوجد من أصحاب الفروض أحد ".[2]

وتنقسم العصبة الى عصبة بنفسه ، وعصبة بغيره ، وعصبة مع غيره .

فالعصبة بنفسه هي : كل ذكر لا يدخل في نسبته الى الميت أنثى ، والعصبة بغيره هي : الانثى التي يكون فرضها النصف في حالة الانفراد والثلثين اذا كانت معها أخت لها فأكثر ، فاذا كان معها أو معهنّ أخ صار الجميع حينئذ عصبة . ويكون الارث بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين .

والعصبة مع الغير هي : كل انثى تحتاج في كونها عاصبة الى أنثى أخرى .[3]

وهذا التعريف والتقسيم للعصبة لجمهور علماء الأمة الذين يرون الارث بالتعصيب .

ويستدل الجمهور على توريث العصبة بما رواه الشيخان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر ".[4]

وقوله صلى الله عليه وسلم - : " والذي نفس محمد بيده ، ان على الأرض مؤمن الاّ أنا أولى الناس به ، فأيكم ما ترك دينا أو ضياعا ، فأنا

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١ / ٦٠٥ (مادة عصب) .
(٢) انظر : فقه السنة للسيد سابق ٣ / ٦٢٥ .
(٣) المصدر نفسه مع التصرف ٣ / ٦٢٦ - ٦٢٨ .
(٤) البخاري مع الفتح ١٢ / ١١ حـ ٦٧٣٢ . ومسلم ٣ / ١٢٣٣ حـ ١٦١٥

مولاه ، وأيكم ترك مالا فالى العصبة من كان ".[1]

أما الشيعة الامامية فقد قالوا :" انه لا يثبت الارث بالتعصيب، وزعموا أن الأقرب الى الميّت يمنع الأبعد ، سواء كان الأقرب ذا فرض أم لا . فما أبقت الفروض يرد على أصحاب الفروض ".[2]

فلو كانت الورثة منحصرة فى بنت وأم وأخوة ، فعند الامامية لا حظ للأخوة ، لأن البنت تأخذ النصف ، وتأخذ الأم السدس فرضا ، ويرد الثلث الباقى أرباعا على سهميهما ، والأخوة فى فيهم التراب أى : ليس لهم شئ".[3]

وليس لهم فى ذلك دليل الاّ ما يفترونه على أهل البيت ، فقد رووا أن أباعبد الله سئل : المال لمن هو للأقرب أو للعصبة ؟ فقال :" المال للأقرب والعصبة فى فيها التراب ".[4] أى : ليس لهم من الميراث شئ ".

وأيد الطبرسي كدأبه أصحابه فى ابطال الارث بالتعصيب ، واحتج فى ذلك بقوله تعالى :" للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ..."[5] . فقال :" وهذه الآية تدل على بطلان القول بالعصبة ، لأن الله فرض الميراث للرجال والنساء . فلو جاز منع النساء من الميراث فى موضع ، لجاز أن يجرى على الرجال مجراهم فى المنع من الميراث"[6] .

والجواب : أن الآية لا تدل على بطلان العصبة ، بل غاية ما تدل أن للرجال والنساء حقا فى الميراث ، وذلك أن الآية نزلت فى ابطال عادة الجاهليين

---

(١) رواه مسلم . انظر صحيحه ٣ / ١٢٣٨ ، كتاب الفرائض حـ ١٧ .
(٢) انظر : تحرير الوسيلة للخمينى ٢ / ٣٧٧ .
(٣) انظر : المصدر نفسه .
(٤) الاستبطار فيما اختلف من الأخبار . لشيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٤ / ١٤٢ .
(٥) سورة النساء الآية ٧ .
(٦) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٠

الذين يجعلون المال كله للرجال الكبار ، ولا يورثون النساء والأطفال[1].

وتوريث العصبة ثبت عن الصادق المصدوق ، الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحي يوحى ، والذى أمره الله أن يبين للناس القرآن : " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم".

فقد روى الامام أحمد عن جابر بن عبد الله . قال : " جاءت امرأة سعد بن ربيع الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقالت : " يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قتل أبوهما معك فى أحد شهيدا ، وان عمهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما شيئا ، ولا ينكحان الاّ ولهما مال . قال : يقضى الله فى ذلك . قال : فنزلت آية الميراث ، فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى عمهما . فقال : " أعط بنتى سعد الثلثين ، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك ".[2]

فهذا دليل واضح على ثبوت الارث بالعصبة .

وأما كون الرجال يرثون بالعصبة فى أغلب الأحوال ، فهو مما خص بهم الشارع ، كما خصّهم بأن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين ، وذلك لما يتحملونه من التكاليف والنفقات ، وقوامتهم على النساء . والله أعلم.

العـــــول :

والعول فى اللغة : الميل فى الحكم الى الجور ، والعول النقصان ... والعول : ارتفاع فى الحساب فى الفرائض : والعول عول الفريضة ، وهو أن تزيد سهامها فيدخل النقصان على أهل الفرائض .[3]

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢ / ١٩٦ .

(٢) المسند للامام أحمد ٣ / ٣٥٢ .

(٣) لسان العرب (مادة عول) .

فالعول عند الفقهاء زيادة في سهام ذوى الفروض ونقصان من مقادير أنصبتهم في الارث .

وكما قال الفرضيون ان أول عول حدث في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ماتت امرأة وتركت أختيها وزوجها . فطلب الزوج نصف الميراث لأن الزوجة لم تترك ولدا ، وطلبت الأختان الثلثان ، وأقسم كل منهم أن لا يتنازل عن شئ . فقال عمر :" ويلك يا عمر والله ان أعطيت الزوج النصف لم يبق للأختين ثلثان ، وان أعطيت الثلثين لم يبق للزوج النصف" . فاستشار عمر - رضي الله عنه - الصحابة . فقال له العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه -:" يا أمير المؤمنين أرأيت هذه المرأة لو كانت تطالب بسبعة دنانير وتركت ستة دنانير فقط ماذا كنت فاعلا ؟ قال : أجعل الدنانير الستة سبعة أنصباء وأعطى كل واحد من أصحاب الدنانير نصيبا من السبعة . قال كذلك فافعل . ففعل ذلك عمر ووافق عليه الصحابة .

فعالت المسألة من ستة الى سبعة . فقال عمر للزوج خذ نصف الستة وهي الثلاثة ، فخذ الثلاثة من سبعة ، وبقي من السبع أربعة ، وقال للأختان لكما الثلثان من الستة وهما أربعة فخذاها من سبعة ، فصار النقص على كل واحد من الوارثين ولم يضيع نصا من نصوص القرآن الكريم" .(١)

فأخذ أهل السنة هذا العول العادل الذى لا يظلم أحدا من أصحاب الفروض .

أما الشيعة فرفضوا العول العادل . وقالوا :" ببطلانه ، وأخذوا عولا جائرا فزعموا أنهم يقدمون من الورثة من كان أقوى سببا ويدخلون النقص في نصيب الأضعف سببا .

ففى مثل المسألة السابقة ، زوج وأختين ، تعطى الشيعة الزوج نصفه

---

(١) انظر : مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص٣٤٦ .

كاملا ويدخلون النقص في الأختين[١]. وهذا عول جائر.

ويحتجون في ابطال العول بما يرونه عن علي - رضي الله عنه -: " ان الذي أحصى رمل عالج يعلم أن السهام لا تعول على ستة ، لو تبصرون وجوهها لم تجز ستة ".[٢]

لكن الذي ثبت عن عليّ ، هو القول بالعول في المسألة المنبرية . فقد قال عليّ - رضي الله عنه - في بنتين وأبوين وامرأة - صار ثمنها تسعا".[٣]

والطبرسي كعادته يوافق أصحابه في رد العول العادل واثبات العول الجائر ، وهو ادخال النقص في بعض الورثة دون البعض الآخر.

فانه قال - في البنات (أوالبنت) مع الأبوين اذا انضم اليهم الزوج أوالزوجة -: " فان نقصت التركة عن سهامهم - يعني في مسألة العول - لمزاحمة الزوج أو الزوجة كان النقص داخلا على البنت أو البنات دون الأبوين أو احدهما ودون الزوج والزوجة".[٤]

قلنا : هذا باطل وهو جور واضح . اذ كيف يدخل النقص على البنت أو البنات ، دون الزوج والزوجة ، وهنّ أقرب الناس الى الميت ، لأنهنّ من صلبه .

يقول الجصاص :" ومن اقتصر على بعض وأسقط بعضا ، أو نقص نصيب بعض ووفى الآخرين ، كالسهامهم ، فقد أدخل الضيم على بعضهم مع مساواته للآخرين في التسمية".[٥]

---

(١) تحرير الوسيلة للخميني ٢ / ٣٧٧ ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ .
(٢) من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي ٤ / ١٨٧ .
(٣) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٩٠ .
(٤) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٨ .
(٥) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٩١ .

ميراث الأبوين مع الزوج أو الزوجة أو مسألتا الغراوين أو العمريتين :

وصورة هذه المسألة أن يتوفى الميت عن أبوين وزوج أو زوجة .

وقد سمى الفقهاء " غراوين " تثنية غراء لشهرتهما كما سموها عمريتين باسم الخليفة عمر بن الخطاب الذى قضى فيها .

والمسألة متفرعة عن مسألة ميراث الأبوين عند عدم الولد وانفرادهما بالميراث ، وهي التى نص عليها بقوله :" فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث " .(١)

ففى هذه الحالة اذا انضم الى الأبوين أحد الزوجين ، يكون للزوج النصف ، أو الربع للزوجة ، ثم اذا أخذت الأم الثلث لم يبق للأب الا السدس ، فيكون حظه أقل من حظ الأم ، وهي عكس قاعدة :"للذكر مثل حظ الأنثيين"(٢) .

ولكن جميع الصحابة - ما عدا ابن عباس - قالوا فى هذه المسألة ان النصف للزوج ، أو الربع للزوجة ، وتأخذ الأم ثلث الباقي ، وللأب ثلثا الباقي ، وبه قال كافة العلماء .(٣)

أما الشيعة فقد خالفوا فى هذه المسألة جمهور الأمة . وقالوا :" ان الأم تأخذ ثلث المال ، ويأخذ الأب ما بقي " .

فقد روى الطوسى بسنده عن أبى جعفر فى زوج وأبوين . قال :" للزوج النصف وللأم الثلث ، وما بقي للأب ، وفى امرأة وأبوين قال :" للمرأة الربع ، وللأم الثلث وما بقي للأب " .(٤)

والطبرسي أيد الرافضة فى هذه المسألة واتهم جمهور الأمة بأنهم

---

(١) سورة النساء الآية ١١ .

(٢) سورة النساء الآية ١١ .

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٨٣ .

(٤) الاستبصار للطوسي ٤ / ١٤٢ .

تركوا ظاهر القرآن .

فعند تفسيره لقوله تعالى : " فان لم يكن له ولد وورثه أبواه ، فلأمه الثلث". قال : " وظاهر هذا يدل على أن الباقي للأب ، وفيه اجماع . فان كان في الفريضة زوج ، فان له النصف ، وللأم الثلث ، والباقى للأب ، وهو مذهب ابن عباس وأئمتنا . ومن قال فى هذه المسألة بأن للأم ثلث ما يبقى ، فقد ترك الظاهر . وكذلك اذا كان بدل الزوج الزوجة ، فلها الربع ، وللأم الثلث والباقي للأب " .(١)

قلت : لم يترك الجمهور ظاهر القرآن ، بل عملوا به " فظاهر القرآن يدل عليه ، لأنه قال : " فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث" . فجعل الميراث بينهما أثلاثا ، كما جعله أثلاثا بين الابن والبنت فى قوله تعالى: " للذكر مثل حظ الانثيين" . وجعله بين الأخ والأخت أثلاثا بقوله تعالى: " وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين" .(٢) ثم لما سمى للزوج والزوجة ما سمى لهما ، وأخذا نصيبهما كان الباقى بين الابن والبنتين على ما كان قبل دخولهما ، وكذلك بين الأخ والأخت ، وجب أن يكون أخذ الزوج والزوجة نصيبهما موجبا للباقى بين الأبوين على ما استحقاه أثلاثا قبل دخولهما . وأيضا هما كشريكين بينهما مال ، اذا استحق منه شئ كان الباقى بينهما على ما استحقاه بديا " .(٣)

وللشيعة الامامية فى باب الارث حماقات جانبوا فيها صريح المنقول والمعقول . ومن تلك الحماقات قولهم : " أن الولد الأكبر للميت يختص من الميراث بسلاح الرجل من سيفه وخاتمه ومصحفه وكتبه ورحله وراحلته وكسوته دون سائر أولاده " .(٤)

---

(١) مجمع البيان ٢ / ١٥ .
(٢) سورة النساء الآية ١٧٦ .
(٣) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٨٣ .
(٤) الاستبصار للطوسي ٤ / ١٨٩ .

ومنها أنهم يقولون :" ان المسلم يرث الكافر دون العكس ."[1] ومنها أيضا قولهم : "ان المرأة لا ترث من العقار ولا من الأرض شيئا"[2].

وفى كل ذلك خالفوا أصول الشريعة المقررة الثابتة .

نكاح المتعة :

والمتعة - بالضم والكسر - أن تتزوج امرأة تتمتع بها أياما ثم تخلى سبيلها.[3]

قال ابن منظور - صاحب لسان العرب -:" والمتعة : التمتع بالمرأة لا تريد ادامتها لنفسك ".[4]

وقال الراغب :" ومتعة النكاح ، هي أن الرجل كان يشارط المرأة بمال معلوم يعطيها الى أجل معلوم ، فاذا انقضى الأجل فارقها من غير طلاق".[5]

وليس فى المتعة طلاق ولا ارث ولا عدة ولا الحاق بالنسب .

وقد أبيحت المتعة فى صدر الاسلام ، ثم حرمت تحريما باتا الى يوم القيامة ، وثبت تحريمها بأحاديث كثيرة ثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأصح الأسانيد .

ثم ان تحريمها خفي على بعض الناس حتى جاء عمر ، فأعلن حرمتها وأشهر أمرها وتوعد فاعليها على ملأ من المهاجرين والأنصار ، ووافقوه على ذلك لعلمهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حرمها . وأجمعوا على حرمتها ، ولم يشذ عن الصحابة الاّ ابن عباس - رضي الله عنهما ، فان له فى المتعة أقوالا متضاربة . فأفتى تارة بحلها ، وهو المشهور عنه ، وتارة قال :" انها تحل للمضطر كالميتة ، ثم انه رجع عن القول بحلها ووافق باقى الصحابة فى القول

---

(١) المصدر السابق ٤ / ١٨٩ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ٤ / ١٥١ .
(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادى ٣ / ٨٦ (مادة متع) .
(٤) لسان العرب لابن منظور ٨ / ٣٢٩ (مادة متع) .
(٥) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٦١ .

بحرمتهـــــا ".[1]

وأجمعت الأمة بعد ابن عباس على القول بتحريمها بما فيهم فرق الشيعة الاّ ما كان من الامامية ، فانهم قالوا بحلها .

وحجة القائلين بتحريم المتعة :

أولا :

الأحاديث الصحيحة التى تنص على حرمتها . فقد أخرج الشيخان من حديث عليّ بن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لابن عباس: "ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر".[2]

وأخرج الامام مسلم فى صحيحه من حديث سبرة الجهنى ـ رضي الله عنه ـ أنه كان مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " ياأيها الناس انى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهنّ شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهنّ شيئا".[3]

وكذلك روى مسلم عن سلمة بن الأكوع قال : " رخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام أوطاس[4] فى المتعة ثلاثا ، ثم نهى عنها ".[5]

ثانيا :

ان هذا الزواج لا تتعلق به الأحكام الواردة بصدد الزواج والطلاق، والعدة ، والميراث . فيكون باطلا كغيره من الأنكحة الباطلة .

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص ٢ / ١٤٨ . فقد ذكر الأقوال الثلاثة التى رويت عن ابن عباس فى المتعة .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ٩ / ١٦٧ حـ ٥١١٥ . ومسلم ٢ / ١٠٢٧ حـ ١٤٠٧ .

(٣) صحيح مسلم من كتاب النكاح ٢ / ١٠٢٥ رقم الحديث من الكتاب ٢١ .

(٤) أوطاس: واد فى ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين للنبي ـ صلى الله عليه وسلم . والمقصود بعام أوطاس: عام وقعة حنين . انظر: معجم البلدان ١/٢٨١.

(٥) صحيح مسلم كتاب النكاح ٢ / ١٠٢٣ حـ ١٧ من كتاب النكاح .

فقد روى الدارقطني عن عليّ - رضي الله عنه - أنه قال : " نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن المتعة ، وانما كانت لمن لم يجد ، فلما أنزل النكاح والطلاق والميراث بين الزوج والزوجة نسخت. (١)

وقال ابن مسعود : " المتعة منسوخة نسخها الطلاق ، والعدة والميراث". (٢)

ثالثا :

انحصرت طرق استحلال الوطء في كتاب الله بالزواج وبملك اليمين لقوله تعالى : " والذين هم لفروجهم حافظون الاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم".

وامرأة المتعة ليست بزوجة ، لانتفاء لوازم الزوجية عنها ، من الارث والعدة والطلاق ، وليست بملك يمين .

رابعا :

ان هناك مفاسد كثيرة تترتب على نكاح المتعة من ضياع الأولاد واختلاط الأنساب ، كما أنه يتعارض مع مقصد النكاح الذى يقصد منه النسل . أما المتعة فالمقصود منه قضاء الشهوة فقط ، فهو بذلك أقرب الى السفاح منه الى النكاح ، فهو لا يتمشى مع مقاصد الشريعة في حفظ الأعراض والنفوس ، لأن الأعراض تدنس بنكاح المتعة ، كما تضيع به الأولاد الذين قد يحصلون بين المتمتعين والمتمتعات .

لذا أطلق على المتعة : السفاح . فقد روى أبوالفتح نصر بن ابراهيم المقدسى ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن عمر ، أنه سئل عن المتعة ، فقال : " لا أعلمها الاّ السفاح ، يعنى متعة النكاح ". (٣)

---

(١) سنن الدارقطني ٣ / ٢٦٠ .

(٢) تفسير القرطبي ٥ / ١٣٠ .

(٣) رسالة تحريم المتعة لأبى الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي ص ٧٠ .

هذا موقف الأمة من نكاح المتعة ، لكن الامامية ـ كما قلنا آنفا ـ خالفت الأمة فى ذلك بما فيها باقى فرق الشيعة . فقد قالوا بحلها معرضين عن النصوص الكثيرة التى ثبتت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تحريم المتعة . وما فعلوا ذلك الاّ حبا للشقاق وارضاء لأهوائهم واشباعا لرغباتهم.

فالمتعة عندهم نكاح مشروع ، تثبت به العدة ويلحق به النسب ، غير أنه لا يحصل به الطلاق ولا التوارث ... ، ويزعمون أنه ينعقد بمهر معلوم الى أجل معلوم .

وصيغة عقد المتعة ـ كما يروونه عن أبى عبد الله ـ: " أتزوجك متعة على كتاب الله وسنة نبيه نكاحا غير سفاح ، وعلى أن لا ترثنى ولا أرثك ، كذا وكذا يوما ، بكذا وكذا درهما ، وعلى أن عليك العدة". (١)

ويزعمون : " أن الأجل اذا سمى فهو متعة ، وان لم يسم الأجل فهو نكاح بات ". (٢)

والغريب أن الامامية لم يكتفوا بالقول باباحة المتعة ، بل عدوها من أفضل الطاعات وأقرب القربات الى الله التى تنال بها الدرجات العلى ، بل عدوها ركنا من أركان دينهم.

فقد رووا عن الصادق أنه قال : " ليس منا من لم يؤمن بكرتنا (٣) ولم يستحل متعتنا " (٤).

ويروون عن أبى عبد الله أنه قال : " ما من رجل تمتع ثم اغتسل الاّ خلق الله من كل قطرة تقطر منه ، سبعين ملكا يستغفرون له الى يوم القيامة ويلعنون

---

(١) الفروع من الكافي للكلينى ٢ / ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٤٥ .

(٣) يقصد بالكرة : الرجعة التى تقول بها الشيعة .

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢ / ١٤٨ .

مجتنبها الى أن تقوم الساعـــة". (١)

قلـت : هذا من أدب الامامية وبلاغتهم ، ملائكة تستغفر لأهـــــل السفاح والدّعارة ، وتلعن المحصنين !! . "كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الاّ كذبا". (٢)

وقد استرسلت الامامية فى المتعة وأرخوا لأنفسهم العنان فى ممارستها حتى انك لا تميّز بين متعة الشيعة وبين الدعارة ، فلهم فى المتعة طامـــات تشمئز منها القلوب ، وتقشعر منها الجلود .

ومن هذه الطامات . أنهم يجيزون أن يستمتع الرجل بما شاء من النساء من غـير حصـــر .

فقد رووا عن زرارة عن أبى عبد الله قال : " ذكرت له المتعة . أهي مـــن الأربع ؟ فقال : " تزوج منهنّ ألفافا فانهنّ مستأجرات ". (٣)

ويجيزون أيضا التمتع بالزانيات العاهرات . فقد رووا عن زرارة سألـــه عمار ـ يعنى جعفر الصادق ـ وأنا عنده عن الرجل يتزوج الفاجرة متعة . قال : " لا بأس ". (٤)

وأفحش شئ عند الامامية فى مسائل المتعة ، ما يفهم من فحوى كلامهـم من أنه يجوز التمتع بالمتزوجات . وهذه شيوعة الجنس لا تقره نحلة من النحـل الاّ الشيوعيـــة .

فعن فضل مولى محمد بن راشد ، عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ قال :

---

(١) الوسائل ١٤ / ٤٤٤ ، نقلا عن الشيعة والمتعة لمحمد مال الله ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) سورة الكهـف الآيـــة ٥ .

(٣) الفروع من الكافي ٢ / ٤٣ .

(٤) الاستبصـــار ٣ / ١٤٣ .

قلت : انى تزوجت امرأة متعة ، فوقع فى نفسى أن لها زوجا ، ففتشت عن ذلك فوجدت لها زوجا . قال :" ولم فتشت ؟". (١)

كل ذلك من بلاغة الرافضة وآدابهم وافتآتهم ، وليس من كتاب الله عز وجل ، ولا من سنة أبى القاسم - صلى الله عليه وسلم - فى شئ .

أما مفسرنا الطبرسي ، فانه لم يعد قدره فى هذه المسألة ، ولم يستطع الخروج من قفص الامامية الذى ضرب عليه ، ولم يقدر التحرر من أباطيل الرافضة وأسمارهم التى رضعها من ثدى أمه ، وامتزجت بلحمه ودمه ، فيها يبصر وبها يسمع وبها يعقل .

وقد دخل فى اثبات المتعة معركة ضارية . قد أعد لها العدة ، كي ينتصر لأصحابه ، ويدفع عنهم العار الذى نكسوا به رؤوسهم ، والذى لزمهم من جراء قولهم باباحة المتعة . واستخدم فى احكام حجة الامامية كل ما لديه من قوة فى الجدال وبراعة فى الأسلوب ، وتحايل على النصوص ، واتباع للمتشابه ابتغاء احقاق الباطل وابطال الحق .

وقد اتخذ تكأة فى اثباتها . قوله تعالى :" فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ".

وتتلخص حججه فيما يلى :

الحجة الأولى :

زعمه أن المراد من قوله :" فما استمتعتم " نكاح المتعة ، فانه بعد ما فسر الآية على ما هو المشهور عند المفسرين . قال :" وقيل المراد به نكاح المتعة ، وهو النكاح المنعقد بمهر معين الى أجل معلوم ، عن ابن عباس ، والسدى ، وابن سعيد ، وجماعة من التابعين ، وهو مذهب أصحابنا الامامية ، وهو الواضح ، لأن لفظ الاستمتاع ، وان كان فى الأصل واقعا على

---

(١) التهذيب ٢/١٨٧ .

الانتفاع والالتذاذ ، فقد صار يعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين ، لا سيما اذ أضيف الى النساء .

فعلى هذا يكون معناه : فمتى عقدتم عليهنّ هذا العقد المسمى متعة فآتوهنّ أجورهنّ ... الخ " .(١)

والجواب : أن قوله :" ان المراد من الآية نكاح المتعة " . باطل كل البطلان ، وسياق الآية باعتبار ما قبلها وما بعدها يرفض ذلك . وذلك أن الله تحدث عن المحرمات من النساء من قوله :" حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم(٢) ..." الى قوله :" ... والمحصنات من النساء الاّ ما ملكت أيمانكم ".(٣) . ثم شرع سبحانه في ذكر ما أحل من الحرائر آمرا الرجال أن يطلبوا نكاح هؤلاء الحرائر بأموالهم ، قاصدين من وراء ذلك الاستعفاف والاحصان غير مبتغي السفاح . فقال :" وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين " .(٤)

ثم أمر الله المؤمنين أن يعطوا النساء اللاتي يتزوجونهنّ مهورهنّ ، فان استمتعتوا بهنّ بالدخول أعطوهنّ المهر الكامل ، وان استمتعتوا بهنّ بالعقد فقط ، أعطوهنّ نصف المهر . فقال تعالى :" فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة " .(٥)

ثم ذكر سبحانه نكاح الاماء فقال :" ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم ".(٦)

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ٣٢ .
(٢) سورة النساء الآية ٢٣ .
(٣) سورة النساء الآية ٢٤ .
(٤) سورة النساء الآية ٢٤ .
(٥) سورة النساء الآية ٢٤ .
(٦) سورة النساء الآية ٢٥ .

فاقحام نكاح المتعة فى هذا الكلام المترابط المتصل الحلقات عبث وسوء فهم.

قال أبوبكر الجصاص: " وفى فحوى الآية من الدلالة على أن المـــــراد النكاح دون المتعة ثلاثة أوجـــه :

أحدهـا :

أنه عطف على اباحة النكاح فى قوله :" وأحل لكم ما وراء ذلكم". وذلـك اباحة لنكاح من عسدا المحرمات لا محالة ، لأنهم لا يختلفون أن النكاح مـراد بذلك . فيجب أن يكون الاستمتاع بيانا لحكم الدخول بها ، بالنكاح فـــى استحقاقها لجميع الصـــداق .

الثانـــي :

قوله :" محصنين " والاحصان لا يكون الآفى نكاح صحيح ، لأن الواطئ بالمتعة لا يكون محصنا ولا يتناوله هذا الاسم ، فعلمنا أنه أراد النكاح .

والثالـــث :

قوله تعالى :" غير مسافحين " شرط فى الاباحة المذكورة . وفيه دليـــل على النهى عن المتعة ،اذ كانت المتعة فى معنى السفاح من الوجه الذى ذكرناه.[1]

وليس المتبادر من كلمة متع ومشتقاتها من المتعة والتمتع والاستمتاع نكاح المتعة -كما زعم الطبرسي - اللهم الاّ فى أوساط الامامية الذين تربوا تحت شعـــار المتعة وورثوها كابرا عن كابر ، فألفوها واستعذبوها واطمأنوا اليها .

وذلك أن مادة المتعة قد نزلت فى آيات كثيرة لمعان ترجع كلها الـــى أصل واحد . وليس من بين هذه المعاني التى وردت فى القرآن لهذه الكلمة نكاح المتعة . ومن هذه المعانـــى :

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢/١٤٨.

١- متعة التسريح باحسان . كقوله :" ياءيها النبي قل لأزواجك ان كنتنّ تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحا جميلا" .[١] وكقوله تعالى :" ومتعوهنّ على الموسع قدره وعلى المقترقدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ".[٢]

٢- متعة الحج أو التمتع ، وهذه وردت فى قوله :" فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ..." .[٣]

٣- المعنى الثالث للتمتع ، هو الانتفاع بطيبات الرزق ولذيذ الحيوة الدنيا من المأكل والمشرب والمنكح . وقد ورد ذلك فى آيات كثيرة . منها قوله :" يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى".[٤] وكقوله :" تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام " .[٥] وكقوله تعالى :" والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ".[٦] وكقوله :" قل متاع الدنيا قليل ".[٧]

أما متعة النكاح أو نكاح المتعة فلم يرد فى القرآن .[٨]

الحجة الثانية :

وحجةأخرى للطبرسي فى قوله باباحة المتعة هى : القراءة المنسوبة الى ابن عباس . فقال :" وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم أبىّ بن كعب ،

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٨ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٦ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٩٦ .
(٤) سورة هود الآية ٣ .
(٥) سورة هود الآية ٦٥ .
(٦) سورة محمد الآية ١٢ .
(٧) سورة النساء الآية ٧٧ .
(٨) انظر: الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص ١٢٠ ، ١٢١ .

وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، أنهم قرأوا :" فما استمتعتم به منهنّ (الى أجل مسمى) فآتوهنّ أجورهنّ". وفى ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة ... " .[1]

والجواب : أن هذه ليست قراءة ثابتة ، فلا هي فى القرآن العشرة المتواترة ، بل وليست فى الأربعة الشواذ المكملة للقرآن الأربع عشر . فهي ليست بقرآن ولا هي بخبر مسند الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلا يجوز العمل بها ، والاحتجاج بها على جواز المتعة لا يسمن ولا يغنى من جوع .

وعلى فرض ثبوت نسبتها الى ابن عباس ، فانها مما نسخت تلاوة وحكما ان كانت تدل على اباحة نكاح المتعة . أما نسخ تلاوتها فلعدم ثبوتها فى المصحف ، وأما نسخ حكمها فبالأحاديث الدالة على تحريم المتعة الى يوم القيامة . وقد ذكرنا طرفا من هذه الأحاديث .

وهذه الزيادة (الى أجل مسمى) على فرض ثبوتها أيضا ، لا تدل على نكاح المتعة ، بل تدل على وجوب المهر للمنكوحات اللاتى استمتع بهنّ ، اما بالدخول ، أو بالعقد فقط .

قال السيد محمود شكرى الألوسي :" وما يروون أن عبد الله بن مسعود كان يقرأ هذه الآية مع ضم :" الى أجل مسمى" فغير صحيح ، لأن هذه الرواية لم توجد فى كتاب من كتب أهل السنة المعتبرة ، ولو سلمنا ثبوتها ، فهي قراءة منسوخة ، فهي لا تستعمل فى اثبات الأحكام ، مع كون القراءة المشهورة المتواترة تخالفها ، ولو سلمنا ذلك لا نسلم دلالتها على المتعة أيضا ، لأن لفظ " الى أجل مسمى " متعلق بالاستمتاع لا بنفس العقد ، والمدة المتعينة فى المتعة انما تكون متعلقة بنفس العقد لا بالاستمتاع . فصار معنى الآية هكذا :" فان تمتعتم بالمنكوحات الى مدة معينة فأدوا مهورهنّ تماما".[2]

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ٣٢ .

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية . للسيد محمود شكرى الألوسي ص٢٢٩ .

الحجة الثالثة للطبرسي في اباحة المتعة :

احتج الطبرسي في قوله باباحة المتعة ببعض الأخبار التي وردت عن بعض الصحابة الذين لعلهم لم يبلغهم تحريم المتعة ، كما أنه اتكأ على بعض الأخبار التي يفهم من ظاهرها أن عمر هو الذي نهى عن المتعة ، وأنها كانت تمارس في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزمن الصديق - رضي الله عنه - وكأنه يريد أن يجد مغمزا لعمر في ذلك - فيتهمه كغيره من الامامية بأنه هو الذي حرم المتعة من تلقاءنفسه .

فقد قال الطبرسي في ذلك :" ... وباسناده - أي الثعلبي - عن شعبة عن الحكم بن عتبة . قال : سألته عن هذه الآية :" فما استمتعتم به منهن" أمنسوخة هي ؟ . قال الحكم :قال عليّ بن أبي طالب : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زني الاّ شقي . وباسناده عن عمران بن الحصين . قال :" نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم تنزل آية بعدها تنسخها ، فأمرنا بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتمتعنا معرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات ولم ينهنا عنها . فقال بعد ذلك رجل برأيه ما شاء .

ومما أورد مسلم بن الحجاج في الصحيح . قال : حدثنا الحسن الحلواني . قال : حدثنا عبد الرزاق . قال : أخبرنا ابن جريج قال : قال عطاء : قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة . فقال : نعم استمتعنا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر ، وعمر ... "[1] . ثم قال الطبرسي : "ومما يمكن التعلق به في هذه المسألة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب أنه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حلالا وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما . فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأضاف النهي عنها الى نفسه لضرب من الرأي ، فلو كان النبي - صلى الله

---

(١) صحيح مسلم ٢/١٠٢٣ حـ ١٥ من كتاب النكاح .

عليه وسلم - نسخها أو نهى عنها أو أباحها في وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم اليه دون نفسه ، وأيضا فانه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في النهى ، ولا خلاف أن متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة ، فوجب أن يكون حكم متعة النساء حكمها" .(١)

والجواب عن هذا الكلام من وجوه :

أولا :

ان الطبرسي لم يسلك منهجا سليما في استدلاله بالسنة على اباحة المتعة ، وكان المفروض أن يستعرض كل النصوص التي وردت في الموضوع ، سواء كانت له أو عليه ، ثم يدرسها دراسة علمية ، ويفسر النصوص بعضها بالبعض الآخر ، كي تأتلف النصوص .

ولكنه لم يعجبه هذا المنهج العلمي فعمد الى بعض النصوص الغامضة التي يظن أنها تؤيد مذهبه ، وضرب صفحا عن النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل ، فعل ذلك لحاجة في نفسه قضاها .

ثانيا :

ما نقله عن الثعلبي ، من أن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : " لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زني الأشقي " باطل وافتراء على عليّ - رضي الله عنه - وذلك أن عليّا كان من أشد الناس نهيا عن المتعة ، وحديثة الذي روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تحريم المتعة ، عمدة الأحاديث في ذلك وأصحها . فقد أخرج الشيخان من حديثه أنه قال لابن عباس : " ان النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية"(٢) .

---

(١) مجمع البيان ٢/٣٢ .

(٢) سبق عزوه ص: ٣٤٥ .

وفى بعض الروايات أنه قال لابن عباس: " انك رجل تائه " يعيب[1] على ابن عباس فى قوله باباحة المتعة .

وهذا الخبر الذى نسبه الى عليّ ، مما أورده الثعلبي فى تفسيره ، والثعلبي لا يعول على مروياته . فقد قال ابن تيمية - رحمه الله - فيه : " هو فى نفسه كان فيه خير ودين، ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع "[2]. فكيف يعقل أن عليّا - رضي الله عنه - يسند تحريم المتعة الى عمر ، وهو يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حرمها !.

وأما حديث عمران بن الحصين - رضي الله عنه - فقد ورد فى متعة الحج وليس فى متعة النساء ، كما تنص رواية مسلم عنه .

فقد روى مسلم بسنده عن عمران بن الحصين - رضي الله عنه - قال : "نزلت آية المتعة فى كتاب الله - يعنى متعة الحج - ، وأمرنا بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ، ولم ينه عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى مات . قال رجل برأيه بعد ما شاء الله "[3].

والطبرسي عدل عن رواية مسلم التى نصت على أن المقصود متعة الحج وأخذ برواية الثعلبي التى اطلقت المتعة ، وحملها من عند نفسه على متعة النساء كي توافق هواه ، وهذه خيانة عظمى للأمانة العلمية .

ثالثا :

ان حديث جابر الذى رواه مسلم ، وما جاء فى معناه فهو محمول على أن بعض الصحابة لم يبلغهم تحريم المتعة فى زمن رسول الله - صلى الله عليه

---

(١) انظر: صحيح مسلم ٢/١٠٢٧ .

(٢) المقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٧٦ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الحج ٢/٩٠٠ .

وسلم - وزمن أبى بكر - رضي الله عنه - ، ولم يكن قد اشتهر تحريم المتعة حتى كان زمن عمر - رضي الله عنه - . فأعلن عمر تحريمها بنص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فاشتهر أمرها بعد ذلك ، وبلغ كل الناس تحريمها . وبهذا تأتلف الأحاديث الواردة فيها ".[1]

رابعا :

وأما شبهة أن عمر - رضي الله عنه - هو الذى حرم المتعة من تلقاء نفسه ، فباطلة كل البطلان . والطبرسي يعرّض بعمر من طرف خفيّ بايراد هذه الشبهة ، ويتهمه بأنه حرم ما أحل الله ، وهذا من افتراءات الرافضة على عمر ، وليست هي بأول شؤمكم يا آل ابن سبأ .

ولا تفتأ الرافضة تنال من عمر حتى يكونوا حرضا أو يكونوا من الهالكين كما أنهم لا يزالون يحملون فى قلوبهم غلا لأكابر الصحابة ، الاّ أن تقطع قلوبهم .

والواقع أن عمر - رضي الله عنه - لم ينه عن المتعة من تلقاء نفسه ، ولم يحرمها من عند نفسه ، بل ثبت لديه كما ثبت عند جميع الصحابة بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذى حرمها . وذلك أن عمر - رضي الله عنه - أعلن حرمة المتعة على مرأى ومسمع من المهاجرين والأنصار ، ووافقوه على ذلك ، ولولا أنهم يعلمون ثبوت حرمتها من الشارع لما سكتوا عن عمر فى نهيه عنها .

وهناك فرق كبير بين نهى عمر عن متعة الحج ونهيه عن متعة النساء ، فلم يكن نهيه عن متعة الحج نهى تحريم ، ولا كان يرى أن التمتع بالعمرة الى الحج باطل ، وانما كان يرى أن الأفضل والأولى للمسلم أن يفرد الحج بسفرة ، ثم يقصد البيت للعمرة بسفرة أخرى كي لا يخلو البيت من العمارة طيلة الزمان ...

---

(١) انظر: زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ٣ / ٤٦٤ .

قال شيخ الاسلام - رحمه الله -" ثم ان الناس كانوا فى عهد أبى بكر، وعمر (رضي الله عنهما) لما رأوا من السهولة ،صاروا يقتصرون على العمرة فى الحج ويتركون سائر الأشهر ،لا يعتمرون فيها من أمصارهم ،فصار البيت يعرى عن العمّار من أهل الأمصار فى سائر الحول ،فأمرهم عمر - رضي الله عنه - بما هو أكمل لهم فى دينهم ، بأن يعتمروا فى غير أشهر الحج ، فيصير البيت مقصودا معمورا فى أشهر الحج وفى غير أشهر الحج ، وهذا الذى اختار لهم عمر - رضي الله عنه - هو الأفضل ".(١)

أما متعة النكاح فانه كان ينهى عنها نهى تحريم ، وليس هذا التحريم من عنده ، وانما ثبت لديه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حرمها ، فلا يتصور من عمر الفاروق ،الذى ما سلك فجا الاّ وسلك الشيطان فجا غير فجه، أن يحرم ما أحل الله ، لأن ذلك عين الكفر ، ولا يتصور من الصحابة الأجلاء أن يوافقوه على تحريم ما أحل الله ، فيندرجون تحت قوله تعالى :" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ".(٢)

ومما يدل على أن عمر - رضي الله عنه - نهى عن المتعة لاستناده الى تحريم الرسول - صلى الله عليه وسلم - اياها ، ما رواه ابن ماجه عن عبد الله ابن عمر - رضي الله عنه - قال :" لما ولى عمر بن الخطاب خطب الناس فقال : " ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أذن فى المتعة ثلاثا ، ثم حرمها ، والله لا أعلم أحدا يتمتع وهو محصن الاّرجمته بالحجارة ، الاّ أن يأتينى بأربعة يشهدون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحلها بعد اذ حرمها".(٣)

وهذا يدل على أن عمر ما أسند التحريم الى نفسه ، وانما أسنده الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل ما فعل عمر أنه أبلغ الناس حكمها

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢٦/٢٧٦ ، ٢٧٧ .
(٢) سورة التوبة الآية ٣١ .
(٣) سنن ابن ماجة ، ١/٦٣١ حـ ١٩٦٣ .

وأشهر أمرهـــا ، وتوعد من خالف حكم الشارع فيها بأنه يقيم الحد عليـــــه ، وذلك أن المتعة أصبحت سفاحا بعد ما حرمها الشارع تحريما باتا . والله أعلم .

فـرض الرجلـين في الوضـوء :

فرض الرجلين فى الوضوء الغسل، كما دل عليه القرآن ، ونصت عليـــه السنة النبوية . وبه قال السواد الأعظم من الأمـــة .

وشذّت الشيعة الذين لا يسلكون الاّ السبل الوعرة الحالكة المظلمة .

فقالوا : ان فرض الرجلين فى الوضوء المسح . بل زعم بعضهـــــم أن الغسل لا يجزئ الاّ للتقيـــة " .[1]

ومنشأ الخلاف القراءتان الواردتان فى قوله تعالى :" وأرجلكم الـــــى الكعبين ".[2] فقد قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي بنصب اللام فى "أرجلكـم" ، وقرأ ابن كثير وأبـو عمرووشعبة وحمزة بخفضها .

قال الشاطبي - رحمه الله -:" ... وأرجلكم بالنصب عم رضا علا ".[3] فمن قال : ان الفرض فى الرجلين الغسل ، وهم السواد الأعظم من الأمـــــــة وجهوا كلا القراءتين توجيها حسنا يتفق مع ما ثبت فى السنة الصحيحة مـــن أن فرضهما فى الوضوء الغســـل .

فأما قراءة " أرجلكـم " بالنصب . فقالوا :" انها معطوفة على الأعضـاء المغسولة من الوجه واليدين ، والعامل فيها :" اغسلوا " . وقالوا :" ان المسح فى الرأس انما دخل بين ما يغسل لبيان الترتيب على أنه مفعول قبل الرجلين ".[4]

---

(١) انظر: الأنوار الوضية فى العقائد الرضوية للشيخ حسين بن الشيـــخ محمد العصفورى البحراني ص ١٢٢ .

(٢) سورة المائـــدة الآيـــة ٦ .

(٣) حرز الأماني ووجه التهاني فى القراءات السبعة المعروف" بالشاطبيـــة" للقاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي ص ٥١ .

(٤) تفسير القرطبي ٦/ ٩٢ .

وأما قراءة الخفض ، فقد وجهوها بعدة توجيهات ، كي تتفق مع قراءة النصب ، ومع السنة . :

أولها :

ان لفظ " وأرجلكم " معطوف على " رؤوسكم " لفظا ، ومعطوف على الأعضاء المغسولة معنى ، وانما خفض للمجاورة وتناسب الكلام ، كما فى قول العرب : " حجرُ ضبٍ خربٍ " . وقد كان المفروض أن يرفع " خرب " لكونه صفة لحجر ، ولكنه خفض للمجاورة . وكقوله تعالى : " ثياب سندس خضر " على قراءة من خفض " خضر " . وهم ابن كثير ، وشعبة ، وحمزة ، والكسائي . وهذا شائع فى لغة العرب .(١)

ومنه قول امرئ القيس :

" كأن ثبيرا فى عرانين وبله كبير أناس فى بجاد مزمل "(٢) .

فمزمل . صفة لكبير ، ولكنه خفض للمجاورة .

ثانيا :

قالوا : هب أنها معطوفة على رؤوسكم ، والعامل فيها " امسحوا " ، الا أن المراد من المسح هنا الغسل الخفيف ، وذلك أن المسح فى كلام العرب يكون غسلا ، ويكون مسحا . ومنه يقال للرجل اذا توضا فغسل أعضاءه قد تمسح .

ويقال : مسح الله ما بك اذا غسلك وطهرك من الذنوب " .(٣)

قال القرطبي : " فاذا ثبت بالنقل عن العرب أن المسح يكون بمعنى الغسل ، فترجح قول من قال : ان المراد بقراءة الخفض الغسل ، لقراءة النصب

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٤٦ . وانظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبى طالب ١ / ٤٠٧ .

(٢) البيت فى معلقة امرئ القيس الشهيرة . انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٤٠ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٦ / ٩٢ .

التى لا احتمال فيها ، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل والتوعد على تـــرك غسلها فى أخبار صحاح ، . لاتحصى كثرة أخرجها الأئمة ."[١]

ثالثـــا :

ان الخفض فى" الرجلين " انما جاء مقيّدا لمسحهما ، لكن اذا كـــان عليهما خفّان . قال القرطبي :" وتلقينا هذا القيد من رسول الله ـ صلـــى الله عليه وسلم ـ اذ لم يصح عنهأنه مسح رجليه الاّ وعليهما خفان ، فبين صلـى الله عليه وسلم ـ بفعله الحال التى تغسل فيه الرجل والحال التى تمسح فيه"[٢].

وجه جمهور علماء الأمة قراءة الخفض هذه التوجيهات الطيبة ،كي تأتلف النصوص ويتلاءم بعضها البعض .

وأما الشيعة الذين يرون أن فرض الرجلين فى الوضوء : المسح . فقـد وجهوا القراءتين توجيها يتمشى مع ما ذهبوا اليه ، غير أنهم لم يراعوا السنـــة ولم يأبهوا بها ، ولم يحكموها ، بل اتخذوها وراءهم ظهريـــا .

فقالوا فى قراءة الخفض:" انها معطوفة على (رؤوسكم) **لفظا** ومعـــنى، و فى قراءة النصب أنها معطوفة على موضع الجار والمجرور ، وقالوا :" ان ذلك كثير فى لغة العرب . ومن ذلك قـــول الشاعـــر :

" هل أنت ياعث دينارا لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق".

فعطف (عبد رب) على موضع دينار ، فهو منصوب على المعنى"[٣].

فهذه غاية حجة القوم فى مسح الرجلين فى الوضوء ، وليس لديهم فـى السنة الصحيحة ما يؤيد مذهبهم .

---

(١) المصدر السابـــق ٦/٩٣ .

(٢) المصدر نفســه .

(٣) انظر: مجمع البيان ٢/١٦٥

قال الشوكاني :" أما الامامية الموجبون للمسح ، فلم يأتوا مع مخالفتهم للكتاب والسنة المتواترة قولا وفعلا بحجة نيّرة ".(١)

ثم ان القراءتين تحتمل من ناحية اللغة كلا التوجيهين ، توجيه الجمهور الذين قالوا بغسل الرجلين وتوجيه الشيعة الذين قالوا بمسحهما . فيجب حينئذ أن يبحث ما يرجح أحد القولين .

قال أبوبكر الجصاص:" ولا يختلف أهل اللغة أن كل واحد من القراءتين محتملة للمسح بعطفهاعلى الرأس ، وتحتمل أن يراد بها الغسل بعطفها على المغسول من الأعضاء ".(٢)

فلنفرض أن القراءتين متعارضتان ، وهما متواترتان . ومن القواعد الأصولية أن القراءتين المتواترتين اذا تعارضتا فى آية واحدة ، فلها حكم آيتين متعارضتين فى الظاهر . فلا بد حينئذ من السعى فى التوفيق بينهما ، فاذا لم يمكن التوفيق بينهما يصار الى ترجيح أحدهما بالرجوع الى السنة النبوية(٣) التى هي شارحة للقرآن الكريم . لقوله تعالى :" وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ".(٤)

واذا ثبت البيان عن الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل فى أن مراد الله من هذه الآية كذا وكذا ، يجب المصير اليه ، ولا مجال للرأى ، فان السنة تقطع قول كل خطيب ، واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .

وقد ثبت عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعلا وقولا ، أن فرض الرجلين فى الوضوء الغسل .

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني ١ / ١٩٨ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٣٥٤ .

(٣) انظر : روح المعاني للآلوسي ٦ / ١٧٤ .

(٤) سورة النحل الآية ٤٤ .

فقد أخرج الشيخان من حديث حمران - مولى عثمان - رضي الله عنه - أنه رأى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - دعا بوضوء ، فأفرغ على يديه من انائه فغسلهما ثلاث مرات ، ثم أدخل يمينه فى الوضوء ، ثم تمضض واستنشق واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاثا ، ويديه الى المرفقين ثلاثا ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل كل رجل ثلاثا . ثم قال : " رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتوضأ نحو وضوئى هذا . وقال : " من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله ما تقدم من ذنبه" . (١)

ففى هذا نص على أنه صلى الله عليه وسلم غسل رجليه ولم يمسحهما .

وروى البخارى من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما . قال : " تخلف النبي - صلى الله عليه وسلم - عنا فى سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقنا العصر ، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته : " ويل للأعقاب من النار " مرتين أو ثلاثا " . (٢)

فلو كان فرض الرجلين المسح ، لما توعد على عدم تعميم الغسل على الأعقاب .

قال أبوبكر الجصاص : " ... ، وأيضا فان اللفظ لما وقف الموقف الذى ذكرنا من احتماله لكل واحد من المعنيين ، مع اتفاق الجميع على أن المراد أحدهما ، صار فى حكم المجمل المفتقر الى البيان ".

فمهما ورد فيه من البيان عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فعل أو قول ، علمنا أنه مراد الله تعالى . وقد ورد البيان عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالغسل قولا وفعلا . أما ما ورد من جهة الفعل فهو ما

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ١/٢٦٦ حـ ١٦٤ . مسلم ١/٢٠٤ ، ٢٠٥ حـ ٢٢٦ .

(٢) البخارى مع الفتح ١/٢٦٥ حـ ١٦٣ .

ثبت بالنقل المستفيض المتواتر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غسل رجليه في الوضوء ، ولم يختلف الأمة فيه ، فصار فعله ذلك واردا مورد البيان . وفعله اذا ورد على وجه البيان ، فهو على الوجوب ، فثبت أن ذلك مراد الله تعالى من هذه الآية . وأما من جهة القول . فما روى جابر وأبوهريرة وعائشة ، وعبد الله بن عمر وغيرهم . أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى قوما تلوح أعقابهم لم يصبها الماء . فقال : " ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء". وتوضأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة مرة . فغسل رجليه . وقال : " هذا وضوء من لا يقبل الله له صلاة الا به ".

فقول : " ويل للأعقاب من النار " وعيد لا يجوز أن يستحق الا بترك الفرض فهذا يوجب استيعاب الرجل بالطهارة . (١)

وأما مفسرنا الطبرسي . فقد خاض في هذه المسألة وأطال النفس فيها ، وانتصر لمذهب قومه في قولهم بمسح الرجلين في الوضوء ، ودافع عن مذهبهم دفاع المستميت وتعصب لهم تعصبا أعمى . وقد ركب الصعب والذلول في توطيد حجج أصحابه وتوهين حجج الجمهور ، ولكنه ما هو الا رجل خصم.

فانه قد حاول بادئ ذي بدء أن يجد لما ذهب اليه أصحابه في هذه المسألة مستندا من قبل أهل السنة أنفسهم ، ليقول لهم على لسان حاله : من فمك أدينك .

فقال عند تفسيره لقوله : " وأرجلكم الى الكعبين " : " واختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء : ان فرضهما الغسل . وقالت الامامية : فرضهما المسح دون غيره . وبه قال عكرمة ، وقد روى القول بالمسح جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس، وأنس ، وأبي العالية ، والشعبي ، وقال الحسن البصري : "بالتخيير

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٣٤٦ .

بين المسح والغسل ، واليه ذهب الطبرى ، والجبائى ، الاّ أنهما قالا : يجب مسح جميع القدمين ، وقال ناصر الحق - من جملة أئمة الزيدية :" يجب الجمع بين المسح والغسل .

وروى عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمسح على رجليه ، وروى عنه أنه قال :" ان فى كتاب الله المسح ، ويأبى الناس الاّ الغسل . وقال : الوضوء غسلتان ومسحتان . وقال قتادة : فرض الله غسلتين ومسحتين . وروى ابن علية عن حميد عن موسى بن أنس . أنه قال لأنس ونحن عنده : ان الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر . فقال : " اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم ، وأنه ليس شئ من بنى آدم أقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونها وظهورهما وعواقبهما . فقال أنس: صدق الله وكذب الحجاج . قال الله :" وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم " . قال : فكان أنس اذا غسل رجليه بلّهما ... " . الى أن قال :" ... وأما ما روى عن سادة أهل البيت فى ذلك فأكثر من أن يحصى ... " .(١)

أورد الطبرسي هذه الآثار ليدفع بها قول الجمهور ، وهي ان صحت فليست بحجة ، لأنها اما أخبار موقوفة أو مقطوعة وتعارضها الأحاديث الصحاح المرفوعة الى الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم) .

ويمكن أن يكون مراد هؤلاء من المسح : الغسل الخفيف ، ان صح عنهم ذلك . قال ابن كثير - رحمه الله - :" وقد روى عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح ".(٢) ثم سرد بعض هذه الآثار التى رواها ابن جرير فى تفسيره عن أنس ، وابن عباس ، والشعبي ، ثم عقّب عليها بقوله :" فهذه آثار غريبة جدا ، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف ، لما سنذكره

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٨ .

من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين ".[1]

ثم قال الحافظ ابن كثير:" ومن أحسن ما يستدل به على أن المسح يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي عن عليّ بن أبي طالب :" أنه صلى الظهر ، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت الصلاة ثم أتى بكوز من ماء ، فأخذ منه حفنة واحدة فمسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه ، ثم قام فشرب فضله وهو قائم . فقال :" ان أناسا يكرهون الشرب قائما ، وأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صنع مثل ما صنعت . وقال : هذا وضوء من لم يحدث ".[2]

والعجب أن الطبرسي يتشبث بهذه الآثار الموقوفة أو المقطوعة ، ويرفع بها رأسه شامخا بها أنفه ، ولا يعتد بالسنة الثابتة في ذلك ، بل سخر منها ، وطعن فيها ، وزعم أنها غير صالحة للاجتجاج (كما سيأتي قريبا) .

وهذا تعصب أعمى واتباع للهوى ، وهو ليس غريبا على القوم ، بل هو دأبهم وديدنهم .

وما حكاه الطبرسي عن ابن جرير الطبرى من أنه يرى التخيير بين الغسل والمسح باطل وسوء فهم منه ، بل الظاهر من كلام ابن جرير في تفسيره هو وجوب الجمع بين الغسل والمسح جمعا بين القراءتين ، ولكنه يقصد من الغسل عموم الرجلين بالماء ، ويقصد من المسح امرار اليد وما يقوم مقامها على الرجلين ليحصل الدلك عليهما .

فعلى مذهب ابن جرير لو أن شخصا أدخل قدميه في الماء بدون امرار اليد عليهما لم يصح وضوءه .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه .

فمذهب ابن جرير في الحقيقة هو تعميم الرجلين بالماء مع الدلك ، وهذا هو الغسل (١) .

ولعل حكمة ذلك في الرجلين دون غيرهما عند ابن جرير : " أن الرجلين هما أقرب أعضاء الانسان الى ملابسه الأقذار لمباشرتهما الأرض ، فناسب ذلك أن يجمع لهما بين الغسل بالماء والمسح - أى الدلك - ليكون ذلك أبلغ في التنظيف " . (٢)

ثم عرض الطبرسي توجيه القراءتين لكلا الفريقين حسبما بينا ، موهنا توجيه الذين قالوا بغسل الرجلين في الوضوء ، ومؤيدا توجيه الذين قالوا أن الفرض فيهما المسح . وقد تعسف في تأييد مذهب الامامية . (٣)

وقد أفحش الكلام وأساء الأدب عند ما أراد أن يرد الأحاديث الصحاح التى تنص على أن فرض الرجلين في الوضوء الغسل . فقد بلغ به التعصب الذميم أن سخر من هذه الأحاديث وشكك في ثبوتها وصحتها وطعن فيها ، وزعم أنها غير صالحة للاحتجاج لكونها أخبار آحاد لا تجوز معارضتها للقرآن .

قال الطبرسي في ذلك : " فأما ما روى في الحديث أنه قال : " ويل للعراقيب من النار ، وغير ذلك من الأخبار التى رووها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه توضأ وغسل رجليه ، فالكلام في ذلك أنه لا يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الأخبار الذى لا يوجب علما ، وانما يقتضى الظن ، على أن هذه الأخبار معارضة بأخبار كثيرة وردت من طرقهم ، ووجدت في كتبهم ، ونقلت عن شيوخهم ، مثل ما روى عن أوس بن أبي أوس أنه قال : " رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يتوضأ ومسح على نعليه ، وعن حذيفة قال : " أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سباطة قوم فبال عليها ، ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على قديه وذكره أبوعبيدة في غريب الحديث . مما يطول ذكره .

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير الطبرى ٦ / ١٣٠ ، ١٣١ .
(٢) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٢ / ١٤ .
(٣) انظر: مجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٦٥ ، ١٦٦ .

ثم قال : " قولـه : " ويل للعراقيب من النار "، فقد روى فيه أن قومـا من أجلاف العرب كانوا يبولون وهم قيام ، فيتشـر شر البول على أعقابهـم وأرجلهم فلا يغسلونها ، ويدخلون المسجد للصلاة ، وكان ذلك سببا لهـذا الوعيـد " .(١)

وكلامه هذا مردود من عـدة وجـوه :

أولا :

أن الاعراض عن الاحتجاج بالسنة الصحيحة ، بزعم أنها أخبار ظنيـة ومعارضة لظاهر القرآن ، أمر غير مقبول ، وهو مذهب باطل ، لأنه انكـار سافر لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعارضتها بالهوى .

والسنة الصحيحة الثابتة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تعـارض القرآن ، وانما تشرحه ، وتبيّن المراد منه ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو أعلم الخلق بكتاب الله ، وقد أسند اليه بيان كتاب الله للناس . قال تعالى: " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم "(٢) . وأوجب الله على الخلـق قبول قوله جملة وتفصيلا . قال تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكـم عنه فانتهوا "(٣) . وحذر من مخالفتـه : " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم "(٤) . والسنة وحي مثل القرآن فى العمـل بهـا .

وقد حذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من رد سنته بحجة الاقتصـار على ما فى الكتاب .

فقد روى أبوداود بسنده عن عبيد الله بن أبى رافع ، عن أبيه ، عـن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا ألفين أحدكم متكأ على أريكته يأتيـه

---

(١) المصدر السابـق ٢/١٦٦ ، ١٦٧ .
(٢) سورة النحـل الآيـة ٤٤ .
(٣) سورة الحشـر الآيـة ٧ .
(٤) سورة النـور الآيـة ٦٣ .

الأمر من أمرى مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه ".[1]

وهذا الذى حذر عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو عين ما فعله الطبرسي فى هذه المسألة .

وروى أبوداود أيضا عن المقدام بن معديكرب ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : " عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ".[2]

وانكار السنة وردها ، دأب المبتدعة ، وذلك أنهم يريدون أن يرخوا العنان لأنفسهم فى اتباع أهوائهم وترويج باطلهم ، والسنة تضيّق عليهم الخناق وتحول بينهم وبين مآربهم السيئة .

وليس ظاهر السنة فى وجوب غسل الرجلين يخالف ظاهر القرآن ، لأن قراءة النصب نص على وجوب غسل الرجلين ، وقراءة الجر تحتمل الغسل والمسح ـ كما بينا ـ والسنة رجحت أحد الاحتمالين فى قراءة الجر ، وهو وجوب الغسل ، وانما السنة تخالف هوى الطبرسي وأشياعه من الرافضة .

والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفيد علما قطعيا كما هو مذهب أهل الحق .[3]

ثانيا :

وأما حديثا أوس وحذيفة اللذان استدل بهما على مسح الرجلين فلا تقوم له بهما حجة لما يأتى :

---

(١) سنن أبى داود ٥ / ١٢ حـ ٤٦٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ٥ / ١٠ حـ ٤٦٠٤ .

(٣) انظر : مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٦٧ .
وانظر : الاحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ١ / ١١٥ .

أ) ان هذين الحديثين لا يمكن المعارضة بهما الأحاديث الكثيرة الثابتة في الصحيحين ، التي تنص على وجوب غسل الرجليين .

ب) ويمكن أن نحمل هذين الحديثين على أن يكون في رجليه خفان وعليهما نعلان ، [1] لما عرف من سننه أنه صلى الله عليه وسلم ، لم يمسح رجليه الاّ وعليه خفان . [2]

جـ) ان حديث حذيفة ورد بروايات أخرى فيها التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم مسح على خفيه .

قال ابن جرير : " وأما حديث حذيفة فان الثقات الحفاظ من أصحاب الأعمش حدثوا به عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى سباطة قوم فبال قائما ، ثم توضأ ومسح على خفيه " . [3]

وحديث أوس قد أشار الشوكاني الى ضعفه . فقد نقل عن أبي عمر بن عبد البر أنه قال - في ترجمة أوس - : " أوس بن أبي أوس ، وله أحاديث منها في المسح على القدمين وفي اسناده ضعف . وذكر أيضا أن أحمد وابن القطان تكلما فيه . ثم قال الشوكاني : " فلا يكون الحديث مع هذا حجة ، لا سيما بعد تصريح أحمد بعدم سماع هشيم من يعلى " . [4]

ثالثا :

ما ذكره الطبرسي في سبب ورود قوله صلى الله عليه وسلم -: " ويل للأعقاب من النار " . من " أن قوما من أجلاف العرب كانوا يبولون وهم قيام فيتشرشر على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد ... الخ " .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٥٣ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٦ / ٩٣ .

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٦ / ١٣٥ .

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ١ / ١٩٩ .

غير صحيح . لأن الروايات الصحيحة ليس فيها أن سبب ورود ها ذ لك ، وانما ذكرت أن سبب ورود هذا الحديث هو :" أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى قوما يتوضؤون ولم يصب أعقابهم الماء . فقال صلى الله عليه وسلم :" ويل للأعقاب من النار ".

يدلك على ذلك ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو . قال :" رجعنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى المدينة . حتى اذا كنا بماء فى الطريق ، تعجل قوم عند العصر ، فتوضؤوا وهم عجال ، فانتهينا اليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:" ويل للأعقاب من النار اسبغوا الوضوء ".(١)

فأين ذلك من ظلمات الطبرسي ، ؟ ومن أين استقى هذه المعلومة ؟

ومن أصرح الأحاديث فى وجوب غسل الرجلين ما رواه مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب :" أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه ، فأبصره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :" ارجع فأحسن وضوءك ". فرجع ثم صلى .(٢)

وبذلك نعلم بطلان مذهب الرافضة فى هذه المسألة وأن محاولة الطبرسي فى احقاق مذهب أصحابه محاولة لا تقوم على أساس متين .

مخارج الخمس :

لا خلاف بين أهل العلم فى أن الغنيمة . وهي ما أخذه المسلمون من الكفار على وجه الغلبة والقهر (مخمسة) أى : يخرج منها الخمس . لقوله تعالى :" واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ".(٣)

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٢١٤ حـ ٢٤١ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢١٥ حـ ٢٤٣ .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

واختلفوا فى تخميس الفئ ، وهو ما أصابه المسلمون من الكفار بدون ايجاف خيل ولا ركاب ، فذهب الشافعي ، وأحمد فى احدى روايتيه الى أنه يخمس كما تخمس الغنيمة ، وقال الباقون بعدم تخميسها .(١)

واختلفوا فى الخمس الذى يجب على الركاز والمعادن . هل هو من جنس الزكاة ، فيصرف فيه مصرف الزكاة أم يصرف فيه مصرف الفئ ؟ . الأول قال به الشافعي ، وأحمد فى احدى روايتيه ، والثاني قال به مالك ، وأبوحنيفة ، وأحمد فى الرواية الأخرى .

قال الشوكاني :" ومصرف هذا الخمس - أى : خمس الركاز والمعادن - خمس الفئ عند مالك وأبى حنيفة والجمهور ، وعند الشافعي مصرف الزكاة . وعن أحمد روايتان .(٢)

ولم يقل أحد من أهل العلم ان فى ما عدا ذلك الخمس ، الاّ الامامية فزعموا أن الخمس يجب فى غير ذلك من أصناف كثيرة من الأموال كالمكاسب وأرباح التجارات ، والمال الحلال اذا اختلط بالحرام .

والطبرسي حكى مذهب أصحابه فى ذلك وصوّبه ، وزعم أن اسم الغنيمة ينطبق على تلك الأموال التى أوجبوا فيها الخمس .

فقد قال عند تفسيره لقوله :" واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه ... الآية ". : " قال أصحابنا :" ان الخمس واجب فى كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب ، وأرباح التجارات ، وفى الكنوز والمعادن ، والغوص وغير ذلك مما هو مذكور فى الكتب ، ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية ، فان عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة .(٣)

---

(١) انظر: المغنى لابن قدامة ٦/٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ٤/١٦٧ .

(٣) مجمع البيان للطبرسي ٢/٥٤٤ .

وقد فصل أحد علماء الامامية - وهو الشيخ حسين بن الشيخ محمد العصفورى البحراني - مذهب الامامية فى مخرج الخمس . فقال : " ومن الفروض الواجبة المالية : (الخمس) فى غنائم الحرب ، وفى مال الحربى والناصبي[1] ، والمعادن كلها من الذهب والفضة ، والصفر ، والملاحة ، والكبريت ، والنفط ... وغيرها ببلوغ المعدن عشرين دينارا فصاعدا . وكذا الكنزوان كان عليه سكة الاسلام ، بشرط بلوغه النصاب المذكور . وفى الغوص - بشرط بلوغه دينارا فصاعدا - من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وغير ذلك . وفيما يفضل عن مؤنة سنة له ولعياله من أرباح التجارات والصناعات والزراعات وغيرها . وفى أرض الذمي اذا اشتراها من مسلم ، وفى الحلال اذا اختلط بالحرام ولم يتميز مع كونه مجهول القدر والصاحب "[2] .

والجواب على كلاميهما من وجهين :

أحدهما :

ان مذهب الرافضة فى ايجاب الخمس فيما عدا الغنيمة والفئ والركاز والمعادن باطل ، لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قياس صحيح. وانما ذلك أمر شرعوه من عند أنفسهم : " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله "[3] .

شرعوا ذلك من عند أنفسهم ليأكلوا أموال الناس بالباطل ، وهم بذلك يضاهون أحبار أهل الكتاب ورهبانهم الذين قال الله فيهم : " يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل "[4] .

---

(١) يقصد بالناصبى أهل السنة .

(٢) الأنوار الوضية فى العقائد الرضوية للشيخ حسين بن الشيخ محمد العصفورى ص ١٦٧ .

(٣) سورة الشورى الآية ٢١ .

(٤) سورة التوبة الآية ٣٤ .

ثانيهما :

ان قول الطبرسي :" ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية ... الخ".

كلام مردود ، بل هو تلاعب بكتاب الله وحمله على مالا يحتمله . وهو أيضا تلاعب بألفاظ الشريعة ومصطلحاتها . فان الغنيمة ،وان كانت تطلق في اللغة على ما يناله الرجل أو الجماعة بالسعي . لقول الشاعر :

" وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب"[1].

الاّ أنها صارت في عرف الشرع ما يأخذه المسلمون من الكفار قهرا وغلبة .

قال في اللسان :" الغنم : الفوز بالشئ من غير مشقة ، والاغتنام : انتهاز الغنم ، والغنيمة والمغنم : الفئ "[2].

وقال أيضا :" وقد تكرر في الحديث ذكر الغنيمة والمغنم والغنائم ، وهو ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون الخيل والركاب "[3].

قال القرطبي :" واعلم أن الاتفاق حاصل على أن المراد بقوله :" واعلموا أنما غنمتم من شئ "[4] مال الكفار اذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر ولا تقتضي اللغة هذا التخصيص على ما بيناه . ولكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع ، وسمى الشرع الواصل من الكفار الينا من الأموال باسمين : غنيمة وفيئا . فالشئ الذى يناله المسلمون من عدوهم بالسعى وايجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة ، ولزم هذا الاسم حتى صار عرفيا .

والفئ مأخوذ من فاء يفئ ،اذا رجع ،وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا ايجاف "[5].

وبذلك نعلم ما في كلام الطبرسي من الاجحاف والمجازفة .

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٧٣ .
(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٤٤٥ (مادة غنم) .
(٣) المصدر نفسه ١٢ / ٤٤٦ .
(٤) سورة الأنفال الآية ٤١ .
(٥) تفسير القرطبي ٨ / ١ ، ٢ .

الفصل الثاني

ابراز مدى تمسك الطبرسي بآراء المعتزلة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أصول المعتزلة وتأثر الامامية بها .

المبحث الثاني : الطبرسي وآراء المعتزلة .

المبحث الأول : أصول المعتزلة وتأثر الامامية بها

وقبل أن نبرز موقف الطبرسي من أصول المعتزلة ومدى تأثره بها يجدر بنا ان نتحدث عن نشأة المعتزلة وعن أصول مذهبهم ثم نذكر موقف الامامية من أصول المعتزلة .

المعتزلة :

وقد ظهرت فكرة الاعتزال في العصر الأموي ، ثم نمت وازدهرت في العصر العباسي حيث اعتنقها بعض خلفاء بني العباس كالمأمون والمعتصم وأرغموا الناس على اعتناق مبادئ المعتزلة وكادت ان تجتاح الأمة الاسلامية ، لولا ان قيض الله لها من علمائها الراسخين في العلم من وقف أمام هذا السيل الجارف ، الذي يتعارض مع العقيدة الاسلامية السهلة السمحة .

وكان في مقدمة من وقف أمام هذه الفتنة وهذا السيل العرم الامام أحمد بن حنبل ، فوقى الله الأمة الاسلامية شر الاعتزال .

وقد نشأت بدعة الاعتزال على يد واصل بن عطاء الألثغ أحد تلامذة الحسن البصري ، حينما دخل أحد على الحسن البصري رحمه الله ، فقال : يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج . وجماعة يرجئون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا . فتفكر الحسن في ذلك . وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن ولا كافر مطلقا ، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، فسمي وأصحابه معتزلة (١) .

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٤٨ .

وللمعتزلة أسماء يطلق عليهم ، منها : القدرية سموا بذلك لانكارهم القدر وقولهم ان أفعال العباد ليست مخلوقة لله بل العبد هو الذى يخلق أفعاله ، وأخذوا هذه المقالة من غلاة القدرية كغيلان الدمشقى .

ويطلق عليهم أيضا الجهمية لأن منهجهم فى الصفات منهج جهم بن صفوان المعطل .

فالمذهب الاعتزالى خليط من مذاهب الخوارج والقدرية والجهمية ، لأن موقفهم من أهل الكبائر شبيه بموقف الخوارج وقولهم فى أفعال العباد قريب من قول القدرية ، ومنهجهم فى الصفات هو عين منهج جهم بن صفوان .

أصول المعتزلة :

وللمعتزلة أصول بنوا عليها مذهبهم ، وعلى ضوئها فسروا الكتاب والسنة.

وهى أصول خمسة بينها أبو الحسين الخياط فى كتابه الانتصار حيث قال : وليس أحد منهم يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاذا كملت فى الانسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلى(١) .

أما التوحيد : فهو لب مذهبهم ورأس نحلتهم ، ومضمونه نفى الصفات فقالوا : انه تعالى ليس فوق العالم ، وانه لا يقوم به علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا مشيئة ولا صفة من الصفات (٢) .

وسبب نفيهم الصفات هو أنهم يزعمون أن القول بوجود صفات أزلية لله تعالى ، قول بالتعدد ، والله وحده لا شريك له(٣)

---

(١) كتاب الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد لابى الحسن عبد الرحيم الخياط المعتزلى ص ٩٣ .

(٢) انظر مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ص ٨٣ .

(٣) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٩٧ .

وستروا تحت القول بالتوحيد ونفى الصفات القول بخلق القرآن اذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء ، ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة(١) ، وذلك أن القرآن وهو كلامه سبحانه صفة من صفاته ، فاذا قالوا : ان القرآن مخلوق يلزم ان تكون سائر الصفات مخلوقه - تعالى الله عن ذلك .

وتحت هذه القاعدة قالوا أيضا باستحالة رؤية الله عز وجل بالابصار فى الدنيا والآخرة ، وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره(٢) .

وأما العدل : فالغرض فى ذلك كما قال القاضى عبد الجبار المعتزلى : أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها (٣) .

يقصد بذلك أن الله لا يخلق أفعال العباد بل هم الذين يخلقون أفعالهم .

قال صاحب شرح الطحاوية : وأما العدل فستروا تحته نفى القدر ، وقالوا : ان الله لا يخلق الشر ، ولا يقضى به ، اذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جورا . والله تعالى عادل لا يجور . ويلزم على هذا الاصل الفاسد أن الله تعالى يكون فى ملكه مالا يريده ، فيريد الشئ ولا يكون ، ولازمه وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك(٤) .

وأما الوعد والوعيد ، فهو عندهم كما قال القاضى عبد الجبار : ان الله تعالى وعد المطيعين بالثواب ، وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ، ولا يجوز عليه الخلف والكذب(٥) .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ص ٥٨٩ .
(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٤ .
(٣) شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٣٢٣ .
(٤) شرح عقيدة الطحاوية ص ٥٨٩ .
(٥) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

فعندهم أن الله لا يغفر لمن يريد ، فلا عفو عن كبيرة(١) .

وأما المنزلة بين المنزلتين ،فالفرض بهذا الباب هو أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا كافرا ، وانما يسمى فاسقا (٢) .

وعندهم أن صاحب الكبيرة ان خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون خالدا مخلدا فى النار مع جملة الكفار، ولا يجوز على الله أن يغفر له أو يرحمه(٣) .

وأما الأمر بالمعروف ،والنهى عن المنكر، فقد قالوا : ان الفرض منه أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر، فمتى حصل هذا الفرض بالامر السهل لا يجوز العدول عنه الى الامر الصعب(٤) .

ولكن المعتزلة لم يراعوا قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حق رعايتها ، ولم يفرقوا فيها بين الاصول الدينية المجمع عليها وبين عقائدهم المبتدعة . بل استخدموا هذه القاعدة كى يحملوا الناس قسرا على اعتناق عقائدهم ، كما فعلوا فى عهد المأمون والمعتصم والواثق .

فالامر بالمعروف عندهم أن يلزموا الناس بما يلزمهم ، وأن يستجيزوا الخروج على الأئمة بالقتال اذا جاروا (٥) .

هذه هى الأصول التى بنت المعتزلة عليها مذهبهم ، وعلى ضوئها فسروا نصوص الوحى ، وابتكروا أساليب متنوعة فى التخلص من النصوص التى لا تتماشى مع مبادئهم المحدثة .

أما نصوص الكتاب فعملوا فيها التأويل الفاسد ، وأما نصوص السنة فانكروا الاحتجاج بالآحاد منها ، وأولوا المتواتر منها .

---

(١) انظر شرح عقيدة الطحاوية ٥٨٩ .
(٢) شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٠١ .
(٣) انظر التبصير فى الدين ص ٣٨ .
(٤) شرح الاصول الخمسة ص ٧٤١ .
(٥) انظر شرح الطحاوية ص ٥٨٩ .

وللمعتزلة آراء أخرى كثيرة خالفوا فيها أهل السنة والجماعة ، منهـــا انكارهم عذاب القبر ونعيمه ، وانكار الشفاعة والمعراج والحوض والكوثر ، وغيـــر ذلك مما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة ، ويزعمون أيضا بعدم حجية أخبار الآحاد (١) .

* تأثر الامامية بأصول المعتزلة *

لقد تأثر المتأخرون من الامامية بأصول المعتزلة وخاصة في مسألتي التوحيد والعدل ، وبذلك جمعوا بين داء الرفض وداء الاعتزال ، واقبح بهما من داء .

والغريب أن الشيعة يعتنقون دائما وأبدا مبادئ وأفكارا لم يتلقوها عـــن أهل البيت الذين يدعون أنهم أئمتهم ، وذلك أن مبادءهم من الامامة والعصمة والتقية والرجعة لم تثبت من خيار أهل البيت ، وكذلك الآراء الاعتزالية التـــي اعتنقوها ليس لديهم مستند الى خيار أهل بيت النبوة ، بل كان خيارهـــــم كالباقر والصادق يكرهون المعتزلة وآراءهم .

يقول الدكتور علي سامي النشار : والحقيقة أن مذهب الشيعة في أيدينـــا الآن غيره في عهد الأئمة الأولين ، ولم يقبل الأولون ـ أئمة وأتباعا ـ المذهب المعتزلي ، بل ان محمدا الباقر كان عدوا صريحا للمعتزلة ، وكان من رجـــال الحديث المتبعين للأثر . . .) (٢) وكان جعفر الصادق رحمه الله يرى رأي السلف الصالح (٣) .

فكيف اعتنق متأخرو الشيعة المذهب الاعتزالي حتى عدوا أصول الديـــن أربعة : التوحيد ، العدل ، النبوة ، الامامة .

---

(١) انظر التبصير في الدين ٣٩ - ٤٠ .
(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور علي سامي النشار ٢/٢١٨ .
(٣) انظر الامام الصادق لمحمد أبي زهرة ص ١٩ .

وليس هناك علاقه بين قدماء الامامية والمعتزلة ، بل كان قدماؤهم من تلامذة جعفر الصادق كهشام بن الحكم وهشام الجواليقى (١) مجسمة وكانت بين هشام بن الحكم وبين المعتزلة مناظرات عنيفة فى التعطيل والتجسيم (٢) .

يقول ابن تيمية رحمه الله : وكان متكلموا الشيعة كهشام بن الحكم وهشام الجواليقى ،ويونس بن عبدالرحمن القمى يبالغون فى اثبات الصفات ويجسمون (٣) .

وقد نقل الاشعرى مقالات الروافض فحكى عن الهشامية وهم أتباع هشام بن الحكم أنهم يزعمون : ان معبودهم جسم ، وله نهاية وحد، طويل عريض عميق ، طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه (٤) ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ثم نقل الاشعرى مقالة متأخرى الرافضة الامامية الذين قالوا فى الصفات مثل مقالة المعتزلة ، ثم قال : وهؤلاء من متأخريهم ، فأما أوائلهم فانهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه (٥) . وكل هذا يدل على أن مقالة الاعتزال بدعة فى مذهب الامامية .

والخلاصة أن الامامية يوافقون المعتزلة فى نفى الصفات ، ونفى امكانية رؤية الله عز وجل فى الدار الآخرة ، ويوافقهم أيضا فى القدر .

وقولهم فى القرآن قريب من قول المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن لأن الامامية يقولون بأن القرآن محدث ، وهم يقصدون بأنه مخلوق ولكنهم يتهربون

---

(١) هشام بن سالم الجواليقى الجعفى مولاهم كوفى من تلامذه جعفر الصادق انظر جامع الرواة لمحمد بن على الأردبيلى الشيعى ٢/ ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٢) انظر الملل والنحل ١/ ١٨٥

(٣) المنتقى من مناهج الاعتدال ص ٢٤ .

(٤) مقالات الاسلاميين ١/ ١٠٦ .

من التصريح بذلك (١) .

ولننقل الآن بعض مقالات علماء الامامية التي تدل على موافقتهم للمعتزلة.

يقول الشيخ المفيد في مسألة العدل : أقول ان الله عز وجل عدل حكيم ،خلق الخلق لعبادته ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، وعمهم بهدايته ، بدأهم بالنعم والتفضل عليهم بالاحسان ، لم يكلف أحدا الا دون الطاقة ، ولم يأمره الا بما جعل له عليه الاستطاعة ، لا عبث في صنعه ولا تفاوت في خلقه ،ولا قبيح في فعله ، جل عن مشاركة عبده في الأفعال ، وتعالى عن اضطرارهم الى الأعمال (٢) .

وهذا الكلام هو عين قول المعتزلة في أفعال العباد ، وفحواه أن العبد هو الذي يخلق أفعاله .

ويقول الشيخ المفيد أيضا في مذهبهم في الصفات : أقول ان الله عز وجل حي لنفسه لا بحيوة ، فانه قادر لنفسه ، وعالم لنفسه ،لا بمعنى كما ذهب اليه المشبهة من أصحاب الصفات والأحوال المبتدعات والأقوال المختلفات(٣) .

ويقول في رؤية الله :أقول انه لا يصح رؤية الباري سبحانه بالأبصار ،وبذلك شهد العقل ونطق القرآن وتواتر الخبر عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم (٤) .

قلت : وهذا افتراء على الله ورسوله فان القرآن والسنة يدلان على أن المؤمنين يرون الله في الآخرة ، وسيأتي الكلام عنها مفصلا ان شاء الله عند الكلام عن موقف الطبرسي من هذه المسألة .

---

(١) انظر اوائل المقالات للشيخ المفيد ص ٥٧ .
(٢) أوائل المقالات للشيخ المفيد ص ٦٣ .
(٣) المصدر نفسه ٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ٦٢ .

المبحث الثاني
الطبرسي وآراء المعتزلة

الطبرسي كغيره من متأخري الأمامية متأثر بأصول المعتزلة وآرائهم وخاصة مسألتي العدل والتوحيد ، فهو يرى رأي المعتزلة فيهما .

القدر وخلق أفعال العباد :

لم يكن في الصدر الأول في زمن الصحابة رضي الله عنهم اشكال في القدر فقد كانوا يؤمنون بالقدر خيره وشره ، وأنه ركن من أركان الايمان لا يتم الا به.

ولا يرون أن هناك تعارضا بين النصوص التي تدل على مشيئته الله المطلقة وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وبين النصوص التي تدل على أن العبد مكلف مختار وأنه محاسب بأعماله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا .

وانما نشأ الكلام حول القدر في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ، حين زعم معبد الجهني وأضرابه أن لا قدر وأن الأمر أنف .

وقد أنكر بقية الصحابة كعبد الله بن عمر على هؤلاء مقالتهم الشنيعة وكفروهم بانكارهم القدر وتبرؤا منهم .

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن ، حاجين أو معتمرين ، فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الي ، فقلت يا أبا عبد الرحمن ، انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون (١) العلم ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر

---

(١) (يتقفرون العلم) معناه يطلبونه ويتتبعونه .

وأن الأمر أنف(١) قال : فاذا لقيت أولئك فاخبرهم أنى برئ منهم ، وأنهم برآء منى ، والذى يحلف به عبدالله بن عمر ، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر(٢) . ثم ساق حديث جبريل عن أبيه عمر بن الخطاب وفيه : " قال فاخبرنى عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره "(٣) .

وهؤلاء الذين تبرأ منهم عبدالله بن عمر هم غلاة القدرية وهم كفرة حيث لم يستكملوا أركان الايمان ، لأنهم ينكرون وينفون المرتبه الأولى من مراتب القدر ، وهى " علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها "(٤) ، والايمان بأن الله تعالى سبق فى علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وايجادهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار ، وأعد لهم الثواب والعقاب ، جزاء لأعمالهم ، قبل خلقهم وتكوينهم ، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه ، وأن أعمال العباد تجرى على ما سبق فى علمه وكتابه"(٥) .

ثم ان المعتزلة تأثروا بمقالة القدرية واحتضنوها حيث أنكروا المرتبة الأخيرة من مراتب القدر وهى "أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى" فقالوا : ان العباد هم الذين يخلقون أفعالهم ويحدثونها والله منزه عن خلق أفعالهم(٦) - تعالى الله عن ذلك ، ولكنهم ليسوا كغلاة القدرية الذين أنكروا علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها فمقالتهم أهون من مقالة غلاة القدرية .

---

(١) (وان الأمر أنف) اى مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٧ ح ٨ .

(٣) المصدر نفسه " " .

(٤) شفاء العليل لابن قيم الجوزية ص ٦٦ .

(٥) جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلى ص ٢٤ .

(٦) المصدر نفسه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأما الاقرار بتقدم علم الـــرب وكتابته لأفعال العباد ، فهذا لم ينكره الا الغلاة من القدرية وغيرهم ، والا فجمهور المعتزلة وغيرهم يقرون بأن الله علم ما العباد فاعلون قبل أن يفعلوه ، ويصدقون بما أخبر به الصادق المصدوق من أن الله قدر مقادير الخلائـــق قبل أن خلقهم "(١) ولذلك قال كثير من أئمة السلف : ناظروا القدرية بالعلم فان أقروا به خصموا ، وان جحدوا فقد كفروا (٢) .

فالمعتزلة يقولون :" ان جميع الافعال الاختيارية من جميع الحيوانـات بخلقها ، لا تعلق لها بخلق الله تعالى "(٣) وهم كما ترى جعلوا العبـــاد خالقين مع الله تعالى ، ولهذا كانوا محوس هذه الأمة (٤) .

واستدلت المعتزلة القدرية على تاييد مذهبهم بكثير من النصوص منهـــا قوله تعالى:" فتبارك الله أحسن الخالقين "(٥) وقوله تعالى :" وتلك الجنـة التي أورثتموها بما كنتم تعملون "(٦) .

وحدثت أيضا بدعة الجبرية في القدر مقابل بدعة القدرية وقولهـم أن لم يكن شرا من قول القدرية المعتزلة فليس هو بدونه في البطلان (٧) .

فقد قالت الجبرية : (ان العبد مجبور على أفعاله ، مقهور عليها لا تأثير له في وجودها البتة ؟ وهي واقعة بارادته واختياره وغلا غلاتهم فقالوا : هي عين أفعال الله ، ولا تنسب الى العبد الا على المجاز ، والله سبحانه يلوم العبد

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٨/٤٢٩ .
(٢) جامع العلوم والحكم ٢٤ .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٤٩٣ .
(٤) انظر المصدر نفسه .
(٥) سورة المؤمنون الآية ١٤ .
(٦) سورة الزخرف الآية ٧٢ .
(٧) انظر شفاء الغليل لابن القيم ص ١١٠ .

ويعاقبه ويخلده في النار مالم يكن للعبد فيه صنع، ولا هو فعله بل هو محض فعل الله (١) .

وقالوا أيضا : ان التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى ، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش ، والعروق النابضة ، وحركات الأشجار ، واضافتها الى الخلق مجاز، وهي على حسب ما يضاف الشئ الى محله دون ما يضاف الى محصله (٢) .

واستدلت الجبرية على تاييد مذهبهم بكثير من النصوص منها قوله تعالى " وما رميت اذا رميت ولكن الله رمى "(٣) .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم " لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة ،قالوا : ولا أنت يارسول الله " قال : ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل "(٤) .

وهكذا ظهرت مقالتان مبتدعتان في القدر، مقالة الجبرية الذين غلوا في اثبات القدر، فنفوا فعل العبد وقدرته واختياره حتى نسبوا الى الله الظلم وأنه يعاقب العبد بظلم - تعالى عن ذلك . ومقالة القدرية المعتزلة ، الذين غلوا في اثبات قدرة العبد واختياره وتأثير فعله حتى جعلوا العباد خالقين مع الله فسموا بمجوس الأمة .

وكما ذكرنا آنفا استدل كل من الفريقين بنصوص من الكتاب والسنة على تدليل صحة مذهبهم ، الا أن أدلة كل منهما لا تدحض الحق الذي مع الجانب الآخر ولا تدل على الباطل الذي عندهم .

" فكل دليل صحيح يقيمه الجبري ،فانما يدل على أن الله خالق كل شئ ،

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ١٠٩ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٣ .
(٣) سورة الانفال الاية ١٧ .
(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢١٧٠ .

وأنه على كل شئ قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ، ولا مريدا ولا مختارا ، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار، وكل دليل صحيح يقيمه القدرى فانما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وأنه مريد له مختار له حقيقة ، وأن اضافته ونسبته اليه اضافة حق ، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى ، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته .

فاذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق الى حق الاخرى ، فانما يدل ذلك على مادل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة ، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال ، وأن العباد فاعلون لفعلهم حقيقة ، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم (١) .

ثم ان المتكلمين من الأشاعرة حاولوا أن يتوسطوا بين الجبرية والقدرية بأن اثبتوا للعبد قدرة حادثة غير مؤثرة ، بخلاف ما ذهب اليه الجبرية من نفى قدرة العبد أصلا ، وما ذهب اليه القدرية من أثبات قدرة للعبد التى يخلق بها أفعاله (٢) .

فقالوا : ان افعال العباد خلق لله تعالى ، لا خالق لها غيره ، ولكنها تسند الى العبد لكسبه اياها ، فهى من الله سبحانه خلق وهى من عباده كسب (٣) .

فأثبتوا للعبد الكسب الذى اشتهر عن المتكلمين والمعروف بالكسب الاشعرى وهو مقارنة فعل العبد مع فعل الرب بدون أن يكون لفعل العبد أى تأثير .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٤ .

(٢) انظر الامام ابن تيميه وموقفه من قضية التأويل لمحمد السيد الجليند ص ٤٢٠ وانظر البيهقى وموقفه من الالهيات للدكتور احمد بن عطية بن على الغامدى ص ٣٢٤ .

(٣) انظر الانصاف فيما يجب اعتقاده للقاضى أبى بكر ابن الطيب الباقلانى ص ٤١ .

وهذا جبر محض .

يقول الجرجانى فى تعريف الكسب : " والمراد بكسبه اياه مقارنته لقدرته وارادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل فى وجوده سوى كونه محلاله"[1].

ويقول الآمدى حاكيا مذهب الأشاعرة فى ذلك : وذهب أهل الحق الى أن أفعال العباد مضافه اليهم بالاكتساب والى الله تعالى بالخلق والاختراع وأنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلا"[2] .

وقد احتار المتكلمون واضطربت أقوالهم فى تفسير الكسب الأشعرى حتى عد من مجالات الكلام ،فيقال : محالات الكلام ثلاثة : كسب الاشعرى وأحوال أبى هاشم[3] وظفرة[4] النظام[5] . وذلك أن اثبات القدرة للعبد بدون أن يكون لها أى تأثير كلام غير معقول ولا مستقيم .

وبذلك نعلم أن القائلين بالكسب على المعنى الذى بيناه لم يأتوا بحمل مقنع فى مسألة أفعال العباد .

وقد هدى الله أهل الحق والسنة الى الحق الذى اختلفت فيه تلك الطوائف التى تحدثنا عنها ، فى هذه المسألة . فهم وسط بين هؤلاء الطوائف أخذوا الحق الذى مع كل طائفة وتركوا الباطل الذى مع كل منهم .

فهم كما قال ابن القيم : " يثبتون قدرة الله تعالى على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ، ومشيئته العامة ،وينزهون أن يكون فى ملكه مالا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون القدر السابق ، وأن العباد يعملون ما قدره

---

(١) شرح المواقف للسيد الشريف الجرجانى (مطلب الالهيات) ٣/١١٨ .

(٢) غاية المرام للآمدى ص ٢٠٧ .

(٣) نظرية الأحوال تتعلق بعلاقة الصفات الالهيه بالذات ،قال الآمدى :الحالة عبارة عن صفة اثباتيه لموجود ،غير متصفة بالوجود ولا بالعدم .غاية المرام ص ٢٨ .

(٤) زعم النظام أنه قد يجوز أن يكون الجسم الواحد فى مكان ثم يصير الى المكان الثالث ولم يمر بالثانى على جهة الطفرة " المقالات للأشعرى ٢/١٩ .

(٥) انظر المنتقى من مناهج الاعتدال ص ٤٨ .

الله وقضاه ، وفرغ منه ، وأنه لا يشاءون الا أن يشاء الله ولا يفعلون الا من بعد مشيئته ، وأنه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن . . . ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وارادته واختياره وفعله حقيقة لا مجازا . . . . فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة ، وهى مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة ، والذى قام بالرب عز وجل علمه وقدرته والذى قام بهم هو فعلهم وكسبهم ، فهم المصلون القائمون القاعدون حقيقة ، وهو سبحانه المقدر لهم على ذلك ، القادر عليه الذى شاء منهم وخلقه لهم . . . . . فما يشاءون الا أن يشاء الله ومايفعلون الا ان يشاء الله " (١) .

ثم قال ابن القيم رحمه الله : واذا وازنت بين هذا المذهب وماعداه من المذاهب ، وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ، ووجدت سائر المذاهب خطوطا عن يمينه وعن شماله ، فقريب منه وبعيد ، وبين ذلك (٢) .

ومفسرنا الطبرسى قد وافق القدرية المعتزلة فى هذه المسألة فهو يرى أن لا قدر وأن الله لا يخلق أفعال العباد بل العباد يحدثون أفعالهم ويخلقونها دون الله تعالى، ومذهبه فى ذلك هو عين مذهب المعتزلة ، وهو متحمس لهذه الفكرة والتدليل عليها .

فهو أثناء تفسيره للقرآن يزعم فى كثير من الآيات أنها تدل على أن الله لا يخلق أفعال العباد ، يصرح بذلك بجرأة متناهية ، وقد لا تجد هذه الصراحة عند بعض مفسرى المعتزلة ، ولقد وازنت بين ما سجله الطبرسى عند تفسيره لبعض الآيات وبين ما كتبه الزمخشرى فى تفسير تلك الايات ، فوجدت الطبرسى اكثر جرأة فى الخوض فى النص القرآنى وحمله على المعانى الباطلة .

---

(١) شفاء العليل لابن قيم الجوزية ص ١١٥ .

(٢) المصدر نفسه " " .

ولنضرب أمثلة من تفسيره التى تدل على موافقته للمعتزلة فى هذه المسألة فعند تفسيره لقوله تعالى" ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا"(١) .

قال الطبرسى : " وفى هذه الآيات دلالة على أنه تعالى لا يجوز أن يخلق أفعال خلقه ثم يعذبهم عليها ، لأنه اذا كان الخالق لها فهم برآء منها"(٢) .

قلت : فى الرد عليه : ان الآيات لا تدل على مازعم ،فان غاية ماتدل عليه الآيات هو أن العباد مختارون مريدون ، وأنهم فاعلون حقيقة ، وأضافة الفعل اليهم ونسبته اليهم أضافة حقيقية ،وأنهم مكلفون ومحاسبون بأعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ، والله سبحانه وتعالى بعدله لا يعاقب العبد الا بذنب اقترفه وجريرة اكتسبها ، ولا تدل الآيات على أن الله تعالى لم يقدر أعمال العباد وأن أعمالهم خارجة عن ارادته ومشيئته وخلقه وتقديره ، بل ليس هناك فى الكون ماهو خارج عن ارادته ومشيئته وخلقه كما دل عليه الكتاب والسنة ، ولا يلزم من قدر الله وخلقه لأفعال العباد أن لا ينسب الفعل الى العباد ،لأن أفعال العباد لهم حقيقة ،فحركاتهم واعتقاداتهم لهم ، وهى مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة .

وعن تفسير قوله تعالى" وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون "(٣) قال الطبرسى : وفى هذه الآية دلالة أن أفعال العباد حادثة

---

(١) سورة النساء الآية ١١٢ .

(٢) مجمع البيان ٢/١٠٨ .

(٣) سورة الانفطار الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

من جهتهم وأنهم المحدثون لها دونه تعالى "(١) .

وكلام الطبرسى هو عين مقالة المعتزلة القدرية ، وهو كما أشرنا سابقا تكذيب وانكار للمرتبة الأخيرة من مراتب القدر وهى الايمان بأن الله خالق العباد وأفعالهم ، ويلزم من هذا المذهب الفاسد اثبات خالقين مع الله ، ولهذا سموا القدرية مجوس هذا الأمة ،لأن المجوس يعتقدون بوجود الهين ، أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر ، تعالى الله عن قولهم ، وهؤلاء القدرية أثبتوا وجود خالقين من دون الله تعالى بزعمهم أن العباد يخلقون أفعالهم ويحدثونها .

والآية الكريمة لا تدل على ما زعمه الطبرسى لا من قريب ولا من بعيد ، والذى دلت عليه الآية هو أن على العباد ملائكة حفظة يكتبون أعمال العباد وما يصدر منهم من خير أو شر ليجازوا بأعمالهم يوم القيامة .

وفى كلام الطبرسى الذى وافق به المعتزلة فى أفعال العباد حق وباطل أما الحق الذى فيه فهو اثبات فعل العبد وتأثيره ،وأنه فاعل مختار محاسب بعمله وأما الباطل الذى فيه فهو انكاره أن الله قدر على العباد أعمالهم وأفعالهم وأنه خلق العباد وأفعالهم ،وأفعال العباد داخلة تحت مشيئته وقدرته وخلقه .

وقد دلت كثير من النصوص على أن العباد وأفعالهم مخلوقة لله تعالى قال تعالى " والله خلقكم وما تعملون "(٢) وقال تعالى " انا كل شئ خلقناه بقدر "(٣) .

وروى البخارى فى كتابه خلق أفعال العباد عن حذيفة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يصنع كل صانع وصنعته ، وتلا بعضهم

---

(١) مجمع البيان للطبرسى ٥/٤٥٠ .

(٢) سورة الصافات الآية ٩٦ .

(٣) سورة القمر الآية ٤٩ .

عند ذلك قوله تعالى " والله خلقكم وما تعملون " (١) .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر يقول : " كل شئ بقدر حتى العجز والكيس " (٢) .

وعلى كل فالحق في هذه المسألة ليس مع المعتزلة القدرية ومن سار على منوالهم ، وليس مع الجبرية ، وانما الحق فيها مع أهل السنة الذين هم الوسط العدول الخيار الذين لا يفرطون ولا يفرطون ، فهم كما أشرنا يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ، ومشيئته العامة ، وينزهون أن يكون في ملكه مالا يقدر عليه ، ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وارادته واختياره وفعله حقيقة لا مجاز (٣) .

فالطبرسي كما ترى يلوي عنق الايات ليستدل بها على مذهبه الفاسد وهو انكار قدر الله وخلقه أعمال عباده ، وقد زعم في كثير من الآيات أنها تدل على ذلك ، مما يدل على تعصبه وعدم تقيده بدلالات النصوص وتحميلها مالا تتحمل .

ومن تلك الآيات التي استدل بها على أن الله لا يخلق اعمال العباد قوله " وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم " (٤) وقوله " ان الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون " (٥) .

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص ٣٩ .
(٢) صحيح مسلم ٤/٢٠٤٥ حـ ٢٦٥٥ .
(٣) انظر شفاء العليل ص ١١٥ .
(٤) سورة البقرة الآية ٩٣ ، وانظر مجمع البيان ١/١٦٣ .
(٥) سورة البقرة الآية ٦ ، وانظر مجمع البيان ١/٤٣ .

الهدى والضلال :

دل كتاب الرب سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على تفرد الرب سبحانه بهداية الخلق واضلالهم ، وهو ما ذهب اليه أهل السنة .

يقول ابن القيم: هذا المذهب هو قلب أبواب القدر ومسائله ، فان أفضل ما يقدر الله لعبده ، وأجل ما يقسمه له الهدى ، واعظم ما يبتليه ويقدره عليه الضلال ، وكل نعمة دون نعمة الهدى ، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال وقد اتفقت رسل الله من أولهم الى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، وأنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وان الهدى والاضلال بيده لا بيد العبد ، وأن العبد هو الضال أو المهتدى فالهداية والاضلال فعله سبحانه وقدره ، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه (١) .

وقد ورد الهدى فى القرآن لعدة معان منها :

١ - الهدى العام وهى هداية كل نفس الى مصالح معاشها وما يقيمها قال تعالى " والذى قدر فهدى "(٢) .

٢ - هداية الدعوة والبيان والارشاد للمكلفين ، قال تعالى " وانك لتهدى الى صراط مستقيم "(٣) ، وقال عز من قائل " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى "(٤) .

٣ - الهداية بمعنى التوفيق والالهام ، وخلق المشيئة المستلزمة للفعل ، قال

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ١٤٢ .
(٢) سورة الأعلى الآية ٣ .
(٣) سورة الشورى الآية ٥٢ .
(٤) سورة فصلت الآية ١٧ .

تعالى " من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم "(١) وقال تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء "(٢) (٣) .

وانكرت القدرية والمعتزلة المعنى الثالث من معاني الهداية في القرآن وهو هداية التوفيق ، فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدى ضالا ، ولا أن يضل مهتديا ، ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلما ، والكافر كافرا ، والمصلي مصليا ، وانما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك لا بجعله تعالى (٤) .

والقدرية المعتزلة يحملون النصوص التي تدل على هداية التوفيق على الهداية التي بمعنى الدعوة والبيان والارشاد ، ويحملون الآيات التي تدل أن الله يضل الكافرين ويطبع على قلوبهم على تسمية الرب سبحانه الكفرة بأنهم ضلال وقال بعضهم : من كفر بالله وسم الله قلبه سمة تعلمها الملائكة ، فاذا ختموا على القلوب تميزت لهم قلوب الكفار من أفئدة الأبرار (٥) .

ويقولون : ان نسبة الهدى والاضلال الى الله هو اسناد الفعل الى السبب (٦) .

ومفسرنا الطبرسي يوافق المعتزلة في هذا الباب ، فهو يستبعد ان يكون الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، ويؤول الآيات التي تدل على ذلك تاويلا فاسدا كي توافق مذهبه الفاسد .

وننقل الآن شيئا من كلامه في هذا الموضوع عند تفسيره لبعض الآيات

---

(١) سورة الانعام الآية ٣٩ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .
(٣) انظر شفاء العليل ص ١٤٢ .
(٤) انظر شفاء العليل ص ١١٠ .
(٥) انظر الارشاد للجويني ١٩٢ .
(٦) الكشاف للزمخشري ١/٢٦٧ .

القرآنية .

فعند قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم "(١) قال الطبرسى : وفى معنى اهدنا وجوه :

أحدها : أن معناه ثبتنا على الدين الحق ، لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلهم ، الا أن الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة ، فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يثبته على دينه ويديمه عليه ، ويحطيه زيادات الهدى ، وهى احدى أسباب الثبات على الدين ، كما قال تعالى" والذين اهتدوا زادهم هدى "(٢) وهذا كما يقول القائل لغيره وهو يأكل كل ، اى دم على الأكل .

ثانيها : ان الهداية هى الثواب لقوله تعالى " يهديهم ربهم بايمانهم "(٣) فصار معناها : اهدنا الى طريق الجنة ثوابا لنا ، ويؤيده قوله تعالى "الحمد لله الذى هدانا لهذا"(٤) .

وثالثها : دلنا على الدين الحسن فى مستقبل العمر كما دللتنا عليه فى الماضى ، ويجوز الدعاء بالشئ الذى يكون حاصلا ، كقوله تعالى" قل رب احكم بالحق "(٥) وقوله حكاية عن ابراهيم " ولا تخزنى يوم يبعثون "(٦) وذلك أن الدعاء عبادة ، وفيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى (٧) .

حمل الطبرسى هذه الآية على هذه المعانى هروبا من القول بهداية

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٦ .
(٢) سورة محمد الآية ١٧ .
(٣) سورة يونس الاية ٩ .
(٤) سورة الاعراف الآية ٤٣ .
(٥) سورة الانبياء الآية ١١٢ .
(٦) سورة الشعراء الآية ٨٧ .
(٧) مجمع البيان ١/٢٧، ٢٨ .

التوفيق وليتخلص من هذا النص الذى يعارض مذهبهم ويؤيد مذهب خصومهم من أهل السنة .

ومعنى الهداية فى قوله " اهدنا الصراط المستقيم " هى هداية التوفيق والالهام وهو قول عامة المفسرين من أهل السنة .

قد روى ابن جرير بسنده عن عبدالله بن عباس قال : قال جبريل قل يا محمد " اهدنا الصراط المستقيم " يقول : الهمنا الطريق الهادى ، قال ابن جرير : والهامه اياه هو توفيقه له(١) .

وقد فند ابن جرير ورد قول من قال : ان "اهدنا " يراد بها زيادة الهداية ، وقول من قال فى معنى " اهدنا الصراط المستقيم ، اسلكنا طريق الجنة فى المعاد (٢) .

وقال الطبرسى أيضا عند تفسيره لقوله تعالى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم "(٣) ، قيل فى معنى الختم وجوه :

أحدها : أن المراد بالختم العلامة ، واذا انتهى الكافر من كفره الى حالة يعلم الله أنه لا يؤمن فانه يعلّم على قلبه علامة ، وقيل هى نكتة سوداء تشاهده الملائكة ،فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها ، فيذمونه ويدعون عليه ،كما أنه تعالى يكتب فى قلب المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها أنه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له . . . .

ثانيها : أن المراد بالختم على القلوب أن شهد عليها وحكم بأنها لا تقبل الحق ، كما يقال أراك تختم علىها يقوله فلان ،اى تشهد به وتصدقه ،

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ١/٧٢ .

(٢) انظر المصدر نفسه ١/٧٢ ، ٧٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٧ .

وقد ختمت عليك بأنك لا تفلح اى شهدت وذلك استعارة .

وثالثها : أن المراد بذلك أنه تعالى ذمهم بأنها كالمختوم عليها فى أنه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر ، كقوله " صم بكم عمى " (١) . . . . والمعنى أن الكفر تمكن فى قلوبهم حتى صار كالمختوم عليها وصار ، بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ولا يبصر .

ورابعها : ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بأن قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له ، فهو خلاف ما ذكره فى قوله " أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه "(٢) (٣) (٤) ومثل قوله " أم على قلوب اقفالها " .

ركب الطبرسى تلك التأويلات التعسفية فرارا من نسبة الاضلال الى الله ، والآية صريحة فى أن الله يضلل الكافرين ويختم على قلوبهم حتى لا يؤمنوا يؤيد ذلك قوله تعالى " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون "(٥) فنعوذ بالله من وساوس القدرية ونعوذ بعزته لا اله الا هو أن يضلنا .

وقال أيضا عند تفسيره لقوله تعالى " ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهم أعلم بالمهتدين "(٦) : وفى هذه الآية دلالة على أن الضلال والاضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله أهل الجبر (٧) .

قلت : ونحن أهل السنة لا ننكر أن الضلال من فعل العبد ولكن نقول

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨ .
(٢) سورة الزمر الآية ٢٢ .
(٣) سورة محمد الآية ٢٤ .
(٤) مجمع البيان للطبرسى ١/٤٤ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١١٠ .
(٦) سورة الانعام الآية ١١٧ .
(٧) مجمع البيان للطبرسى ٢/٣٥٦ .

مع ذلك انه من خلق الله وتقديره ، فالمضل والهادى هو الله والعبد هو الضال أو المهتدى .

وعلى كل فالطبرسى وافق فى هذا الباب اى الهدى والضلال المعتزلة فلا يقول بهداية التوفيق ، ويؤول كل آية تدل على أن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء (١) .

الارادة :

منشأ الخطأ عند القدرية والجبرية فى باب القدر وفى أفعال العباد هو الخلط وعدم التفرقة بين الارادة الكونية القدرية ، وبين الارادة الدينية الشرعية .

فان المحققين من أهل السنة يقسمون الارادة التى وردت فى كتاب الله تعالى الى قسمين :

ارادة قدرية كونية خلقية ، وارادة دينية أمرية شرعية ، فالارادة الشرعية هى المتضمنة للمحبة ، والرضى ، والكونية هى الشاملة لجميع الموجودات (٢) .

فأما الارادة الكونية القدرية فكقوله تعالى " فمن يرد الله أن يهده يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء "(٣) .

وقوله " ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم "(٤) وقوله تعالى " ولكن الله يفعل ما يريد "(٥) .

---

(١) انظر كلامه عند تفسيره لقوله تعالى " يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين " ١/٦٨ .
وانظر كلامه أيضا عند تفسيره لقوله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا " ٢/٣٦٣ .
(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٦ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .
(٤) سورة هود الآية ٣٤ .
(٥) البقرة الآية ٢٥٣ .

وأما الارادة الدينية الشرعية الأمرية ،فكقوله تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر "(١) .

وكقوله تعالى " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم "(٢) .

وقوله تعالى " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم "(٣) .

" فهذه الارادة ـ اى الشرعية الدينية ـ هى المذكورة فى مثل قول الناس لمن يفعل القبائح : هذا يفعل مالا يريده الله ، أى لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به .

وأما الكونية فهى الارادة المذكورة فى قول المسلمين : ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن "(٤) .

وبهذا التفصيل بين الارادتين يزول كثير من الاشكالات المتعلقة بهذا الباب ، ولما لم يوفق كل من القدرية والجبرية الى هذا التفصيل وقعوا فى خلط وفى تناقض .

وقد أُخطأت القدرية والجبرية فى معرفة العلاقة بين أمر الله وإرادته . أما القدرية فقالوا : ان الأمر يستلزم الارادة ،واحتجوا بحجج لا تندفع . وقالت المثبتة : الأمر لا يستلزم الارادة ،واحتجوا بحجج لا تندفع(٥) .

قال ابن القيم :" والصواب : أن الامر يستلزم الارادة الدينية ولا يستلزم

---

(١) البقرة الآية ١٨٥ .
(٢) سورة النساء الآية ٢٧ .
(٣) المائدة الآية ٦ .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ص ١١٦ وانظر الفتاوى ٨/٤٠٠ .
(٥) شفاء العليل لابن القيم ٥٨٦ .

الارادة الكونية فانه لا يأمر الا بما يريده شرعا ودينا وقد يأمر بما لا يريده كونا وقدرا ،كايمان من أمره ولم يوفقه للايمان ، مراد له دينا لا كونا (١) .

والطبرسي وقع في هذا الخلط الذي وقعت فيه القدرية المعتزلة فتراه في تفسيره لا يفرق بين الارادتين ،فيزعم أن كل ما أحب الله ان يكون فقد أراد أن يكون ومالا يجب ان يكون فلا يريد ان يكون ، وتراه يزعم أيضا أن الله لا يريد وقوع الكفر والضلال والمعاصي من العباد ، وان الكفر والعصيان خارجان عن مشيئته وارادته ظنا منه أن الأوامر الدينية تستلزم الارادة مطلقا .

فقد قال الطبرسي عند تفسيره لقوله تعالى " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم " (٢) ، وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبرية ، لأنه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح (٣) .

قلت في الجواب على كلامه : ان الارادة في هذه الآية هي الارادة الشرعية وهو لا يريد شرعا الا الخير والصلاح ،ولكن لا يلزم منها ان لا يقدر وقوع الشر لأن القدر خيره وشره من الله تعالى .

وقال أيضا عند تفسيره لقوله تعالى " ولا يرضى لعباده الكفر (٤) : " وفي هذا أوضح دلالة على أنه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد ، لأنه لو أراده لوجب متى وقع أن يكون راضيا به لعبده "(٥) .

قلت : فحوى كلامه : أن الكفر الواقع من العباد يقع بدون ارادة الله تعالى ومشيئته ، وأنه يقع في ملكه مالا يشاء ، وتعالى الله عن ذلك .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٨٦ .
(٢) سورة النساء الآية ٢٧ .
(٣) مجمع البيان للطبرسي ٢/٣٦ .
(٤) سورة الزمر الآية ٧ .
(٥) مجمع البيان للطبرسي ٤/٤٩١ .

والذى أداه الى ذلك خلطه بين الارادتين كما أشرنا .

فالله سبحانه لا يرضى لعباده الكفر شرعا ودينا ، وقد يريد منهم ذلك كونا وقدرا وخلقا ، ولا تعارض بين الأمرين ولله الحمد .

قال ابن كثير فى تفسير قوله " ولا يرضى لعباده الكفر " اى لا يحبه ولا يامر به (١) .

وقال الطبرسى عند تفسيره لقوله تعالى " والله لا يحب الفساد (٢) ، وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة ان الله تعالى يريد القبائح ، لأنه تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد ، والمحبة هى الارادة ، وكل ما أحب الله ان يكون فقد أراد ان يكون ، ومالا يحب ان يكون لا يريد ان يكون (٣) .

والجواب على كلامه من وجهين :

أحدهما : أنه يمتنع اطلاق ارادة الشر على الله وفعله نفيا واثباتا ، لما فى اطلاق لفظ الارادة والفعل من ايهام المعنى الباطل ونفى المعنى الصحيح ، فان الارادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا (٤) .

ثانيهما : ان المحبة لا تستلزم دائما الارادة الكونية وانما تستلزم الارادة الدينيه الشرعية ، فكل ما أحب الله فقد أراده شرعا ودينا وأمر به وقد لا يريد ما أحبه كونا وقدرا .

اذا فقول الطبرسى " وكل ما أحب الله ان يكون فقد أراد أن يكون ، ومالا يحب أن يكون لا يريد أن يكون " غير صحيح ولا مستقيم لما عرفنا من التفرقة بين

---

(١) تفسير ابن كثير ٧٧/٧ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٥ .
(٣) مجمع البيان ٣٠٠/١ .
(٤) شفاء العليل لابن القيم ٥٦٤ .

المحبة والارادة الشرعية من جانب وبين الارادة الكونية القدرية من جانب آخر .

القول : بأن الحجة تقوم على الناس قبل ارسال الرسل اليهم بالعقل والنظر في الكون ، أو التحسين والتقبيح العقليين .

قال الطبرسي عند تفسيره لقوله تعالى " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل "(١) ..... وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من زعم أن عند الله تعالى من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن ، لأنه لو كان كذلك ، لكان للكفار الحجة بذلك على الله قائمة ، فاما من لم يعلم من حالة أن له في انفاذ الرسل اليه لطفا ، فالحجة قائمة عليه بالعقل ، وأدلته الدالة على توحيده وعدله . ولو لم يقم الحجة الا بانفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين :

الأول : أن صدق الرسول لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد والعدل ، فان كانت الحجة غير قائمة فلا طريق الى معرفة النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنه لو كانت الحجة لا تقوم الا بالرسل لاحتاج الرسول أيضا الى رسول آخر حتى تكون الحجة عليه قائمة ، والكلام في رسوله كالكلام فيه حتى يتسلسل وذلك فاسد ، فمن استدل بهذه الآية على أن التكليف لا يصح بحال الا بعد انفاذ الرسل فقد أبعد لما قلناه(٢) .

وكلام الطبرسي هذا شبيه بكلام الزمخشري في تفسير الآية نفسها . بيد أن الزمخشري ألطف منه عبارة وأقل منه خوضا في الآية ، وان استوت عبارتاهما في البطلان .

فقد قال الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية : فان قلت كيف يكون للناس

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٢/١٤٢ .

على الله حجة قبل الرسل ، وهم محجوجون بما نصبه الله تعالى من الأدلة التي النظر فيها يوصل الى المعرفة ، والرسل في أنفسهم لم يتوصلو الى المعرفة الا بالنظر في تلك الأدلة ، ولا عرف أنهم رسل الله الا بالنظر فيها ؟ قلت : الرسل منبهون عن الغفلة ، وباعثون على النظر ، كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين ، وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع ، فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة ، لئلا يقولوا : "لولا أرسلت الينا رسولا " (١) فيوقظنا من سنة الغفلة، وينبهنا لما وجب الانتباه له " (٢) .

والطبرسي يريد من كلامه ذاك أمرين :

الأول : يريد ان يقول : ان الله تعالى لا يقدر أن يهدي الكافر تعالى الله عن ذلك وقد مر بنا أمثال هذا في الهدى والضلال .

الثاني : يريد أن يقول : ان العقل والنظر في الأدلة كاف في قيام الحجة على الناس ولو لم يرسل اليهم الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وهذا جريا منه على مسألة التحسين والتقبيح العقليين عند المعتزلة ، وهي اثبات أحكام الله بمجرد العقل و لم يبعث رسولا ، فيوجبون بعقولهم ويحرمون ويبيحون على وفق زعمهم (٣) . وتقول المعتزلة في ذلك : ان العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يرسل اليهم رسولا (٤) .

وهذه قاعدة باطلة ، وذلك أن الحسن والقبيح وان كان يمكن أن يدرك بالعقل كحسن العدل وقبح الظلم ، وحسن الصدق وقبح الكذب الا أنه لا تترتب

---

(١) سورة طه الآية (١٣٤) .
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ١/٥٨٣ .
(٣) انظر كتاب الانصاف على ما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير المالكي على هامش الكشاف ١/٥٨٣ .
(٤) الفتاوى لابن تيمية ٨/٤٣٥ .

عليه الاحكام قبل ورود الشرع ، " ولا يلزم من حصول هذا القبيح أن يكون معاقبا فى الآخرة ، اذا لم يرد شرع بذلك وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح ، فانهم قالوا : ان العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث اليهم رسولا وهذا خلاف النص .

قال تعالى " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " وقال تعالى " وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون "(١) .

وقال تعالى " كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير "(٢) .

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " ما أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين (٣) .

والنصوص الدالة على أن الله لا يعذب الا بعد الرسالة كثيرة ترد على من قال من أهل التحسين والتقبيح : ان الخلق يعذبون فى الأرض بدون رسول أرسل اليهم "(٤) .

وليست مسألة التحسين والتقبيح كما قال ابن تيمية ملازمة لمسألة القدر (٥) - اى نفيه .

ولكن المعتزلة غلطوا فيه غلطا فاحشا حيث اخضعوا خطاب الشرع

---

(١) سورة القصص الآية ٥٩ .
(٢) سورة الملك الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .
(٣) صحيح مسلم كتاب التوبة ٤/٢١١٤ حـ ٢٧٦٠ .
(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٨/٤٣٥ .
(٥) المصدر نفسه ٨/٤٣١ .

وأوامره كلها لمعقولهم البشرية فقاسوا أفعال الخالق بافعال المخلوق وقالوا بأن ما حسن من المخلوق حسن من الخالق ، وما قبح من المخلوق قبح من الخالق .

وهم كما قال ابن تيميه : مشبهة الافعال ،يشبهون الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق فى الأفعال . وهذا قول باطل ، كما أن تمثيل الخالق بالمخلوق ،والمخلوق بالخالق فى الصفات باطل"(١) .

وغلط فى مسألة التحسين والتقبيح العقليين أيضا بعض الطوائف الذين انكروه اطلاقا ، كما أنكروا أن يكون لخطاب الشرع وأوامره علل وحكم حيث قالوا كما حكى عنهم شيخ الاسلام : (ان الأفعال لم تشتمل على صفات هى أحكام ولا على صفات هى علل للأحكام ، بل القادر أمر أحد المتماثلين دون الآخر ، لمحض الارادة ، لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة فى الخلق والأمر)(٢) .

والصواب فى هذا الباب هو ما بينه شيخ الاسلام من أن الذى ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

أحدها : أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فساده ،فهذا النوع هو حسن وقبيح ،وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لا أنه اثبت للفعل صفة لم تكن ، لكن لا يلزم من حصول هذا القبيح أن يكون فاعله معاقبا فى الآخرة اذا لم يرد شرع بذلك ....

النوع الثانى : أن الشارع اذا أمر بشئ صار حسنا ، واذا نهى عن شئ صار قبيحا واكتسب الفعل صفة الحسن والقبيح بخطاب الشارع .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/ ٤٣١ .

(٢) المصدر نفسه ٨/ ٤٣٣ .

النوع الثالث: أن يامر الشارع بشئ ليمتحن العبد ، هل يطيعه أم يعصيه ، ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر ابراهيم بذبح ابنه فلما سلما وتله للجبين ، حصل المقصود ففداه بالذبح .... فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به .

وهذا النوع والذى قبله لم يفهمه المعتزلة ، وزعمت أن الحسن والقبيح لا يكون الا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع .

والأشعرية ادعوا : أن جميع الشريعة من قسم الاستحسان ، وأن الأفعال ليس لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع .

وأما الحكماء والجمهور فاثبتوا الاقسام الثلاثة (١) .

*: نفى الطبرسى صفات الله تعالى *

وافق الطبرسى المعتزلة فى نفى صفات الله تعالى حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين "(٢) .... ولما نبه سبحانه بهذه الآية على أنه عالم لذاته من حيث انه لو كان عالما بعلم لوجب أحد ثلاثة أشياء كلها فاسدة ، اما أن يكون له علوم غير متناهية ، واما ان يكون معلوماته متناهية ، أو يتعلق علم واحد بمعلومات غير متناهية ، وكلها باطل بالدليل ، نبه(٣) فى الآية التى تليها على أنه قادر لذاته من حيث انه قادر على الاحياء والاماتة فقال تعالى " وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه "(٤)(٥) .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ .
(٢) سورة الأنعام الآية ٥٩ .
(٣) جواب لما
(٤) سورة الانعام الآية ٦٠ .
(٥) مجمع البيان للطبرسى ٢/٣١٢ .

فالطبرسي ينكر في كلامه هذا صفة العلم وصفة القدرة وسائر الصفات وهذا مذهب المعتزلة الذين ينكرون هذه الصفات زعما منهم أنه يلزم من اثباتها تعدد الاله ، وهو مذهب باطل مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من اثبات صفات الله تعالى بلا تشبيه ولا تعطيل .

* رؤية الله عز وجل يوم القيامة *

يعتقد أهل السنة أن الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة ، كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون قال تعالى " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "(١) (٢) .

وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على ذلك ، اما الكتاب فقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة "(٣) وقوله تعالى " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " .

قال الشافعي مستدلا بهذه الآية على رؤية الله عز وجل بالآخرة : لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا (٤) .

وروى البخاري بسنده عن قيس عن جرير قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، اذ نظر الى القمر ليلة البدر ، قال : انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فان استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا "(٥) .

والبخاري روى مثل هذا المعنى عن عدد من الصحابة غير جرير بن

---

(١) سورة المطففين الآية ١٥ .
(٢) مقالات الاسلاميين ١/٣٤٦ .
(٣) سورة القيامة الآية ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) تفسير القرطبي ١٩/٢٦١ .
(٥) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/٤١٩ ح ٧٤٣٤ .

عبد الله منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهم جميعا (١) .

وخالفت المعطلة من الجهمية والمعتزلة فى ذلك كتاب الله وسنة رسوله واجماع المسلمين ، فأنكروا رؤية الله فى الآخرة وقالوا باستحالتها زعما منهم أنه يلزم من اثباتها التجسيم والتشبيه ونسبة الجهة الى الله سبحانه (٢) .

ومفسرنا الطبرسى يوافق المعتزلة فى نفى رؤية الله تعالى فى الآخـــرة ويؤول الآيات التى تدل على أن المؤمنين يرون الله سبحانه فى الآخرة بمـــا يتفق ومذهبه .

فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " اختلف فيه على وجهين :

احدهما : أن معناه نظرة العين .

الثانـــى : أنه الانتظار .

واختلف على من حمله على نظر العين على قولين :

احدهما : أن المراد الى ثواب ربها ناظرة ، أى هى ناظرة الى نعيم الجنـــة حالا بعد حال . فيزداد بذلك سرورها ، وذكر الوجوه ، والمراد بـــه اصحاب الوجوه ، روى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم (٣) ، فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ، كما فى قوله " وجاء ربك " (٤) أى أمر ربك ، وقوله " وأنا أدعوكم الى العزيـــز الغفار " (٥) اى الى طاعة العزيز الغفار وتوحيده ، وقولـــــــه

---

(١) انظر صحيح البخارى مع القبح ١٣/٤١٩ ، ٤٢٠ .
(٢) انظر الكشاف للزمخشرى ٢/١١٢ ، ١١٣ .
(٣) هذه بدعة ابتدعها الجهمية وأخذ منها المعتزلة ولم يثبت عن أحد من الصحابة ولا من خيار التابعين ونسبة هذا القول الفاسد الى بعض الصحابة وخيار التابعين افتراء عليهم
(٤) سورة الفجر الآية ٢٢ .
(٥) سورة غافر الآية ٤٢ .

"ان الذين يؤذون الله "(١) أى أولياء الله .

والآخر : أن النظر بمعنى الرؤية ،والمعنى تنظر الى الله معانيه ، روى ذلك عن الكلبى ومقاتل وعطاء وغيرهم ، وهذا لا يجوز ، لأن كل منظور اليه بالعين مشار اليه بالحذقة واللحاظ ، والله يتعالى عن أن يشار اليه بالعيون ، كما يجل سبحانه عن أن يشار اليه بالأصابع ، وأيضا فان الرؤية بالحاسة لا تتم الا بالمقابلة والتوجه ، والله يتعالى عن ذلك بالاتفاق ، وأيضا فان رؤية الحاسة لا تتم الا باتصال الشعاع بالمرئى ،والله منزه عن اتصال الشعاع به.

على أن النظر لا يفيد الرؤية فى اللغة ،فانه اذا علق بالعين أفاد طلب الرؤية ، كما أنه اذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت الى فلان فلم أره، فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا القول قولا ساقطا متناقضا ،وقولهم مازلت أنظر اليه حتى رأيته ، والشئ لا يجعل غاية لنفسه ، فلا يقال مازلت أراه حتى رأيته ، ولأنا نعلم الناظر ناظرا بالضرورة ،ولا نعلمه رائيا بالضرورة بدلالة أنا نسأله هل رأيت ام لا ؟ ..... الى آخر كلامه .... (٢) .

وهو يقصد من كلامه ابطال امكانية رؤية الله التى يقول بها أهل السنة بدلالة كتاب الله تعالى وسنة المصطفى .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٧ .

(٢) مجمع البيان للطبرسى ٥/٣٩٧ ، ٣٩٨ .

* صفة الكلام *

وهذه الصفة قد كثر الكلام وخاض الناس فيها ، فبسببها أمتحن علماء الأمة فى زمن المأمون والمعتصم الخليفتين العباسيين " فالناس كثر نزاعهم فى هذه المسألة حتى قيل ان مسألة الكلام حيرت عقول الأنام "(١) .

وقد ضل بهذه الصفة طوائف من الأمة ابتعدوا عن اصابة الحق فيها .

والمسلمون فى مسألة صفة الكلام طوائف :

اولا : المعتزلة : وهم يقولون : ان القرآن مخلوق خلقه الله منفصلا عنه(٢) .

قال الزمخشرى عند تفسيره لقوله " وكلمه ربه "(٣) : وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا فى اللوح (٤) .

ثانيا : الكلابية والأشاعرة : وهم يقولون : ان كلام الله معنى واحد قائم بالذات ، هو الأمر والنهى والخبر والاستخبار ، ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة (٥) .

قال الجوينى : الكلام هو القول القائم بالنفس ، والذى تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الاشارات (٦) .

ثالثا : أئمة الحديث والسنة : وهم يقولون : أنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ، وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديما (٧) ، وهذا القول الاخير هو الصواب

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/١١٣ .
(٢) شرح عقيدة الطحاوية ١٨٠ .
(٣) سورة الاعراف الآية (١٤٣) .
(٤) الكشاف للزمخشرى ٢/١١١ .
(٥) شرح عقيدة الطحاوية ١٨٠ .
(٦) الارشاد للجوينى ١٠٨ .
(٧) شرح عقيدة الطحاوية ١٨٠ .

ان شاء الله .

يقول الامام الطحاوى فى عقيدة اهل السنة فى صفة الكلام : فان القرآن كلام الله ، منه بدأ بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده بسقر ، حيث قال تعالى " سأصليه سقر "(١) (٢) .

ففى كلام الطحاوى رد على الطائفتين الأوليين ، لأن قوله " منه بدأ بلا كيفية رد على المعتزلة الذين يقولون ان القرآن لم يبدأ منه وانما خلقه فى بعض الأجرام .

وفى قوله " وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، رد على من قال بالكلام النفسانى وأن القرآن عبارة عن كلام الله .

وقوله تعالى "منزل من ربك "(٣) يدل كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله على بطلان قول من يقول أن القرآن كلام مخلوق خلقه فى جسم من الأجسام ، كما يدل أيضا على بطلان قول : الاشاعرة والكلابية الذين يقولون : أن العربى ليس هو كلام الله ، وانما كلامه المعنى القائم بذاته ، والقرآن العربى خلق ليدل على ذلك المعنى (٤) .

وذلك أن لفظ الانزال من قوله " منزل من ربك " مقيّد بالانزال من الله تعالى .

وفى كل من كلام الطائفتين المعتزلة والأشاعرة فى صفة الكلام حق يجب

---

(١) سورة المدثر الآية ٢٦ .

(٢) عقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبى العز الحنفى ١٧٩ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٤ .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/ ١٢٠ .

قبوله وباطل يجب رده ، بيد أن قول الاشاعرة أقرب الى قول أهل الحديث والسنة.

" فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته وأنه يتكلم اذا شاء ،وأنه يتكلم شيئا بعد شيء ،فهو حق يجب قبوله ،

وما يقوله من يقول : أن كلام الله قائم بذاته ، وأنه صفة له ، والصفة لا تقوم الا بالموصوف ،فهو حق يجب قبوله والقول به (١) .

والطبرسي كغيره من الامامية يوافق المعتزلة في صفة الكلام فهو يقول بخلق القرآن معنى لا لفظا ، حيث يجعل القرآن فعلا من أفعال الخالق ولا يعده صفة من صفات الله عز وجل .

يقول الطبرسي عند تفسيره لقوله تعالى " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها "(٢) ، وفي هذه الآية دلالة على أن القرآن محدث، وأنه غير الله تعالى ، لأن القديم لا يجوز نسخة ، ولأنه أثبت له مثلا والله سبحانه قادر عليه وما كان داخلا تحت القدرة فهو فعل ، والفعل لا يكون الا محدثا "(٣) .

ويقول أيضا عند تفسيره لقوله تعالى " الم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير "(٤) ، وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله تعالى محدث ، لأنه وصفه بأنه أحكمت آياته ثم فصلت ، والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل "(٥) .

ويفهم من كلام الطبرسي أنه يقول بخلق القرآن حيث أشار الى أن القرآن كلام الله تعالى من صفات الأفعال ، مثل الخلق والرزق والاحياء والاماتة.

---

(١) شرح الطحاوية ١٩٠.
(٢) سورة البقرة الآية ١٠٦ .
(٣) مجمع البيان ١/١٨٢.
(٤) سورة هود الآية ١ .
(٥) مجمع البيان ٣/١٤١.

وليس من صفات الذات ، وهذا ليس بمستقيم ، بل الصحيح أن صفة الكلام متردد ة بين الصفات الفعلية والصفات الذاتية ، كالعلم والحياة ، والسمع والبصر .

فكلام الله تعالى من صفات الذات باعتبار قيامه بها واتصافها به ، لأن الله موصوف بالكلام وكلامه نعته ووصفه . وهو أيضا من صفات الأفعال الواقعة بمشيئته وقدرته ، فهو يتكلم اذا شاء كيف يشاء بما شاء . وعلى كلا الاعتبارين فالقرآن كلام الله ليس بمخلوق بل هو صفة من صفاته ، يدلك على ذلك مشروعية الاستعاذة بكلمات الله ، لأن المخلوق لا يجوز الاستعاذة به .

فقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يقول : " أعوذ بكلمات الله التي لا يجاوزهنّ بر ولا فاجر " .(١) ولا يقول عاقل أنه صلى الله عليه وسلم استعاذ بمخلوق .(٢)

والآيتان اللتان استدّل بهما الطبرسي لا تدلان على ما زعم لا من قريب ولا من بعيد ، اذ لا يلزم من نسخ القرآن واحكامه وتفصيل آياته أن يكون كلام الله تعالى مخلوقا .

* القول بأن خبر الواحد العدل لا يوجب العلم ولا العمل *

يرى الطبرسي أن خبر الواحد ليس بحجة فلا يوجب العلم ولا العمل فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ".(٣) : وفي هذه الآية دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل ، لأن المعنى ان جاءكم من لا تأمنون أن يكون خبره كذبا فتوقفوا فيه ، وهذا التعليل موجود في خبر من يجوز كونه كاذبا في خبره .

وقد استدل بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد اذا كان عدلا

---

(١) المسند للامام أحمد ٣ / ٤١٩ ، وقال فيه الألباني : صحيح ، انظر شرح عقيدة الطحاوية ص ١٩١ ، الهامش .

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢ / ٣١٣ ، وشرح عقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ١٩١ .

(٣) سورة الحجرات الآية ٦ .

من حيث ان الله سبحانه أوجب التوقف فى خبر الفاسق ، فدل على ان خبر العدل لا يجب التوقف فيه ، وهذا لا يصح لأن دليل الخطاب لا يعول عليه عند نا وعند أكثر المحققين "(١) .

والطبرسى يقصد من كلامه ابطال حجية السنة الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بخبر الواحد العدل الثقة الحافظ ، وانكار حجية خبر الواحد هو شأن المبتدعة ودينهم ، وهو يوافق بذلك المعتزلة .

فقد حكى السيوطى عن أبى على الجبائى المعتزلى أنه قال : لا يقبل الخبر اذا رواه العدل الواحد ، الا اذا انضم اليه خبر عدل آخر ، أو عضده موافقة ظاهر الكتاب ، أو يكون منتشرا بين الصحابة أو عمل به بعضهم (٢) .

بل ان الطبرسى أشد غلوا من الجبائى المعتزلى فى رد خبر الواحد العدل حيث الطبرسى رده مطلقا ، وقيده الجبائى بالقيود التى ذكرناها آنفا .

والرد على كلام الطبرسى من وجهين :

أحدهما : ان خبر الواحد العدل عن مثله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل معا ، وهو قول علماء السلف قاطبة .

وقد سرد الشافعى رحمه الله تعالى جملة من اسماء علماء السلف من التابعين واتباع التابعين الذين حفظ عنهم تثبيت الخبر الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاء اليه والافتاء به ، ثم قال : ولو جاز لأحد من الناس أن يقول فى علم الخاصة : أجمع المسلمون قديما وحديثا على تثبيت خبر الواحد والانتهاء اليه ، بأنه لم يعلم

---

(١) مجمع البيان للطبرسى ٥/١٣٣ .

(٢) تدريب الراوى للسيوطى ١/٧٣ .

من فقهاء المسلمين أحد الا وقد ثبّته جازلى ، ولكن أقول : لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا فى تثبيت خبر الواحد (١) .

وحكى ابن حزم رحمه الله عن عدد من العلماء : أن خبر الواحد العدل عن مثله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل معا ، ثم قال : وبهذا نقول (٢) .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وآثار الصحابة ومن تبعهم باحسان . اما الكتاب فقوله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه " (٣) وقوله تعالى " والى عاد أخاهم هودا " (٤) وقوله سبحانه " الى مدين أخاهم شعيبا " (٥) وقال تعالى " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل " (٦) وقال تعالى " وما أرسلناك الا كافة للناس " (٧) .

فلما كان يجب على أقوام الرسل قبول قول الرسل الذين يخبرون وينبأون عن الله وهم آحاد ، وجب قبول قول من يخبر عن الرسول اذا كان ثقة عدلا .

ومن الأدلة القرآنية التى استشهد بها الشافعى رحمه الله على قبول خبر الواحد العدل قوله تعالى " واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون " (٨)

---

(١) الرسالة للشافعى ٤٥٧ .
(٢) الاحكام فى أصول الأحكام ١/١١٥ .
(٣) سورة هود الآية ٢٥ .
(٤) الاعراف الآية ٦٥ .
(٥) الاعراف الآية ٨٥ .
(٦) سورة آل عمران ١٤٤ .
(٧) سورة سبأ الآية ٢٨ .
(٨) سورة يس الآية ١٣ ، ١٤ .

قال الشافعى فى وجه الدلالة : فظاهر الحجج عليهم باثنين ، ثم ثالث وكذا أقام الحجة على الأمم بواحد ، وليس الزيادة فى التأكيد مانعة من أن تقوم الحجة بالواحد ، اذا عطاه الله ما يباين به الخلق غير النبيين (١) .

وأما الأدلة من السنة على قبول خبر الواحد العدل فكثيرة جدا منها قوله صلى الله عليه وسلم " نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه "(٢) .

قال الشافعى فى دلالة الحديث على ذلك : فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأ يؤديها ، والا مرؤ واحد ، دل على أنه لا يأمر أن يؤدى الا ما تقوم به الحجة على من أدى اليه ، لأنه انما يؤدى عنه حلال ، وحرام ، يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة فى دين ودنيا "(٣) .

وروى البخارى من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه فى شأن تحويل القبلة . . . قال : فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة "(٤) .

وهؤلاء الذين تحولوا هم أهل قباء ، وهم أهل سابقة وفقه من الانصار ،

---

(١) الرسالة للشافعى ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى من حديث زيد بن ثابت ، قال الترمذى حديث حسن ورواه الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، انظر سنن أبى داود ٤/٦٨ ، ح ٢٦٦٠ ، وسنن الترمذى ٥/٤١ ح ٢٦٥٦ .

(٣) الرسالة للشافعى ٤٠٢ .

(٤) صحيح البخارى مع الفتح ١/٥٠٢ ح ٣٩٩ .

وما كانوا ليدعو القبلة التى فرض الله عليهم الاتجاه اليها الا بما تقوم عليهم الحجة ولم يلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يسمعوا ما أنزل اليه فى تحويل القبلة ، وانما انتقلوا بخبر واحد حيث كان عندهم من أهل الصدق ، وما كانوا ليفعلوا ذلك بخبر واحد الا عن علم بأن الحجة تثبت بمثله اذا كان من أهل الصدق (١) .

وكان الصحابة وفى مقدمتهم الشيخان رضى الله عنهم يقبلون خبر الواحد العدل وينتهون اليه ، وينقضون أحكامهم اذا وجدوها مخالفة لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولو بالخبر الواحد ، والشواهد فى ذلك كثيرة فى كتب الحديث .

وقد عقد الشافعى رحمه الله فى الرسالة ترجمة بعنوان : " الحجة فى تثبيت خبر الواحد " أورد تحت هذه الترجمة الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة ومن تبعهم باحسان من اهل القرون المفضلة ، والتى تدل على قبول خبر الواحد العدل ، مع بيان وجه دلالة النصوص على ذلك ومناقشتها .

والحق يقال : أنه ذكر تحت هذه الترجمة ما يشفى القلوب ويشلح الصدور فلله دره من امام عالم عامل بصير بدينه ينفى عنه انتحال المبطلين وتحريف الغالين .

والوجه الثانى من الرد على كلام الطبرسى ، هو أن الآية الكريمة لا تدل على مازعم بل تدل على عكس ذلك وهو أن خبر الواحد العدل يوجب العلم والعمل ، تدل الآية على ذلك بالمفهوم الذى يسمى بدليل الخطاب ، وهو حجة عند كثير من العلماء منهم الامامان مالك والشافعى واصحابهما ، واليه ذهب الاشعرى كما حكى عنه الغزالى ، اذ احتج فى اثبات خبر الواحد

---

(١) الرسالة للشافعى مع الاختصار والتصرف فى العبارات ص ٤٠٧ .

بهذه الآية نفسها فقال : هذا يدل على أن العدل بخلافه[١] .

ويرجح ماذلت عليه الآية بدليل الخطاب ما سقناه من الآيات والأحاديث الدالة على قبول خبر الواحد العدل .

ويرجح ذلك أيضا ما ثبت فى الفطر السليمة من قبول خبر الواحد العدل ، وذلك أن العقلاء كلهم يجدون فى أنفسهم ضرورة قبول خبر الصادق الثبت العدل الذى لم يجرب عليه كذبا قط ، اذا أخبر أنه شاهد شيئا أو سمعه ، أو فعله .

وقد استخدم صلى الله عليه وسلم هذه الضرورة الفطرية فى تبليغ الرسالة واقامة الحجة على الناس .

فقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الى الجبل فنادى : يا صاحباه : فاجتمعت اليه قريش فقال : أرأيتم ان حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم تصدقونى ؟ قالوا : نعم (ما جربنا عليك كذبا)[٢] قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد[٣] .

فاعترفت قريش بفطرتها أنها كانت تقبل خبره صلى الله عليه وسلم لكونهم لم يجربوا عليه الكذب قط ، فدل ذلك على قبول خبر الواحد العدل .

فتلك بعض النماذج التى توضح مدى تأثر الطبرسى بمذهب المعتزلة وآرائهم .

---

(١) انظر المستصفى من علم الأصول للغزالى ص ٢/ ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) هذه الزيادة (ما جربنا عليك كذبا) رواية أخرى للبخارى من حديث ابن عباس) أنظر صحيح البخارى مع الفتح ٨/ ٧٣٧ ح ٤٩٧١ .

(٣) المصدر نفسه ٨/ ٧٣٧ ح ٤٩٧٢ .

* مباينة الطبرسى المعتزلة فى بعض آرائهم وعقائدهم *

هذا ولا يتفق الطبرسى مع المعتزلة فى كل مبادئهم واعتقاداتهم بل يخالفهم فى بعض آرائهم .

الوعد والوعيد ومرتكب الكبيرة :

فهو مثلا يخالفهم فى مسألة الوعد والوعيد وفى مرتكب الكبيرة اذا مات من غير توبة ، وهو يوافق فى هذه المسألة أهل السنة والجماعة .

فقد قال عند تفسيره لقوله " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا "(١) : . . . فالله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محالة ، فان مات الموحد من غير توبة ، فهو فى مشيئة الله ، ان شاء عذبه بعدله ، وان شاء غفر له بفضله "(٢) .

وقال أيضا عند تفسيره لقوله " يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء . . "(٣) ، وفى هذه الآية دلالة على أن الكبيرة لا تخرج عن الايمان لأن أحدا من المسلمين لا يقول : ان حاطبا قد خرج من الايمان بما فعله من الكبيرة الموبقة "(٤) .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى " ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين "(٥) : . . . وقد دل الدليل على أن أهل الكبيرة من المسلمين لا يخلدون فى النار "(٦) .

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .
(٢) مجمع البيان للطبرسى ٤/٥٠٣ .
(٣) سورة الممتحنة الآية ١ .
(٤) مجمع البيان للطبرسى ٥/٢٧٠ .
(٥) سورة الانفطار الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .
(٦) مجمع البيان للطبرسى ٥/٤٥٠ .

مفهوم الأيمان :

يخالف الطبرسى أيضا المعتزلة فى مفهوم الايمان وتحديد معناه ، فالايمان عند المعتزلة هو جميع الطاعات فرضها ونفلها (١) .

أما الطبرسى فالايمان عنده التصديق فقط ولا يشمل أفعال الجوارح . وهذا مذهب المرجئة (٢) . وخالف فى ذلك أيضا أهل السنة والجماعة الذين يقولون : ان الايمان تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح ، فالأعمال عند أهل السنة والجماعة تدخل فى مسمى الايمان لقوله تعالى " وما كان الله ليضيع ايمانكم "(٣) والمراد هنا بالايمان الصلاة .

فقد قال الطبرسى عند تفسيره لقوله تعالى " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين "(٤) ، وفى ذكر الصلاة والزكوة وغير ذلك بعد ذكر الايمان بالله دلالة على أن الايمان لا يتناول أعمال الجوارح ، اذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه . و من قال : ان المراد فيه التفصيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر "(٥) .

وكلام الطبرسى ليس بمستقيم ، والصحيح أن الأعمال تدخل فى مسمى الايمان لحديث وفد عبد القيس حيث فسر صلى الله عليه وسلم الايمان بالأعمال الظاهرة .

فقد قال صلى الله عليه وسلم فى ذلك الحديث : " أتدرون ما الايمان بالله

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين ١/٣٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ١/٣٢٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٤) سورة التوبة الآية ١٨ .

(٥) مجمع البيان للطبرسى ٣/١٤ .

وحده ،قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ،وإقام الصلاة وايتاء الزكوة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس "(١) .

وعطف الصلاة والزكوة على الايمان فى قوله "انما يعمر مساجد الله" (٢) من باب عطف بعض الشئ عليه كقوله " حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى" فلا دلالة فى الآية على أن الأعمال لا تدخل فى مسمى الايمان كما زعمه الطبرسى .

* * * * *
* * * *
* * *
* *
*

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ١/١٢٩ ح ٥٣ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٨ .

=((الخاتمـــــــــــــة))=

لقد كنت في بداية الطريق قلق النفس ، تساورني الشكوك في صلاحيـــة هذا الموضوع ، وكنت أقول في نفسي ماذا عساى أن أكتب عن تفسير هذا الامامي الذى يجر ذيله على أثره ليخفي التشيعات القبيحة التى تضمنها تفسيره حـــتى وصفه بعض الناس بالاعتـــدال .

وكلما شاورت أحدا من أساتذة قسم الدراسات العليا في صلاحية هـــذا الموضوع كان جوابه الرفض القاطـــع .

وقد اشتد عليّ الأمر حينما زار الأستاذ الشهيد احسان الهي ظهـــير الجامعة الاسلامية عام (١٤٠٦هـ) ، واستشرته في صلاحية هذا الموضـــوع - وهو من هو في هذا الاختصاص - فما كان جوابه الاّ أن قال : " ان هـــذا الموضوع لا يصلح للبحث ، بحجة أن تفسير الطبرسي ليس فيه مخـــازى كثـــيرة ولا يوجد فيه آراء غريبة رافضية تستأهل الدراسة ، بل انه أخذني معه الـــى رئيس قسم الدراسات العليا ومعه جمع من أساتذة القسم الأفاضل ، وصرح أمامهم بأن هذا الموضوع لا يصلح للبحـــث .

ورأيت أن كلامه أثر في بعض الأساتذة ، ولكن كل ذلك لم يثن عزيمـــتي في متابعة الموضوع ، ووجدت تشجيعا قويا من أستاذى الفاضل الدكتـــور/ عبد العزيز عبد الفتاح القـــارى ، فقمت بجمع معلومات أولية حول التشيعـــات، والمخازى التى اشتمل عليها تفسير الطبرسي .

وعرضت هذه المعلومات على رئيس قسم الدراسات الشيخ /عبد الله بن محمد الغنيمان ومعه الشيخ عبد المحسن العباد ، فاقتنعا بصلاحية الموضـــوع .

وتابعت بحثي في كشف رفضيات الطبرسي في تفسيره ، فوجدت أن الرجل رافضي امامي متعصب لمذهب أصحابه ، وقد بين في مقدمة تفسيره أنه ألـــف

تفسيره لنصرة عقائد الامامية والتدليل على صحتها ، فهو امامي قح ، الاّ أنه يعرض مسائل الرفض بطرف خفيّ ، ويفرقها غالبا في غير مظانها ، كي لا يتفطن لـــه .

وقد كشف هذا البحث أنه يقول بكل ما تقول به الامامية الرافضة ويدين بكل ما يدينون به . فهو يقول بالنص على امامة عليّ وسائر الاثنى عشريـة .

وقد غلا في أئمتهم هؤلاء حتى ساواهم بالأنبياء وجعلهم في مصاف الرسل ، فقد ساوى عليّا بخاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث زعم أن اللـــه جعل نفس عليّ نفس الرسول ـ صلى الله عليه وسلم[1] . وأورد في تفسيره روايـــات تقول : " ان عليّا ـ رضي الله عنه ـ قاسم الجنة والنار ، يدخل من شاء من محبيه الجنة ومن شاء من أعدائه النـــار[2] .

ويقول أيضا بعصمة الأئمة عصمة مطلقة ، ويحرف معاني آيات كثيرة للتدليل على ذلك .

ويقول بالرجعة والتقية ، ويستدل عليها من القرآن ، كما أنه يلمح بأكابر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ويغمط حقوقهـــم .

وقد طبق على عثمان ـ ذى النورين رضي الله عنه ـ بعض الآيات التى نزلت في المنافقين وزعم أنها نزلت فيه . وعرض بالشيخين[3] . وأثبت تحريفات الرافضـــة للقرآن ، اما على سبيل التفسير والتأويل ، واما على سبيل كونها قراءات لأهـل البيـــت .

فلذا نرى أن دراسة مثل هذه الكتب وكشف مافيها من العوار والزيـــف مهمة جدا لتحذير العامة والجيل الناشئ من هذه الأباطيل التى اشتملـــت عليها مثل هذه الكتب ، ونقترح أن لا يسمح بانتشار مثل هذه الكتب في أوساط المجتمع السـنى وتداولها بينهم ، حتى تنحصر شرورها ولا تصل الى أذهـــان العامة وأنصاف المثقفين الذين لا تمكنهم مقدرتهم الذهنية على التمييز بين الصحيح والسقيم

---

(١) أنظر ص ٨١ (٢) أنظر ص ٨٠ وانظر مجمع البيان ٤/٤٢٣

(٣) أنظر ص ص ٢٩٢ — ٣٠٢ (٤) أنظر ص ص ٢٧٠ — ٢٧٦

الفهـــــــــارس

ك أولا : =((فهـــرس المصادر والمراجـــع))=

١ - القـــرآن الكريـــــــــم .

٢ - أثر الامامة في الفقـة الجعفـرى وأصولـــه :
للدكتور/علي أحمد السالوس . نشر وتوزيع: دار الثقافـــة الدوحة - قطر . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٣ - أحكام القرآن للجصـــاص :
أبي بكر أحمد بن علي الرازى الجصاص الحنفي (ت : ٣٧٠هـ) .
الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان . مصورة عـــن الطبعة الأولى بمطبعة الأوقاف الاسلامية في دار الخلافة العلية ١٣٣٥ هـ .

٤ - الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم :
أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى (ت : ٤٥٦هـ) . الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان . الطبعة الأولى . ١٤٠٥هـ .

٥ - الأديان والفرق والمذاهب المعاصـــرة :
للأستاذ عبد القادر شيبة الحمد . مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنـــورة .

٦ - كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقـاد :
لامام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجوينى (ت : ٤٧٨هـ) .
تحقيق : أسعد تميم. الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بـــيروت - لبنان . ١٤٠٥هـ .

٧ - أسباب نـزول القرآن للواحـــدى :
أبي الحسين علي بن أحمد الواحدى (ت : ٤٨٧هـ) .تحقيق : السيد أحمد صقـــر . الناشر : دار القبلة للثقافة الاسلاميـة - جدة - السعودية . الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

٨ - الاستبصار فيما اختلف من الأخبار (شيعي) :
لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت : ٤٦٠هـ) . الناشر : دار الكتب الاسلامية - طهران - ايران . الطبعة الثالثة ١٣٩٠هـ .

٩ - الاسماعيلية تاريخ وعقائد :
للأستاذ : احسان الهي ظهير . الناشر: دار عالم الكتب - الرياض - السعودية . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

١٠ - أصل الشيعة وأصولها (شيعي) :
لمحمد حسين آل كاشف الغطاء . المطبعة العربية - القاهرة - الطبعة العاشرة ١٣٧٧ هـ .

١١ - الأصمعيات (اختيارات الأصمعي) :
لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت : ٢١٦ هـ). تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. الطبعة الخامسة - بيروت - لبنان .

١٢ - أصول الفقه (شيعي) :
للشيخ محمد رضا المظفر . طبع مطابع دار النعمان بالنجف - العراق ١٣٩١هـ .

١٣ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن :
للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي . الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

١٤ - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء ...) :
لخير الدين الزركلي . الطبعة الثالثة .

١٥ - اعلام الورى بأعلام الهدى (شيعي) للطبرسي :
أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت : ٥٤٨هـ) . تصحيح وتعليق : على أكرم الغفارى . الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٣٩٩ هـ .

١٦ - أعيان الشيعة (شيعي) :
للسيد محسن الأمين . الناشر : دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٤٠٣هـ .

١٧ - ألفية ابن مالك في النحو والصرف :
للعلامة : محمد بن عبدالله بن مالك الأندلسي (ت : ٦٧٢هـ).
الناشر : مكتبة القاهرة .

١٨ - أمالي المرتضي (شيعي) :
للشريف المرتضي على بن الحسن الموسوى العلوى (ت : ٤٣٦هـ).
تحقيق : محمد ابراهيم أبوالفضل . نشر : دار احياء الكتب العربية لمصطفي البابي . الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ .

١٩ - الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل :
لمحمد السيد الجليند . طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الاسلامية - القاهرة ١٣٩٢هـ .

٢٠ - الامام الصادق :
لمحمد أبي زهرة . ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربي - مصر .

٢١ - أمل الآمل (شيعي) :
للشيخ محمد بن الحسن الحرالعاملي (ت : ١١٠٤هـ). تحقيق : السيد أحمد الحسيني . الناشر : دار الكتاب الاسلامي - قم - ايران ١٩٦٢م .

٢٢ - كتاب الانتصار والرد على ابن الرواندى الملحد :
لأبي الحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي (ت : نحو ٣٠٠ هـ) . طبع المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٧م .

٢٣ - الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (على هامش الكشاف) :
لناصر الدين أحمد بن محمد . ابن المنير الاسكندرى المالكي .
الناشر : دار المعرفة - بيروت - لبنان .

٢٤ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به :
للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني (ت : ٤٠٣ هـ) . تحقيق وتقديم : محمد زاهد بن الحسن الكوثرى . الناشر: مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع . طبع مطبعة السنة المحمدية . الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ .

٢٥ - الأنوار النعمانية (شيعي) :
لنعمة الله الموسوى الجزائرى (ت : ١١١٢ هـ) . طبع مطبعة شركة جاب - ايران .

٢٦ - الأنوار الوضية في العقائد الرضوية (شيعي) :
للشيخ حسين بن الشيخ محمد العصفورى البجراني (ت : ١٢١٦ هـ) . تحقيق وتعليق : أبوأحمد بن أحمد بن خلف العصفورى . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٢٧ - أوائل المقالات في المذهب المختار (شيعي) للشيخ المفيد :
أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبرى الملقب بالشيخ المفيد (ت : ٤١٣ هـ) . الناشر : منشورات مكتبة الدفارى - قم - ايران ١٣٧١ هـ .

٢٨ - بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) (شيعي) :
للشيخ محمد باقر المجلسى. الناشر : دار احياء التراث العربي- بيروت ١٤٠٣ هـ .

٢٩ - البداية والنهاية :
للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤ هـ) . تحقيق :د . أحمد أبوملحم ، والأستاذ /فؤاد السيد ، والدكتور / فلي نجيب عطوى ،والأستاذ / مهدى ناصر الدين . الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٣٠ - البرهان في أصول الفقه :
لامام الحرمين أبي المعالي الجويني . تحقيق : الدكتور/ عبدالعظيم الديب . توزيع :دار الأنصار بالقاهرة . الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

٣١ - البرهان في تفسير القرآن (شيعـــي) للبحراني :
السيد هاشم بن السيد اسماعيل بن السيد عبدالجواد الحسيني البحراني (ت : ١١٠٩هـ).الناشر: مؤسسة مطبوعاتـــــي الاسماعيليان - قـــم - ايران . الطبعة الثانية .

٣٢ - البرهان في علـــوم القـــرآن :
للامام : بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت : ٧٩٤) .
تحقيق : محمد أبوالفضل ابراهيم . الطبع والنشر: شركـــة عيسى البابي وشركاؤه . الطبعة الثانيـة .

٣٣ - بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (شيعي) للصفـار:
أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) (ت : ٢٩٠) .
تقديم وتصحيـح : الحاج ميرزا محسن . الناشر: مؤسســة الأعلمـي . طبع مطبعة الأحمدى - طهران ١٤٠٤هـ .

٣٤ - البيان في تفسير القرآن (المدخـل) (شيعي) :
للسيد أبى القاسم الموسوى الخوئي . طبع مطبعة الآداب بالنجف- العراق . الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ .

٣٥ - البيهقي وموقفه من الالهيـات :
للدكتور/ أحمد بن عطية بن على الغامدى . الناشر: المجلس العلمي لاحياء التراث الاسلامي بالجامعة الاسلامية بالمدينـــة المنورة - السعودية ١٤٠٢هـ .

٣٦ - تاج العروس من جواهر القامـــوس :
لمحمد مرتضى الزبيدى (ت : ١٢٠٥هـ) . الناشر: دار مكتبـة الحياة - بيروت - لبنان . طبع المطبعة الخيرية - مصر . ١٣٠٦هـ الطبعة الأولـى .

٣٧ - تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبرى :
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت : ٣١٠هـ) . تحقيـق : محمد أبوالفضل ابراهـيم . الناشر: دار المعارف بمصر . القاهرة .

٣٨ - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين :
لأبي المظفر الاسفرايني : شاهفور بن طاهر بن محمد الاسفرايني الشافعي (ت : ٤٧١ هـ) . طبع مطبعة الأنوار بمصر . الطبعة الأولى ١٣٥٩ هـ .

٣٩ - التبيان في تفسير القرآن (شيعي) :
لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . تقديم : المحقق الشيخ أغابزرك الطهراني . طبع المطبعة العلمية بالنجف - العراق ١٣٧٦ هـ .

٤٠ - تثبيت دلائل النبوة :
للقاضي : عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ). تحقيق الدكتور: عبد الكريم عثمان . الناشر : دار العربية - بيروت - لبنان .

٤١ - تحرير الوسيلة (شيعي) للخميني -:
الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ .

٤٢ - تدريب الراوى في شرح تقريب النووى :
لخاتمة الحفاظ : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١ هـ) . تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف . الناشر : دار الكتب الحديثة . القاهرة . الطبعة الثانية . ١٣٨٥ هـ .

٤٣ - تفسير أبي السعود . المسمى :ارشاد العقل السليم الي مزايا الكتاب الكريم :
لقاضي القضاة : أبي السعود بن محمد العمادى الحنفي (ت : ٩٨٢هـ) . تحقيق : عبد القادر أحمد عطاء . الناشر: مكتبة الرياض الحديثة . طبع مطبعة السعادة بالقاهرة .

٤٤ - تفسير البغوى . المسمى : " معالم التنزيل " :
للامام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعي . (ت : ٥١٦ هـ) . تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، ومروان سوار . الناشر: دار المعرفة - بيروت . الطبعة الأولى . ١٤٠٦هـ .

٤٥ - تفسير الحسن العسكرى (شيعـــي) :
على هامش تفسير القمي . طبع بطبعة حجرية في طهران ١٣١٥ هـ.

٤٦ - تفسير الصافي (شيعـــى) :
للمولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت : ١٠٩١هـ) . تصحيح وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي . نشر وطبع : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت ـ لبنان . الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

٤٧ - تفسير العياشـــي (شيعـــى) :
لمحمد بن عباس السلم السمرقندى . تحقيق : الشيخ سيد باشم الرسولي المحلاتي . الناشر: المكتبة العلمية الاسلامية طهـــران .

٤٨ - تفسير الفخر الرازى . المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب :
لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكرى الرازى الشافعي (ت :٦٠٦ هـ) . الناشر: دار الفكر ـ بيروت لبنان . الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

٤٩ - تفسير القرآن العظـــيم :
للحافظ ابن كثير . تحقيق : عبد العزيز غنيم ، محمد أحمد عاشور ، محمد ابراهيم البناء . مطبوعات دار الشعب ـ القاهرة .

٥٠ - تفسير القاسمـــي . المسمى :" محاسن التأويل " :
لمحمد جمال الدين القاسمي (ت : ١٣٣٢ هـ) تصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار الفكر ـ بيروت لبنـــان ١٣٩٨ هـ .

٥١ - تفسير القمـــى (شيعـــى) :
لأبي الحسن علي بن ابراهيم القمي . تصحيح وتعليق : السيد طيب المسوى . منشورات مكتبة الهدى . طبع مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ـ قم ـ ايران ١٤٠٤ هـ ـ.

٥٢ - التفسـير والمفســرون :
للدكتور/ محمد حسين الذهبي . الناشر: دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٩٦هـ .

٥٣ - تقريب التهذيب :
للحافظ : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ).
تحقيق وتعليق : عبد الوهاب عبد اللطيف . الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٣٩٥هـ .

٥٤ - التمهيد في أصول الفقه :
لمحفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني الحنبلي (ت : ٥١٠هـ).
تحقيق :الدكتور/ محمد بن علي بن ابراهيم . مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى - مكة - السعودية . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٥٥ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع . للملطي :
الامام :أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي (ت :٣٧٧هـ) . تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثرى . الناشر : مكتب نشر الثقافة الاسلامية . القاهرة . ١٣٦٨هـ .

٥٦ - تنزيه الأنبياء (شيعي) :
للسيد الشريف المرتضى الملقب بعلم الهدى . الناشر: مكتبة بصيرتي - قم - ايران .

٥٧ - تنقيح المقال في علم الرجال (شيعي) :
للحاج الشيخ عبد الله المامقاني . طبع طبعة حجرية في المطبعة المرتضوية - النجف - العراق . ١٣٥٢هـ .

٥٨ - توفيق التطبيق ... :
لعلي بن فضل الله الجيلاني . تقديم وتحقيق : الدكتور/ محمد مصطفى حلمي . طبع دار احياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي . الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ .

٥٩ - تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (شيعي) :
لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . تحقيق وتعليق : السيد على الموسوى . الناشر: دار الكتب الاسلامية طهران - ايران . الطبعة الثالثة ١٣٩٠هـ .

٦٠ - تهذيب التهذيب :
للامام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلاني .
طبع دائرة المعارف النظامية - حيد آباد - الهند ١٣٢٦ هـ.

٦١ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن :
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت : ٣١٠هـ) . طبع ونشر : شركة مصطفي البابي الحلبي . مصر . الطبعة الثالثة. ١٣٨٨ هـ .

٦٢ - جامع الرسائل لابن تيمية (المجموعة الأولى) :
تحقيق : الدكتور/ محمد رشاد سالم . الناشر: دار المدني للنشر والتوزيع - جدة - السعودية . الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٦٣ - جامع الرواة ... (شيعي) :
لمحمد بن علي الاردبيلى الحائرى . الناشر : مكتبة المصطفوى قم - ايران .

٦٤ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم :
لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت : ٧٩٥ هـ) . نشر وطبع: شركة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي . الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ .

٦٥ - الجامع لأحكام القرآن :
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (ت : ٦٧١هـ). أعاد طبعه : دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان ١٤٠٥هـ .

٦٦ - حق اليقين في معرفة أصول الدين (شيعي) :
للسيد عبد الله شبّر . الناشر: دار الأضواء - بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

٦٧ - الحكومة الاسلامية (شيعي) :
للخميني . الناشر : المكتبة الاسلامية الكبرى .

٦٨ - الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الامامية الاثنى عشرية :
للأستاذ : محب الدين الخطيب . مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ـ السعودية .

٦٩ - خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال :
للحافظ : صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي (ت:٩٢٣).
تحقيق : محمد عبدالوهاب فايد . الناشر : مكتبة القاهرة ـ مصر . طبع مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة ١٣٩٢هـ .

٧٠ - خلق أفعال العباد :
للامام : محمد بن اسماعيل البخارى (ت :٢٥٦هـ) . تقديم وتعليق : بدر البدر . الناشر : الدار السلفية ـ الكويت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٧١ - دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة" :
للدكتور/ أحمد محمد أحمد جلي . الناشر : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية . طبع شركة الطباعة العربية السعودية ـ الرياض . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٧٢ - ديوان امرئ القيس :
طبع دار صادر بيروت ـ لبنان .

٧٣ - ديوان عنترة :
طبع دار صادر بيروت ـ لبنان .

٧٤ - ديوان النابغة الذبياني :
تحقيق وشرح : كرم البستاني . نشر وطبع : دار صادر بيروت لبنان .

٧٥ - رجال الكشي (شيعي) :
لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . تصحيح وتعليق : حسن المصطفوى . طبع في : دانشكاه مشهد ـ طهران ١٣٤٨هـ.

٧٦ - الرجعة (شيعـــي) :
للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت ١٢٤١هـ). الناشر: مكتبة العلامة الحائـرى - كربلاء - العراق .

٧٧ - الرسالـــــة :
للامام المطلبي محمد بن ادريس الشافعي (ت : ٢٠٤هـ) تحقيق وشرح : أحمد محمـد شاكـر .

٧٨ - رسالة تحريـم المتعـة :
لأبي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي (ت : ٤٩٠هـ) . تحقيـق وتعليق : حماد بن محمد الأنصارى ، الأستاذ المشـارك بالجامعة الاسلامية بالمدينة . الناشر : دار طيبة - الرياض .

٧٩ - رسائل الشيخ المفيـد (شيعي) :
لأبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان . الناشر : مكتبـة دار الكتب التجارية ومطبعتها بالنجف - العراق .

٨٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :
لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغـدادى . (ت : ١٢٧٠هـ) . طبع ادارة الطباعة المنيرية . نشر: دار احياء التراث العربي - بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٨١ - روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه (مع شرحه نزهة الخاطر) :
لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلـي . (ت : ٦٢٠ هـ) . الناشر : مكتبة المعارف - الريـاض- السعودية ١٤٠٤هـ .

٨٢ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (شيعي) :
لميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى . تحقيق : أسد اللـه اسماعيليان . الناشر : مكتبة اسماعيليان - قم - ايران ١٣٩٢هـ .

٨٣ - زاد المعاد في هدى خير العباد . لابن القيم الجوزية :
الامام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت : ٧٥١هـ) . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعبدالقـادر الأرنؤوط . طبع ونشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعـة الثانية ١٤٠٢ هـ .

٨٤ - سـراب فـي ايـران :
للدكتور/ أحمـد الأفغاني . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

٨٥ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعـة . . . (المجلد الثالث) :
لمحمد ناصر الدين الألباني . الناشر : مكتبة المعـارف - الرياض . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٨٦ - سـنن ابن ماجـه :
للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت : ٢٧٥هـ)
تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهـرة .

٨٧ - سـنن أبـي داود :
للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدى .
(ت : ٢٧٥هـ) . اعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد . الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر . بـيروت الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .

٨٨ - سـنن الترمـذى :
لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سـورة (ت : ٢٧٩هـ) . تحقيق: أحمد محمد شاكر . طبع شركة عيسى البابي الحلبي - القاهرة .

٨٩ - سـنن الدارقطـني :
للامام علي بن عمر الدارقطني (ت : ٣٨٥هـ) . تصحيـح وتحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني . الناشـر: السيد عبد الله هاشم يماني المدني - المدينة المنورة - السعودية . طبع دار المحاسن للطباعة . القاهـرة .

٩٠ - سـنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي :
للامام الحافظ : أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب برعليّ النسائي .
(ت : ٣٠٣ هـ) . الناشر : المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .

٩١ - السنة ومكانتها في التشريع الاسلامـي :
للدكتور/ مصطفي السباعي . الناشر : المكتب الاسلامي . بـيروت لبنان . الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .

٩٢ - السيرة النبوية لابن هشام :
أبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى (ت: ٢١٨هـ).
تحقيق : مصطفى السقا ، وابراهيم الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبي .

٩٣ - الشاطبية في القراءات السبع (حرز الأماني ووجه التهاني) :
للقاسم بن فيّره بن خلف بن أحمد الشاطبي الأندلسي .
(ت : ٥٩٠ هـ) . طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
مصر ١٣٥٥ هـ .

٩٤ - شرح الأصول الخمسة :
للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي . تحقيق :
عبد الكريم عثمان . الناشر : مكتبة وهبة . طبع مطبعة
الاستقلال الكبرى . القاهرة . الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ .

٩٥ - شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول :
لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن ادريس القرافي (ت :
٦٨٤ هـ) . تحقيق : عبد الرؤوف سعد . منشورات مكتبة
الكليات الأزهرية - مصر . الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .

٩٦ - شرح عبد السلام على الجوهرة . المسمى :" اتحاف المريد بجوهرة
التوحيد " :
لعبد السلام بن ابراهيم المالكي اللقاني (ت : ١٣٧٩هـ). الناشر:
مكتبة القاهرة بميدان الأزهر . القاهرة .

٩٧ - شرح العقيدة الطحاوية :
للعلامة ابن أبي العز الحنفي . حققها : جماعة من العلماء.
خرّج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني .

٩٨ - شرح عقائد الصدوق (شيعي) " مطبوعة مع(أوائل المقالات) :
للشيخ المفيد . تصحيح وتعليق ونشر: الشيخ عباس سقلي .
طبع في تبريز - ايران . طبعة ثانية ١٣٧١ هـ .

٩٩ - شرح العقائد النسفية :
لمسعود بن عمر بن سعد الدين التفتازاني (ت : ٧٩١ هـ) .
طبعة دار سعادات . أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى
بغداد - العراق .

١٠٠ - شرح القصائد العشر :
لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت : ٥٠٢هـ).
تصحيح وضبط : الأستاذ / عبد السلام الحوقي . الناشر :
دار الكتب العلمية - بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

١٠١ - شرح المعلقات السبع :
لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزورني . طبع
ونشر: دار صادر بيروت .

١٠٢ - شرح المواقف :
للسيد الشريف الجرجاني . طبع في دار الطباعة العامرة .

١٠٣ - شرح النووي علي صحيح مسلم :
للامام محي الدين أبي زكرياء يحى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ).
الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان . الطبعة
الثالثة ١٤٠٤ هـ .

١٠٤ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد :
عز الدين أبي حامد هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين .
ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم .
الطبعة الأولي . طبع في دار احياء الكتب العربية عيسي البابي ١٣٧٨هـ.

١٠٥ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى :
للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت : ٥٤٤هـ) . منشورات
المكتبة التجارية الكبرى . توزيع: دار الفكر - بيروت - لبنان .

١٠٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ... :
لابن القيم الجوزية . تحرير : الحساني حسن عبد الله.
الناشر : مكتبة التراث - القاهرة .

١٠٧ - الشيعة في التصور الاسلامي :
لعلي عمر فريج . الناشر: دار عمار - عمان - الأردن . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

١٠٨ - الشيعة في الميزان (شيعى) :
لمحمد جواد مغنيّة . الناشر : دار التعارف للمطبوعات - بيروت الطبعة الرابعة ١٣٩٩ هـ .

١٠٩ - الشيعة والتشيع فرق وتاريخ :
للأستاذ : احسان الهي ظهير . الناشر: ادارة ترجمان السنة . لاهور - باكستان . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

١١٠ - الشيعة والسنة :
للاستاذ : احسان الهي ظهير . الناشر : ادارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان . الطبعة العاشرة ١٤٠١هـ .

١١١ - الشيعة والمتعة :
لمحمد مال الله . الناشر: دار الصحوة الاسلامية . الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

١١٢ - صحيح البخارى مع شرحه (فتح البارى) :
للامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (ت : ٢٥٦هـ). بترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . طبع ونشر: المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة .

١١٣ - صحيح مسلم :
للامام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى . (ت : ٢٦١ هـ) . نسخة : محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١١٤ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة :
لأحمد بن حجر الهيثمي المكي (ت :٩٧٤هـ) . تعليق وتقديم: عبد الوهاب عبد اللطيف . الناشر: مكتبة القاهرة - مصر . طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة . الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ .

١١٥ - ضحى الاسلام :
لأحمد أمين . الناشر: مكتبة النهضة المصرية - القاهرة . الطبعة السابعة .

١١٦ - طوالع الأنوار على هامش شرح المواقف :
للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوى (ت : ٦٨٥هـ) . طبع دار الطباعة العامرة .

١١٧ - عصمة الأنبياء للرازى :
محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري فخر الدين الرازى . الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان . الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

١١٨ - العصمة عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية . رسالة ماجستير في شعبة العقيدة بقسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . اعداد الطالب : أنور على عبد المنعم الباز . باشراف الأستاذ / محمد نمر الخطيب عام ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ .

١١٩ - العقيدة الطحاوية مع شرحها :
لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الطحاوى (ت : ٣٢١ هـ) . الناشر : المكتب الاسلامي . بيروت . الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ .

١٢٠ - عقائد الامامية (شيعي) :
لمحمد رضا المظفر . طبع مطبوعات النجاح بالقاهرة - مصر . الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ .

١٢١ - عقائد الامامية الاثنى عشرية (شيعي) :
لآية الله الحاج السيد ابراهيم الموسوى . الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان ١٤٠٢ هـ .

١٢٢ - علم أصول الفقه :
لعبد الوهاب خلاف . الناشر: دار العلم - الكويت . الطبعة الرابعة عشر ١٤٠١ هـ .

١٢٣ - غاية المرام في علم الكلام :
لسيف الدين الآمدى علي بن أبى علي بن محمد (ت: ٦٣١هـ) .
تحقيق : محمد عبد اللطيف . مطبوعات مجلس الأعلى للشئون الاسلامية - مصر - القاهرة . ١٣٩١هـ .

١٢٤ - غياث الأمم في التياث الظلم :
لامام الحرمين أبي المعالي الجوينى . تحقيق : الدكتور/ مصطفى حلمى ، والدكتور/ فؤاد عبد المنعم أحمد . الناشر: دار الدعوة للطبع والنشر . الاسكندرية - مصر .

١٢٥ - الغيبة (شيعى) :
للشيخ محمد بن ابراهيم النعماني . من أعلام القرن الرابع الهجرى . تحقيق : على أكبر الغفارى . الناشر : مكتبة الصدوق - طهران - ايران .

١٢٦ - فتح البارى شرح صحيح البخارى :
للحافظ : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . نشر وطبع: المكتبة السلفية ومطبعتها - القاهرة .

١٢٧ - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير :
لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) . الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٢٨ - فجر الاسلام :
لأحمد أمين . الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت . الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٩م .

١٢٩ - الفرق بين الفرق :
لعبد القاهر بن طاهر البغدادى (ت : ٤٢٩هـ) . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . الناشر : دار المعرفة بيروت - لبنان .

١٣٠ - فرق الشيعة (شيعي) :
للحسين بن موسى النوبختى - من أعلام القرن الثالث الهجرى - منشورات دار الأضواء بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

١٣١ - فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأربـاب (شيعي) :
لحسين بن محمد تقي النورى الطبرسي . طبعة حجريـة .

١٣٢ - الفصل في الملل والأهـواء والنحـل :
لأبي محمد علي بن أحمد . المعروف بابن حزم الطاهـرى .
تحقيق : الدكتور/ محمد ابراهيم نصر ، والدكتور/ عبد الرحمن عميرة . طبع ونشر: دار الجيل - بيروت . الطبعة الأولـى ١٤٠٥ هـ .

١٣٣ - فقـه السنـة :
للسيد سابق . الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

١٣٤ - الفهرسـت لابن النديـم (شيعي) :
أبي الفرج محمد بن اسحاق الوراق البغدادى (ت: ٣٨٥هـ) .
تحقيق : رضا تجـدد .

١٣٥ - القاموس المحيـط :
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت : ٨١٧هـ) .
طبع ونشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصـر .
الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ .

١٣٦ - الكافـي (شيعى) :
لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكلينى (ت : ٣٢٨هـ) .
الناشر : دار الكتاب الاسلاميـة - طهران ١٣٩١هـ .

١٣٧ - كتاب عشرة النسـاء (من سنن الكبرى للنسائي) :
الامام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي . تحقيق: عمر علي عمر . الناشر : مكتبة السنة - القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

١٣٨ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها :
لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) . تحقيق : محي الدين رمضان . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشـق ، ١٣٩٤ هـ .

١٣٩ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :
لحاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله (ت :١٠٦٧هـ. منشورات مكتبة المثنى - بيروت ، ورجعت أيضا الى طبعة مطبعة العالم. الطبعة الأولى ١٣١٠هـ . من كشف الظنون .

١٤٠ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :
لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المعتزلي (ت :٥٣٨ هـ) .

١٤١ - الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادى :
الامام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت : ٤٦٣هـ) . تحقيق : محمد الحافظ التيجاني .الناشر: دار الكتب الحديثة - مصر . طبع مطبعة السعادة . الطبعة الأولى .

١٤٢ - الكنى والألقاب (شيعي) :
للشيخ :عباس محمد القمي . طبع المطبعة الحيدرية بالنجف - العراق . الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ .

١٤٣ - لسان العرب :
لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . ابن منظور الافريقي . (ت : ٧١١هـ) . الناشر : دار صادر بيروت .

١٤٤ - لسان الميزان :
لابن حجر العسقلاني . الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ . طبع الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد - الهند ١٣٢٩ هـ .

١٤٥ - مجمع البيان لعلوم القرآن (شيعي) :
للشيخ أبى علي الفضل بن الحسن الطبرسي . تصحيح وتعليق : الشيخ السيد باشم الرسولي . الناشر: دار احياء التراث العربي . بيروت - لبنان ١٣٧٩هـ .

١٤٦ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية :
جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدى الحنبلي . نشر : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - بيروت تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .

١٤٧ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين :
لفخر الدين الرازى . الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

١٤٨ - مختصر التحفة الاثنى عشرية :
للسيد محمود شكرى الألوسي . تحقيق : الأستاذ محب الدين الخطيب . طبع المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٧٣هـ .

١٤٩ - المذاهب الاسلامية :
لمحمد أحمد أبي زهرة . نشر وطبع: مكتبة الآداب ومطبعتها .

١٥٠ - مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر:
للشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي . الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . السعودية .

١٥١ - المستصفي من علم الأصول :
لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت : ٥٠٥هـ) طبع المطبعة الأميرية ببولاق - مصر . الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ.

١٥٢ - المسند :
للامام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) . نشر: المكتب الاسلامي - بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ .

١٥٣ - مشارق الشموس الدرية في أحقية مذهب الأخبارية (شيعي) :
للسيد عدنان السيد علوى (ت : ١٣٤٨هـ) . منشورات المكتبة العدنانية - البحرين ١٤٠٦ هـ .

١٥٤ - المصنف في الأحاديث والآثار :
للامام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة . أبوبكر بن أبي شيبة الكوفي (ت : ٢٣٥هـ) . تحقيق ; مختار أحمد الندوى . مطبوعات الدار السلفية . بومباى - الهند . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .

١٥٥ - معجم البلدان :
لياقوت الحموى ، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي .
(ت : ٦٢٦ هـ) . طبع ونشر : دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٤٠٤ هـ .

١٥٦ - معجم المؤلفين " تراجم مصنفي الكتب العربية " :
لعمر رضا كحالة . الناشر: مكتبة المثنى ودار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١٥٧ - معجم مقاييس اللغة :
لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . الناشر: دار الكتب العلمية - قم ايران .

١٥٨ - المعجم الوسيط :
لعدد من أعضاء مجمع اللغة العربية . الناشر: المكتبة الاسلامية - استانبول - تركيا .

١٥٩ - المغني لابن قدامة :
أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة . الناشر: مكتبة الجمهورية العربية ومكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مصر .

١٦٠ - المغني في أصول الفقه :
لجلال الدين أبي محمد عمر بن محمد بن عمر الخبازي (ت : ٦٩١ هـ). تحقيق : الدكتور/ محمد مظهر بقا . مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى - مكة - السعودية . الطبعة الأولى . ١٤٠٣ هـ .

١٦١ - المفردات في غريب القرآن :
لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني .
(ت : ٥٠٢ هـ) . تحقيق : محمد سيد كيلاني . طبع ونشر : دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٦٢ - المفضليات : :
للمفضل بن محمد بن يعلي الضبي (ت : ١٧٨هـ) . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام هارون . بيروت لبنان ـ الطبعة السادسة .

١٦٣ - مقارنة الأديان (المسيحية) :
للدكتور/ أحمد شلبي . الناشر: مكتبة النهضة المصرية القاهرة . الطبعة الخامسة ١٩٧٧م.

١٦٤ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة :
للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوى . (ت :٩٠٢ هـ) . تصحيح وتعليق : عبدالله محمد الصديق . الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

١٦٥ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين :
لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعرى (ت : ٣٣٠هـ) .تحقيق: محمد محى الدين عبدالحميد ، ملتزم الطبع والنشر: مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ .

١٦٦ - مقدمة ابن خلدون :
لعبدالرحمن بن خلدون (ت : ٨٠٨هـ) . طبع ونشر: دار الشعب ـ القاهرة .

١٦٧ - مقدمة في أصول التفسير :
لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم . الشهير: بابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) . تحقيق : الدكتور/ عدنان زرزور . نشر: دار القرآن الكريم . بيروت . الطبعة الثانية . ١٣٩٩ هـ .

١٦٨ - الملل والنحل . للشهرستاني :
أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر ، أحمد الشهرستاني (ت : ٥٤٨ هـ) . تحقيق : محمد سيد كيلاني . ناشر: دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان . ١٤٠٢ هـ .

١٦٩ - المنـــار المنيـــف في الصحيح والضعيف :
لابن قيم الجوزية . تحقيق : محمود مهدى استانبولي .

١٧٠ - مناقـــب الشافعـــــي :
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي (ت : ٤٥٨ هـ) .
تحقيق : السيد أحمد صقر . الناشر: مكتبة دار التراث . طبـع في دار النصر للطباعة ـ القاهرة ١٣٩١ هـ .

١٧١ - المنتقي من مناهج الاعتدال (مختصر منهاج السنة لابن تيمية) :
للحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي . تحقيق : محـب الدين الخطيـب . طبع ونشر : المطبعة السلفية ومكتبتهـــا ـ القاهـــرة .

١٧٢ - من لا يحضره الفقيـه (شيعى) :
لأبي جعفر الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويـــه القمي (ت : ٣٨١ هـ) . نشر: دار الكتب الاسلامية ـ طهران ـ الطبعة الخامســة ١٣٩٠ هـ .

١٧٣ - منهـــاج السنـــة :
لشيخ الاسلام ابن تيمية . نشر: دار الكتب العلمية ـ بـــــيروت لبنان .

١٧٤ - منهاج الكرامة (شيعـــي) :
لابن المطهر الحلى الرافضي الحسن بن يوسف بن علي بـــــن المطهر (ت : ٧٢٦ هـ) .

١٧٥ - النسخة المطبوعة مع الجزء الأول من منهاج السنـــة :
بتحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم . نشر: مكتبة العروبـــــة . طبع مطبعة المدني ـ القاهرة .

١٧٦ - المواقـف في علم الكـــلام :
لعضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الايجي ـ مـــــن أعلام القرن الثامن الهجرى . الناشر: عالم الكتب ـ بـــــيروت لبنـــان .

١٧٧ - ميزان الاعتـــدال في نقد الرجـــال :
للحافظ الذهبي . تحقيق : محمد على البجاوى . طبـــــع ونشر : دار احياء الكتب العربية - لعيسى البابي الحلـــــبي وشركـاؤه . الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ .

١٧٨ - كتـــاب النبـــوات :
لأبي العباس ابن تيمية . طبع المطبعة المنيرية - مصر . الطبعـة الأولى ١٣٤٦ هـ .

١٧٩ - نشأة الفكر الفلسفي في الاســـلام :
للدكتور/ علي سامي النشـار . طبع دار المعارف - القاهـــرة . الطبعة السابعة ١٩٧٧م .

١٨٠ - نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية :
للدكتور/ أحمد محمود صبحى . الناشر: دار المعارف بمصر .

١٨١ - النهاية في غريب الحديث والأثر . لابن الأثير :
مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى (ت : ٦٠٦ هـ) . تحقيق : طاهر الزاوى ، ومحمد محمـــــــد الطناحي . الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان .

١٨٢ - نيـل الأوطار وشرح منتقى الأخبـــار :
لقاضي القضاة محمد بن علي الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) . ملـتزم الطبع: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصـــــر . الطبعة الأخيرة .

١٨٣ - وجاء دور المجـــوس ... :
للدكتور / عبد الله محمد الغريب . طبع سنة ١٩٨١م .

١٨٤ - الوشيعة في نقد عقائد الشيعـــة :
لموسى جارالله (ت: ١٣٦٩هـ) . الناشر: سهيل أكاديمي - لاهور - باكستان . طبع في أيور كريس بريس - لاهور ١٣٩٩ هـ .

١٨٥ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين :
لاسماعيل باشا البغدادى . طبع مطبعة البهية - استانبـــول - تركيا . أعادت طبعه بالأوفست منشورات مكتبة المثنى - بغداد . ١٩٥١ م .

* * *

ثانيا : =((فهـــرس الموضوعـــات))=

رقم الصفحة

*** شكـــر وتقديـــــــر . *

*** المقدمـــــــــة . أ

*** القســـــــم الأول :

** البـــــاب الأول :

* الفصـــــــل الأول :

- المبحث الأول : نشأة التشيع وظهوره :

= تمهيـــــد . ١

= معنى الشيعة لغة واصطلاحا . ٤

= متى وأين ظهر التشيـــــع ؟ ٦

- المبحث الثاني : تطور الفكر الشيعي وتفاوت الشيعة في تشيعاتهـــــم . ١٢

- المبحث الثالث: الهدف من وراء التشيع وأثر النحل القديمة فيـــــــه . ١٥

* الفصـــــل الثانـــي : فرق الشيعة :

- التمهيـــــد :تصنيف فرق الشيعة الـــى أمهات رئيســـــــــة . ٢١

- المبحث الأول : الغـــــلاة . ٢٣

- المبحث الثاني : الكيسانيـــة . ٢٨

- المبحث الثالث : الزيديـــــة . ٣٤

- المبحث الرابع : الاماميـــــة : ٣٨

= الاسماعيليـــــة . ٣٩

= الاثنا عشريـــــة . ٤٠

الموضـــــــوع	رقم الصفحـــة
** البـــاب الثانـــي : الطبرسي ومنهجه في تفسيره .:	
* الفصـــل الأول : ترجمـة الطبرســـي . :	
ـ المبحث الأول : حياتـــه العامـــــة .:	٤٥
١ـ اسمه وكنيتـــه ولقبـــه .	٤٥
٢ـ نسبتـــــه .	٤٥
٣ـ مولده ووفاته ومدفنـــه .	٤٦
٤ـ نشأته وأخلاقـــــه .	٤٧
ـ المبحث الثاني : حياتـه العلميـــــة . :	٤٨
١ـ عقيدتـــــه .	٤٨
٢ـ مكانته العلمية وثناءعلماء طائفتهعليه	٤٨
٣ـ رحلاتـــــه .	٥٠
٤ـ شيوخـــــه .	٥٠
٥ـ تلامذتـــــه .	٥١
٦ـ آثاره ومؤلفاتـــه .	٥٢
* الفصـــل الثاني : منهج الطبرسي في تفسيره :	
ـ المبحث الأول : تحقيق اسم الكتاب ونسبته الى الطبرســـــــي .	٥٣
ـ المبحث الثاني : مراجع الطبرسي في تفسيره :	٥٤
أ ـ مراجعه من التفاسير السنية .	٥٤
ب ـ تفاســـير المعتزلـــــــة .	٥٥
جـ ـ مراجعه من كتب الشيعة من التفسير وغيرهـــا .	٥٥
هـ ـ مراجعه في اللغة والاعراب .	٥٧

الموضـــــوع	رقم الصفحة
- المبحث الثالث : طريقة الطبرسي في عرض تفسير الآيات والسور .	٥٨
- المبحث الرابع : أصول التفسير عند الطبرسي :	٦٢
= الأصل الأول : الاعتماد على الاستنباط من الكتاب واعمال الرأى فيه والأخذ منه مباشرة .	٦٢
= الأصل الثاني : الاعتماد على اللغة والاعراب	٦٦
= الأصل الثالث : قول الامام المعصوم	٦٧
- المبحث الخامس : موقف الطبرسي من بعض القضايا التي لها علاقة بالتفسير :	٧٠
أ- موقف الطبرسي من تفسير القرآن بالسنة وأقوال الصحابة	٧٠
ب- موقف الطبرسي من الأخبار الموضوعة والمرويات الباطلة	٧٢
جـ - التفسير الباطني .	٧٦
- المبحث السادس : المكانة العلمية لتفسير الطبرسي عند الشيعة والسنة .	٨٢
* استدراك على الدكتور الذهبي في تقويمه لتفسير الطبرسي	٨٤
* استدراك على الدكتور الذهبي والدكتور السالوس في وصفهما الطبرسي بالاعتدال .	٨٦
- المبحث السابع : هدف الطبرسي وغايته من تأليف تفسيره .	٨٩
- المبحث الثامن : وسيلة الطبرسي في وصول غايته وعرضه لمسائل الرفض .	٩٣
*** القسم الثاني : كشف الاتجاه الرافضي في تفسير الطبرسي :	
** الباب الأول : اظهار مدى تمسك الطبرسي بعقائد الامامية :	
* الفصل الأول : الامامة :	
- المبحث الأول : الامامة عند أهل السنة والشيعة وباقي الفرق .	٩٥

الموضـــــوع	رقـم الصفحـــة
- المبحث الثاني : مكانة الامامة عند الاثنى عشرية ونظرتهم الى الامام .	١١١
- المبحث الثالث: موقف الطبرسي من الامامـة . :	١٢١
١- القول بأن الكتاب نص على امامة عليّ والاستدلال على ذلك بقوله تعالى" انما وليكم الله ورسوله والذيـــن آمنـــوا .	١٢١
٢- القول بالنص على الأئمة الاثنى عشر وأن الامامة فـي ولد الحسين دون ولد الحسن ، والاستدلال على ذلك بقوله تعالى :" واذا ابتلي ابراهيم ربه بكلمات " .	١٣٠
٣- الزعم أن آخر فريضة فرضها الله هي نصب علـــيّ - رضي الله عنه - علما للأنام وبذلك أكمل الديـــن والاستدلال على ذلك بقوله تعالى :" اليوم أكملـت لكم دينكم . . . الآيـة " .	١٣٦
٤- الزعم أن الله أمر كل امام أن يسلم الامامة الى من بعده وهو المقصود على حد زعمهم ، من قوله تعالـــى: "ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها" .	١٤٣
٥- الادعاء بأن ايراث الكتاب والاصطفاء خاص بالأئمة دون غيرهم من سائر الأمة والاستدلال على ذلك بقوله تعالى :" ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينـا من عبادنا " .	١٤٩
٦ - مســاوات الأئمــة بالأنبيــاء	١٥٦
٧- القول بوجود امام في كل زمان اذا لم يكن هنـاك نبـــي .	١٥٧
٨- الوصايـــــة .	١٥٩

الموضـــــوع	رقـم الصفحـــة
* الفصـل الثانـي : العصمـــــــــة :	
- المبحث الأول : تعريف العصمة لغة واصطلاحا	١٦٢
- المبحث الثاني : عصمة الأنبياء عند جمهور الأمـــــــــة والشيعة الاماميـــة .	١٦٦
- المبحث الثالث : عصمة الأئمة عند الشيعة الاماميـــة .	١٧٢
- المبحث الرابع : موقف الطبرسي من عصمة الأئمـــــة :	١٧٧
١- استدلال الطبرسي على ثبوت العصمة للأئمة بقولـه تعالى : " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكـــم " .	١٧٧
٢- الاستدلال بقوله تعالى : " قال اني جاعلك للنـاس اماما قال من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمـين" على عصمة الأئمـــة .	١٨٣
٣- الاستدلال بقوله تعالى : " ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين " على ثبـــوت العصمة للأئمـــة .	١٨٩
٤- القول بأن أولى الأمر فى قوله تعالى : " ولـــو ردوه الى الرسول وأولى الأمر منهم ... " هم الأئمة المعصومون	١٩٣
٥- الادعاء بأن الصفات في قوله تعالى : " التائبـــون العابدون الحامدون . . . "صفات الأئمة المعصومين وحدهم دون غيرهـــم .	١٩٧
٦- الاستدلال على ثبوت العصمة لعلىّ وفاطمة والحسن والحسين (رضي الله عنهم) بقوله تعالى : " انمـــا يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . . " .	١٩٨

الموضـــوع	رقـم الصفحـــة

* الفصل الثالـــث : الرجعـــــة :

- المبحث الأول : الرجعة وغيبة المهدى المنتظر عنـد الشيعة الامامية الاثنى عشرية . ٢١٣

= المهدى بين السنة وبين الامامية الاثنى عشريـــة . ٢١٨

- المبحث الثاني : موقف الطبرسي من الرجعة وغيبة المهدى المنتظـــر . : ٢٢٢

= المثـــال الأول . ٢٢٢

= ،، الثاني . ٢٢٣

= ،، الثالث . ٢٢٤

= ،، الرابع . ٢٢٦

= ،، الخامس . ٢٢٧

= ،، السادس. ٢٢٩

= ،، السابع . ٢٣٢

* الفصل الرابـــع : التقيـــــة :

- المبحث الأول : التقية عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية ٢٣٧

- المبحث الثاني : موقف الطبرسي من التقيـــة . : ٢٤٩

= المثال الأول . ٢٤٩

= ،، الثاني . ٢٥٢

= ،، الثالث. ٢٥٤

= ،، الرابع . ٢٥

الموضـــــوع	رقـم الصفحـــة
* الفصـــل الخامـــس: القول بتحريف القـــرآن :	
ـ المبحث الأول : الشيعة الامامية الاثنى عشرية والقـــول بتحريف القـــرآن .	٢٥٨
ـ المبحث الثاني : موقف الطبرسي من القول بتحريف القرآن	٢٦٦
= تحريفات الرافضة التى أثبتها الطبرسي على أنهـــا قراءات لأهل البيـــت .	٢٧٠
= بعض أمثلة من تحريفات الرافضة التى أثبتها الطبرسي على سبيل التفسير والتأويـــل .	٢٧٢
* الفصل السادس : الطعن في الصحابـــة :	
ـ المبحث الأول : الصحابة عند أهل السنـــة .	٢٧٧
ـ المبحث الثاني : الشيعة الامامية والطعن في الصحابة	٢٨٣
ـ المبحث الثالث: موقف الطبرسي من الطعن في الصحابة :	٢٩١
= المثال الأول : "اتهامه عثمان ذى النورين بالنفـــاق وبالتحاكم الى الطاغـــوت " .	٢٩٢
= المثال الثاني : قذفه عمر بن الخطاب بهند بنـــت عتبة (رضي الله عنهما) .	٢٩٤
= المثال الثالث: تعريضه بالشيخـــين .	٢٩٧
= المثال الرابع: التعريض بعدد من الصحابة منهـــم الشيخان (رضي الله عنهم) .	٢٩٨
= المثال الخامس: تعريضه بالصحابـــة	٣٠١
= المثال السادس: غمطه مكانة أبي بكر رضي الله عنه	٣٠٢

الموضـــوع	رقـم الصفحـــة
** البـاب الثانـي : ابراز مدى تمسك الطبرسي بفقه الشيعة الامامية وآراء المعتزلـة :	
* الفصل الأول : ابراز مدى تمسك الطبرسي بفقه الشيعة الامامية وأصولهم الفقهية :	
ـ المبحث الأول : الطبرسي وأصول فقه الشيعة الامامية :	
= مقدمـــة .	٣٠٦
= أصول فقه الشيعة الامامية .	٣٠٦
= الطبرسي وأصول فقه الشيعة .	٣١٠
= موقفه من حجية الاجمـاع	٣١١
= موقف الطبرسي من حجية القياس	٣٢٠
ـ المبحث الثاني : الطبرسي وفروع فقه الشيعة الامامية :	
= تمهيـــد	٣٢٧
= اتيان النساء في أدبارهنّ	٣٢٩
= ولاية الأخ والعم وابن العم على المرأة	٣٣١
= نكاح الكتابيـــات	٣٣٥
= ارث النبي صلى الله عليه وسلم .	٣٣٦
= التعصيـــب .	٣٤٠
= العـــول .	٣٤٣
= ميراث الأبوين مع الزوج أو الزوجـة	٣٤٦
= نكـاح المتعـة .	٣٤٨
= فرض الرجلين في الوضوء .	٣٦٣
= مخارج الخمـس .	٣٧٥

الموضـــوع	رقـم الصفحـــة
* الفصـــل الثاني : ابراز مدى تمسك الطبرسي بآراء المعتزلة :	
- المبحث الأول : أصول المعتزلة وتأثر الامامية بها .	٣٧٩
= نشأة الاعـــتزال .	٣٧٩
= أصول المعتزلـــة .	٣٨٠
= تأثر الامامية بأصول المعتزلة .	٣٨٣
- المبحث الثاني : الطبرسي وآراء المعتزلـــة .	٣٨٦
= القدر وخلق أفعال العبـــاد .	٣٨٦
= الهدى والضلال .	٣٩٦
= الارادة .	٤٠١
= القول بأن الحجة تقوم على الناس قبل ارسال الرسـل اليهم بالعقل والنظر في الكون أو التحسين والتقبيح العقليـــين " .	٤٠٥
= نفي الطبرسي صفات الله تعالى .	٤٠٩
= رؤية الله عز وجل يوم القيامـــة .	٤١٠
= صفة الكـــلام .	٤١٣
= القول بأن خبر الواحد العدل لا يوجب العلم ولا العمل	٤١٦
= مباينة الطبرسي المعتزلة في بعض آرائهم وعقائدهم	٤٢٢
= الوعد والوعيد ومرتكـــب الكبـــيرة .	٤٢٢
= مفهـــوم الايمـــان .	٤٢٣
*** الخاتمـــــــة .	٤٢٥
*** الفهـــــــارس :	
* أولا : فهرس المصادر والمراجـــع .	٤٢٧
* ثانيا : فهرس الموضوعـــــات .	٤٥١

* * * * * * * *